

مَجَانِي الْأَدَبِ

فِي
حَدَائِقِ الْعِلْمِ

أحد الآباء

مدرس البيان في كنهه

الجزء الثالث



طبع ثانية

في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت

سنة ١٨٨٦

۴۵۱۰	وادانمبیر
۲۹	فنمبیر
۳/۹۰۹	تخابمبیر

منتخب من قصيدة علي بن ابي طالب في المنادة

٥ يَا سَامِعَ الدُّعَاءِ . يَا رَافِعَ السَّمَاءِ . يَا دَائِمَ الْبَقَاءِ . يَا وَاسِعَ الْعَطَاءِ .
 يَا عَالِمَ الْغُيُوبِ . يَا غَافِرَ الذُّنُوبِ . يَا سَاتِرَ الْغُيُوبِ . يَا كَاشِفَ
 الْكُرُوبِ . يَا فَائِزَ الصِّفَاتِ . يَا مُخْرِجَ النَّبَاتِ . يَا جَامِعَ الشَّتَاتِ .
 يَا مُنْشِرَ الرِّقَاتِ . يَا قَاتِلَ الصُّبْحِ . يَا مُرْسِلَ الرِّيَّاحِ . فُجِّرَ مَعَ
 الرِّوَّاحِ . يَجْلُنَ فِي النُّوَّاحِ . يَا هَادِيَ الرَّشَادِ . يَا مُلْهِمَ السَّدَادِ .
 يَا رَازِقَ الْعِبَادِ . يَا مُخَيِّمَ الْبِلَادِ . يَا مُطْلِقَ الْأَسِيرِ . يَا جَارِ الْكَبِيرِ .
 يَا مُغْنِيَ الْفَقِيرِ . يَا غَازِيَ الصَّغِيرِ . يَا مَالِكَ النُّوَاصِي . مِنْ طَائِعِ
 وَعَاصٍ . مَا عَنَّهُ مِنْ مَنَاصٍ . لِلْعَبْدِ أَوْ خَلَاصٍ . أَجْرٍ مِنْ الْجَحِيمِ .
 مِنْ هَوَاهُ الْعَظِيمِ . مِنْ عَيْشِهَا الدَّيْمِ . مِنْ حَرِّهَا الْمُقِيمِ . لَسَكِنِي
 الْجَنَانَا . بَلِّغْنِي الْأَمَانَا . فِي مَنَزِلِ تَعَالَى . بِالْحَقِّ قَدْ تَوَالَى . بِالنُّورِ قَدْ
 تَلَالَا . تَلَقَّى بِهِ الْجَلَالَا (ديوان علي)

٦ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ سَمِعْتُ غُلَامًا يُجَادُّ رَبَّهُ بِأَيَّاتٍ مِنَ الشَّعْرِ وَهِيَ هَذِهِ:
 يَا فَاطِرَ الْخُلُقِ الْبَدِيعِ وَكَافِلَا رِزْقَ الْجَمِيعِ سَتَابَ جُودِكَ هَاطِلُ
 يَا مُسَبِّحَ أَلْبَرِ الْخَزِيلِ وَمُسَبِّحَ السِّتْرِ الْجَمِيلِ عِمَامَ طَوْلِكَ طَائِلُ
 يَا عَالِمَ السِّرِّ الْخَفِيِّ وَمُنْجِزَ الْوَعْدِ الْوَفِيِّ قَضَاءَ حُكْمِكَ عَادِلُ
 عَظُمْتَ صِفَاتُكَ يَا عَظِيمُ تَجَلَّى أَنْ يُنْصِي السَّنَاءُ عَلَيْكَ فِيهَا قَائِلُ
 الذُّبُّ أَنْتَ لَهُ يَمِينُكَ غَافِرُ وَلِتُوبَةِ الْعَاصِي بِجَلْمِكَ قَائِلُ
 رَبُّ يُرِي الْعَالَمِينَ بِيَرِهِ وَنَوَالُهُ أَبَدًا إِلَيْهِمْ وَاصِلُ

تُثْقِيهِ وَهُوَ يَسُوقُ نَحْوَكَ دَائِمًا
 مُتَقَضِّلٌ أَبَدًا وَأَنْتَ لِحُودِهِ
 وَإِذَا دَجَا لَيْلُ الْخُطُوبِ وَأَظْلَمَتْ
 وَأَيْسَتْ مِنْ وَجْهِ النُّجَاةِ قَالَهَا
 يَا تَيْكَ مِنَ الْطَافَةِ الْفَرَجُ الَّذِي
 يَأْمُوجِدُ الْأَشْيَاءَ مَنْ أَلْقَى إِلَى
 وَمَنْ أَسْتَرَاحَ بِغَيْرِ ذِكْرِكَ أَوْجَا
 رَأَيْ يُلِمُ إِذَا عَرَّتْهُ مُلَمَّةٌ
 عَمَلٌ أُرِيدَ بِهِ سِوَاكَ فَإِنَّهُ
 وَإِذَا رَضِيتَ فَكُلْ شَيْءٌ هَيْنٌ
 أَنَا عَبْدٌ سَوْدٌ أَبْقِ كُلَّ عَلَى
 قَدْ أَثْقَلَتْ ظَهْرِي الذُّنُوبُ وَسَوَدَتْ
 هَا قَدْ أَتَيْتُ وَحَسَنُ ظَنِّي شَافِعِي
 فَأَغْفِرْ لِعَبْدِكَ مَا مَضَى وَارْزُقْهُ تَوْ
 وَأَفْعَلْ بِهِ مَا أَنْتَ أَهْلُ جَمِيلِهِ
 ٧ قَالَ الشَّيْخُ إِسْمَاعِيلُ الزَّمَزَمِيُّ :

يَا مَنْ نُحِلَ بِذِكْرِهِ
 يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى
 يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا
 عَقْدُ النَّوَابِ وَالشَّدَايِدُ
 وَإِلَيْهِ أَمْرُ الْخَلْقِ عَائِدُ
 صَمَدٌ تَنْزَهُ عَنْ مُضَادِّدِ

أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَى الْعِبَا أَنْتَ الْعَلِيمُ بِمَا أُنْبِئُ
 أَنْتَ بِهِ وَأَنْتَ عَلَيَّ شَاهِدُ إِنَّ أَلْهُومَ جُوشَهَا
 قَدْ أَصْبَحَتْ قَلْبِي تُطَارِدُ فَرَجَ بِحَوْلِكَ كُرْبَتِي
 يَأْمَنُ لَهُ حُسْنُ الْعَوَائِدُ فَحَقِّي لُطْفَكَ يُسْتَعَا
 نُ بِهِ عَلَى الزَّمَنِ الْمُعَانِدُ أَنْتَ الْمَيَسِّرُ وَالْمُسَيِّرُ
 بَ وَالمُسَهِّلُ وَالْمُسَاعِدُ سَبَّ لَنَا قَرَجًا قَرِي
 بَا يَا إِلَهِ لَا تُبَاعِدُ كُنْ رَاحِي فَلَقَدْ يَشْهَدُ
 تُ مِنْ الْأَقَارِبِ وَالْأَبَاعِدُ وَعَلَى الْعِدَى كُنْ نَاصِرِي
 لَا تُشَيِّتْ بِي الْخَوَاسِدُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَعَافِي
 مِمَّا مِنَ الْبَلَوَى أَكْبَادُ وَعَنْ أَلُورِي كُنْ سَاتِرَا
 عَنِّي بِفَضْلٍ مِنْكَ وَارِدُ بَارِبِ قَدْ ضَاقَتْ بِي آلُ
 أَحْوَالُ وَأَغْتَالَ الْمُعَانِدُ فَأَمْنُ بِنَصْرِكَ عَاجِلَا
 فَضْلًا عَلَى كَيْدِ الْخَوَاسِدُ هَذِي يَدِي وَبِشِدَّتِي
 قَدْ جِئْتُ يَا رَبَّاهُ قَاصِدُ فَلَكُمْ إِلَهِ قَدْ شَهِدُ
 تَ لِقَيْضِ لُطْفِكَ مِنْ عَوَائِدُ

محبة الله والثقة به

٨ أَخْبَرَ يَحْيَى بْنُ إِسْطَامٍ قَالَ: دَخَلْتُ يَوْمًا مَعَ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِنَا عَلَى
 عُفَيْرَةَ الْعَابِدِ الضَّرِيرِ وَكَانَ قَدْ تَعَبَّدَ وَبَكَى خَوْفًا مِنَ اللَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ حَتَّى
 عَمِيَ. فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِهِ مَا أَشَدَّ أَلَمِي عَلَى مَنْ

كَانَ بَصِيرًا فَسَمِعَ عُفَيْرُهُ قَوْلَهُ فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ عَمَى الْقَلْبُ عَنْ اللَّهِ
أَشَدُّ مِنْ عَمَى الْعَيْنِ عَنِ الدُّنْيَا . وَإِنِّي لَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ وَهَبَ لِي كُنْهَ
حُبِّهِ وَأَنْ لَمْ يَبْقَ مِنِّي جَارِحَةٌ إِلَّا أَخَذَهَا : (للميني)

قَالَ بَعْضُ الزَّاهِدِينَ مُتَفَرِّلاً فِي حُبِّهِ تَعَالَى :

هَجَرْتُ الْخَلْقَ طُرّاً فِي رِضَاكَ وَبَيْتُ الْعِيَالِ لِيْكَ أَرَاكَا
فَلَوْ قَطَعْتَنِي فِي الْحُبِّ إِرْبَاً لَّمَّا حَنَّ الْقَوَادُ إِلَى سِوَاكَ
قَالَ غَيْرُهُ :

إِذَا أَمْسَى وَسَادِي مِنْ تُرَابٍ وَبِتُ مَجَاوِدَ الرَّبِّ الرَّحِيمِ
فَضُونِي أَصْحَابِي وَقُولُوا لَكَ الْبُشْرَى قَدِمْتَ عَلَى كَرِيمِ
قَالَ آخَرُ :

مَا زَالَ يَخْتَفِرُ الدُّنْيَا بِهَيْبَتِهِ حَتَّى تَرَقَّتْ إِلَى الْآخِرَى بِهِ هِمَّةُ
رَثُ اللَّبَاسِ جَدِيدُ الْقَلْبِ مُسْتَتِرٌ فِي الْأَرْضِ مُشْتَهَرٌ فَوْقَ السَّمَاءِ نَسْمَةُ
طُوبَى لِعَبْدٍ يُحِبُّهُ اللَّهُ مُعْتَصِمٌ عَلَى صِرَاطٍ سَوِيٍّ ثَابِتٍ قَدَمُهُ
قَالَ ابْنُ الصَّفِيِّ :

يَا طَالِبَ الطِّيبِ مِنْ دَاءٍ أُصِيبَ بِهِ إِنَّ الطِّيبَ الَّذِي أَبْلَاكَ بِالْدَّاءِ
هُوَ الطِّيبُ الَّذِي يُرْجَى لِعَاقِبَةِ لَأَمْ مَنْ يُذِيبُ لَكَ التِّرْيَاقَ فِي الْمَاءِ
قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

لَيْكَ لَيْكَ أَنْتَ مَوْلَاهُ فَارْحَمْ عِيْدًا فَأَنْتَ مَلْجَأُهُ
يَا ذَا الْمَعَالِي إِلَيْكَ مُعْتَمِدِي طُوبَى لِمَنْ كُنْتَ أَنْتَ مَوْلَاهُ

العالم العقلي

١٥ من التلويحات عن أفلاطون الإلهي أَنَّهُ قَالَ: رَبُّمَا خَلَوْتُ بِنَفْسِي
كثيراً عند الرِّياضاتِ . وتأمّلت أحوال الموجودات المجردة عن
المادّيات . وحلّفت بدني جانِباً وصرتُ كَأَنِّي مجردٌ بلا بدنٍ عارٍ عن
الملابس الطّبيعيّة . فأكونُ داخلًا في ذاتي لا أعقلُ غيرها ولا أنظرُ
فيما عداها وخارجاً عن سائر الأشياء . فحينئذٍ أرى في نفسي من الحسنِ
والبهاء والسَّناء والضياء والحاسنِ الغريبة العجيبة الأنيقة ما أبقى معه
مُتَّحِباً حيراناً باهتاً . فأعلمُ أَنِّي جزءٌ من أجزاء العالم الأعلى الرُّوحاني
الكَريم الشَّريف . وَأَنِّي ذو حياة فعالة . ثُمَّ تَرَقَّيْتُ بِذِهْنِي مِنْ ذَلِكَ
العالم إلى العوالم الإلهيّة والحضرة الرُّبوبيّة . فصرتُ كَأَنِّي موضوعٌ
فيها مُعلّقٌ بها فوق العوالم العقليّة النُّوريّة . فأرى كَأَنِّي واقفٌ في ذلك
الموقف الشَّريف وأرى هناك من البهاء والنور ما لا تُقدِرُ الألسُنُ
على وصفه ولا الأسماعُ على قبولِ نفسه . فإذا استغرقتُ في ذلك الشَّأنِ
وقلّني ذلك النور والبهاء ولم أقو على احتمالِهِ هبطتُ من هناك إلى
عالم الفكرة . فحينئذٍ حجبَتِ الفكرة عني ذلك النور فأبقى مُتَّحِباً أَنِّي
كيف اتحدتُ من ذلك العالم . ونجيتُ كيف رأيتُ نفسي ممتلئةً
نوراً وهي مع البدن كهيئةها . فعندها تذكّرتُ قولَ مطرئوس حيثُ
أمرنا بالطلبِ والبحثِ عن جوهرِ النفسِ الشَّريفِ والإرتقاء إلى
العالمِ العقليِّ .

(لبهاء الدين)

الْبَابُ الثَّانِي فِي الزُّهْدِ

فِي الْحَرْفِ

١٦ قَالَ عَلِيٌّ : أَلَا إِنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ لَمَنْ رَأَى أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ قَاصِدِينَ . وَأَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ مُعَذِّبِينَ شُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ . وَقُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ . وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ . وَحَوَائِجُهُمْ خَفِيفَةٌ . صَبَرُوا أَيَّامًا قَلِيلَةً . لِمَعْيِ رَاحَةٍ طَوِيلَةٍ . أَمَّا بِاللَّيْلِ فَصَمُّوا أَقْدَامَهُمْ فِي صَلَاتِهِمْ تَجْرِي دُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ يَجَارُونَ إِلَى رَبِّهِمْ : رَبَّنَا رَبَّنَا . يَطْلُبُونَ فِكَكَ رِقَائِهِمْ . وَأَمَّا بِالنَّهَارِ فَعُلَمَاءُ حُلَمَاءُ بَرَّةٌ أَتَقِيَاءُ كَانَتْهُمْ أَلْقِدَاحُ (أَلْقِدَاحُ السِّهَامِ يُرِيدُ فِي صُغَرَتِهَا) . يَنْظُرُ إِلَيْهَا النَّاطِرُ فَيَقُولُ : مَرْضَى وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ . (وَقَالَ مَنْصُورُ بْنُ عِمَارٍ) فِي مَجَاسِ الزُّهْدِ : إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا جَعَلُوا مَا كُتِبَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَوْتِ مَثَلًا بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ وَقَطَعُوا الْأَسْبَابَ الْمُتَّصِلَةَ بِقُلُوبِهِمْ مِنْ عِلَاقِ الدُّنْيَا . فَهُمْ أَنْصَاءُ عِبَادَتِهِ . حُلَفَاءُ طَاعَتِهِ . قَدْ نَضَحُوا خُدُودَهُمْ بِوَابِلِ دُمُوعِهِمْ وَاقْتَرَشُوا جِبَاهَهُمْ فِي حِمَارِ رَبِّهِمْ . يُنَاجُونَ ذَا الْكِبَرِيَاءِ وَالْعِظَمَةِ فِي فِكَكَ رِقَائِهِمْ

زهد الثعالب بن امرئ القيس

١٧ إِنَّ الثُّعْمَانَ بْنَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ الْأَكْبَرَ الَّذِي بَنَى الْخَوَرْتَقَ وَالسَّيْدِرَ أَشْرَفَ عَلَى الْخَوَرْتَقِ يَوْمًا فَأَنْجَبَهُ مَا أُوتِيَ مِنَ الْمُلْكِ وَالسَّعَةِ وَنَفُودِ

الْأَمْرِ وَإِقْبَالَ أُلُوجِهِ عَلَيْهِ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : هَلْ أُوتِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُ . فَقَالَ لَهُ حَكِيمٌ مِنْ حُكَمَاءِ أَصْحَابِهِ : هَذَا الَّذِي أُوتِيتَ شَيْءٌ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزُولُ أَمْ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلَكَ زَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيْكَ . قَالَ : بَلْ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلِي زَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيَّ وَسَيَزُولُ عَنِّي . قَالَ : فَسَرِدَتْ بِشَيْءٍ تَذْهَبُ عَنْكَ لَذَّتُهُ وَتَبَقَى تَبَعُهُ . قَالَ : فَأَيْنَ الْمُهْرَبُ . قَالَ : إِمَّا أَنْ تُقِيمَ وَتَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ أَوْ تَبْلِسَ أَمْسَاحًا وَتَلْحَقَ بِجَهْلِ تَعْبُدُ رَبَّكَ فِيهِ وَتَفِرُّ مِنَ النَّاسِ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَجْلُكَ . قَالَ : فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ فَمَا لِي . قَالَ : حَيَاةٌ لَا تَمُوتُ . وَشَبَابٌ لَا يَهْرُمُ . وَصِحَّةٌ لَا تَسْقَمُ . وَمُلْكٌ جَدِيدٌ لَا يَبْلَى . قَالَ : فَأَيُّ خَيْرٍ فِيمَا يَفْنَى وَاللَّهِ لَا أَطْلُبُ عَيْشًا لَا يَزُولُ أَبَدًا . فَأُخْلَعُ مِنْ مُلْكِهِ وَلَيْسَ إِلَّا مَسَاحٌ وَسَاحٌ فِي الْأَرْضِ . وَتَبِعَهُ الْحَكِيمُ وَجَمَلًا يَسِيمَانِ وَيَمْبُدَانِ اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى مَاتَا . وَفِيهِ يَقُولُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ :

وَتَفَكَّرَ رَبُّ الْحَوَرِثِ إِذْ أَشْرَفَ يَوْمًا وَلَاهُدَى تَفَكِيرُ
سَرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْلِكُ وَالْبَجْرُ مَعْرُضًا وَالسَّيْدُ
فَارْعَوَى قَلْبَهُ وَقَالَ فَمَا غِبْطَةُ حَيٍّ إِلَى أَلْمَاتٍ يَصِيرُ
ثُمَّ بَعْدَ الْفَلَاحِ وَالْمُلْكِ وَالنَّعْمَةِ وَارْتَهُمُ هُنَاكَ الْفُؤُورُ
ثُمَّ صَارُوا كَانَهُمْ وَرَقٌ جَفَّ مَ قَالُوا تَبِ الْصَّبَا وَالْدَّبُورُ

عدي بن زيد والنعمان

١٨ رُوِيَ أَنَّ النُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ خَرَجَ مُتَصِدِّدًا وَمَعَهُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ

فَمَرَّا بِشَجَرَةٍ . فَقَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ : أَيُّهَا الْمَلِكُ أَتَدْرِي مَا تَقُولُ هَذِهِ الشَّجَرَةُ . قَالَ : لَا . قَالَ فَإِنَّهَا تَقُولُ :

مَنْ رَأَانَا فَلْيَحْدِثْ نَفْسَهُ أَنَّهُ مُوفٍ عَلَى قُرْبٍ زَوَالٍ
فَصُرُوفُ الدَّهْرِ لَا تَبْقَى لَهَا وَلَمَّا تَأْتِي بِهِ صُمُّ الْجِبَالِ
رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا يَشْرَبُونَ الْحَزْرَ بِأَمَاءِ الزَّلَالِ
وَالْأَبَارِيقُ عَلَيْهَا قُدُمٌ وَجِيَادُ الْحَيْلِ تَجْرِي بِالْجَلَالِ
عَمَرُوا الدَّهْرَ بِعَيْشٍ حَسَنٍ أَمْنِي دَهْرَهُمْ غَيْرُ عِجَالٍ
عَصَفَ الدَّهْرُ بِهِمْ فَأَقْرَضُوا وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ

قَالَ) ثُمَّ جَاوَزَا الشَّجَرَةَ فَمَرَّا بِمَقْبَرَةٍ . فَقَالَ لَهُ عَدِيُّ : أَتَدْرِي مَا تَقُولُ هَذِهِ الْمَقْبَرَةُ . قَالَ : لَا . قَالَ : فَإِنَّهَا تَقُولُ :

أَيُّهَا الرَّكْبُ الْخَبُوءُ نَ عَلَى الْأَرْضِ ائْتِجِدُونَا
كَمَا أَنتُمْ كَذَا كَمَا كَمَا نَحْنُ تَكُونُونَا

فَقَالَ النُّعْمَانُ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الشَّجَرَةَ وَالْمَقْبَرَةَ لَا تَتَكَلَّمَانِ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ إِنَّمَا أَرَدْتَ عِظَتِي فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا فَمَا السَّبِيلُ الَّذِي تُدْرِكُ بِهِ النُّجَاةَ . قَالَ : تَدَعِ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَتَعْبُدِ اللَّهَ وَحْدَهُ قَالَ : وَفِي هَذَا النُّجَاةُ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ فَتَرَكِ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَتَنَصَّرَ حَيْثُ أَخَذَنِي الْعِبَادَةَ وَالْإِجْتِهَادَ (للطرطوشي)

ذَلَّةُ الدُّنْيَا وَزَوْلَاهَا

١٩ (مِنَ الْمُنْهَجِ) أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ وَأَذْنَتْ بِوَدَاعٍ . وَإِنَّ

الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَشْرَفَتْ بِإِطْلَاعٍ . أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ . وَغَدَا
السَّبَاقَ وَالسَّبْقَةَ الْجَنَّةَ وَالْعَالِيَةَ النَّارَ . أَفَلَا تَأْتِبَ مِنْ خَطِيئَتِهِ . قَبْلَ مَنِيَّتِهِ .
أَلَا عَامِلَ لِنَفْسِهِ . قَبْلَ يَوْمِ يُؤْيَسِهِ . أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامٍ أَمَلٍ مِنْ
وَرَأْيِهِ أَجَلٌ . فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامٍ أَمَلِهِ . قَبْلَ حُصُولِ أَجَلِهِ . نَفَعَهُ عَمَلُهُ .
وَلَمْ يَضُرَّهُ أَجَلُهُ . وَمَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامٍ عَمَلِهِ قَبْلَ حُصُولِ أَجَلِهِ . فَقَدْ خَسِرَ
عَمَلُهُ . وَضُرَّ أَجَلُهُ . أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ . كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ .
أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرِ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا . وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا . أَلَا وَإِنَّهُ
مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ . وَمَنْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَى . يَجْذِبُهُ
الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى . أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظُّمَنِ وَذُلْتُمْ عَلَى
الزَّادِ . وَإِنْ أَخَوْفَ مَا أَخَافَ عَلَيْكُمْ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ .
تَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تُحْرِزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا

٢٠ (عَنْ تَوْفِي الْبِكَالِيِّ) قَالَ: رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا كَرَّمَ اللَّهُ
وَجْهَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ فِرَاشِهِ فَنَظَرَ إِلَى النُّجُومِ فَقَالَ: يَا تَوْفُ
أَرَأَيْدُ أَنْتَ أَمْ رَامِقُ؟ قُلْتُ: بَلْ رَامِقُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: يَا تَوْفُ
طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاعِينَ فِي الْآخِرَةِ أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا
الْأَرْضَ يَسَاطِئًا وَزُرَاهَا فِرَاشًا وَمَاءَهَا طِيبًا وَالدِّينَ شِعَارًا وَالْدُّعَاءَ دِنَارًا .
ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضًا عَلَى مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ (لبهاء الدين)

الراهب الجرجاني مع الشيخ عمر الصيني

٢١ قَالَ الشَّيْخُ عُمَرُ: مَرَرْتُ بِرَاهِبٍ وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ فَعَجَّرَ بَيْنِي

وَبَيْنَهُ مَوَاسَّةٌ . قُلْتُ لَهُ : يَا رَاهِبُ لِمَنْ تَعْبُدُ . قَال : أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي
خَلَقَ الْعَالَمَ بِقُدْرَتِهِ . وَأَلَّفَ نِظَامَهُ بِحِكْمَتِهِ . وَقَدْ حَوَتْ عَظَمَتُهُ كُلَّ
شَيْءٍ . لَا تَبْلُغُ الْأَلْسُنُ وَصْفَ قُدْرَتِهِ . وَلَا الْقَوْلُ لُحُ رَحْمَتِهِ . لَهُ الشُّكْرُ
عَلَى مَا نَقَلَبُ فِيهِ مِنْ نِعْمَتِهِ الَّتِي صَحَّتْ بِهَا الْأَبْصَارُ . وَرَعَتْ بِهَا
الْأَسْمَاعُ . وَنَطَقَتْ بِهَا الْأَلْسُنُ . وَسَكَنْتْ بِهَا الْعُرُوقُ وَامْتَرَجَتْ بِهَا
الطَّلَائِعُ . قُلْتُ : يَا رَاهِبُ مَا أَفْضَلُ الْحِكْمَةِ . قَال : خَوْفُ اللَّهِ . قُلْتُ :
وَمَا أَكْمَلُ الْعَقْلِ . قَال : مَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِ بِقُدْرَتِهِ . قُلْتُ : مَا يُعِينُ عَلَى
الْتِمَاسِ مِنَ الدُّنْيَا . قَال : أَنْ تَجْعَلَ بَقِيَّةَ يَوْمِكَ أَنْقِضَاءَ أَمَلِكَ .
قُلْتُ : وَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ عَقَلْتَ عَلَى نَفْسِكَ فِي هَذِهِ الصَّوْمَةِ .
قَال : لِأَحْسَ هَذَا السَّعْيِ عَنِ النَّاسِ (وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى لِسَانِهِ) . قُلْتُ :
مِنْ أَيْنَ تَعِيشُ . قَال : مِنْ تَذْيِيرِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ الَّذِي خَلَقَ الرَّحَى
وَهُوَ يَأْتِيهَا بِالطَّحِينَ . قُلْتُ : لِمَ لَا تَنْزِلُ إِلَيْنَا وَتُخَالِطَنَا . قَال : لِأَنَّ
الْأَشْيَاءَ الْمَوْبِقَةَ بِأَسْرِهَا بَيْنَكُمْ وَالسَّلَامَةَ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا تَكُونُ فِي
الْوَحْدَةِ . قُلْتُ : وَكَيْفَ صَبَرْتَ عَلَى الْوَحْدَةِ . قَال : لَوَذِقْتُ حَلَاوَةَ
الْوَحْدَةِ لَأَسْتَوْحَشْتُ إِلَيْهَا مِنْ نَفْسِكَ . قُلْتُ : كَيْفَ لَبَسْتَ السَّوَادَ .
قَال : لِأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَأْتَمٍ وَأَهْلُهَا فِي حِدَادٍ . وَإِذَا حَزَنْتُ لَبَسْتُ
السَّوَادَ . قُلْتُ : كَيْفَ تَذْكُرُ الْمَوْتَ . قَال : مَا أَطْرَفُ طَرَفَةَ عَيْنٍ إِلَّا
ظَنَنْتُ أَتَيْتُ . قُلْتُ : مَا لَنَا نَحْنُ نَكْرَهُ الْمَوْتَ . قَال : لِأَنَّكُمْ
عَمَرْتُمْ دُنْيَاكُمْ وَأَخْرَبْتُمْ آخِرَتَكُمْ . فَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَ النُّقْلَةَ مِنَ الْعُمُرَانِ

إِلَى الْحَرَابِ . قُلْتُ : يَا رَاهِبُ عَظَمِي . قَال : أَلْبَغِ الصِّفَاتِ النَّظَرُ
إِلَى مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ . وَفِي تَغْيِيرِ السَّاعَاتِ وَالْأَجَلَاتِ . وَإِنْ شِيعَتْ
جَنَازَةٌ فَكُنْ كَأَنَّكَ الْحُمُولُ مِثْلَ ذَلِكَ . وَلَا تَنْسَ مَنْ لَا يَنْسَاكَ .
وَأَحْسِنْ مَرِيرَتَكَ . يُحْسِنُ اللَّهُ عَلَانِيَتَكَ . وَأَعْلَمْ أَنَّ مَنْ خَافَ اللَّهَ
أَخَافَ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ . وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ خَافَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .
وَأَطْلُبِ الْعِلْمَ لَتَعْمَلَ بِهِ وَلَا تَطْلُبْهُ لِتَبَاهِيَ أَوْ تُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ . وَإِيَّاكَ
وَالْأَهْوَاءَ فَإِنَّهَا مُوبِقَةٌ . وَالْهَرَبَ الْهَرَبَ مِنَ الْجَهْلِ . وَالْهَرَبَ الْهَرَبَ
مِمَّنْ يَمْدَحُ الْحَسَنَاتِ فَيُحِبِّبُهَا وَيَذُمُّ السَّيِّئَاتِ فَيُرْتَكِبُهَا . وَلَا تَشْرَبِ
الْمُسْكِرَ فَإِنَّ عَاجِلَتَهُ غَرَامَةٌ . وَعَاقِبَتُهُ نَدَامَةٌ . وَلَا تَجَالِسَ مَنْ يُشْمَلُكَ
بِالْكَلَامِ وَيُزَيِّنُ لَكَ الْخَطَأَ وَيُوقِعُكَ فِي هَذِهِ النُّعُومِ . وَيَتَبَرَّأَ مِنْكَ
وَيَقْلِبُ عَلَيْكَ . وَلَا تَنْشَبْ فِي طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ وَلِبَاسِكَ بِالْمُعْظَمَاءِ
وَلَا فِي مَشْيِكَ الْجَاكِيزَةِ . وَكُنْ مِمَّنْ يُرْجَى خَيْرُهُ . وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ يُخَافُ
شَرُّهُ . وَأَعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ أَتْبَلَاهُ . وَمَنْ صَبَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
وَإِذَا أَعْتَلَّتْ فَأَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ . وَإِيَّاكَ وَالنِّيمَةَ فَإِنَّهَا
تَرُدُّ فِي الْقُلُوبِ الضَّغَائِنَ وَتُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَبِيبِينَ . وَأَنْظُرْ مَا اسْتَخْسَنَتْهُ
مِنْ غَيْرِكَ فَأَمْتَلْهُ لِنَفْسِكَ . وَمَا أَنْكَرَتْهُ مِنْ غَيْرِكَ فَخَبِّجْهُ . وَادْرُسْ لِلنَّاسِ
مَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ . فَإِنَّهُ كَمَالُ الْوِصَالِ وَالصَّلَاحِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا .
وَقَالَ : إِنِّي أَسْتَوِدِعُكَ لِلَّهِ وَأَقْرِي عَلَيْكَ السَّلَامَ . ثُمَّ إِنَّهُ نَهَضَ إِلَى
صَلَاتِهِ فَصَلَّاهُ يَقُولُ : إِلَهِنَا تَقَدَّسَ اسْمُكَ يَا أُنِّي مَلَكُوتُكَ . تَكُونُ

مَشِيَّتِكَ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ . أَرْزُقْنَا الْكَفَافَ يَوْمًا بِيَوْمٍ .
 اغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا وَأَتَابَنَا . وَلَا تُدْخِلْنَا فِي التَّجَارِبِ وَخَلَصْنَا مِنْ إِبْلِيسَ
 لِنَسْجِدَ وَنُقَدِّسَكَ وَنُعْبِدَكَ إِلَى دَهْرِ الدَّاهِرِينَ . ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ
 أَيُّضًا : اللَّهُمَّ إِنَّ رَحْمَتَكَ كَمَطْمَئِكَ . اللَّهُمَّ إِنَّ نِعْمَتَكَ أَعْظَمُ مِنْ رَجَائِنَا .
 فَصْنَعُكَ أَفْضَلُ مِنْ أَمَلِنَا . اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَائِكَ حَتَّى
 تَسْتَعِزَّ بِذِكْرِكَ جَوَارِحُنَا . وَتَمْتَلِ قُلُوبُنَا . اللَّهُمَّ اعِنَا عَلَى أَنْ نَحْذَرَ مِنْ
 سُخْطِكَ وَنَبْتَغِي طَاعَتَكَ وَرِضَاكَ . اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا نَفُوزُ بِهِ مِنْ
 مَلَكُوتِكَ . مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يَنْبَغِي لَكَ الْعِزُّ وَالسُّلْطَانُ وَالْقُدْرَةُ . قَالَ
 الشَّيْخُ : فَاسْتَحْسَنْتُ ذَلِكَ مِنْهُ . وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَدْعُو لَنَا وَانْصَرَفْتُ
 وَأَنَا مُتَجَبِّ مِنْ حُسْنِ مَقَالِهِ (أسواق الأشواق للبقاعي)

٢٢ قَالَ قَتْمُ الزَّاهِدِ : رَأَيْتُ رَاهِبًا عَلَى بَابِ بَيْتِ الْقُدْسِ . فَقُلْتُ
 لَهُ : أَوْصِنِي فَقَالَ : كُنْ كَرَجُلٍ احْتَوَشَتْهُ السَّبَاعُ فَهُوَ خَافٌ مَذْعُورٌ
 يَخَافُ أَنْ يَسْهُوَ فَتَقَرَّسَهُ أَوْ يَلْهُوَ فَتَنْهَشَهُ . فَلَيْلُهُ لَيْلُ خِفَافَةٍ إِذَا أَمِنَ فِيهِ
 الْمُفْتَرُونَ . وَنَهَارُهُ نَهَارُ حَزْنٍ إِذَا فَرِحَ فِيهِ الْبَطَّالُونَ . ثُمَّ إِنَّهُ وَلَّى وَرَكَعَنِي
 فَقُلْتُ : زِدْنِي . فَقَالَ : إِنَّ الظُّلْمَانَ يَفْنَعُ بِسِيرِ الْمَاءِ

٢٣ إِنَّ الْحَاسَةَ الْجُلْدِيَّةَ إِذَا كَانَتْ مُوقِفَةً بِرِمْدٍ وَنَحْوِهِ فَهِيَ مَحْرُومَةٌ مِنْ
 الْأَشْعَةِ الْقَائِضَةِ مِنَ الشَّمْسِ . كَذَلِكَ الْبَصِيرَةُ إِذَا كَانَتْ مُوقِفَةً بِالْهَوَى
 وَاتَّبَاعِ الشَّهَوَاتِ وَالْإِخْتِلَاطِ بِأَبْنَاءِ الدُّنْيَا فَهِيَ مَحْرُومَةٌ مِنْ إِدْرَاكِ
 الْأَنْوَارِ الْقُدْسِيَّةِ مَحْجُوبَةٌ عَنْ ذَوْقِ اللَّذَاتِ الْإِلَهِيَّةِ . وَلِلَّهِ دَرَمَنْ قَالَ :

ذَا مُرْتَفِعٌ ذَا مُتَّصِبٌ ذَا مُخْفِضٌ ذَا مُخْجِزٌ
لَا يَفْتَكِرُونَ لِمَا أُجِدُوا لَا يَتَّبِعُونَ لِمَا عُدِمُوا
أَهْوَاءُ قُلُوبِهِمْ عَبَدُوا وَالنَّفْسُ لِعَايِدِهَا صَنَمٌ
(لبها الدين)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْحَمِيرِيُّ :
عَجِبْتُ لِمَتَاعِ الضَّلَالَةِ بِالْهَدَى وَلَامُشْتَرِي دُنْيَاهُ بِالْدِّينِ أَعْجَبُ
وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَيْنِ مَنْ بَاعَ دِينَهُ بِدُنْيَا سِوَاهُ فَهُوَ مِنْ ذَيْنِ أَخْبُ
٢٤ قَالَ الْحَسَنُ بْنُ آدَمَ : أَنْتَ أَسِيرُ الدُّنْيَا رَضِيتَ مِنْ لَذَائِهَا بِمَا
يَقْضِي . وَمِنْ نَعِيمِهَا بِمَا يَمْضِي . وَمِنْ مُلْكِهَا بِمَا يَفْقَدُ . تَجْمَعُ لِنَفْسِكَ
الْأَوْزَارَ وَلَأَهْلِكَ الْأَمْوَالُ . فَإِذَا مَتَّ حَمَلَتْ أَوْزَارَكَ إِلَى قَبْرِكَ وَتَرَكْتَ
أَمْوَالَكَ لِأَهْلِكَ . أَخَذَهُ أَبُو الْعَاصِيَةِ فَقَالَ :

أَبَقَيْتَ مَا لَكَ مِيرَاثًا لِوَارِثِهِ يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا أَبَقِيَ لَكَ أَلْمَالُ
الْقَوْمُ بَعْدَكَ فِي حَالٍ تَسْرُهُمْ فَكَيْفَ بَعْدَهُمْ دَارَتْ بِكَ الْحَالُ
مَلُوا أَلْبَاءَ مَا يَبْكُكَ مِنْ أَحَدٍ وَاسْتَحْكَمَ الْقِيلُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْقَالَ
قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَيْهِ :

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا غَضَارَةٌ أَيْكَةِ إِذَا أَخْضَرَ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانِبُ
هِيَ الدَّارُ مَا الْأَمْالُ إِلَّا فَجَائِعُ عَلَيْهَا وَلَا اللَّذَاتُ إِلَّا مَصَابُ
فَكَمْ سَخَنَتْ بِالْأَمْسِ عَيْنَا قَرِيرَةٍ وَقَرَّتْ عُيُونُنَا دَمْعُهَا أَلَا نَسَاكُ
قَلَا تَكْتَحِيلُ عَيْنَاكَ فِيهَا بَعْبَرَةٍ عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا فَإِنَّكَ ذَاهِبُ

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ :

أَفِ لِدُنْيَا قَدْ شُغِفْنَا بِهَا جَهْلًا وَعَقْلًا لَاهَوَى مُشِيعٌ
فَتَانُهُ تَخْدَعُ طَالِبَهَا فَلَا تَكُنْ مِمَّنْ بِهَا يَخْدَعُ
أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ إِذَا حَصَلَتْ أَوْ كَوَيْضُ الْبَرْقِ مِمَّهَا لَمَعُ
٢٥ (مِنْ خُطْبَةٍ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا
أَنْتُمْ خَلْفُ مَاضِينَ وَبَقِيَّةُ الْمُتَقَدِّمِينَ . كَانُوا أَكْثَرَ مِنْكُمْ بَسْطَةً وَأَعْظَمَ
سَطْوَةً . أَزْجَعُوا عَنْهَا أَسْكَنَ مَا كَانُوا إِلَيْهَا قَعَدَرَتْ بِهِمْ أَوْثَقَ مَا كَانُوا بِهَا .
قَلَمَ تُغْنِ عَنْهُمْ قُوَّةُ عَشِيرَةٍ وَلَا قِبَلُ مِنْهُمْ بَذْلُ فِدْيَةٍ . فَأَرَحَلُوا نَفُوسَكُمْ
بِرَادِ مَيْلٍ قَبْلَ أَنْ تُوْخَذُوا عَلَى فُجَاءَةٍ . فَهَذَا غَفَلْتُمْ عَنِ الْإِسْتِعْدَادِ وَجَفَّ
الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنْ . فَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحَاسِبُوا . وَهَيِّدُوا لَهَا قَبْلَ
أَنْ تُعَذِّبُوا . وَتَرَوْدُوا إِلَى الرَّحِيلِ قَبْلَ أَنْ تُرْجَعُوا . فَإِنَّمَا هُوَ مَوْفِقُ عَدْلٍ
وَقَضَاءُ حَقٍّ . وَلَقَدْ أَبْلَغَ فِي الْإِعْذَارِ . مَنْ تَقَدَّمَ فِي الْإِنْذَارِ
٢٦ (وَمِنْ كَلَامِهِ) الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ . وَتَنْزِيلُ قُلْعَةٍ وَعِنَاءٍ . قَدْ بُرِعَتْ مِنْهَا
نُفُوسُ السُّعْدَاءِ . وَانْتَرَعَتْ بِالْكَرْهِ مِنْ أَيْدِي الْأَشْقِيَاءِ . فَاسْعَدَ النَّاسَ
فِيهَا أَرْغَبُهُمْ عَنْهَا . وَأَشْقَاهُمْ بِهَا أَرْغَبُهُمْ فِيهَا هِيَ الْفَاشَةُ لِمَنْ انْتَصَحَهَا
وَالْمَغْوِيَّةُ لِمَنْ أَطَاعَهَا . وَهَالِكُ مَنْ هَوَى فِيهَا . طُوبَى لِمَنْ اتَّقَى فِيهَا
رَبَّهُ وَنَصَحَ نَفْسَهُ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَآخَرَ شَهْوَتَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْظِلَهُ الدُّنْيَا
إِلَى الْآخِرَةِ . فَيُضَيِّجُ فِي دِمْنِ غَبْرَاءٍ . مُذْهِمَّةٍ ظُلَمَاءٍ . لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ
يُرِيدَ فِي حَسَنَةٍ . وَلَا أَنْ يَقْصَرَ مِنْ سَيِّئَةٍ . ثُمَّ يُبْشِرُ فَيُخْشِرُ إِنَّمَا إِلَى

جَنَّةٍ يَدُومُ نَعِيمُهَا أَوْ نَارٍ لَا يَنْقُذُ عَذَابُهَا

٢٧ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْبُلْغَاءِ : الدُّنْيَا إِنْ أَقْبَلْتَ بَلَاءَ . وَإِنْ أَدْبَرْتَ
بَرَاءَ . أَوْ أَطْنَبْتَ نَبْأَ . أَوْ أَرَكَبْتَ كَبْأَ . أَوْ أَبْهَجْتَ هَجْأَ . أَوْ
أَسَفَفْتَ عَفْأَ . أَوْ أَيْتَعْتَ نَعْأَ . أَوْ أَكْرَمْتَ رَمْأَ . أَوْ عَاوَنْتَ وَنْأَ .
أَوْ مَاجَنْتَ جَنْأَ . أَوْ سَامَحْتَ مَحْأَ . أَوْ صَالَحْتَ لَحْأَ . أَوْ وَصَلْتَ
صَلْأَ . أَوْ بَالَعْتَ لَعْأَ . أَوْ وَفَرْتَ فَرْأَ . أَوْ زَوَّجْتَ وَجْأَ . أَوْ
نَوَّهْتَ وَهْأَ . أَوْ وَلَهْتَ لَهْأَ . أَوْ بَسَطْتَ سَطْأَ (لباء الدين)
قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

ذَهَبَ الَّذِينَ عَلَيْهِمْ وَجْدِي وَبَقِيَتْ بَعْدَ فِرَاقِهِمْ وَحْدِي
مَنْ كَانَ بَيْنَكَ فِي التُّرَابِ وَبَيْنَهُ شِرَانٌ فَهُوَ بِعَايَةِ الْعَبْدِ
لَوْ بُعِثَتْ لِلخَلْقِ أَطْبَاقُ التَّرَى لَمْ يُعْرِفِ الْمَوْتَى مِنَ الْعَبْدِ
مَنْ كَانَ لَا يَطَأُ التُّرَابَ بِرِجْلِهِ يَطَأُ التُّرَابَ بِنَاعِمِ الْخَدِ
٢٨ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عَلِيًّا كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ هَذِهِ الْأَنْيَاتِ :

أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلْمَ سُومٌ وَلَا زَالَ السَّيِّئُ هُوَ الظُّلُومُ
إِلَى الدِّيَانِ يَوْمَ الدِّينِ نَمَضِي وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ
سَتَعْلَمُ فِي الْحِسَابِ إِذَا التَّقَيْنَا غَدًا عِنْدَ الْمَلِكِ مِنَ الظُّلُومِ
سَتَنْقَطِعُ اللَّذَازَةُ عَنْ أَنَاسٍ مِنَ الدُّنْيَا وَتَنْقَطِعُ الْهُومُ
لِأَمْرِ مَا تَصَرَّقَتِ اللَّيَالِي لِأَمْرِ مَا تَحَرَّكَتِ النُّجُومُ
سَلِ الْأَيَّامَ عَنْ أَمْرِ تَقَضَّتْ سَخِيرَكَ الْمَعَالِمُ وَالرُّسُومُ

تَرُومُ الْخُلْدَ فِي دَارِ الْمُنَايَا فَكَمْ قَدَرَامَ مِثْلِكَ مَا تَرُومُ
تَنَامُ وَلَمْ تَنَمْ عَنْكَ الْمُنَايَا تَنَبَّهُ لِلْعَيْنَةِ يَا نَوُومُ
لَهَوْتَ عَنِ الْفَنَاءِ وَأَنْتَ تَفْنَى فَمَا شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا يَدُومُ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

عَجِبْتُ لِمَنْ جَدَّ فِي شَأْنِهِ لِحِرِّ الرَّجَاءِ وَنَارِ الْأَمَلِ
يُؤْمِلُ مَا لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ وَيَضْحَكُ مِنْهُ دُونُ الْأَجْلِ
يَقُولُ سَأَفْعَلُ هَذَا غَدًا وَدُونَ غَدٍ لِلْمُنَايَا عَمَلُ
قَالَ آخَرُ :

عَجِبْتُ لِقَتُونٍ يُخَلِّفُ بَعْدَهُ لَوَارِثِهِ مَا كَانَ يَجْمَعُ مِنْ كَسْبِ
حَوَا مَا لَهُ ثُمَّ اسْتَهْلُوا لِقَبْرِهِ يَبَادِي بِكَاءٍ تَحْتَهُ ضَحِكُ الْقَلْبِ
قَالَ غَيْرُهُ :

وَاللَّهِ لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا تَبَقَى عَلَيْنَا وَيَأْتِي رِزْقُهَا رَغَدًا
مَا كَانَ مِنْ حَقِّ حُرٍّ أَنْ يَذِلَّ لَهَا فَكَيْفَ وَهِيَ مَتَاعٌ يَضْمَحِلُّ غَدًا
قَالَ آخَرُ :

إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ مَتَاعٌ فَالْجُهُولُ الْجُهُولُ مَنْ يَصْطَفِيهَا
مَا مَضَى قَاتٌ وَالْمُؤْمِلُ غَيْبٌ وَلَكَ السَّاعَةُ إِلَيَّ أَنْتَ فِيهَا
٢٩ أورد ابن خلكان عن بعضهم :

عَنْتِ الدُّنْيَا لِطَالِبِهَا وَأَسْتَرَاحَ الزَّاهِدُ الْقَطِنُ
كُلُّ مَلِكٍ نَالَ زُخْرُفَهَا حَسْبُهُ مِمَّا حَوَى كَفَنُ

يَفْتِنِي مَا لَا وَيُتْرَكُهُ فِي كِلَا الْحَالَيْنِ مُفْتَنٌ
 أَمَلِي كَوْنِي عَلَى ثِقَةٍ مِنْ لِقَاءِ اللَّهِ مُرْتَهِنٌ
 أَكْرَهُ الدُّنْيَا وَكَيْفَ بِهَا وَالَّذِي تَخَوُّ بِهِ وَسَنُ
 لَمْ تَدُمْ قَبْلِي عَلَى أَحَدٍ فَلِمَذَا أَلْهَمُ وَالْحَزَنُ
 وَأَنْشَدَ آخِرُ:

أَيْنَ كِسْرَى كِسْرَى الْمُلُوكِ أُنُوشِرُ وَإِنْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ
 وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكِرَامُ مُلُوكُ الرُّومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورُ
 وَأَخُو الْحِصْنِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَلَهُ نَجَبِي إِلَيْهِ وَالْحَابُورُ
 شَادَهُ مَرَمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْسًا فَلَطَّيِرُ فِي ذِرَاهُ وَكُورُ
 لَمْ يَهَبْهُ رَبُّ الْمُنُونِ فَبَادَ الْمَلِكُ عَنْهُ قَبَابُهُ مَعْجُورُ
 قَالَ غَيْرُهُ:

تَأْمَلْ فِي الْوُجُودِ بَعَيْنٍ فَكْرِي تَرَى الدُّنْيَا الدَّيَّةَ كَالْحَيَالِ
 وَمَنْ فِيهَا جَمِيعًا سَوْفَ يَفْنَى وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ
 قَالَ آخِرُ:

دُنْيَاكَ شَيْئَانِ فَأَنْظُرْ مَا ذَلِكَ الشَّيْئَانِ
 مَا فَاتَ مِنْهَا فَحْلُمٌ وَمَا بَقِيَ فَأَمَانِي

٣٠. اسْتَشْدَ الْمُتَوَكِّلُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ. فَقَالَ: إِنِّي لَقَلِيلُ
 الرِّوَايَةِ فِي الشَّعْرِ. فَقَالَ: لَا بُدَّ. فَأَنْشَدَهُ:

بَاتُوا عَلَى قُلُلِ الْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ غَلَبُ الرِّجَالِ فَلَمْ تَنْقُصْهُمْ الْقُلُلُ

وَأَسْتَنْزِلُوا بَعْدَ عِزِّهِ عَنْ مَعَالِيهِمْ
نَادَاهُمْ صَارِخٌ مِنْ بَعْدِ مَا ذَفِنُوا
أَيْنَ الْوُجُوهُ الَّتِي كَانَتْ مُنْعَمَةً
فَأَفْصَحَ الْقَبْرِ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَ لَهُمْ
قَدْ طَالَمَا أَكَلُوا دَهْرًا وَمَا شَرِبُوا
وَطَالَمَا كَثُرُوا الْأَمْوَالُ وَادَّخَرُوا
وَطَالَمَا شَبِدُوا دُورًا لِيُخَصِّصَهُمْ
أَضْحَتْ مَسَاكِينُهُمْ وَخَشَا مُعْطَلَةٌ
سَلَّ الْخَلِيفَةُ إِذْ وَافَتْ مَنِيَّتُهُ
أَيْنَ الْكُنُوزُ الَّتِي كَانَتْ مَفَاتِحَهَا
أَيْنَ الْعَمِيدُ إِلَّا إِلَى أَرْضَصَتِهِمْ عُدَا
أَيْنَ الْقَوَارِيسُ وَالْفُلُكُ مَا صَنَعُوا
أَيْنَ الْكُفَاءُ أَلَمْ يَكُونُوا خَلِيقَتَهُمْ
أَيْنَ الْكُمَاةُ أَمَا حَامُوا أَمَا غَضِبُوا
أَيْنَ الرُّمَاءُ أَلَمْ تُنْمَعْ بِأَسْمِهِمْ
هَيَّاتَ مَا مَنَعُوا ضَيْمًا وَلَا دَفَعُوا
وَلَا الرُّشَى دَفَعْتَهَا صَاحٍ لَوْ بَذَلُوا
مَا سَاعَدُوكَ وَلَا وَاسَاكَ أَقْرَبُهُمْ
مَا بَالُ قَبْرِكَ لَا يَنْشَى بِهِ أَحَدٌ

وَأُودِعُوا خُفْرًا يَا بَيْتُسَ مَا تَزَلُّوا
أَيْنَ الْأَسِيرَةُ وَالْتِيحَانُ وَالْحَلَلُ
مِنْ دُونِهَا تَضْرِبُ الْأَسْتَارُ وَالْكَكَلُ
تِلْكَ الْوُجُوهُ عَلَيْهَا الدُّودُ يَقْتَتِلُ
فَأَصْبَحُوا بَعْدَ طُولِ الْأَكْلِ قَدْ أَكَلُوا
فَخَلَفُوهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ وَارْتَحَلُوا
فَهَارَقُوا الدُّورَ وَالْأَهْلِينَ وَاتَّقَلُوا
وَسَاكِنُوهَا إِلَى الْأَجْدَاثِ قَدْ رَحَلُوا
أَيْنَ الْجُنُودُ وَأَيْنَ الْحَيْلُ وَالْحَوْلُ
تَوَّاهُ بِالْعَصْبَةِ الْمُقَوِّينَ لَوْ حَمَلُوا
أَيْنَ الْعَدِيدُ وَأَيْنَ الْبَيْضُ وَالْأَسَلُ
أَيْنَ الصَّوَارِمُ وَالْخَطِيبَةُ الدُّبُلُ
لَمَّا رَأَوْهُ صَرِيحًا وَهُوَ يَتَبَهَّلُ
أَيْنَ الْحِمَاةُ الَّتِي يُجْحَى بِهَا الدُّوَلُ
لَمَّا أَتَتْكَ سِيَهَامُ الْمَوْتِ تَنْتَضِلُ
عَنْكَ الْمُنْيَةُ إِذْ وَافَى بِهَا الْأَجَلُ
وَلَا الرُّقَى نَفَعَتْ شَيْئًا وَلَا الْحَيْلُ
بَلْ أَسْلَمُوكَ لَهَا يَا بَيْتُسَ مَا فَعَلُوا
وَلَا يَطُورُ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلٌ

مَا بَالُ قَصْرِكَ وَخَشَا لَا أُنَيْسَ بِهِ
 مَا بَالُ ذِكْرِكَ مَسِيًّا وَمُطَرَحًا
 لَا تُنْكِرَنَّ قَمًا دَامَتْ عَلَى مَلِكٍ
 وَكَيْفَ يَزْجُو دَوَامَ الْعَيْشِ مُتَّصِلًا
 وَجِسْمُهُ لِلْبَابَاتِ الرَّدَى غَرَضُ
 وَمَلِكُهُ زَائِلٌ عَنْهُ وَمُنْتَقِلُ
 (وَتُرَوَّى هَذِهِ الْقَصِيدَةُ فِي دِيْوَانِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ)

حفظ للحواس

٣١ قَالَ الْمُعَلَّى الصُّوفِيُّ: شَكَّوتُ إِلَى بَعْضِ الزُّهَّادِ قَسَادًا أَجَدُهُ فِي
 قَلْبِي. فَقَالَ: هَلْ نَظَرْتَ إِلَى شَيْءٍ فَتَأْتَتْ إِلَيْهِ نَفْسُكَ. قُلْتُ: نَعَمْ.
 قَالَ: أَحْفَظْ عَيْنَيْكَ فَإِنَّكَ إِنْ أَطْلَقْتَهُمَا أَوْفَعْتَكَ فِي مَكْرُوهِ. وَإِنْ
 مَلَكْتَهُمَا مَلَكْتَ سَارَ جَوَارِحُكَ. (قَالَ) مُسْلِمُ الْحَوَاصِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ
 عَلِيٍّ الصُّوفِيِّ: أَوْصِنِي. فَقَالَ: أَوْصِيكَ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ فِي أَمْرِكَ كُلِّهِ.
 وَإِيثارِ مَا يَجِبُ عَلَى تَحِيَّتِكَ. وَإِيَّاكَ وَالنَّظَرَ إِلَى كُلِّ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ طَرَفُكَ
 وَشَوْقُكَ إِلَيْهِ قَلْبُكَ. فَإِنَّهُمَا إِنْ مَلَكَكَ لَمْ تَمْلِكْ شَيْئًا مِنْ جَوَارِحِكَ
 حَتَّى تَبْلُغَ بِهِمَا مَا يُطَالِبُكَ بِهِ. وَإِنْ مَلَكْتَهُمَا كُنْتَ الدَّاعِي لهُمَا إِلَى مَا
 أَرَدْتَ. فَلَمْ يَنْصِيَا لَكَ أَمْرًا وَلَا يَرُدُّا لَكَ قَوْلًا. (قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ):
 إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الْقَلْبَ أَمِيرَ الْجَسَدِ وَمَلِكَ الْأَعْضَاءِ. فَجَمِيعُ
 الْجَوَارِحِ تَقَادُّ لَهُ وَكُلُّ الْحَوَاصِ تَطِيعُهُ وَهُوَ مُدِيرُهَا وَمُصَرِّفُهَا وَقَائِدُهَا
 وَسَائِقُهَا وَبَارِادِيَتُهُ تَنْبِعثُ وَفِي طَاعَتِهِ تَنْقَلِبُ. وَوَزِيرُهُ الْعَقْلُ. وَعَاضِدُهُ

أَتَقَهُمْ . وَرَأَيْتُهُ أَلَمِينَ . وَطَلِيعَتُهُ الْأَذْنَانِ . وَهَمَّا فِي الثَّقَلِ سَوَاءً لَا
يَكْتُمَانِي أَمْرًا وَلَا يَطْوِيَانِ دُونَهُ سِرًّا (يريد العين والأذن)

الدهر وحوادثه

٣٢ لَقِيَ رَجُلٌ حَكِيمًا فَقَالَ : كَيْفَ تَرَى الدَّهْرَ قَالَ يُخْلِقُ الْأَبْدَانَ
وَيُجِدِّدُ الْأَمَالَ وَيُقَرِّبُ النِّيَّةَ . وَيُبَاعِدُ الْأُمْنِيَّةَ قَالَ : فَمَا حَالُ أَهْلِهِ .
قَالَ : مَنْ ظَفَرَ مِنْهُمْ لُغَبٌ . وَمَنْ فَاتَهُ نَصَبٌ . قَالَ : فَمَا يُغْنِي عَنْهُ .
قَالَ : قَطْعُ الرِّجَاءِ مِنْهُ . قَالَ : فَأَيُّ الْأَصْحَابِ أَيْرُ وَأَوْفَى . قَالَ : الْعَمَلُ
الصَّالِحُ وَالْتِقَاؤُ . قَالَ أَهْلُهُمْ أَضُرُّ وَأَرْدَى . قَالَ : النَّفْسُ وَالْهَوَى . قَالَ :
فَأَيْنَ أَخْرَجُ . قَالَ : سُلُوكُ الْمَنْهَجِ (زهر الآداب للقيرواني)

٣٣ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَفِ الدَّهْرُ مَا أَكْدَرَ صَافِيَهُ وَأَخْيَبَ رَاجِيَهُ .
وَأَعْدَى أَيَّامَهُ وَلِيَالِيَهُ . وَقِيلَ : يَسَارُ الدَّهْرُ فِي الْأَخْذِ أَسْرَعُ مِنْ
يَمِينِهِ فِي الْبَذْلِ . لَا يُعْطِي بِهَذِهِ إِلَّا أَرْتَجِعَ بِتِلْكَ . وَقَالَ آخَرُ : الدَّهْرُ
لَا يُؤْمِنُ يَوْمَهُ . وَيُخَافُ غَدَهُ . يُرْضِعُ نَدِيَهُ وَتُجْرَحُ يَدُهُ . وَقِيلَ :
الدَّهْرُ يَغْرُومُهُ . وَيَسُو مِنْ حَيْثُ يَسُرُّ . وَقَالَ آخَرُ الدَّهْرُ لَا تَنْتَهِي
فِيهِ الْمَوَاهِبُ . حَتَّى تَحُلَّهَا الْمَصَائِبُ . وَلَا تَصْفُو فِيهِ الْمَشَارِبُ . حَتَّى
تُكْدِرَهَا الشَّوَابُ . (وَفِي فَصْلِ ابْنِ الْمُعْتَرِ) : هَذَا زَمَانٌ مُتَكُونُ الْأَخْلَاقِ
مُتَدَاعِي الْبَيَانَ . مُوقِفُ الشَّرِّ مِنْهُمْ الْخَيْرِ . مُطْلَقُ أَعْتَةِ الظَّالِمِ . حَاسِرُ
رُوحِ الْعَدْلِ . قَرِيبُ الْأَخْذِ مِنَ الْإِعْطَاءِ وَالْكَأَبِ مِنَ الْبَهْجَةِ
وَالْفُطُوبِ مِنَ الْبَشْرِ . مُرُّ الثَّمَرَةِ بَعِيدُ الْجَنَّتَى . قَابِضُ عَلَى النَّفُوسِ

يَكْرَهُ . مُنِجٌ عَلَى الْأَجْسَامِ يَوْحِشِيهِ . لَا يَنْطِقُ إِلَّا بِالشَّكْوَى . وَلَا
يَسْكُتُ إِلَّا عَلَى غَصَصٍ وَبَلْوَى . (وَمِثْلُهُ فَضْلٌ لِلصَّاحِبِ) . الزَّمَانُ
حَدِيدُ الظُّفْرِ . لَيْمُ الظُّفْرِ . حُلُوُ الْمَوْرِدِ مَرُّ الْمَصْدَرِ . أَثَرُهُ عِنْدَ الْمَرْءِ كَأَثَرِ
السَّيْفِ فِي الضَّرِيَّةِ وَاللَّيْثِ فِي الْقَرْيَةِ . (وَلَيْسَ الْمَعَالِي قَابُوسٌ) :
الدَّهْرُ شَرُّ كُلِّهِ . مُفْصَلُهُ وَجَمَلُهُ . إِنْ أَضْحَكَ سَاعَةً أَبْكِي سَنَةً . وَإِنْ
أَتَى بِسَيِّئَةٍ جَمَلَهَا سَنَةً . وَمَنْ أَرَادَ مِنْهُ غَيْرَ هَذَا سِيرَةً . أَرَادَ مِنَ الْأَعْمَى
عَيْنًا بِصِيرَةٍ . وَمَنْ أُبْتِغِيَ مِنْهُ الرِّعَايَةُ . أُبْتِغِيَ مِنَ الْقَوْلِ الْهُدَايَةُ
(طَرَافُ اللَّطَافِ لِلْمَقْدِسِيِّ)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا طَالَمَا طَالَ حِرْصُ النَّاسِ فِي حَذَرٍ عَلَى الْحَيَاةِ فَضَاعَ الْحِرْصُ وَالْحَذَرُ
قَدْ غَرَّهُمْ زُخْرُفُ الدُّنْيَا وَبَهْجَتُهَا نِعَمَ الْمُفْصُونُ وَلَكِنْ بِسْمَا الشَّرِّ
قَالَ آخَرُ :

مَا أَنْتَ إِلَّا كَزَرْعٍ عِنْدَ خُضْرَتِهِ يَكُلُّ شَيْءٌ مِنْ أَلْفَاتٍ مَهْصُودٍ
فَإِنْ سَلِمْتَ مِنْ أَلْفَاتٍ أَجْمَعِهَا فَأَنْتَ عِنْدَ كَمَالِ الْأَمْرِ مَخْصُودٌ
قَالَ بَعْضُهُمْ يَذْكُرُ فُجَائِعَ الدَّهْرِ :

وَأَصْبَحْتُ كَأَلْبَازِي الْمُنْتَفِ رِيَشُهُ يَرَى حَسَرَاتٍ كُلَّمَا طَارَ طَائِرٌ
يَرَى خَرَاقَاتِ الْجَوِّ يَخْرُقْنَ فِي أَلْهَوَا فَيَذْكُرُ رِيَشًا مِنْ جَنَاحِيهِ وَافِرُ
وَقَدْ كَانَ دَهْرًا فِي الرِّيَاضِ مُنْعَمًا عَلَى كُلِّ مَا يَهْوَى مِنَ الصَّيْدِ قَادِرُ
إِلَى أَنْ أَصَابَتْهُ مِنَ الدَّهْرِ نَكْبَةٌ فَأَصْبَحَ مَخْصُوصَ الْجَنَاحِينَ خَائِرُ

قَالَ غَيْرُهُ :

فِي الدَّهْرِ تَحَيَّرَتِ الْأُمَمُ وَالْحَاصِلُ مِنْهُ لَهُمُ الْمُ
بِحَاثِيهِ وَمَصَائِبِهِ أَمْوَاجُ زَوَايِرَ تَلْتَطِمُ
وَالْعَمْرُ يُسِيرُ مَسِيرَ الشَّمْسِ فَلَيْسَ يَقْرَأُ لَهُ قَدَمُ
قَدَمَانِ لَهُ يَسْعَى بِهِمَا فَضَحَى وَدَجَى ضَوْؤُهُ ظَلَمُ
وَالنَّاسُ بِحُلُمٍ جَهَالَتِهِمْ فَإِذَا ذَهَبُوا ذَهَبَ الْحُلُمُ
صُمٌّ بَكُمْ عَمِي بِهِمْ نَعَمْ قَسَمْتُ لَهُمْ نَعَمْ
فُرِفُوا فِرْقًا فُرِفُوا فِرْقًا وَمَضُوا طُرُقًا لَا تَلْتَمِ

قَالَ آخَرُ :

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا سَلَمٌ فَيَقْدَرُ مَا يَكُونُ صُعُودُ الْمَرْءِ فِيهِ هُبُوطُهُ
وَهِيَاتُ مَا فِيهِ يَزُولُ وَإِنَّمَا شُرُوطُ الَّذِي يَرْقَى إِلَيْهِ سُفُوطُهُ
فَمَنْ كَانَ أَعْلَى كَانَ أَوْفَى تَهَشُّمَا وَقَاءَ بِمَا قَامَتْ عَلَيْهِ شُرُوطُهُ

ذِكْرُ الْمَوْتِ

٣٤ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِ :

تَسِيرُ إِلَى الْأَجَالِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَأَيَّامَنَا تُطْوَى وَهَنْ مَرَاكِ
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْمَوْتِ حَقًّا فَإِنَّهُ إِذَا مَا تَخَطَّطَهُ الْأَمَانِيُّ بَاطِلُ
فَمَا أَفْجَعَ التَّغْرِيطَ فِي زَمَنِ الصَّبَا فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ فِي الرَّأْسِ شَائِلُ
تَرَحَّلُ مِنَ الدُّنْيَا زَادَ مِنْ أَلْتَقَى فَعُزُّكَ أَيَّامٌ تَعْدُ قَلَائِلُ
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فِي وَصْفِ الْمَوْتِ :

كَأَنَّ الْأَرْضَ قَدْ طُوِيَتْ عَلَيْنَا
كَأَنِّي صِرْتُ مُنْفَرِدًا وَحِيدًا
كَأَنَّ الْأَبَاكِيَّتِ عَلَيَّ يَوْمًا
ذَكَرَنَ مَنِّي قَتَعَتْ نَفْسِي
وَقَالَ غَيْرُهُ :

أَتَلَهُو بَيْنَ بَاطِلِيَّةٍ وَزِيرٍ
فَيَا مَنْ غَرَّهُ أَمَلٌ طَوِيلٌ
أَتَفْرَحُ وَالْمَنِيَّةُ كُلَّ يَوْمٍ
هِيَ الدُّنْيَا فَإِنْ سَرَّتْكَ يَوْمًا
سَتَسْلُبُ كُلَّ مَا جُمِعَتْ مِنْهَا
كَمَارِيَّةٍ تُرَدُّ إِلَى الْمَعِيرِ

٣٥ وَقَالَ بَعْضُهُمْ عَنْ إِسَاقَ مَبِيتٍ :

ضَمُّوا خَدَيَّ عَلَى لَحْدِي ضَمُّوهُ
وَشَقُّوا عَنْهُ أَكْفَانًا رِقَاقًا
فَلَوْ أَبْصَرْتُمُوهُ إِذَا تَقَضَّتْ
وَلَوْ سَأَلْتَ نَوَاطِرُ مُقَلَّتِيهِ
وَقَدْ نَادَى إِلَيْي هَذَا فُلَانٌ
خَلِيلُكُمْ وَجَارُكُمْ الْمُفْدَى
قَالَ بَعْضُهُمْ :

مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ أَلْوَتَ مُدْرِكُهُ
وَالْقَبْرَ مَسْكِنُهُ وَالْبَيْتَ مُخْرِجُهُ

وَأَنَّهُ بَيْنَ جَنَّتٍ سَتَّبَحُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ نَارٍ سَتَّبَحُهُ
 فَكُلُّ شَيْءٍ دَسَوَى التَّقْوَى بِهِ سَمَجٌ وَمَا أَقَامَ عَلَيْهِ مِنْهُ أَسْمَجُهُ
 تَرَى الَّذِي اتَّخَذَ الدُّنْيَا لَهُ سَكَنًا لَمْ يَذَرِ أَنَّ الْمُنَايَا سَوْفَ تُرْجَعُهُ
 وَقَالَ آخَرُ مُتَشَوِّقًا إِلَى الْمَوْتِ:
 جَزَى اللَّهُ عَنَّا الْمَوْتَ خَيْرًا فَإِنَّهُ
 يُعْجِلُ تَخْلِيسَ النُّفُوسِ مِنَ الْأَذَى وَيُدْنِي مِنَ الدَّارِ الَّتِي هِيَ أَشْرَفُ
 وَقَالَ غَيْرُهُ:

مَنْ كَانَ يَرْجُو أَنْ يَعِيشَ فَإِنِّي
 فِي الْمَوْتِ أَلْفُ فَضِيلَةٍ لَوْ أَنَهَا
 وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

مَا لِي مَرَرْتُ عَلَى الْقُبُورِ مُسْلِمًا عَلَى الرَّمِيمِ فَلَمْ يَرِدَّ جَوَابِي
 يَا صَاحِبَ مَا لَكَ لَا تُجِيبُ مُنَادِيًا أَنْكَرْتُ بَعْدِي خَلَّةَ الْأَصْحَابِ
 قَالَ الرَّمِيمُ وَكَيْفَ لِي بِجَوَابِكُمْ وَأَنَا رَهِينُ جَنَادِلٍ وَتُرَابِ
 أَكَلِ التُّرَابِ حَاجِسِي فَلَسِيَّتُكُمْ وَحُجِبَتْ عَنْ أَهْلِي وَعَنْ أَحْبَابِي
 وَقَالَ آخَرُ:

إِسْتَعِدِّي يَا نَفْسُ لِلْمَوْتِ وَأَسْعِي لِنَجَاةٍ فَالْحَارِمُ الْمُسْتَعِدُّ
 قَدْ تَبَيَّنَتْ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْحَيِّ خُلُودٌ وَمَا مِنَ الْمَوْتِ بُدٌّ
 إِنَّمَا أَنْتِ مُسْتَعِيرَةٌ مَا سَوْفَ تَرْدِينَ وَالْعَوَارِي تَرُدُّ
 أَنْتِ تَسْهِينَ وَالْحَوَادِثُ لَا تَسْهُو وَتَاهِينَ وَالْمُنَايَا تُجَدُّ

أَيُّ مَلِكٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ أَيْ حَظٍّ لَا مَرِيَّ حَظُّهُ مِنَ الْأَرْضِ لَحْدٌ
لَا تُرْجَى الْبَقَاءُ فِي مَعْدِنِ الْمَوْتِ وَدَارِ خُوفِهَا لَكَ وَرُدُّ

التوبة الى الله

٣٧ قَالَ غَيْرُهُ :

سَلَوْتُ عَنْ الْأَجْبَةِ وَالْمَدَامِ وَمِلْتُ عَنْ التَّهْتِكِ وَالْهَيْامِ
وَسَلَّمْتُ الْأُمُورَ إِلَى إِلَهِي وَوَدَّعْتُ الْغَوَايَةَ بِالسَّلَامِ
وَمِلْتُ إِلَى اكْتِسَابِ ثَوَابِ رَبِّي وَقَدِمًا طَالَ عَزْمِي بِالْغَرَامِ
وَمَا أَنَا بَعْدَهَا مُعْطِي عَنَانِي أَلْهَوَى لَكِنْ تَرَى يَدَيَّ زَمَامِي
أَبْعَدُ الشَّيْبِ وَهُوَ أَخْوَسُكُونِ يَلِيْقُ بِأَنْ أَمِيلَ إِلَى الْغَرَامِ
فَشَرِبُ الرِّاحَ نَقْصُ بَعْدُهَا وَلَوْ مِنْ رَاحَتِي بَدَرُ التَّامِ
فَكَمْ أَجْرَيْتُ فِي مَيْدَانِ لَهْوِ خِيُولِ هَوَى وَكَمْ ضُرِبْتُ خِيَامِي
سَأَوْتِي الْكَأْسَ تَعْيِيسًا وَصَدًّا وَإِنْ جَاءَتْ تُقَابِلُ بِأَبْتِسَامِ
عَزَمْتُ عَلَى الرُّجُوعِ عَنِ الْمُنَآهِي وَمِثْلِي مَنْ يَدُومُ عَلَى اعْتِرَامِ

٣٨ صَعِدَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُنْبَرِ فَخَطَبَ الْقَوْمَ بِالشَّعْرِ فَقَالَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَلِيَّ الْحَمْدِ أَحْمَدُهُ فِي يُسْرِنَا وَالْجَهْدِ
مَنْ يُطْعِ اللَّهَ قَدْ أَصَابَا أَوْ يَعْصِيهِ أَوْ الصَّمِيرَ خَابَا
كَأَنَّهُ لَمَّا بَقِيَ لَدَيْكُمْ حَيٌّ صَحِيحٌ لَا يَزَالُ فِيكُمْ
إِنَّكُمْ مِنْ بَعْدِ أَنْ تَرَلُّوا عَنْ قَصْدِهِ أَوْ نَهْجِهِ تَضِلُّوْا
لَا تَتْرُكُنْ نَضِجِي فَإِنِّي نَاصِحٌ إِنَّ الطَّرِيقَ فَأَعْلَمَنَّ وَاصِحٌ

مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْزِئْهُ غَيْبُ التَّقَى
 إِنْ التَّقَى أَفْضَلُ شَيْءٍ فِي الْعَمَلِ
 خَافُوا أَجْجِمَ إِخْوَتِي لَعَلَّكُمْ
 قَدْ قِيلَ فِي الْأَمْثَالِ لَوْ عَلِمْتُمْ
 مَا يَزْرَعُ الزَّارِعُ يَوْمًا يُخَصِّدُهُ
 فَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ وَتُوبُوا
 فَمَا لَمْ تَقْرَأُوا الْقُرْآنَ يَنْفَعُكُمْ
 فَمَا لَمْ تَقْرَأُوا الْقُرْآنَ يَنْفَعُكُمْ
 فَمَا لَمْ تَقْرَأُوا الْقُرْآنَ يَنْفَعُكُمْ
 فَمَا لَمْ تَقْرَأُوا الْقُرْآنَ يَنْفَعُكُمْ
 (الْأَغَانِي)

٣٩ قَالَ بَعْضُهُمْ :

حَتَّامَ أَنْتَ يَا إِلَهِيكَ مُشْتَعِلُ
 تَمْضِي مِنَ الدَّهْرِ بِالْعَيْشِ الدَّيْمِ إِلَى
 وَتَدْعِي بِطَرِيقِ الْقَوْمِ مَعْرِفَةً
 فَانْهَضَ إِلَى ذُرْوَةِ الْعُلْيَا مُبْتَدِرًا
 فَإِنْ ظَفِرْتَ فَقَدْ جَاوَزْتَ مَكْرَمَةً
 وَإِنْ قَضَيْتَ بِهِمْ وَجْدًا فَأَحْسَنُ مَا
 عَنْ نَجْمٍ قَصْدِكَ مِنْ خَيْرِ الْهَوَى ثَمَلُ
 كَمْ ذَا التَّوَانِي وَكَمْ يُغْرِي بِكَ الْأَمَلُ
 وَأَنْتَ مُنْقَطِعُ وَالْقَوْمُ قَدْ وَصَلُوا
 عَزَمًا لَتَرْتَقِيَ مَكَانًا دُونَهُ زَحَلُ
 بَقَاؤُهَا بَقَاءَ اللَّهِ مُتَّصِلُ
 يُقَالُ عَنْكَ قَضَى مِنْ وَجْدِهِ الرَّجُلُ

٤٠ قَالَ بَهَاءُ الدِّينِ الْعَامِلِيُّ فِي كِتَابِ رِيَاضِ الْأَرْوَاحِ :

أَلَا يَا خَائِضًا بِحَرِّ الْأَمَانِي
 أَضَعْتَ الْعُمَرَ عِصْيَانًا وَجَهْلًا
 مَضَى عَصْرُ الشَّبَابِ وَأَنْتَ غَافِلُ
 إِلَى كَمْ كَالْبَهَائِمِ أَنْتَ هَائِمُ
 هَذَاكَ اللَّهُ مَا هَذَا التَّوَانِي
 فَمَهْلًا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ مَهْلًا
 فِي تَوْبِ الْعَمَى وَالنَّعْيِ رَافِلُ
 فِي وَقْتِ النَّسَائِمِ أَنْتَ نَائِمُ

وَطَرَفَكَ لَا يُدَى إِلَّا طَمُوحًا وَنَفْسُكَ لَمْ تَزَلْ أَبَدًا جُوحًا
وَقَلْبُكَ لَا يُفِيقُ عَنِ الْمَعَاصِي قَوْلِكَ يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي
بَلَّالُ الشَّيْبِ نَادَى فِي الْمَفَارِقِ بِحَيٍّ عَلَى الذَّهَابِ وَأَنْتَ غَارِقُ
يَجْرِي الْأَثَمُ لَا تُضْنِي لَوَاعِظُ وَإِنْ أَطْرَى وَأُطْنَبَ فِي الْمَوَاعِظِ
وَقَلْبُكَ هَائِمٌ فِي كُلِّ وَادٍ وَجَهْلُكَ كُلُّ يَوْمٍ فِي أَرْزَادٍ
عَلَى تَحْصِيلِ دُنْيَاكَ الدُّنْيَا مُجَدًّا فِي الصَّاحِ وَفِي الْعِشَا
وَجُحْدُ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا شَدِيدُ وَلَيْسَ يَنَالُ مِنْهَا مَا يُرِيدُ
وَكَيْفَ يَنَالُ فِي الْأُخْرَى مَرَامَهُ وَلَمْ يَجْهَدْ لِحَاطِلِهَا قَلَامَهُ
٤١ قَالَ بِهِمَا الدِّينُ زُهَيْرٌ :

تَزَلْ الشَّيْبُ وَإِنَّهُ فِي مَفَرِّي لَأَعَزُّ نَازِلُ
وَبَكَيْتُ إِذْ رَحَلَ الشَّبَابُ بُقَاؤُهُ أَوْ عَلَيْهِ رَاحِلُ
بِاللَّهِ قُلْ لِي يَا فَلَا نُوْلِي أَقُولُ وَلِي أَسْأَلُ
أَتُرِيدُ فِي السَّبْعِينَ مَا قَدْ كُنْتُ فِي الْعِشْرِينَ فَاعِلُ
هَيْهَاتَ لَا وَاللَّهِ مَا هَذَا الْحَدِيثُ حَدِيثَ عَاقِلُ
فَدُ كُنْتُ تُعَذِّرُ بِالصَّبَا وَالْيَوْمَ ذَاكَ الْمَذْرُ ذَائِلُ
مَنْتَ نَفْسُكَ بِاطِلَا وَإِلَى مَتَى تَرْضَى بِبَاطِلُ
قَدْ صَارَ مِنْ دُونِ الَّذِي تَرْجُوهُ مِنْ مَرَحِ رَاحِلُ
ضَيِّعَتْ ذَا الزَّمَنَ الطَّوِيلَ وَلَمْ تَفْزُ فِيهِ بِطَائِلُ

الْبَابُ الثَّالِثُ فِي الْمَرَاثِي

رثاء داود الطائي

٤٢ لَمَّا مَاتَ دَاوُدُ الطَّائِيُّ تَكَلَّمَ ابْنُ السَّمَاءِ مُثْنِيًا عَلَيْهِ فَقَالَ : إِنَّ
دَاوُدَ نَظَرَ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ آخِرَتِهِ فَأَغْشَى بَصَرُ الْقَلْبِ بَصَرَ الْعَيْنِ
فَكَأَنَّهُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى مَا إِلَيْهِ تَنْظُرُونَ . وَكَأَنَّكُمْ لَمْ تَنْظُرُوا إِلَى مَا إِلَيْهِ
نَظَر . وَأَنْتُمْ مِنْهُ تَعْجِبُونَ وَهُوَ مِنْكُمْ يَعْجَبُ . فَلَمَّا رَأَىكُمْ مَقْتُونِينَ
مَغْرُورِينَ قَدْ أَذْهَلَتْ الدُّنْيَا عُقُولَكُمْ وَأَمَاتَتْ بِحُجَّتِهَا قُلُوبَكُمْ اسْتَوْحَشَ
مِنْكُمْ . فَكُنْتَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ حَسِبْتَهُ حَيًّا وَسَطَ أَمْوَاتٍ . يَا دَاوُدُ مَا
أَعْجَبَ شَأْنَكَ بَيْنَ أَهْلِ زَمَانِكَ أَهَنْتَ نَفْسَكَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ إِكْرَامَهَا
وَأَتَعَبْتَهَا وَإِنَّمَا تُرِيدُ رَاحَتَهَا . أَخَشَشْتَ الْمَطْعَمَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ طَبِيبَهُ .
وَأَخَشَشْتَ الْمَلْبَسَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ لَبَنَهُ . ثُمَّ أَمَتَ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ وَفَقَرْتَهَا
قَبْلَ أَنْ تُقْبَرَ . وَعَذَّبْتَهَا قَبْلَ أَنْ تُعَذَّبَ سَجَنَتَ نَفْسِكَ فِي بَيْتِكَ وَلَا
مُحَدِّثَ لَهَا لَوْلَا جَلِيسُ مَعَهَا . وَلَا فِرَاشٌ تَحْتَكَ وَلَا سِتْرٌ عَلَى بَابِكَ . وَلَا
قَلَّةٌ تَبْرُدُ فِيهَا مَاءُكَ وَلَا صَحْفَةٌ يَكُونُ فِيهَا عَدَاؤُكَ وَعَشَاؤُكَ . يَا دَاوُدُ مَا
تَشْتَهِي مِنَ الْمَاءِ بَارِدُهُ وَلَا مِنَ الطَّعَامِ طَبِيبُهُ وَلَا مِنَ الْإِلْبَاسِ لَبَنُهُ بَلَى
وَلَكِنْ زَهَدَتْ فِيهِ لِمَا بَيْنَ يَدَيْكَ . فَمَا أَصْغَرَ مَا بَذَلْتَ وَمَا أَهْقَرَ مَا
رَزَكْتَ فِي جَنْبِ مَا رَغِبْتَ وَأَمَاتَ . لَمْ تَقْبَلْ مِنَ النَّاسِ عَطِيَّةً وَلَا مِنْ

الْإِخْوَانِ هَدِيَّةً فَلَمَّا مَتَّ شَهْرَكَ رَبُّكَ بِفَضْلِكَ وَأَلْبَسَكَ رِدَاءَ عَمَلِكَ .
فَلَوْ رَأَيْتَ مَنْ حَضَرَكَ عَلِمْتَ أَنَّ رَبَّكَ قَدْ أَكْرَمَكَ (لابن عبد ربّه)

رثاء الاسكندر

٤٣ مُخْتَارٌ مِنْ قَوْلِ الْحُكَمَاءِ عِنْدَ وَفَاةِ الْإِسْكَندَرِ لَمَّا جُعِلَ فِي تَابُوتٍ
مِنْ ذَهَبٍ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ أَحَدُهُمْ فَقَالَ : كَإِنَّ الْمَلِكُ يُخْبَأُ الذَّهَبَ وَقَدْ
صَارَ الْآنَ الذَّهَبُ يُخْبَاهُ . وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ آخَرُ فَقَالَ : قَدْ طَافَ الْأَرْضَيْنِ
وَتَمَلَّكَهُمَا ثُمَّ جُعِلَ مِنْهَا فِي أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ . (وَوَقَفَ عَلَيْهِ آخَرُ) فَقَالَ :
أَنْظُرْ إِلَى حِلْمِ النَّائِمِ كَيْفَ أَنْقَضَى إِلَى ظِلِّ الْعِشَاءِ وَقَدْ انْجَلَى .
(وَوَقَفَ عَلَيْهِ آخَرُ) فَقَالَ : مَا لَكَ لَا تُثْقِلُ عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِكَ وَقَدْ
كُنْتَ تَسْتَقِلُّ مَلَأَ الْعِبَادِ . (وَقَالَ آخَرُ) : مَا لَكَ لَا تَرْغَبُ بِنَفْسِكَ
عَنْ ضَيْقِ الْمَكَانِ وَقَدْ كُنْتَ تَرْغَبُ بِهَا عَنْ رَحْبِ الْبِلَادِ (وَقَالَ آخَرُ) :
أَمَاتَ هَذَا أَلَيْتَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لِلْأَيُّمِوتِ وَقَدْ مَاتَ الْآنَ . (وَقَالَ
آخَرُ) : مَا كَانَ أَفْجَحَ إِفْرَاطِكَ فِي التَّجْبِيرِ أَمْسٍ مَعَ شِدَّةِ خُضُوعِكَ
الْيَوْمَ . (قَالَتْ بِنْتُ دَارَا) : مَا عَلِمْتُ أَنَّ غَالِبَ أَبِي يُغْلِبُ . (وَقَالَ رَئِيسُ
الطَّبَّاعِينَ) : قَدْ نَضَدْتُ النَّضَائِدَ وَأَلْقَيْتُ الْوَسَائِدَ وَنَصَبْتُ الْمَوَائِدَ
وَلَسْتُ أَرَى عَمِيدَ الْخُلَاسِ (للقيرواني)

٤٤ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يَرْثِي وَلَدَهُ :

وَإَكِيدًا قَدْ تَقَطَّعَتْ كَيْدِي قَدْ حَرَقَتْهَا لَوَاعِجُ الْكَمَدِ
مَا مَاتَ حَيٌّ لَيْسَتْ أَسْفَا أَعْذَرَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ

يَا رَحْمَةَ اللَّهِ جَاوِرِي جَدَّنَا دَفَنْتُ فِيهِ حُشَاشَتِي بِيَدِي
وَتَوَيَّرِي ظُلْمَةَ الْقُبُورِ عَلَى مَنْ لَمْ يَصِلْ ظُلْمُهُ إِلَى أَحَدٍ
مَنْ كَانَ خِلَوا مِنْ كُلِّ بَائِقَةٍ وَطَيَّبَ الرُّوحَ طَاهِرَ الْجَسَدِ
يَا مَوْتَ يَحْيِي لَقَدْ ذَهَبَتْ بِهِ لَيْسَ بِزُمَيْلَةٍ وَلَا نَكِيدٍ
يَا مَوْتَ لَوْ أَقْلَتَ عَثْرَتَهُ يَا يَوْمَهُ لَوْ تَرَكَتَهُ لِنَعْدٍ
يَا مَوْتَ لَوْ لَمْ تَكُنْ تُعَاجِلُهُ لَكَانَ لَا شَكَّ يَبْضَةُ الْبَلَدِ
أَوْ كُنْتَ رَاخِيَتَ فِي الْعِنَانِ لَهُ حَازَ الْعُلَا وَأَخْتَوَى عَلَى الْأَمَدِ
أَيُّ حُسَامٍ سَلَبَتْ رَوْنَقَهُ وَأَيُّ رُوحٍ سَلَلَتْ مِنْ جَسَدِ
وَأَيُّ سَاقٍ قَطَعَتْ مِنْ قَدَمٍ وَأَيُّ كَهْفٍ أَرَلَتْ مِنْ عَضْدِ
يَا قَمْرًا أَحْجَبَ الْخُشُوفُ بِهِ قَبْلَ بُلُوغِ السَّوَادِ فِي الْعَدَدِ
أَيُّ حَشَا لَمْ يَذُبْ لَهُ أَسْفَا وَأَيُّ عَيْنٍ عَلَيْهِ لَمْ تَجِدِ
لَا صَبْرَ لِي بَعْدَهُ وَلَا جَلْدُ فُجِعْتَ يَا صَبْرُ فِيهِ وَأَجْلَدُ
لَوْ لَمْ أُمِتْ عِنْدَ مَوْتِهِ كَمَدَا لَحِقَّ لِي أَنْ أَمُوتَ مِنْ كَمَدِي
يَا لَوْعَةً لَا يَزَالُ لَا عِجْبَا يَقْدَحُ نَارَ الْأَمْسَى عَلَى كَيْدِي

٤٥ وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا:

لَا بَيْتَ يُسْكَنُ إِلَّا قَارِقُ السَّكَنَا وَلَا أُمْتَلَا فَرْحًا إِلَّا أُمْتَلَا حَزَنًا
لَهْفِي عَلَى مَيِّتٍ مَاتَ السُّرُورُ بِهِ لَوْ كَانَ حَيًّا لِأَحْيَا الدِّينِ وَالسُّنَنَا
إِذَا ذَكَرْتُكَ يَوْمًا قُلْتُ وَاحْزَنًا وَمَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْقَوْلُ وَاحْزَنًا
يَا سَيِّدِي وَمَرَّاحَ الرُّوحِ فِي جَسَدِي هَلَا دَنَا أَلَمْتُ مَنِّي حِينَ مِنْكَ دَنَا

حَتَّى يَمُرَّ بِنَا فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ لَحْدٍ وَيُلْسَنَا فِي وَاحِدٍ كَفَنًا
يَا أَطِيبَ النَّاسِ رُوحًا ضَمَّهُ بَدَنُ اسْتَوْدَعَ اللَّهُ ذَاكَ الرُّوحَ وَالْبَدَنَ
لَوْ كُنْتُ أُعْطِيَ بِهِ الدُّنْيَا مُعَاوَضَةً مِنْهُ لَمَّا كُنْتُ الدُّنْيَا لَهُ ثَمَنًا
٤٦ قَالَ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ فِي الْأَمِينِ :

طَوَى الْمَوْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَلَيْسَ لِمَا تَطْوِي الْمَنِيَّةُ نَاشِرُ
وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحَدُ الرُّمُوحِ وَحْدَهُ فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحَادِرُ
لَئِنْ عَمَرْتُ دُورَ يَمَنٍ لَا أَحِبُّهُ لَقَدْ عَمَرْتُ يَمَنَ أَحِبُّ الْمُقَابِرُ
وَمَاتَ ابْنُ لِأَعْرَابِيٍّ فَأَشْتَدَّ حُزْنُهُ عَلَيْهِ وَكَانَ الْأَعْرَابِيُّ يُكْنَى
بِهِ فَقِيلَ لَهُ لَوْ صَبَرْتَ لَكَانَ أَكْبَرُ لَوْلَاكَ . فَقَالَ :

بَابِي وَأُمِّي مَن عَبَاتُ حُوطُهُ يَيْدِي وَفَارَقْنِي بِمَاءِ شَبَابِهِ
كَيْفَ أَسْأَلُوهُ وَكَيْفَ أَسْأَلُ ذِكْرَهُ وَإِذَا دُعِيتُ فَأَتَانَا أَدْعَى بِهِ
وَقَالَ آخِرُ يَتِيٍّ لَهَا :

أَنْحُ طَالَمَا سَرَّني ذِكْرُهُ فَقَدْ صِرْتُ أَتَّبِعِي إِلَى ذِكْرِهِ
وَقَدْ كُنْتُ أَغْدُو إِلَى قَصْرِهِ فَقَدْ صِرْتُ أَغْدُو إِلَى قَبْرِهِ

٤٧ قَالَتِ الْحَسَاءُ تَرَى لَهَا :

أَعَيْنِي جُودًا وَلَا تَجْمُدَا أَلَا تَبْكِيَانِ لِصَغْرِ الْأَدَى
أَلَا تَبْكِيَانِ الْجُرِّيَّ الْجَوَادَا أَلَا تَبْكِيَانِ أَلْفَى السَّيِّدَا
طَوِيلُ النَّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَا دِسَادَ عَشِيرَتِهِ أَمْرَدَا
يُحِمُّهُ الْقَوْمُ مَا غَالَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَصْغَرَهُمْ مَوْلَدَا

جُمُوعُ الضُّيُوفِ إِلَى بَابِهِ يَرَى أَفْضَلَ الْكَسْبِ أَنْ يُحْمَدَا
وَقَالَتْ أُخْتُ الْوَلِيدِ ابْنِ طَرِيفٍ تَرْنِي أَخَاهَا الْمَذْكُورَ :

أَيَّا تَجْعَلُ الْخَابُورَ مَا لَكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَحْزَعْ عَلَى بْنِ طَرِيفٍ
فَتَى لَا يُرِيدُ الْغَزَا إِلَّا مِنَ التَّقَى وَلَا أَلْمَالَ إِلَّا مِنَ قَنَا وَسُيُوفٍ
فَقَدَنَاهُ فَهَذَانِ الرَّيِّعُ فَلَيْتَنَا قَدَنَاهُ مِنْ سَادَاتِنَا بِأُلُوفٍ
خَفِيفٍ عَلَى ظَهْرِ الْجَوَادِ إِذَا عَدَا وَلَيْسَ عَلَى أَعْدَائِهِ بِخَفِيفٍ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَقَفَا فَإِنِّي أَرَى الْمَوْتَ وَقَفَا بِكُلِّ شَرِيفٍ

قَالَ ابْنُ مَعْنُوقٍ يَرْنِي عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ :

حُزْنِي عَلَيْهِ دَائِمٌ لَا يَقْضِي وَتَصْبِرِي مِنِّي عَلَيَّ تَعَذَّرَا
وَارْحَمَاهُ لِصَارَخَاتِ حَوْلِهِ تَبْكِي لَهُ وَلَوْجِهَهَا لَنْ تَسْتُرَا
مُلِقَى عَلَى وَجْهِ التُّرَابِ نَظْنُهُ دَاوُدُ فِي الْغُرَابِ حِينَ تَسُورَا
لَهْفِي عَلَى أَهَاوِي الصَّرِيعِ كَأَنَّهُ قَرُّ هَوَى مِنْ أَوْجِهِ فَتَكُورَا
لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الْبَنَانِ تَقَطَّعَتْ لَوَانَهَا اتَّصَلَتْ لَكَانَتْ أَبْجُرَا
لَهْفِي عَلَى الْعَبَّاسِ وَهُوَ مُجَنَّدٌ عَرَضَتْ مَنِيَّتُهُ لَهُ فَتَعَثَّرَا
لِحَقِّ الْغَبَارِ جِينَهُ وَلَطَالَمَا فِي شَاوِهِ لِحَقِّ الْكِرَامِ وَغَبَّرَا

٤٨ وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ :

لَعَمْرُكَ مَا الرِّزْيَةُ قَدْ مَالَ وَلَا قَرَسٌ يَمُوتُ وَلَا بَعِيرُ
وَلَكِنَّ الرِّزْيَةَ قَدْ حُرِّ وَلَكِنَّ الرِّزْيَةَ قَدْ حُرِّ
وَقَالَ الصَّفْدِيُّ :

يَا غَائِبًا فِي الثَّرَى تَبْلَى مَحَاسِنُهُ اللَّهُ يُؤَلِّيكَ غُفْرَانًا وَإِحْسَانًا
 إِنْ كُنْتُ جُرِعتَ كَأْسَ الْمَوْتِ وَاحِدَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ أَذُوقُ الْمَوْتَ أَحْيَانًا
 رَأَيْتُ بَعْضَ الشُّعْرَاءِ الْقَاضِيَّ الْبَاقِلَانِيَّ الْيَصْرِيَّ :

أَنْظُرْ إِلَى جَبَلٍ تَمْشِي الرِّجَالُ بِهِ وَأَنْظُرْ إِلَى الْقَبْرِ مَا يَجُوي مِنَ الصَّلَفِ
 وَأَنْظُرْ إِلَى صَارِمِ الْإِسْلَامِ مُقْتَدًا وَأَنْظُرْ إِلَى دُرَّةِ الْإِسْلَامِ فِي الصَّدَفِ
 قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِي خَلِيلٌ مُودَعٌ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ أَبْقَى بَغِيرَ خَلِيلٍ
 وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تَجِيَّ مَنِيتِي وَيُنْفِرَ مِنِّي صَاحِبِي وَدَخِيلِي
 قَالَ آخَرُ بَرِيٍّ أَخَاهُ :

كَأَنِّي يَوْمَ فَارَقْتِي حَيْبٌ رُزْتُ ذَوِي الْمَوَدَّةِ أَجْمَعًا
 وَكَانَ عَلَى الزَّمَانِ أَخِي حَيْبٌ يَمِينًا لِي وَكُنْتُ لَهُ يَمِينًا
 فَإِنْ يَفْرَحْ بِمَصْرَعِهِ الْأَعَادِي فَأَنَا لَمْ يَلَمْ مُتَخَشِّعًا
 قَالَ إِبرَاهِيمُ الصَّوْلِي بَرِيٍّ أَبْنَاهُ لَهُ مَاتَ يَافِعًا مُتَرَعِّعًا :

كُنْتُ السَّوَادَ لِقَلْبِي فَبَكَى عَلَيْكَ النَّظِيرُ
 مِنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَمْتُ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَادِرُ

٤٩ كَانَ ابْنُ بَسَّامَ بَرِيٍّ عَلِيٌّ بْنُ يَحْيَى الْمُتَمِّمُ :

قَدْ رُزْتُ قَبْرَكَ يَا عَلِيُّ مُسْلِمًا وَلَكَ الزِّيَارَةُ مِنْ أَقَلِّ الْوَاجِبِ
 وَلَوْ اسْتَطَعْتُ حَمَلْتُ عَنْكَ زُرَابَهُ فَلَطَالَمَا عَنِّي حَمَلَتْ نَوَائِي
 قَالَ الْعُتْبِيُّ فِي ابْنِهِ لَهُ تُوْفِي صَغِيرًا :

إِنْ يَكُنْ مَاتَ صَغِيرًا فَلَأَسَىٰ غَيْرُ صَغِيرٍ
كَانَ رَيْحَانِي فَأَمْسَىٰ وَهُوَ رَيْحَانُ الْقُبُورِ
غَرَسْتُهُ فِي بَسَاتِينِ أَيْدِي الدُّهُورِ
قَالَ غَيْرُهُ :

لَقَدْ لَأَمَنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبُكَاءِ
فَقَالَ أَتُبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتُهُ
فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الشَّجَا يَبْعَثُ الشَّجَا
قَالَ آخِرُ :

لِكُلِّ أَنَاسٍ مَقْبَرٌ يَفْنَاهُمْ
وَمَا إِنْ يَزَالُ رَسْمٌ دَارٍ قَدْ أَخْلَقَتْ
هُمْ جَبَرَةُ الْأَحْيَاءِ أَمَا جَوَارُهُمْ
قَالَ الْفَطَّشُ الضَّيِّي :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَا إِلَى النَّاسِ أَنِّي
أَخْلَاءُ لَوْ غَيْرُ الْحِمَامِ أَصَابَكُمْ
قَالَ آخِرُ :

أَجَارِي مَا أَزْدَادُ إِلَّا صَبَابَةٌ
أَجَارِي لَوْ نَفْسٌ قَدَتْ نَفْسَ مَيِّتٍ
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَمْلَأَ حِصَّةً
أَلَا قَالِمْتُ مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ إِنَّمَا
إِلَيْكَ وَمَا تَزْدَادُ إِلَّا تَنَابُتًا
قَدَيْتُكَ مَسْرُورًا بِنَفْسِي وَمَالِيَا
فَحَالَ قَضَاءُ اللَّهِ دُونَ رَجَائِيَا
عَلَيْكَ مِنَ الْأَقْدَارِ كَانَ حِذَارِيَا

٥١ قَالَ أَبُو الشَّعْبِ الْعَبْسِيُّ فِي خَالِدِ الْقَسْرِيِّ وَهُوَ أَسِيرٌ:
 أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا وَهَالِكًا
 لَعَمْرِي لَنْ عَمَّرْتُ السَّجْنَ خَالِدًا
 وَأَوْطَأْتُوه وَطَأَةَ الْمُتَنَاقِلِ
 لَقَدْ كَانَ يَبْنِي الْمَكْرُمَاتِ لِقَوْمِهِ
 وَيُنْطِي اللَّهَى فِي كُلِّ حَقٍّ وَبَاطِلِ
 فَإِنْ تَسَجَّنُوا الْقَسْرِيَّ لَا تَسْجُنُوا اسْمَهُ
 قَالَتْ صَفِيَّةُ الْبَاهِلِيَّةُ :

كُنَّا كَعَصَيْنٍ فِي جُرْثُومَةِ سَمَاءَ
 حَتَّى إِذَا قِيلَ قَدْ طَالَتْ فُرُوعُهُمَا
 أَخْنَى عَلَى وَاحِدِي رَيْبُ الزَّمَانِ وَمَا
 كُنَّا كَأَنْجَمٍ لَيْلٍ بَيْنَهَا قَمَرٌ
 ٥٢ وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ فِي مَنْصُورٍ :

لَهْفِي عَلَيْكَ كَلْهَفَةً مِنْ خَائِفٍ
 أَمَّا الْقُبُورُ فَإِنَّهُنَّ أَوَانِسُ
 عَمَّتْ قَوَاضِيَهُ قَعَمٌ مُصَابُهُ
 يُبْنِي عَلَيْكَ لِسَانَ مَنْ لَمْ تُولِهِ
 رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ
 فَأَنَاسُ مَا تُبْنِي عَلَيْهِ وَاحِدٌ
 عَجَبًا لِأَرْبَعٍ أَذْرَعٍ فِي خَمْسَةٍ
 يَبْنِي جَوَارِكَ حِينَ لَيْسَ مُجِيرُ
 بِجَوَارٍ قَبْرِكَ وَالْذِّيَارُ قُبُورُ
 فَأَلَنَاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَا جُورُ
 خَيْرًا لِأَنَّكَ بِالنَّاءِ جَدِيرُ
 فَكَأَنَّهُ مِنْ تَشْرِهَاءِ مَنْشُورُ
 فِي كُلِّ دَارٍ رَنَّةٌ وَزَفِيرُ
 فِي جَوْفِهَا جَبَلٌ أَشْمٌ كَعِيرُ
 (الحماسة لابي تمام)

الْبَابُ الرَّابِعُ فِي الْحُكْمِ

٥٣ قِيلَ: لَا تَسْتَصِرْنَ أَمْرَ عَدُوِّكَ إِذَا حَارَبْتَهُ. لِأَنَّكَ إِنْ ظَفَرْتَ بِهِ لَمْ تُحْمَدَ وَإِنْ ظَفَرَ بِكَ لَمْ تُعَذَّرْ. وَالضَّعِيفُ الْخُتْرَسُ مِنَ الْعَدُوِّ الْقَوِيِّ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ الْقَوِيِّ الْمُغْتَرِّ بِالْعَدُوِّ الضَّعِيفِ. وَقِيلَ: الْعَدُوُّ الْمُخْتَرُّ رَبُّمَا أَشَدُّ. كَالْفَضَنِ الْخَفِيرِ رَبُّمَا صَارَ شَوْكًا. وَقِيلَ: لَا تَأْمَنَنَّ الْعَدُوَّ الضَّعِيفَ أَنْ يُورِطَكَ. قَالَ رُحْ قَدْ يُقْتَلُ بِهِ وَإِنْ عَدِمَ السِّنَانُ وَالزُّجَّ. قَالَ الْمَوْسَوِيُّ:

أَقِيلُ يَصْبِرُ وَهُوَ آءُ ظَلَمٍ مَا رَأَيْتَ مِنَ الْبُعُوضِ
٥٤ يُقَالُ إِنْ أَبْنَى الْقَرْيَةَ دَخَلَ عَلَى الْحِجَابِ وَقَالَ لَهُ: مَا الْكُفْرُ. فَقَالَ:
الْبَطَرُ بِالنِّعْمَةِ وَالْيَأْسُ مِنَ الرَّحْمَةِ. فَقَالَ: مَا الرِّضَا. فَقَالَ: الْقُنُوعُ
بِعَطَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَكَارَةِ. فَقَالَ: مَا الصَّبْرُ. فَقَالَ:
كَطَمِ الْغَيْظِ وَالْإِحْتِمَالِ لِمَا لَا يُرَادُ. فَقَالَ: مَا الْحِلْمُ. فَقَالَ: إِظْهَارُ
الرَّحْمَةِ عِنْدَ الْقُدْرَةِ وَالرِّضَا عِنْدَ الْغَضَبِ. فَقَالَ: مَا الْكِرَمُ. فَقَالَ:
حِفْظُ الصَّدِيقِ وَقَضَاءُ الْحُقُوقِ. فَقَالَ: مَا الْحِمِيَّةُ. فَقَالَ: الْوُقُوفُ
عَلَى رَأْسِ مَنْ هُوَ دُونَكَ. فَقَالَ: مَا السَّبَّاحَةُ. فَقَالَ: الْحِمْلَةُ فِي وَجْهِهِ
الْأَعْدَاءِ وَالْكُفَّارِ. وَالثَّبَاتُ فِي مَوْضِعِ الْقَرَارِ. وَإِرْضَاءُ الرِّجَالِ.
قَالَ: مَا الْعَدْلُ. قَالَ: تَرْكُ الْمُرَادِ. وَصِحَّةُ السَّيْرِ وَالْإِعْتِقَادِ. فَقَالَ:

مَا لَا نَصَافُ. قَالَ : الْمَسَاوَةِ عِنْدَ الدَّعَاوَى بَيْنَ النَّاسِ . فَقَالَ : مَا
الذَّلُّ . قَالَ : الْمَرَضُ عِنْدَ خُلُوقِ الْيَدِ وَالْإِنْكَسَارُ مِنْ قِلَّةِ الرِّزْقِ . فَقَالَ :
مَا الْحِرْصُ . قَالَ : حِدَّةُ الشَّهْوَةِ عِنْدَ الرَّجَاءِ . فَقَالَ : مَا الْأَمَانَةُ . قَالَ :
قَضَاءُ الْوَاجِبِ . فَقَالَ : مَا الْحَيَانَةُ قَالَ : التَّرَاجِي مَعَ الْقُدْرَةِ . فَقَالَ :
مَا الْهَمُّ . قَالَ : التَّفَكُّرُ وَإِذْرَاكَ الْأَشْيَاءِ عَلَى حَقَائِقِهَا (الغزالي)

٥٥ (فَائِدَةُ جَامِعَةٍ وَلَمْعَةٌ سَاطِعَةٌ وَمَقَالَةٌ نَافِعَةٌ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ) قَالَ : لِلْمُؤْمِنِ عَلَى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ ثَلَاثُونَ حَقًّا لَا بَرَاءَةَ لَهُ مِنْهَا
إِلَّا بِالْأَدَاءِ أَوْ الْعَفْوِ . يَغْفِرُ ذَنْبَهُ . وَيَرْحَمُ عَثْرَتَهُ . وَيَسْتُرُ عَوْرَتَهُ . وَيَقْبَلُ
عَثْرَتَهُ . وَيَقْبَلُ مَعْذِرَتَهُ . وَيَرْدُّ غِيْبَتَهُ . وَيَدِيمُ نَصِيحَتَهُ . وَيَحْفَظُ حُلَّتَهُ .
وَيَرْعَى ذِمَّتَهُ . وَيَعُودُ مَرْضَتَهُ . وَيَشْهَدُ مِيتَتَهُ . وَيُجِيبُ دَعْوَتَهُ . وَيَقْبَلُ
هَدِيَّتَهُ . وَيُكَافِي صَلَاتَهُ . وَيَشْكُرُ نِعْمَتَهُ . وَيُحْسِنُ نَصْرَتَهُ . وَيَحْفَظُ
حُرْمَتَهُ . وَيَقْضِي حَاجَتَهُ . وَيَقْبَلُ شَفَاعَتَهُ . وَلَا يُخَيِّبُ مَقْصِدَهُ . وَيُسْكِنُ
عَطْسَتَهُ . وَيُرْشِدُ ضَالَّتَهُ . وَيَرْدُّ سَلَامَهُ . وَيُطِيبُ كَلَامَهُ . وَيُبْرِئُ إِنْعَامَهُ .
وَيُصَدِّقُ أَقْسَامَهُ . وَيَنْظُرُ ظَالِمًا يَرُدُّهُ عَنْ ظُلْمِهِ وَمَظْلُومًا يَأْخُذُ بِهِ عَلَى
وَفَاءِ حَقِّهِ . وَيُوَالِيهِ وَلَا يُبَادِيهِ . وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَشْتُمُهُ . وَيُحِبُّ لَهُ مِنْ
الْخَيْرِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ . وَيَكْرَهُ لَهُ مِنَ الشَّرِّ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ فَلَا يَتْرُكُ
وَاحِدًا مِنْهَا إِلَّا طَالِبَهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (الترغيب للاصبهاني)

٥٦ قَالَ حَكِيمٌ : الْمُؤْمِنُ شَرِيفٌ ظَرِيفٌ لَطِيفٌ لَا لَعَانٌ وَلَا نَمَامٌ . وَلَا
مُنْتَابٌ وَلَا قَتَاتٌ . وَلَا حَسُودٌ وَلَا حَمُودٌ . وَلَا بَخِيلٌ وَلَا مُنْتَحَالٌ . يَطْلُبُ

مِنَ الْخَيْرَاتِ أَغْلَاهَا . وَمِنَ الْأَخْلَاقِ أَسْنَاهَا . إِنْ سَلَكَ مَعَ أَسَلٍ
 الْآخِرَةَ كَانَ أَوْرَعَهُمْ . غَضِضُ الطَّرْفِ . سَخِيُّ الْكَفِّ . لَا يَرُدُّ سَائِلًا .
 وَلَا يَبْغُلُ بَنَاتِلًا . مُتَوَاصِلُ الْأَخْزَانِ مُتَرَادِفُ الْإِحْسَانِ . يَزِنُ كَلَامَهُ
 وَيَخْرُسُ لِسَانَهُ . وَيُحَسِّنُ عَمَلَهُ وَيُكَثِّرُ فِي الْحَقِّ أَمَلَهُ . مُتَأَسِّفٌ عَلَى مَا فَاتَهُ
 مِنْ تَضْيِيعِ أَوْقَاتِهِ . كَأَنَّهُ نَاطِلٌ إِلَى رَبِّهِ مُرَاقِبٌ لِمَا حُيِّنَ لَهُ . لَا يَرُدُّ
 الْحَقَّ عَلَى عَدُوِّهِ . وَلَا يَقْبَلُ الْبَاطِلَ مِنْ صَدِيقِهِ . كَثِيرُ الْمَعُونَةِ قَلِيلُ
 الْمُنُونَةِ . يَنْطَفُ عَلَى أَخِيهِ عِنْدَ عَشْرَتِهِ لِمَا مَضَى مِنْ قَدِيمِ صُحْبَتِهِ . هَذِهِ
 صِفَاتُ الْمُؤْمِنِينَ الْخَالِصِينَ (للدميمري)

٥٧ (مِنْ كَلَامِ الْمُلُوكِ الْجَارِي مَجْرَى الْأَمْثَالِ) : قَالَ أَرْدَشِيرُ إِذَا
 رَغِبَتِ الْمُلُوكُ عَنِ الْعَدْلِ رَغِبَتِ الرَّعِيَّةُ عَنِ الطَّلَاعَةِ . (أَفِرْدُونُ) الْأَيَّامُ
 صَحَائِفُ أَجَالِكُمْ فَخَلِّدُوهَا أَحْسَنَ أَعْمَالِكُمْ . (أَنُوشِرْوَانُ الْمَلِكُ) إِذَا
 كَثُرَ مَالُهُ يَمَّا يَأْخُذُ مِنْ رَعِيَّتِهِ كَانَ كَمَنْ يَغْرُ سَطْحَ بَيْتِهِ بِمَا يَقْتُلُهُ مِنْ
 قَوَاعِدِ بُيَانِهِ . (أَبْرَوِيزُ) أَطِيعْ مَنْ قَوْوَكُ يُطِيعُكَ مَنْ دُونُكَ . قَالَ ابْنُ
 الْمُعْتَرِّ:

كَمْ فُرْصَةٍ ذَهَبَتْ فَعَادَتْ غُصَّةً لُحْجِي بِطُولِ تَأَهُفٍ وَتَدَمُّ
 لِمَا عَزَمَ الْمَنْصُورُ عَلَى الْقَتْلِ بِأَيِّ مُسْلِمٍ فَرَّعَ مِنْ ذَلِكَ عَيْسَى بْنُ
 مُوسَى فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا تَدْبِيرٍ فَإِنَّ فَسَادَ الرَأْيِ أَنْ تَعْجَلَ
 فَأَجَابَهُ الْمَنْصُورُ :

إِذَا كُنْتَ ذَارِئِي فُكُنْ ذَا عَزِيمَةٍ فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَتَرَدَّدَا
وَلَا تَحْمِلَ الْأَعْدَاءُ يَوْمًا يَغْدُوهُ وَبَادِرُهُمْ أَنْ يَمْلِكُوا مِثْلَهَا غَدًا
(الْمُعْتَصِمُ) إِذَا نَصَرَ الْهَوَى بَطَلَ الرَّأْيُ (للقيرواني)

٥٨ (قَالَ أَيُّوبُ بْنُ الْفَرَّيَةِ) : النَّاسُ ثَلَاثَةٌ عَاقِلٌ وَآمِقٌ وَقَاجِرٌ.
فَالْعَاقِلُ الدِّينُ شَرِيعَتُهُ وَالْحِلْمُ طَبِيعَتُهُ وَالرَّأْيُ الْحَسَنُ سَمِيَّتُهُ. إِنْ سُلِّ
أَجَابَ. وَإِنْ نَطَقَ أَصَابَ. وَإِنْ سَمِعَ أَلِمْ وَعَى. وَإِنْ حَدَّثَ رَوَى.
وَأَمَّا الْأَمْقُ فَإِنْ تَكَلَّمَ عَجَلَ. وَإِنْ حَدَّثَ وَهَلَ. وَإِنْ اسْتَنْزَلَ عَنْ رَأْيِهِ
زَلَّ. فَإِنْ حُمِلَ عَلَى الْقَبِيحِ حُمِلَ. وَأَمَّا الْقَاجِرُ فَإِنْ اتَّخَذَتْهُ خَانِكَ. وَإِنْ
جَدَّتْهُ شَانِكَ. وَإِنْ وَثِقَتْ بِهِ لَمْ يَرَعْكَ. وَإِنْ أَسْتُكْتَمَ لَمْ يَكْتُمْ.
وَإِنْ عَلِمَ لَمْ يَعْلَمْ. وَإِنْ حَدَّثَ لَمْ يَفْهَمْ. وَإِنْ فَهَّمَ لَمْ يَفْقَهْ.

٥٩ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى هِشَامٍ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحْفَظْ عَنِّي أَرْبَعَ
كَلِمَاتٍ فِيهِنَّ صَلَاحٌ مُلْكِكَ وَاسْتِقَامَةٌ رِعَايَتِكَ. قَالَ : مَا هُنَّ. قَالَ :
لَا تَعْدِ عِدَّةً لَا تَتَّقِي مِنْ نَفْسِكَ بِإِنْجَازِهَا. وَلَا يُغَرِّكَ الْمُرْتَقَى وَإِنْ
كَانَ سَهْلًا إِذَا كَانَ الْمُتَحَدُّ وَغَرًّا. وَأَعْلَمْ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ جَزَاءً فَأَتَّقِ
الْعَوَاقِبَ. وَأَنَّ الْأُمُورَ بَعَثَاتٍ فُكُنْ عَلَى حَذَرٍ. قَالَ عِيسَى بْنُ دَاوُدَ :
فَحَدَّثْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْمُهْدِيِّ وَفِي يَدَيْهِ لُثْمَةٌ قَدْ رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ. فَأَمْسَكَهَا
وَقَالَ : وَنَحْكَ أَعِذْ عَلَيَّ فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسِغْ لُثْمَتَكَ. فَقَالَ :
حَدِيثُكَ أَعْجَبُ إِلَيَّ (للقزويني)

أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ سُمُّ قَاتِلٌ وَأَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ دِرْيَاقُهَا. الدُّنْيَا سُمُّ قَاتِلٌ

وَأَرْهَدُ فِيهَا دِرْيَاقَهُ . وَالْمَالُ سُمْ قَاتِلٌ وَالزَّكَاةُ دِرْيَاقُهُ . وَالْكَلَامُ
 سُمْ قَاتِلٌ وَذِكْرُ اللَّهِ دِرْيَاقُهُ . وَمَلَكَ الدُّنْيَا سُمْ قَاتِلٌ وَالْعَدْلُ دِرْيَاقُهُ
 ٦٠ قَالَ بَعْضُهُمْ : الصَّوْمُ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ . صَوْمُ الْعُمَمِ وَصَوْمُ
 الْخُصُوصِ وَصَوْمُ خُصُوصِ الْخُصُوصِ . فَأَمَّا صَوْمُ الْعُمَمِ فَهُوَ كَفُّ
 الْبَطْنِ عَنِ الشَّهْوَةِ . وَأَمَّا صَوْمُ الْخُصُوصِ فَهُوَ كَفُّ السَّمَاعِ وَالْبَصَرِ
 وَاللِّسَانِ وَالْيَدِ وَالرِّجْلِ وَسَائِرِ الْجَوَارِحِ عَنِ الْأَتَامِ . وَأَمَّا صَوْمُ
 خُصُوصِ الْخُصُوصِ فَصَوْنُ الْقَلْبِ عَنِ الْهَمَمِ الدُّنْيَا وَالْأَفْكَارِ
 الدُّنْيَوِيَّةِ وَكَفُّهُ عَمَّا سِوَى اللَّهِ بِالْكُلِّيَّةِ (الكنز المدفون)

٦١ (فصل) مِنْ نَوَادِرِ بَزْجَمَهَرِ حَكِيمِ الْقُرْسِ (قَالَ) : تَصَحَّيْ
 النَّصْحَاءَ وَوَعِظِي الْوَعَاطِ شَفَقَةً وَنَصِيحَةً وَتَأْدِيبًا فَلَمْ يَعْظِي أَحَدٌ مِثْلَ
 شَيْئِي وَلَا تَصَحَّيْ مِثْلَ فِكْرِي . وَلَقَدْ اسْتَضَاءَتْ نُورَ الشَّمْسِ وَضُوءُ
 الْقَمَرِ فَلَمْ اسْتَضِيْ بِضِيَاءِ أَحَدٍ مِنْ نُورِ قَائِلِي . وَمَلَكَتُ الْأَحْرَارَ
 وَالْعَبِيدَ فَلَمْ يَمْلِكْنِي أَحَدٌ وَلَا قَهَرَنِي غَيْرُهُوَايَ . وَعَادَانِي الْأَعْدَاءُ
 فَلَمْ أَرِ أَعْدَى إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي إِذَا جَهِلْتُ وَأَحْتَرَزْتُ لِنَفْسِي بِنَفْسِي مِنْ
 الْخُلُقِ كُلِّهِمْ حَذَرًا عَلَيْهَا وَشَفَقَةً فَوَجَدْتُهَا أَشْرًا أَلَا نَفْسٌ لِنَفْسِهَا .
 وَرَأَيْتُ أَنَّهَا لَا يَأْتِيهَا الْقَسَادُ إِلَّا مِنْ قَلْبِهَا وَرَأَيْتُنِي الْأَضَاقُ فَلَمْ يَزَحْمَنِي
 مِثْلُ الْخُلُقِ السُّوءِ وَوَقَعْتُ مِنْ أَبَدِ الْبَعْدِ وَأَطْوَلَ الطُّوْلِ فَلَمْ أَقْعُ فِي
 شَيْءٍ أَضْرَعُ عَلَيَّ مِنْ لِسَانِي . وَمَشَيْتُ عَلَى الْجَمْرِ وَوِطِئْتُ عَلَى الرَّهْضَاءِ
 فَلَمْ أَرِ نَارًا أَحْرَ عَلَيَّ مِنْ عَظْمِي . إِذَا تَمَكَّنَ مِنِّي وَطَالَ بَيْتِي الطَّلَابُ فَلَمْ

يُذَكِّرُنِي مُذَرِّكَ مِثْلُ إِسَاءَتِي . وَتَظَرْتُ مَا أَلَدَّاهُ الْقَاتِلُ وَمِنْ أَيْنَ يَأْتِينِي
فَوَجَدْتُهُ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّي سُبْحَانَهُ . وَأَتَمَسْتُ الرَّاحَةَ لِنَفْسِي فَلَمْ أَجِدْ
شَيْئاً أَرْوَحُ لَهَا مِنْ تَرْكِهَا مَا لَا يَغْنِيهَا . وَرَكِبْتُ الْبَحَارَ وَرَأَيْتُ الْأَهْوََالَ
فَلَمْ أَرْهُوَلاً مِثْلَ الْوُقُوفِ عَلَى بَابِ سُلْطَانٍ جَائِرٍ . وَتَوَحَّشْتُ فِي
الْبَرِّيَّةِ وَالْجِبَالِ فَلَمْ أَرْ أَوْحَشَ مِنْ قَرِينِ السَّوْدِ . وَعَالَجْتُ السَّبَاعَ
وَالضَّبَاعَ وَالذَّبَابَ وَعَاشَرْتُهَا وَعَاشَرْتَنِي وَعَلَبْتُهَا فَغَلَبَنِي صَاحِبُ الْخُلُقِ
السَّوْدِ وَأَكَلْتُ الطَّيْبَ وَشَرِبْتُ الْمُسْكِرَ فَلَمْ أَجِدْ شَيْئاً أَلَذَّ مِنَ
الْعَافِيَةِ وَالْأَمْنِ . وَتَوَسَّطْتُ الشَّيَاطِينَ وَالْجِبَالَ فَلَمْ أَجْزَعْ إِلَّا مِنَ
الْإِنْسَانِ السَّوْدِ . وَأَكَلْتُ الصَّبْرَ وَشَرِبْتُ الْمُرَّ فَلَمْ أَرْ شَيْئاً أَمْرَ مِنَ
الْفَقْرِ . وَشَهِدْتُ الْحُرُوبَ وَلَقِيتُ الْجُيُوشَ وَبَاشَرْتُ السُّيُوفَ وَصَارَعْتُ
الْأَقْرَانَ فَلَمْ أَرْ قِرْناً أَغْلَبَ مِنَ الْمَرَأَةِ السَّوْدِ . وَعَالَجْتُ الْحَدِيدَ وَنَقَلْتُ
الصَّخْرَ فَلَمْ أَرْ جِلاً أَثْقَلَ مِنَ الدِّينِ . وَنَظَرْتُ فِيمَا يُدْلُ الْعَزِيزُ وَيُكْسِرُ
الْقَوِيَّ وَيَضَعُ الشَّرِيفَ فَلَمْ أَرْ أَذَلَ مِنْ ذَوِي فَاقَةٍ وَحَاجَةٍ . وَرَشَقْتُ
بِالنَّشَابِ وَرَجِمْتُ بِالْحِجَارَةِ فَلَمْ أَرْ أَنْفَذَ مِنَ الْكَلَامِ السَّوْدِ يَخْرُجُ مِنْ
فَمِّ مُطَالِبٍ بِحَقٍّ . وَعَبَرْتُ السَّيْحَانَ وَشَدِدْتُ فِي الْوُثَاقِ وَضُرِبْتُ
بِعِمْدِ الْحَدِيدِ فَلَمْ يَهْدِمْنِي شَيْءٌ مِثْلَ مَا هَدَمَنِي الْغَمُّ وَالْهَمُّ وَالْحُزْنُ .
وَأَصْطَنَعْتُ الْإِخْوَانَ وَأَتَنَجَّبْتُ الْأَقْوَامَ لِلْعُدَّةِ وَالشَّدَّةِ وَالنَّائِبَةِ فَلَمْ
أَرْ شَيْئاً أَخِيرَ مِنَ الْكَرَمِ عِنْدَهُمْ . وَطَلَبْتُ الْغَنَى مِنْ وُجُوهِهِ فَلَمْ أَرْ
أَغْنَى مِنَ الْقَنُوعِ . وَتَصَدَّقْتُ بِالنَّخَائِرِ فَلَمْ أَرْ صَدَقَةً أَنْفَعَ مِنْ رَدِّ ذِي

ضَلَالَةٍ إِلَى هُدًى . وَرَأَيْتُ الْوَحْدَةَ وَالْعُرْبَةَ وَالْمَذَلَّةَ فَلَمْ أَرَ أَذَلَّ مِنْ
مُقَاسَاةِ الْجَارِ السُّوءِ . وَشِدَّتِ الْبَيَانَ لِإِعْزَازِهِ وَأَذْكَرَ فَلَمْ أَرَ شَرَفًا
أَرْفَعَ مِنْ أَصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ . وَلَيْسَتْ الْكُفَى الْفَاحِشَةُ فَلَمْ أَلْبَسْ شَيْئًا
مِثْلَ الصَّلَاحِ . وَطَلَبْتُ أَحْسَنَ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ النَّاسِ فَلَمْ أَرَ شَيْئًا أَحْسَنَ
مِنْ حُسْنِ الْخَلْقِ

٦٢ (فصل) مِنْ حِكْمِ شَاتِقِ الْهِنْدِيِّ مِنْ كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ مُتَمَحَلِّ
الْجَوَاهِرِ لِلْمَلِكِ ابْنِ قَابُصِ الْهِنْدِيِّ : يَا أَيُّهَا الْوَالِي أَتَقِ عَثَرَاتِ
الزَّمَانِ وَأَخْشَ تَسَاطُطِ الْأَيَّامِ وَلَوْمْ غَالِبَةُ الدَّهْرِ . وَأَعْلَمُ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ
حِزَاءً فَأَتَقِ الْعَوَاقِبَ وَالْأَيَّامَ غَدَرَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ وَالزَّمَانَ مُتَقَابٌ
مُتَوَلٍّ فَاحْذَرْ تَقَلُّبَهُ . لَيْمُ الْكُرَّةِ فَخَفَّ سَطَوَتُهُ . سَرِيعُ الْغَيَرَةِ فَلَا تَأْمَنُ
دَوْلَتُهُ . وَأَعْلَمُ أَنَّ مَنْ لَمْ يَدَاوِ نَفْسَهُ مِنْ سَقَامِ الْأَيَّامِ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ
فَمَا أَبْعَدَهُ مِنَ الشِّفَاءِ فِي دَارٍ لَا دَوَاءَ لَهُ فِيهَا . وَمَنْ أَذَلَّ حَوَاسِهِ
وَأَسْتَعْبَدَهَا فِيمَا يُقَدِّمُ مِنْ خَيْرِ نَفْسِهِ بَانَ فَضْلُهُ وَظَهَرَ نُبُلُهُ . وَمَنْ لَمْ
يَضْبِطْ نَفْسَهُ وَهِيَ وَاحِدَةٌ لَمْ يَضْبِطْ حَوَاسَهُ وَهِيَ خَمْسٌ . وَإِذَا لَمْ
يَضْبِطْ حَوَاسَهُ مَعَ قَلْبِهَا وَذَلَّتْهَا صَعِبَ عَلَيْهِ ضَبْطُ الْأَعْوَانِ مَعَ كَثَرَتِهِمْ
وُخْشُونَهُ جَانِبِهِمْ . فَكَانَتْ عَامَّةُ الرِّعْيَةِ فِي نَوَاحِي الْبِلَادِ وَأَطْرَافِ
الْمَمْلَكَةِ أَبْعَدَ مِنَ الضَّبْطِ . فَلْيَبْدِءِ الْمَلِكُ بِسُلْطَانِهِ عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْسَ مِنْ
عَدُوٍّ أَحَقَّ مِنْ أَنْ يَبْدَأَهُ بِالْقَهْرِ مِنْ نَفْسِهِ . ثُمَّ يَشْرَعْ فِي قَهْرِ حَوَاسِهِ
الْخَمْسِ . لِأَنَّ قُوَّةَ الْوَاحِدَةِ مِنْهُمْ دُونَ صُوجِبَتِهَا قَدْ تَأْتِي عَلَى النَّفْسِ

الْقَوِيَّةِ الْحَذِرَةِ فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَتْ خَمْسُ أَنْفُسٍ عَلَى وَاحِدَةٍ . وَأَعْلَمَ
 أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ شَرًّا لَيْسَ لِأُخْرَى فَأَقْرَهُهَا تَسْلَمُ مِنْ شَرِّهَا .
 وَإِنَّمَا يَهْلِكُ الْحَيَوَانُ بِالشَّهَوَاتِ . أَلَا تَرَى أَنَّ أَقْرَاشَ يَكْرَهُ الشَّمْسَ
 فَيَسْتَكِنُّ مِنْ حَرِّهَا وَيُجِيبُهُ ضِيَاءُ النَّارِ فَيَدْتُو مِنْهَا فَتَحْرِقُهُ . وَالطَّيْرُ عَلَى
 نِفَارِ قَلْبِهِ وَشِدَّةِ حِرْصِهِ يَنْصَبُ لِسَمَاعِ الْمَلَأِهي فَيَمُكِّنُ الْقَائِصَ مِنْ
 نَفْسِهِ . وَالسَّمَكَ فِي الْبَحْرِ يُحْمِلُهُ لَذَّةُ الطَّعْمِ أَنْ يَبْتَلِعَهُ فَتُحْصَلُ السَّارَةُ
 فِي جَوْفِهِ فَيَكُونُ فِيهِ حَقُّهُ

٦٣ يُحْسِنُ بِالْمَلِكِ أَنْ يُشَبَّهَ تَصَارِيفَ تَذْيِيرِهِ بِطَبَاعِ ثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ :
 الْغَيْثِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالرَّيْحِ وَالنَّارِ وَالْأَرْضِ وَالْمَاءِ وَالْمَوْتِ . فَأَمَّا
 شَبَّهُ (الْغَيْثِ) فَتَوَارُهُ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنَ السَّنَةِ وَمَنْفَعَتُهُ لِجَمِيعِ السَّنَةِ
 كَذَلِكَ يَتَنَبَّي الْمَلِكُ أَنْ يُعْطِيَ جُنْدَهُ وَأَعْوَانَهُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ تَقْدِيرًا
 لِيَتِمَّ السَّنَةُ . فَيَجْعَلُ رَفِيعَهُمْ وَوَضِيعَهُمْ فِي الْحَقِّ الَّذِي يَسْتَوْجِبُونَهُ
 بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ كَمَا يَسْرِي الْمَطَرُ بَيْنَ كُلِّ أَكْمَةٍ وَشَرْفٍ وَغَايِطٍ
 مُسْتَقِيلٍ . وَيَقْرَأُ كَلَامًا مِنْ مَائِهِ بِقَدْرِ حَاجَتِهِ . ثُمَّ يَسْتَجِيبُ الْمَلِكُ فِي
 الثَّمَانِيَةِ أَشْهُرًا حُصُوقَهُ مِنْ غَلَّتِهِمْ وَخَرَاجِهِمْ كَمَا تَجِيبُ الشَّمْسُ بِحَرِّهَا
 وَحِدَّةً فَعَلِمَا نَدَاوَةَ الْغَيْثِ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ الْأَمْطَارِ . وَأَمَّا شَبَّهُ (الرَّيْحِ)
 فَإِنَّ الرِّيحَ لَطِيفَةُ الْمَدَاخِلِ تَسْرَحُ فِي جَمِيعِ الْمُنَافِذِ حَتَّى لَا يَفُوتَهَا مَكَانٌ
 كَذَلِكَ الْمَلِكُ يَتَنَبَّي أَنْ يَتَوَجَّعَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ بِجَوَائِيسِهِ وَعِيُونِهِ
 لَا يُخْفُونَ عَنْهُ شَيْئًا حَتَّى يَعْرِفَ مَا يَأْتُرُونَ بِهِ فِي بُيُوتِهِمْ وَأَسْوَاقِهِمْ .

وَكَا لَقَمِي إِذَا أَسْتَهْلَ تَمَامُهُ فَأَضَاءَ وَأَعْتَدَلَ نُورُهُ عَلَى الْخَلْقِ وَسُرَّ النَّاسُ
بِضَوْوِهِ . يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ يَنْجِيهِ وَزِينَتِهِ وَإِشْرَاقِهِ فِي مَجْلِسِهِ وَإِنْيَاسِهِ
رَعِيَّتِهِ بِبَشَرِهِ فَلَا يَخْصُ شَرِيفًا دُونَ وَضِيعٍ بِعَدْلِهِ . (وَكَا لَنَارِ) عَلَى أَهْلِ
الدَّعَارَةِ وَالْقَسَادِ . (وَكَا لِأَرْضِ) عَلَى كِتْمَانِ السِّرِّ وَالْإِحْتِمَالِ وَالصَّبْرِ
وَالْأَمَانَةِ . (وَكَا قُبَّةِ الْمَوْتِ) فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ يَكُونُ ثَوَابُهُ لَا يَقْصُرُ
عَنْ إِقَامَةِ حَدٍّ وَلَا يَتَجَاوَزُهُ . (وَكَا لِمَاءِ) فِي لَيْسِهِ لِمَنْ لَا يَنْهَهُ . وَهَذِهِ
وَأَقْلَاعِهِ عَظِيمُ الشَّجَرِ لِمَنْ جَاذَبَهُ . (للطارطوشي)

اشعار حكيمه

٦٤ قَالَ ابْنُ عَرَبٍ شَاءَ :

السَّيْلُ يَفْلَعُ مَا يَلْقَاهُ مِنْ شَجَرٍ بَيْنَ الْجِبَالِ وَمِنْهُ الصَّخَرُ يَنْفَطِرُ
حَتَّى يُوَافِيَ عِبَابَ النَّجْرِ تَنْظُرُهُ قَدْ أَضْحَلَّ فَلَا يَبْقَى لَهُ أَثَرُ
وَقَالَ أَيْضًا :

وَالشَّرُّ كَالنَّارِ تَبْدُو حِينَ تَقْدَحُهُ شَرَارُهُ فَإِذَا بَادَرْتَهُ خَمَدَا
وَأِنْ تَوَانَيْتَ عَنْ إِطْفَائِهِ كَسَلَا أَرَى قَبَائِلَ تَشْوِي الْقَلْبَ وَالْكَبَدَا
فَلَوْ تَجَمَّعَ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ لَمَا أَفَادَوْكَ فِي إِخْمَادِهَا أَبَدَا
وَقَالَ أَيْضًا :

أَرَى النَّاسَ يُؤْلُونَ الْغَنَى كَرَامَةً وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِرَفْعَةِ مِقْدَارِ
وَيُلُونُ عَنْ وَجْهِ الْفَقِيرِ وَجُوهَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَهْلًا أَنْ يُلَاقَى بِإِكْبَارِ
بَنُو الدَّهْرِ جَاءَتْهُمْ أَحَادِيثُ جَمَّةٌ فَمَا صَحَّحُوا إِلَّا حَدِيثَ ابْنِ دِينَارِ

٦٥ قَالَ غَيْرُهُ :

لَا تُعَامِلْ مَا عِشْتَ غَيْرَكَ إِلَّا بِالَّذِي أَنْتَ تَرْتَضِيهِ لِنَفْسِكَ
ذَلِكَ عَيْنُ الصَّوَابِ فَأَلْزَمَهُ فِيمَا تَبْتَغِيهِ فِي كُلِّ أَبْنَاءِ جَنْسِكَ
قَالَ آخَرُ :

لَا يُعْجِبَنَّكَ حُسْنُ الْقَصْرِ تَنْزِلُهُ فَضِيلَةُ الشَّمْسِ لَيْسَتْ فِي مَنَازِلِهَا
لَوْ زِيدَتِ الشَّمْسُ فِي أَبْرَاجِهَا مِئَةً مَا زَادَ ذَلِكَ شَيْئًا فِي فَضَائِلِهَا
قَالَ غَيْرُهُ :

إِنَّ الْكَبِيرَ إِذَا هَوَى وَأَطَاعَهُ قَوْمٌ هَوُوا مَعَهُ فَضَاعَ وَضِعَا
مِثْلُ السَّفِينَةِ إِنْ هَوَتْ فِي لُجَةِ غَرَقَتْ وَيَفْرَقُ كُلُّ مَنْ فِيهَا مَعَا
قَالَ آخَرُ :

إِزْرَعْ جَمِيلًا وَلَوْ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ فَلَا يَضِيعُ جَمِيلٌ أَنِنَا زُرْعَا
إِنَّ الْجَمِيلَ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ فَلَيْسَ يَخْصُدُهُ إِلَّا الَّذِي زُرْعَا
قَالَ أَبُو أَحْمَدَ بْنَ مَا هَانَ الْخُرَاعِيُّ :

إِقْضِ الْخَوَاصِ مَا اسْتَطَعْتَ وَكُنْ لَهُمْ أَخِيكَ فَارِجٌ
فَلْتَحِزْ أَيَّامَ الْفَتَى يَوْمَ قَضَى فِيهِ الْخَوَاصِ

٦٦ قَالَ الْقَطَامِيُّ الشَّاعِرُ النَّصْرَانِيُّ :

قَدْ يُدْرِكُ الْمُنَآئِي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ
وَقَدْ تَفُوتُ عَلَى قَوْمٍ حَوَائِجُهُمْ مَعَ التَّرَاحِي وَكَانَ الرَّأْيُ لَوْ عَجَلُوا
وَقَالَ آخَرُ :

وَيَاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعَتْ
فَمَا حَسَنُ أَنْ يَعْدِرَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ :

لَأَنْ أَرْجِي عِنْدَ الْعَرِيِّ بِالْخُلُقِ
خَيْرٌ وَأَكْرَمُ لِي مِنْ أَنْ أَرَى مِثْلًا
إِنِّي وَإِنْ قَصُرَتْ عَنْ هِمَّتِي جِدَّتِي
لَتَارِكُ كُلِّ أَمْرٍ كَانَ يُلْزِمُنِي
٦٧ وَقَالَ أَيْضًا :

مَاذَا يَكْلِفُكَ الرُّوحَاتِ وَالْدَّلَاجَا
كَمْ مِنْ قَتَى قَصُرَتْ فِي الرِّزْقِ خُطْوَتُهُ
إِنْ الْأُمُورَ إِذَا أُسْدَتْ مَسَالِكُهَا
لَا تَيَاسَنُ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةُ
أَخْلَقَ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْطَى بِحَاجَتِهِ
قَدَّرَ لِرَجُلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْضِعَهَا
وَلَا يَغْنُفُكَ صَفْوُ أَنْتَ شَارِبُهُ
٦٨ قَالَ أَلْتَسْتَبِي :

عَلَى قَدَرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا
وَتَأْتِي عَلَى قَدَرِ الْكَرَامِ الْمَكَارِمُ
وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعِظَائِمُ
قَالَ آخَرُ :

قَسْرُ الْقَتَى يُذْهِبُ أَنْوَارَهُ كَمَا أَصْفَرَارُ الشَّمْسِ عِنْدَ الْمَغِيبِ
 إِنْ غَابَ لَا يُذَكِّرُ بَيْنَ الْوَرَى وَمَا لَهُ فِي قَوْمِهِ مِنْ نَصِيبِ
 يُجُولُ فِي الْأَسْوَاقِ مُسْتَحْفَا وَفِي الْأَقْلَامِ يَكْبِي بِدَمْعِ صَيْبِ
 وَاللَّهِ مَا الْإِنْسَانُ فِي أَهْلِهِ إِذَا بُلِيَ بِالْقَهْرِ إِلَّا غَرِيبِ
 قَالَ نَاهِيضُ الْكِلَابِيِّ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جَمَعَ الْقَوْمِ يُخْشَى وَأَنَّ الْحَزْمَ حِينَ يَكُونُ قَرْدًا
 قَالَ آخَرُ :

مَا مِنَ الْحَزْمِ أَنْ تُقَارِبَ أَمْرًا تَطْلُبُ الْبُعْدَ مِنْهُ بَعْدَ قَلِيلِ
 فَإِذَا مَا هَمَمْتَ بِالشَّيْءِ فَأَنْظُرْ كَيْفَ مِنْهُ الْخُرُوجُ بَعْدَ الدُّخُولِ

٦٩ كَتَبَ عَلِيُّ إِلَى ابْنِهِ حُسَيْنٍ
 أَحْسِنُ إِلَيَّ وَاعْظُ وَمُؤَدِّبُ
 وَاحْفَظْ وَصِيَّةَ وَالِدٍ مُتَحَنِّنِ
 أَبْنَى إِنْ الرِّزْقَ مَكْفُولٌ بِهِ
 لَا تَجْعَلَنَّ أَلْمَالَ كَسْبَكَ مُفْرَدًا
 كَفَلَ أَلِلهُ بِرِزْقِ كُلِّ بَرِيَّةٍ
 وَالرِّزْقُ أَسْرَعُ مِنْ تَلْقَتِ نَاطِرٍ
 وَمِنَ السُّيُولِ إِلَى مَقَرِّ قَرَارِهَا
 أَبْنَى إِنْ الذِّكْرَ فِيهِ مَوَاعِظُ
 فَافْهَمْ فَإِنَّ الْعَاقِلَ الْمُتَادِّبُ
 يَغْذُوكَ بِالْآدَابِ كَيْلًا تَعْطُبُ
 فَعَلَيْكَ بِالْإِجْمَالِ فِيمَا تَطْلُبُ
 وَتَقِ إِلَهَكَ فَأَجْعَلَنَّ مَا تَكْسِبُ
 وَأَلْمَالَ عَارِيَّةً تُحْيِي وَتَذْهَبُ
 سَبَبًا إِلَى الْإِنْسَانِ حِينَ يُسَبِّبُ
 وَالطَّيْرَ لِلْأَوْكَارِ حِينَ تُصَوِّبُ
 فَمَنْ الَّذِي يُعْظَاهُ يَتَادَّبُ

وَأَعْبُدْ إِلَهَكَ ذَا الْمَعَارِجِ مُخْلِصًا
وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ مَخْشِيَةٍ
يَا مَنْ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ بِعَذَابِهِ
إِنِّي أَبُوهُ بِمِثَرْتِي وَخَطِئَتِي
وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ فِي ذِكْرِهَا
فَأَسْأَلُ إِلَهَكَ بِالْإِنَابَةِ مُخْلِصًا
وَأَجْهَدُ لَعَلَّكَ أَنْ تُحِلَّ بِأَرْضِهَا
بَادِرَ هَوَاكَ إِذَا هَمَمْتَ بِصَالِحٍ
وَإِذَا هَمَمْتَ بِسَيِّئٍ فَانْغِضْ لَهُ
وَالضُّفَى أَكْرَمَ مَا اسْتَطَعْتَ جَوَارَهُ
وَأَجْمَلُ صَدِيقِكَ مَنْ إِذَا آخِيَتْهُ
وَأَطْلَبُهُمْ طَلَبَ الْمَرِيضِ شِفَاءَهُ
يُعْطِيكَ مَا فَوْقَ الْمُنَى بِلِسَانِهِ
وَأَحْذَرُ ذَوِي الْمُلُوقِ النَّسَامَ فَإِنَّهُمْ
يَسْعَوْنَ حَوْلَ الْمَاءِ مَا طَمِعُوا بِهِ
وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قُلْتَ نَصِيحَتِي
٧٠ وَكُتِبَ لَهُ أَيْضًا:

عَلَيْكَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ كِلَيْهِمَا
فَلَا تَصْخَبَنَّ إِلَّا تَقِيًّا مُهَذَّبًا
وَبِرِّ ذَوِي الْقُرْبَى وَبِرِّ الْأَبَاعِدِ
عَفِيفًا زَكِيًّا مُنْجِرًا لِلْمَوَاعِدِ

وَكُفَّ الْأَذَى وَأَحْفَظَ لِسَانَكَ وَآتَيْتَنِي
وَتَأَمَّنَ بِبَذْلِ الْمَالِ فِي طَلَبِ الْعُلَى
وَكَفَّنَ وَائْتَقَا بِاللَّهِ فِي كُلِّ حَادِثٍ
وَبِاللَّهِ فَاسْتَعَصِمَ وَلَا تَزُجْ غَيْرَهُ
وَعُضِرَ عَنِ الْمَكْرُوهِ طَرَفَكَ وَاجْتَنَبَ
وَلَا تَبْنِ فِي الدُّنْيَا بِنَاءً مُؤَمِّلٍ
وَكُلُّ صَدِيقٍ لَيْسَ فِي اللَّهِ وَدَهُ
٧١ وَقَالَ أَيْضًا :

قَدَّمَ لِنَفْسِكَ فِي الْحَيَاةِ تَرَوْدًا
وَأَهْتَمَّ لِلسَّفَرِ الْقَرِيبِ فَإِنَّهُ
وَأَجْعَلَ تَرَوْدَكَ الْخَافَةَ وَالْتَقَى
وَأَقْعَ بِقُوتِكَ فَالْقَنَاعُ هُوَ الْغَنَى
وَأَحْذَرُ مُصَاحَبَةِ اللَّئَامِ فَإِنَّهُمْ
أَهْلُ الْمَوَدَّةِ مَا أُنْتَهَمُ الرِّضَا
لَا تُنْفِسْ سِرًّا مَا اسْتَطَعْتَ إِلَى أَمْرِي
فَكَمَا تَرَاهُ بِسِرِّ غَيْرِكَ صَانِمًا
لَا تَبْدَأَنَّ بِمَنْطِقٍ فِي تَحْلِيلِ
فَالصَّمْتُ يُخَسِّنُ كُلَّ ظَنٍّ بِالْقَتَى
وَدَعَ الْمَزَاحَ قُرْبَ لَفْظَةٍ مَازِحٍ
فَلَقَدْ تَفَارَقَهَا وَأَنْتَ مُودِعُ
أَنَايَ مِنَ السَّفَرِ الْبَعِيدِ وَأَشْنَعُ
فَلَمَّا حَفَّتْكَ فِي مَسَائِكَ أَسْرَعُ
وَالْفَقْرُ مَقْرُونٌ بِمَنْ لَا يَشْعُرُ
مَنْعُوكَ صَفْوٌ وَدَادِهِمْ وَتَصَنَعُوا
وَإِذَا مَنَعْتَ فَمِنْهُمْ لَكَ مُنْقَعُ
يُنْفِسِي إِلَيْكَ سِرًّا لَا يَسْتَوْدِعُ
فَكَذَا بِسِرِّكَ لَا حِمْلَةَ يَصْنَعُ
قَبْلَ السُّوَالِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَشْنَعُ
وَلَعَلَّهُ خَرَقَ سَفِيهِ أَرْقَعَ
جَلَبَتْ إِلَيْكَ بِلَايَلَا لَا تُدْفَعُ

وَحِفَاطَ جَارٍ لَا تُضَعُّهُ فَإِنَّهُ
وَإِذَا اسْتَمَّاكَ ذُو الْإِسَاءَةِ عَثَرَةً
وَإِذَا اثْنَمْتَ عَلَى السَّرَائِرِ فَأَخْضَهَا
لَا تَجْزَعَنَّ مِنَ الْحَوَادِثِ إِنَّمَا
وَأَطِيعْ أَبَاكَ كُلَّ مَا أَوْصَى بِهِ
٧٢ وَقَالَ أَيْضًا :

صُنِ النَّفْسَ وَاجْمَلَهَا عَلَى مَا يَزِينُهَا
وَلَا تُرَيِّنَنَّ النَّاسَ إِلَّا تَجْمَلًا
وَإِنْ صَاقَ رِزْقُ الْيَوْمِ فَاصْبِرْ إِلَى غَدٍ
يَعِزُّ غِنَى النَّفْسِ إِنْ قَلَّ مَالُهُ
وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ أَمْرٍ مُتْلَوْنِ
جَوَادُ إِذَا اسْتَعْنَيْتَ عَنْ أَخْذِ مَالِهِ
فَمَا أَكْثَرَ الْإِخْوَانَ حِينَ تَعُدُّهُمْ
٧٣ وَمَا أَحْسَنَ مَا أَنْشَدَهُ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ قَالَ :

أَلَمْ يَجْمَعْ وَالزَّمَانُ يُفَرِّقُ
وَلَا نَ يُعَادِي عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ
فَأَرَبَا بِنَفْسِكَ أَنْ تُصَادِقَ أَحْمَقًا
وَزِينِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ فَإِنَّمَا
وَمِنَ الرِّجَالِ إِذَا اسْتَوَتْ أَخْلَاقُهُمْ
وَيَظِلُّ يَرْقَعُ وَالْخَطُوبُ تُمَرِّقُ
مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحْمَقُ
إِنَّ الصَّدِيقَ تَلَى الصَّدِيقِ صَدِيقُ
يُبْدِي عُقُولَ ذَوِي الْعُقُولِ الْمُنْطِقُ
مَنْ يُسْتَشَارُ إِذَا اسْتَشِيرَ فَيُطْرَقُ

حَتَّى يَجُلَّ بِكُلِّ وَادٍ قَلْبُهُ
لَا أَهْنَيْتَكَ ثَاوِيًا فِي غُرْبَةٍ
مَا النَّاسُ إِلَّا عَامِلَانِ فَعَامِلٌ
وَالنَّاسُ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ وَإِنَّمَا
لَوْ يُزْذَقُونَ النَّاسُ حَسَبَ عَمَلِهِمْ
لِكُنْتَهُ فَضْلُ الْمَلِكِ عَلَيْهِمْ
وَإِذَا الْجَنَازَةُ وَالْعُرُوسُ تَلَاقَا
سَكَتَ الَّذِي تَبَعَ الْعُرُوسَ مُبَهَّتًا
وَإِذَا أَمْرُوهُ لَسَعْتُهُ أَفْعَى مَرَّةً
بَقِيَ الَّذِينَ إِذَا يَقُولُوا يَكْذِبُوا
٧٤ قَالَ دِرْزَنُ عَبْدِ اللَّهِ:

لِكُلِّ ضَيْقٍ مِنَ الْأُمُورِ سَعَةٌ
مَا بَالُ مَنْ سَرَّهُ مُصَابُكَ لَا
أَذُودُ عَنْ حَوْضِهِ وَيَدْفَعُنِي
قَدْ يَجْمَعُ الْمَالُ غَيْرَ آكِلِهِ
وَيَقْطَعُ الثَّوْبَ غَيْرَ لَابِسِهِ
فَأَقْبَلَ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ
وَصَلَ جِبَالُ الْبُعِيدِ إِنْ وَصَلَ الْحَبْلُ وَأَقْصَرَ الْقَرِيبُ إِنْ قَطَعَهُ
وَلَا تُعَادِ الْفَقِيرَ عَمَّا أَنْ تَزْكُمَ يَوْمًا وَالْدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ

فَيَرَى وَيَعْرِفُ مَا يَقُولُ فَيَنْطِقُ
إِنَّ الْغَرِيبَ بِكُلِّ سَهْمٍ يُرْشَقُ
قَدَمَاتٍ مِنْ عَطَشٍ وَآخِرُ يَفْرَقُ
بِالْجِدِّ يُزْذَقُ مِنْهُمْ مَنْ يُزْذَقُ
أَلْقَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى يَصَدِّقُ
هَذَا عَلَيْهِ مُوسَعٌ وَمُضَيِّقُ
وَرَأَيْتَ دَمَعَ نَوَاحٍ يَتَرَفَّقُ
وَرَأَيْتَ مَنْ تَبَعَ الْجَنَازَةَ يَنْطِقُ
تَرَكْنَاهُ حِينَ يُجْرُ حَبْلُ يَفْرَقُ
وَمَضَى الَّذِينَ إِذَا يَقُولُوا يَصْدُقُوا

أَلْبَابُ الْحِكْمِ

فِي الْأَمْثَالِ

فصل من نوادر كلام العرب

٧٥ (مِنْ حِكْمِ أَكْثَمَ بْنِ صَفِيٍّ) وَهَذَا رَجُلٌ كَانَ لَهُ عَقْلٌ وَحِلْمٌ وَمَعْرِفَةٌ وَتَجَرِبَةٌ . وَقَدْ عَلَّقُوا عَنْهُ حِكْمًا لَطِيفَةً وَأَلْفُوا فِيهَا تَصَانِيفَ . فَمِنْ حِكْمِهِ قَالَ : مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ كَانَ كَمَنْ غَصَّ بِالْمَاءِ . أَفْضَلُ مِنَ السُّؤَالِ رُكُوبُ الْأَهْوَالِ . مَنْ حَسَدَ النَّاسَ بَدَأَ بِمُضَرَّةٍ نَفْسِهِ . الْعَدِيمُ مَنْ أَحْتَاجَ إِلَى لَيْمٍ . مَنْ لَمْ يَتَّبِعْ فَقَدْ خَسِرَ . مَا كُلُّ عَثْرَةٍ تُقَالُ . وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُتَالُ . قَدْ يُشْهَرُ السِّلَاحُ . فِي بَعْضِ الْمَزَاحِ . رَبُّ عَيْتِي . شَرٌّ مِنْ رِيٍّ . أَنْتَ مُزِرٌ بِنَفْسِكَ إِنْ صَحِبْتَ مَنْ هُوَ دُونَكَ . لَيْسَ مَنْ خَادَنَ الْجُهُولَ . بِذِي مَعْقُولٍ . مَنْ جَالَسَ الْجُهَالَ فَلَيْسَتْ عَدْلُ قِيلٍ وَقَالَ . الْمَزَاحُ يُورِثُ الضَّغَائِنَ . غَثُكَ خَيْرٌ مِنْ سَمِينٍ غَيْرِكَ . مَنْ جَدَّ الْمَسِيرَ أَذْرَكَ الْقِيلَ . جَارُ الرَّجُلِ الْجَوَادِ كَهَجَاوِرِ التَّجَرِّ لَا يَخَافُ الْعَطَشَ . مَنْ طَلَبَ مِنَ اللَّيْمِ حَاجَةً . كَانَ كَمَنْ طَلَبَ السَّمَكَ فِي الْمَفَازَةِ . عِدَّةُ الْكَرِيمِ نَقْدٌ وَعِدَّةُ اللَّيْمِ تَسْوِيفٌ . الْأَنَامُ قَرَانِسُ الْأَيَّامِ . قَدْ تَكْسَرُ الْيَوَاقِيتُ فِي بَعْضِ الْمَوَاقِيتِ . مَنْ أَعَزَّ نَفْسَهُ . أَذَلَّ فَلْسَهُ . مَنْ سَلَكَ الْجَدَدَ آمِنَ الْعِتَارَ (الطرطوشي)

نبد من كلام الزمخشري والبستي

٧٦ مَنْ بَلَغَ غَايَةَ مَا يُحِبُّ فَلْيَتَوَقَّعْ غَايَةَ مَا يَكْرَهُ . لَا تَشْرَبِ السُّمَّ
أَتَكَالَا عَلَى مَا عِنْدَكَ مِنَ التَّرْيَاقِ . لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَلْعَنُ إِبْلِيسَ فِي
الْعَلَانِيَةِ وَيُؤَالِيهِ فِي السِّرِّ . عَادَاتُ السَّادَاتِ سَادَاتُ الْعَادَاتِ .
الْطُّفُوفُ رُشُوءٌ مَنْ لَا رُشُوءَ لَهُ . مَنْ تَأَجَّرَ اللَّهُ لَمْ يُوكَسْ بَيْعُهُ . وَلَمْ
يُجَسَّ رَيْعُهُ . أَدْوِيَةُ الدُّنْيَا تُقْصَرُ عَنْ سُئُومِهَا . وَكُسُيْمُهَا لَا يَفِي بِسُئُومِهَا .
مَنْ زَرَعَ الْإِحْنَ . حَصَدَ الْيَحْنَ . لَا بُدَّ لِلْفَرَسِ مِنْ سَوَاطِ . وَإِنْ كَانَ
بَعِيدَ الشَّوْطِ . شِعَاعُ الشَّمْسِ لَا يُخْفَى . وَنُورُ الْحَقِّ لَا يُطْفَأُ . أَعْمَالُكَ
نَيْتٌ . إِنْ لَمْ تُضَيِّحْهَا بِنَيْتٍ . لَا يَجِدُ الْأَحْمَقُ لَذَّةَ الْحِكْمَةِ . كَمَا لَا يَلْتَذُّ
بِالْوَرْدِ صَاحِبُ الزُّكْمَةِ . طُوبَى لِمَنْ كَانَتْ خَاتِمَةُ عُمْرِهِ كَفَاتِحَتِهِ .
وَلَيْسَتْ أَعْمَالُهُ بِفَاتِحَتِهِ . أَفْضَلُ مَا أَدَّخَرْتَ التَّوْبَى . وَأَجْمَلُ مَا لَيْسَتْ
أَلْوَرَعُ . وَأَحْسَنُ مَا أَكْتَسَيْتَ الْحَسَنَاتُ . كَفَى بِالظُّفْرِ شَفِيعًا بِالذَّنْبِ .
أَحَقُّ النَّاسِ بِالزِّيَادَةِ فِي النِّعَمِ أَشْكُرُهُمْ لِمَا أُوتِيَ مِنْهَا . ظَهَرَ الْعِتَابُ
خَيْرٌ مِنْ مَكْنُونِ الْحَمْدِ . قَالَ الْجِدَارُ لِلْوَتْدِ : لِمَ تَشْفِينِي . قَالَ : سَلُ
مَنْ يَدْفِنِي . مَنْ نَصَرَ الْحَقَّ قَهَرَ الْخَلْقَ . رَبِّمَا كَانَ خَفُّ أَمْرِي فِي مَا تَمَنَّى

ما ضرب به المثل من الحيوان وغيره

٧٧ إِنَّمَا كَانَتْ الْعَرَبُ أَكْثَرُ أَمْثَالِهَا مَضْرُوبَةً بِالْبَهَائِمِ فَلَا يَكَادُونَ
يَذُبُّونَ وَلَا يَمْدَحُونَ إِلَّا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا مَسَاكِنَهُمْ بَيْنَ السَّبَاعِ
وَالْأَحْنَاسِ وَالْحَشَرَاتِ فَاسْتَعْمَلُوا التَّحْسِيلَ بِهَا . قَالُوا : أَشَجَعُ مِنْ أَسَدٍ .

وَأَجْبَنُ مِنَ الصَّافِرِ . وَأَمْضَى مِنْ لَيْثِ غَيْرَيْنِ . وَأَحْذَرُ مِنْ غُرَابٍ .
وَأَبْصَرُ مِنْ عُقَابٍ . وَأَزْهَى مِنْ ذُبَابٍ . وَأَذْلُ مِنْ قُرَادٍ . وَأَسْمَعُ مِنْ
قَرَسٍ . وَأَنُومُ مِنْ قَهْدٍ . وَأَعْبُ مِنْ ضَبٍ . وَأَجْبَنُ مِنْ صَفْرَدٍ . وَأَضْرَعُ
مِنْ سِنُورٍ . وَأَسْرَقُ مِنْ زَبَابَةٍ . وَأَصْبِرُ مِنْ عُودٍ . وَأَظْلَمُ مِنْ حَيَّةٍ .
وَأَحْنُ مِنْ نَابٍ . وَأَكْذَبُ مِنْ فَاخِشَةٍ . وَأَعَزُّ مِنْ يَنْضَرِ الْأُنُوقِ .
وَأَجُوعُ مِنْ كَلْبَةٍ حَوْمَلٍ . وَأَعَزُّ مِنَ الْأَبْلَقِ الْهَقُوقِ . (الصَّافِرُ)
الصَّغِيرُ مِنَ الطَّيْرِ . وَالْعُودُ الْمُسْنُ مِنَ الْجَمَالِ . وَالْأُنُوقُ طَيْرٌ يُقَالُ
إِنَّهُ يَبْيَضُ فِي الْهَوَاءِ . وَالزَّبَابَةُ الْقَارَةُ تَسْرِقُ دَوْدَ الْحَرِيرِ . وَفَاخِشَةُ
طَيْرٌ يَطِيرُ بِالرُّطْبِ فِي غَيْرِ أَيَّامِهِ)

(مَا ضَرَبَ بِهِ الْمَثَلُ مِنْ غَيْرِ الْحَيَّاتِ) . قَالُوا : أَهْدَى مِنَ النَّجْمِ .
وَأَجُودُ مِنَ الدِّيمِ . وَأَصْبَحُ مِنَ الصُّبْحِ . وَأَسْمَعُ مِنَ النُّجُومِ . وَأَنُورُ مِنَ
النَّهَارِ . وَأَمْضَى مِنَ السَّيْلِ . وَأَحْمَقُ مِنْ دِجَلَةٍ . وَأَحْسَنُ مِنْ دُمَيْةٍ .
وَأَزْهَى مِنْ رَوْضَةٍ . وَأَوْسَعُ مِنَ الدَّهْنَاءِ . وَأَنْسُ مِنْ جَدُولٍ . وَأَضْيَقُ
مِنْ قَرَارِ حَافِرٍ . وَأَوْحَشُ مِنْ مَفَارَةٍ . وَأَثْقَلُ مِنْ جَبَلٍ . وَأَبْقَى مِنْ
الْوَحْيِ فِي صَمِّ الصَّلَابِ . وَأَخَفُ مِنْ رِيشِ الْحَوَاصِلِ (لَا مِنْ عَبْدِ رَبِّهِ)
٧٨ أَشْعَارُ جَارِيَةٌ تَجْرِي الْمَثَلُ وَهِيَ لِشِعْرَاءَ مُخْتَلَيْنَ :

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَالَهُ كَسَاعَ إِلَى الْغَيْمِ يَنْبِرُ سِلَاحَ
إِذَا كَانَ غَيْرَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عُدَّةً أَتَتْهُ الرِّزَايَا مِنْ وُجُوهِ الْمَكَاسِبِ
إِذَا مَا أَتَيْتَ الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ ضَلَّتْ وَإِنْ تَهْصِدُ إِلَى الْبَابِ تَهْتَدِي

إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدِي نَوَالٌ هَجَرْتَنِي وَإِنْ كَانَ لِي مَالٌ فَأَنْتَ صَدِيقِي
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تُعَلِّمْ طَبِيبَكَ كُلَّ مَا يَسُوكَ أَبَدْتَ الدَّوَاءَ عَنِ السُّقْمِ
 إِنْ أَخْتَفَى مَا فِي الزَّمَانِ الْآتِي قَسَسَ عَلَى الْمَاضِي مِنَ الْأَوَّلَاتِ
 إِذَا لَمْ يُعِنِ قَوْلُ النَّصِيبِ قَبُولُ فَإِنْ مَعَارِضَ الْكَلَامِ فُضُولُ
 أَرَى مَاءَ وَيَّي عَطَشٌ شَدِيدُ وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُرُودِ
 إِذَا رُمْتَ أَنْ تُصْفِيَ لِنَفْسِكَ صَاحِبَا فَمَنْ قَبْلَ أَنْ تُصْفِيَ لَهُ الْوَدَّ أَغْضِبُهُ
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يَزْدِرِي بِقُدْرِهِ إِذَا قِيلَ هَذَا السَّيْفُ أَمْضَى مِنَ الْعَصَا
 إِنْ الْأُمُودَ إِذَا بَدَتْ لِرِزْوَالِهَا فَعَلَامَةُ الْإِدْبَارِ فِيهَا تَطْهَرُ
 إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظَنُونُهُ وَصَدَقَ مَا يَتَكَادَهُ مِنْ تَوَهُمِ
 إِنْ تُجِدُ عَيْبًا فَسُدَّ الْخِلَلَا جَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا
 تَفَرَّقَتْ غَنِيَّيَا يَوْمًا فَقُلْتُ لَهَا يَا رَبِّ سَلِّطْ عَلَيْهَا الذَّبَّ وَالضُّبَا
 تَرَقَّبْ جِزَا الْحَسَنَى إِذَا كُنْتَ مُحْسِنَا وَلَا تُخْشَ مِنْ سُوءِ إِذَا أَنْتَ لَا تُسِي
 الْخَيْرُ لَا يَأْتِيكَ مُتَصَلَا وَالشَّرُّ يَسْبِقُ سَبِيلَهُ الْمَطَرُ
 ذِكْرُ أَلْفَتَى عُمَرُ الْثَانِي وَحَاجَتُهُ مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ
 ذُو الْفَضْلِ لَا يَسْلَمُ مِنْ قَدَحِ وَإِنْ غَدَا أَقْوَمَ مِنْ قِدَحِ
 الرَّأْيِ يَصْدَأُ كَالْحَسَامِ لِمَعَارِضِ يَطْرَأُ عَلَيْهِ وَصَفْلُهُ التَّذَكِيرُ
 سَبْكَنَاهُ وَنَحْسَهُ لِحِينَا فَأَبْدَى الْكَبِيرُ عَنْ خَبَثِ الْحَدِيدِ
 عَفَاكَ عَمِي إِنْمَا عِفَّةُ أَلْفَتَى إِذَا عَفَّ مِنْ لَذَائِهِ وَهُوَ قَادِرُ
 غَلَامٌ أَنَاهُ الْوُؤْمُ مِنْ شَطْرِ نَفْسِهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ شَطْرِ أَمْرٍ وَلَا أَبِ

قَالِ قُمْ قُلْتُ رَجُلِي لَا تَطَاوُعَنِي
 فَلَا تَجْمَلِ الْحَسَنَ الدَّلِيلَ عَلَى الْهَيْبَةِ
 فَالْدَّرُ وَهُوَ أَجَلُ شَيْءٍ يُفْتَنِي
 قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ صِدَقًا وَإِنْ كَذِبًا
 لَا يُغَيِّبُ مَضِيًّا حُسْنُ بَرَّتِهِ
 لَا تَرْجُ شَيْئًا خَالِصًا نَفْعُهُ
 لَا تُتَرَنَّكَ هَذِهِ الْأَوْجُهُ الْعَرُومُ
 لَا تَحْسَبِ الْجَدْرُطِبَا أَنْتَ آكَلُهُ
 لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى
 لَا تَحْزَنَنَّ شَأْنَ الْعَدُوِّ وَكَيْدِهِ
 لَمَلٌ عَتَبَكَ مُحَمَّدٌ عَوَاقِبُهُ
 مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبُهَا
 مَا إِيَّاسِي عَنْ ضَعِيفٍ غَنَى
 مَنْ لَيْسَ يَخْشَى أَسْوَدَ الْغَابِ إِنْ زَارَتْ
 لَا يَحْمِلُ الْجَدُّ مَنْ تَعَلَّوْهُ الرُّبُ
 الْمَرْءُ يَحْيَا بِالْأَسَاقِ وَلَا عَضْدٍ
 نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا
 وَقَدْ يَكْسِفُ الْمَرْءُ مِنْ دُونِهِ
 وَلَا تَقْرَبِ الْأَمْرَ الْحَرَامَ فَإِنَّهُ

قَالِ خُذْ قُلْتُ كَفَيْ لَا تَوَانِي
 فَمَا كُلُّ مَصْفُولٍ الْحَدِيدِ يَمَانِي
 مَا حَطَّ قِيمَتُهُ هَوَانُ الْغَائِصِ
 فَمَا أُحْيَاكَ فِي شَيْءٍ وَقَدْ قِيلَا
 وَهَلْ تَرُوقُ دَفِينًا جُودَةُ الْكَفَنِ
 فَأَلْفَيْتُ لَا يَخْلُو مِنَ الْغَثِ
 يَا رَبِّ حَيَّةٌ فِي رِيَاضِ
 لَنْ تَلْبِغَ الْجَدَّ حَتَّى تَلْقَى الصَّبْرَا
 حَتَّى يَرَأَى عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمَ
 وَلَرُبَّمَا صَرَخَ الْأَسْوَدُ الثَّلَبُ
 وَرُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَادُ بِالْعِلَلِ
 أَنِّي بِمَا أَنَا بَالِكٍ مِنْهُ مُحْسُودُ
 لَا بُدَّ لِلْسَّهْمِ مِنَ الرِّيشِ
 فَكَيْفَ يَخْشَى كِلَابَ الْحَيِّ إِنْ نَبَحَتْ
 وَلَا يَنَالُ الْعُلَى مَنْ طَبَعَهُ الْغَضَبُ
 وَلَا يَعْيشُ بِالْأَقْلَابِ وَلَا أَدَبُ
 تَبْنِي وَتَفْعَلُ مِثْلَمَا فَعَلُوا
 كَمَا يَكْسِفُ الشَّمْسُ جِزْمُ الْقَمَرِ
 حَلَاوُنُهُ تَفْنَى وَيَبْقَى مَرِيدُهَا

وَلَوْ لَيْسَ الْحِمَارُ ثِيَابَ خَزَى
وَإِذَا أَفْتَرْتِ إِلَى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدِي
وَمَا نِي أَرَى فِي عَيْنِكَ الْجَذْعَ مُعْرِضًا
وَمَا أَفْجَحَ التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الصَّبَا
وَتَشْتَتِ الْأَعْدَاءُ فِي آرَائِهِمْ
وَكُلُّ جَدِيدٍ قَدْ يُوَوِّلُ إِلَى بَلَى
وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَارًا
وَمَاذَا أُرْجِي مِنْ حَيَاةٍ تَكْدَرَتْ
وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الشُّكْرِ جَنَّةَ غَارِسٍ
وَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ
وَنَارٌ إِنْ نَفَخَتْ بِهَا أَضَاءَتْ
وَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُزْنَ لِلْحُزْنِ مَا حَيَا
وَيُمْكِنُ وَصْلُ الْحَبْلِ بَعْدَ انْقِطَاعِهِ
وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ
وَإِذَا كَانَ مُنْتَهَى الْعُمُرِ مَوْتًا
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نُصْرَةَ عَبْدِهِ
وَمَنْ يَتَشَبَّثْ فِي الْعَدَاوَةِ كَفَّهُ
يَهْوَى الشَّاءَ مُبَرِّدٌ وَمُقَصِّرٌ
يَقُولُونَ لِي أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا
لَقَالَ النَّاسُ يَا لَكَ مِنْ حِمَارٍ
ذُخْرًا يَكُونُ كَهَالِحِ الْأَعْمَالِ
وَتَعَجَّبُ إِنْ أَبْصَرْتَ فِي عَيْنِي الْقَذَى
فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ لِلرَّأْسِ شَامِلٌ
سَبَبٌ لَجَمْعِ خَوَاطِرِ الْأَحْبَابِ
وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى كَانَا
تَبَعْتُ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ
وَلَوْ قَدْ صَفَتْ كَانَتْ كَأَحْلَامِ نَائِمٍ
وَلَا مِثْلَ حُسْنِ الصَّبْرِ جَبَّةَ لَا يَسِرُ
وَلَيْسَ يَكْشِفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رَمَادٍ
كَمَا خُطِّي فِي الْقِرطَاسِ سَطْرٌ عَلَى سَطْرِ
وَلَكِنَّهُ يَبْقَى بِهِ عُقْدَةُ الرِّبَاطِ
كَمَا أَنَّ عَيْنَ السَّخَطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا
فَسَوَاءٌ طَوِيلُهُ وَالْقَصِيرُ
كَانَتْ لَهُ أَعْدَاؤُهُ أَنْصَارًا
بِأَكْبَرِ مِنْهُ فَهَوَّ لَا شَكَّ هَالِكُ
حُبُّ الشَّاءِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ
وَلَوْ ظَهَرُوا بِي سَاعَةً قَتَلُونِي

أَلْبَابُ السَّادِسُ فِي أَمْثَالٍ عَنِ أَلْسِنَةِ الْحَيَوَانَاتِ

البازي والديك .

٧٩ بازٍ وَدَيْكٌ تَنَظَّرَا . فَقَالَ الْبَازِيُّ لِلدَّيْكِ : مَا أَعْرِفُ أَقْلَ
وَقَاءٍ مِنْكَ لِأَصْحَابِكَ . قَالَ : وَكَيْفَ . قَالَ : تُوَخِّذُ بَيْضَةً وَتَحْضُنُكَ
أَهْلُكَ وَتَخْرُجُ عَلَى أَيْدِيهِمْ فَيُطْعَمُونَكَ بِأَيْدِيهِمْ . حَتَّى إِذَا كَبُرَتْ
صِرْتَ لَا يَدُؤُوكَ أَحَدٌ إِلَّا طَرِدْتَ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَا وَصَحْتَ .
وَعَلَوْتَ عَلَى حَانِطِ دَارٍ كُنْتَ فِيهَا سِنِينَ طَرْتَ مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا . وَأَمَّا
أَنَا فَأَوْخِذُ مِنَ الْجِبَالِ وَقَدْ كَبُرَ سِنِي فَتُخَاطِبُنِي . وَأَطْعَمُ الشَّيْءَ
الْيَسِيرَ وَأَسَاهِرُ فَأَمْنَعُ مِنَ النَّوْمِ وَأَنْسَى الْيَوْمَ وَالْيَوْمِينَ . ثُمَّ أَطْلُقُ
عَلَى الصَّيْدِ وَخَدِي فَأَطِيرُ إِلَيْهِ وَأَخْذُهُ وَأَجِي بِهِ إِلَى صَاحِبِي . فَقَالَ
لَهُ الدَّيْكُ : ذَهَبَتْ عَنْكَ الْحُجَّةُ أَمَا لَوْرَأَيْتَ بَازِيَيْنِ فِي سَفْوَدِ النَّارِ
مَا عُدَّتْ لَهُمْ . وَأَنَا فِي كُلِّ وَقْتٍ أَرَى السَّفَافِيدَ مَمْلُوءَةً دُيُوكًا . فَلَا تُكُنْ
حَلِيمًا عِنْدَ غَضَبِ غَيْرِكَ (لباء الدين)

برغوث وبعوضة

٨٠ حُكِيَ أَنَّهُ اجْتَمَعَ بَرْغُوثٌ وَبَعُوضَةٌ . فَقَالَتِ الْبَعُوضَةُ لِلْبَرْغُوثِ :
إِنِّي لَا تَعْجُبُ مِنْ حَالِي وَحَالِكَ . أَنَا أَفْصَحُ مِنْكَ لِسَانًا . وَأَوْضَحُ بَيَانًا .
وَأَزْجَحُ مِيزَانًا . وَأَكْبَرُ شَأْنًا . وَأَكْثَرُ طَيْرَانًا . وَمَعَ هَذَا فَقَدْ أَضْرَبَنِي

الْجُوعُ . وَحَرَمَنِي الْمَجُوعَ . وَلَا أزالُ عَلَيْهِ مَجْهُودَةً . مُبَعَدَةً عَنِ الطَّرِيقِ
مَطْرُودَةً . وَأَنْتَ تَأْكُلُ وَتَشْبَعُ . وَفِي نَوَاعِمِ الْأَبْدَانِ تَرْتَعُ . فَقَالَ لَهَا
الْبَرْغوثُ : أَنْتِ بَيْنَ الْعَالَمِ مُطْنَطَةٌ . وَعَلَى رُؤْسِهِمْ مُدْنِدَةٌ . وَأَنَا
قَدْ تَوَصَّلْتُ إِلَى قُوْتِي . بِسَبَبِ سَكُونِي

اللبوة والغزال والقرود

٨١ حُكِيَ أَنَّ لَبْوَةً كَانَتْ سَاكِتَةً بِقَابَةِ . وَبِحَوَارِهَا غَزَالَ وَقِرْدٌ قَدْ
أَلْقَتْ حَوَارَهَا وَاسْتَحْسَنْتْ عِشْرَتَهَا . وَكَانَ لِنَاكِ اللَّبْوَةِ شَيْلٌ صَغِيرٌ
قَدْ شَغِفَتْ بِهِ حُبًّا وَقَرَّتْ بِهِ عَيْنًا . وَطَابَتْ بِهِ قَلْبًا . وَكَانَ لِحَارِهَا
الْغَزَالِ أَوْلَادٌ صِغَارٌ . وَكَانَتْ اللَّبْوَةُ تَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ تَبْتِغِي قُوْتًا
لِشَيْلِهَا مِنَ النَّبَاتِ وَصِغَارِ الْحَيَوَانِ . وَكَانَتْ تَمُرُّ فِي طَرِيقِهَا عَلَى أَوْلَادِ
الْغَزَالِ . وَهُنَّ يَلْعَبْنَ بِبَابِ حَجْرٍ هُنَّ . فَحَدَّثَتْ نَفْسَهَا يَوْمًا بِاِقْتِصَاصِ
وَاحِدٍ فَجَعَلَهُ قُوْتَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَتَسْتَرِجِحُ فِيهِ مِنَ الذَّهَابِ : ثُمَّ أَقْلَعَتْ
عَنْ هَذَا الْعَزْمِ لِحَرَمَةِ الْحَوَارِ ثُمَّ عَاوَدَهَا الشَّرُّ نَائِيًا مَعَ مَا تَجِدُ مِنَ
الْقُوَّةِ وَالْعَظَمِ . وَأَكْثَدَ ذَلِكَ ضِعْفُ الْغَزَالِ وَاسْتِلاَمُهُ لِأَمْرِ اللَّبْوَةِ .
فَأَخَذَتْ ظِلْيًا مِنْهُمْ وَمَضَتْ فَلَمَّا عَلِمَ الْغَزَالُ دَاخِلَهُ الْحُزْنَ وَالْقَلْقُ
وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِظْهَارِ ذَلِكَ وَشَكَا لِحَارِهِ الْقِرْدَ . فَقَالَ لَهُ : هَوْنٌ
عَلَيْكَ فَلَمَّا تَقْلَعُ عَنْ هَذَا وَنَحْنُ لَا نَسْتَطِيعُ مُكَاشَفَتَهَا وَلَعَلِّي أَنْ
أَذْكُرَهَا عَاقِبَةَ الْمَدْوَانِ وَحَرَمَةِ الْخَيْرَانِ . فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ أَخَذَتْ ظِلْيًا
ثَانِيًا فَلَمَّيْهَا الْقِرْدُ فِي طَرِيقِهَا فَسَلَّمَ عَلَيْهَا وَحَيَّاهَا وَقَالَ لَهَا : إِنِّي لَا آمَنُ

عَلَيْكَ عَاقِبَةُ النَّبِيِّ وَإِسَاءَةُ الْجَوَارِ . فَقَالَتْ لَهُ : وَهَلْ أَفْتِصَايِي لِأَوْلَادِ
الْفَزَالِ . إِلَّا كَأَفْتِصَايِي مِنْ أَطْرَافِ الْجِبَالِ . وَمَا أَنَا تَارِكَةٌ قُوَّتِي وَقَدْ
سَافَهُ الْقَدَرُ إِلَى بَابِ بَيْتِي . فَقَالَ لَهَا الْقَرْدُ : هَكَذَا اغْتَرَّ الْفِيلُ بِعَظِيمِ
جُثَّتِهِ . وَوُفُورِ قُوَّتِهِ فَجَحَّتْ عَنْ حَقِّهِ بِظُلْفِهِ . وَأَوْبَقَهُ النَّبِيُّ رَغْمَ أَنْفِهِ .
فَقَالَتِ اللَّبُوءَةُ : كَيْفَ كَانَ ذَلِكَ . قَالَ الْقَرْدُ : ذَكِّرُوا أَنَّ قَدْحَةَ
كَانَ لَهَا عَشْرُ فَبَاصَتٍ وَفَرَّخَتْ فِيهِ وَكَانَ فِي نَوَاحِي تِلْكَ الْأَرْضِ فِيلٌ
وَكَانَ لَهُ مَشْرَبٌ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ . وَكَانَ يَمُرُّ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ عَلَى عُشْرِ الْقُدْبَةِ .
فَقَبِي ذَاتَ يَوْمٍ أَرَادَ مَشْرَبُهُ فَعَمَدَ إِلَى ذَلِكَ الْعُشْرِ وَوَطِئَهُ وَهَشَمَ
ذِكْنَهُ . وَأَتْلَفَ يَيْضَهَا وَأَهْلَكَ فِرَاحَهَا . فَلَمَّا نَظَرَتْ الْقُدْبَةُ إِلَى مَا حَلَّ
بِعُشْبِهَا سَاءَ مَا ذَلِكَ وَعِلِمَتْ أَنَّهُ مِنَ الْفِيلِ . فَطَارَتْ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى
رَأْسِهِ بَاكِئَةً وَقَالَتْ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ مَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى أَنْ وَطِئْتَ عُشِّي
وَهَشَمْتَ يَيْضِي وَقَتَلْتَ أَفْرَاحِي وَإِنْسَا فِي جَوَارِكَ . أَفَعَلْتَ ذَلِكَ
أَسْتَضْمَقًا بِحَالِي وَقَلَّةَ مُبَالَاةٍ بِأَمْرِي . قَالَ الْفِيلُ : هُوَ كَذَلِكَ
فَأَنْصَرَفَتِ الْقُدْبَةُ إِلَى جَمَاعَةِ الطُّيُورِ فَشَكَتْ إِلَيْهِمْ مَا نَالَهَا مِنَ الْفِيلِ
فَقَالَتْ لَهَا الطُّيُورُ . وَمَا عَسَانَا أَنْ نَبْلُغَ مِنَ الْفِيلِ وَنَحْنُ طُيُورٌ . فَقَالَتْ
لِلْعَقَاقِ وَالْفَرَبَانِ : إِنِّي أُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَسِيرُوا مَعِيَ إِلَيْهِ فَتَقْفُوهُ
عَيْنِهِ . فَأَنَا بَعْدَ ذَلِكَ أَحْتَالُ عَلَيْهِ بِحِيلَةٍ أُخْرَى . فَأَجَابُوهَا إِلَى ذَلِكَ
وَمَضَوْا إِلَى الْفِيلِ . وَلَمْ يَذَلُّوا بِهِ يَتَجَادَّبُونَهُ بَيْنَهُمْ وَيَتَرُونُ عَيْنَهُ إِلَى
أَنْ قَفَّوْهُمَا وَبَقِيَ لَا يَهْتَدِي إِلَى طَرِيقِ مَطْعَمِهِ وَلَا مَشْرَبِهِ . فَلَمَّا عَلِمَتْ

ذَلِكْ جَاءَتْ إِلَى نَهْرٍ فِيهِ صَفَادِعُ فَشَكَتْ مَا نَالَهَا مِنَ الْفِيلِ . فَقَالَتْ
 الصَّفَادِعُ : مَا جِئْتُمَا مَعَ الْفِيلِ وَلَسْنَا كُفُوَهُ وَأَيْنَ نَبْلُغُ مِنْهُ . قَالَتْ
 الضَّبْرَةُ : أَحِبُّ مِنْكُنَّ أَنْ تَذْهَبْنَ مَعِيَ إِلَى وَهْدَةٍ بِالْقُرْبِ مِنْهُ فَتَقَعْنَ
 تَصْخِرْنَ بِهَا . فَإِذَا سَمِعَ أَصْوَاتَكُنَّ لَمْ يَشْكُ أَنَّ بَهَا مَاءً فَيَكِبُ نَفْسُهُ فِيهَا .
 فَأَجَابَهَا الصَّفَادِعُ إِلَى ذَلِكَ فَلَمَّا سَمِعَ الْفِيلُ أَصْوَاتَهُنَّ فِي قَعْرِ الْحَفْرَةِ
 تَوَهَّمَ أَنَّ بَهَا مَاءً . وَكَانَ عَلَى جُهْدٍ مِنَ الْعَطَشِ فَجَاءَ مُكِبًّا عَلَى طَلَبِ الْمَاءِ
 فَسَقَطَ فِي الْوَهْدَةِ وَلَمْ يَجِدْ مَخْرَجًا مِنْهَا . فَجَاءَتِ الضَّبْرَةُ تُزْفِرُ عَلَى
 رَأْسِهِ وَقَالَتْ لَهُ : أَيُّهَا الْمَغْتَرِبُ بَقُوْتِهِ الصَّائِلُ عَلَى ضِعْفِي كَيْفَ رَأَيْتَ عَظِيمَ
 جِلْتِي مَعَ صِغَرِ جِثِّي . وَبِلَادَةِ فَهْمِكَ مَعَ كِبَرِ جِسْمِكَ . وَكَيْفَ رَأَيْتَ
 عَاقِبَةَ الْبَنِيِّ وَالْمُدْوَانِ . وَمُسَالِمَةَ الزَّمَانِ . فَلَمْ يَجِدِ الْفِيلُ مَسْلَكًا لِحَوَائِجِهَا .
 وَلَا طَرِيْقًا لِحَطَائِهَا . فَلَمَّا أَنْتَهَى الْقِرْدُ فِي غَايَةِ مَا ضَرَبَهُ لِلْبُؤْسَةِ مِنَ
 الْمَثَلِ أَوْسَعَتْهُ أَتْيَارًا وَأَعْرَضَتْ عَنْهُ اسْتِكْبَارًا . ثُمَّ إِنَّ الْفَزَالَ انْتَقَلَتْ
 بِمَا بَقِيَ مِنْ أَوْلَادِهَا تَبْتَغِي لَهَا حُجْرًا آخَرَ . وَإِنَّ اللَّبُوَّةَ خَرَجَتْ ذَاتَ
 يَوْمٍ تَطْلُبُ صَيْدًا وَتَرَكَتْ شِبْلَهَا . فَمَرَّ بِهِ فَارِسٌ فَلَمَّا رَأَاهُ حَمَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ
 وَسَلَخَ جِلْدَهُ وَأَخَذَهُ وَتَرَكَ لَحْمَهُ وَذَهَبَ فَلَمَّا رَجَعَتِ اللَّبُوَّةُ وَرَأَتْ شِبْلَهَا
 مَقْتُولًا مَسْلُوحًا رَأَتْ أَمْرًا فَظِيمًا . فَأَمْتَلَاتْ غَيْظًا وَنَاحَتْ نَوْحًا عَالِيًا
 وَدَاحَلَهَا هَمٌّ شَدِيدٌ . فَلَمَّا سَمِعَ الْقِرْدُ صَوْتَهَا أَقْبَلَ عَلَيْهَا مُسْرِعًا فَقَالَ لَهَا :
 وَمَا دَهَاكِ . فَقَالَتِ اللَّبُوَّةُ : مَرَّ صَيَّادٌ بِشِبْلِي فَقَعَلَ بِهِ مَا تَرَى . فَقَالَ
 لَهَا : لَا تَحْزَنِي وَلَا تَحْزَنِي وَأَنْصِفِي مِنْ نَفْسِكَ وَأَصْبِرِي عَنْ غَيْرِكِ

كَمَا صَبَرَ غَيْرُكَ عَنْكَ . فَكَمَا يَدِينُ الْفَتَى يُدَانُ . وَجَزَاءُ الدَّهْرِ بِمِيزَانٍ .
وَمَنْ بَذَرَ حَبًّا فِي أَرْضٍ فَيَقْدِرَ بَذَرُهُ يَكُونُ الثَّمَرُ . وَالْجَاهِلُ لَا يُبْصِرُ
مِنْ أَيْنَ تَأْتِيهِ سِهَامُ الدَّهْرِ . وَإِنْ حَقَّ عَلَيْكَ أَنْ لَا تَجْزِيَ مِنْ هَذَا
الْأَمْرِ . وَأَنْ تَتَدَرَّعِيَ لَهُ بِالرَّضَا وَالصَّبْرِ . فَقَالَتِ اللَّبْوَةُ : كَيْفَ لَا
أَجْزِعُ وَهَوَاقِفُ الْعَمَلِ وَوَاحِدُ الْقَلْبِ وَزَهَّةُ الْفِكْرِ . وَأَيُّ حَيَاةٍ تَطِيبُ
لِي بَعْدَهُ . فَقَالَ لَهَا الْفَرْدُ : آيَتُهَا اللَّبْوَةُ مَا الَّذِي كَانَ يُغْدِيكَ
وَيُعَشِيكَ . قَالَتْ : لَحْمُ الْوُحُوشِ . قَالَ الْفَرْدُ : أَمَا كَانَ لِنَاكَ
الْوُحُوشُ الَّتِي كُنْتَ تَأْكُلُهَا آبَاءُ وَأُمَّهَاتُ . قَالَتْ بَلَى . قَالَ الْفَرْدُ :
فَمَا بَالُنَا لَا نَسْمَعُ لِنَاكَ الْآبَاءُ وَلَا الْأُمَّهَاتُ صِيَاحًا وَصُرَاخًا كَمَا سَمِعَ
مِنْكَ وَأَمَّا أَنْزَلَ بِكَ هَذَا الْأَمْرَ جَهْلُكَ بِالْعَوَاقِبِ وَعَدَمُ تَفَكُّرِكَ فِيهَا .
وَقَدْ تَصَحَّحْتُكَ حِينَ حَرَبْتَ حَقَّ الْجَوَارِ . وَأَلْحَقْتَ بِنَفْسِكَ الْعَارَ .
وَجَاوَزْتَ بِقُوَّتِكَ حَدَّ الْإِنْصَافِ . وَسَطَوْتَ عَلَى الطَّبَّاءِ الضَّعَافِ .
فَكَيْفَ وَجَدْتَ طَعْمَ مُحَالِفَةِ الصَّدِيقِ النَّاصِحِ . قَالَتِ اللَّبْوَةُ : وَجَدْتُهُ
مُرًّا الْمَذَاقِ وَلَمَّا عَلِمَتِ اللَّبْوَةُ أَنَّ ذَلِكَ بِمَا كَسَبَتْ يَدُهَا مِنْ ظُلْمِ
الْوُحُوشِ رَجَعَتْ عَنْ صَيْدِهَا وَرَمَتْ نَفْسَهَا بِاللُّومِ . وَصَارَتْ تَقْنَعُ
بِأَكْلِ النَّبَاتِ وَحَشِيشِ الْفُلُوتِ (بستان الاذهان للشبراوي)

ساعة

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ يَمْنَعُهُ التَّفَكُّرُ فِي مُسْتَقْبَلِ الْأَمْرِ عَنِ الْإِنْتِفَاعِ بِالْحَاضِرِ
٨٢ حُكْمِي أَنَّ سَاعَةً قَدِيمَةً كَانَتْ مَرْكُوزَةً فِي مَطْبَعِ أَحَدِ الدَّهَاقَةِ

مُدَّةَ خَمْسِينَ سَنَةً مِنْ دُونِ أَنْ يَبْدُو مِنْهَا أَدْنَى سَبَبٍ يُكَدِّرُهُ . غَيْرَ
أَنَّهَا فِي صَبِيحَةِ ذَاتِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الصَّيْفِ . وَقَفَتْ عَنِ الْحَرَكَةِ قَبْلَ
أَنْ يَسْتَنْقِظَ أَصْحَابُ الْحُلِّ . فَتَغَيَّرَ مَنْظَرُ وَجْهَيْهَا بِسَبَبِ ذَلِكَ وَدُهِشَ .
وَبَدَّلَتْ الْقَارِبُ جُهْدَهَا وَوَدَّتْ لَوْ تَبَقَّى عَلَى حَالَةِ سَيْرِهَا الْأَوَّلَى .
وَعَدَّتِ الدَّوَالِبُ عِدْمَةَ الْحَرَكَةِ لِمَا سَمِعَتْهُمَا مِنَ التَّعَجُّبِ . وَأَصْبَحَ الثَّقَلُ
وَأَقْفًا لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ . وَرَأَتْ كُلُّ آلَةٍ أَنْ تُحِلَّ الذَّنْبَ عَلَى أَخْتِهَا
وَطَفِقَ الْوَجْهُ يَبْحَثُ عَنْ هَذَا الْوُقُوفِ . وَبَيْنَمَا كَانَتِ الدَّوَالِبُ
وَالْقَارِبُ تُبْرِئُ نَفْسَهَا بِالْيَمِينِ إِذَا بِصَوْتٍ خَفِيِّ سَمِعَ مِنَ الدَّقَاقِ
بِاسْتَفْهَالِ السَّاعَةِ يَقُولُ هَكَذَا : إِنِّي أَقْرَعُ عَلَى نَفْسِي بِأَنِّي أَنَا كُنْتُ
عِلَّةَ هَذَا الْوُقُوفِ . وَسَاءَ بَيْنَ لَكُمْ سَبَبُ ذَلِكَ لَيْسَ كَوْنُكُمْ وَإِفْتَاعُكُمْ
أَجْمَعِينَ . وَالْحَقُّ أَقُولُ إِنِّي مِلْتُ مِنَ الدَّقِ . فَلَمَّا سَمِعَتْ السَّاعَةُ
مَقَالَتَهُ كَادَتْ تَتَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ . وَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ :
تَبَّأَ لَكَ مِنْ سَيْلِكَ ذِي كَسَلٍ . فَأَجَابَهُ الدَّقَاقُ : لَا بَأْسَ بِذَلِكَ يَا سَيِّدِي
الْوَجْهَ : لَا جَرَمَ أَنَّكَ تُرْضِيكَ هَذِهِ الْحَالُ . إِذْ قَدْ رَفَقْتَ عَلَى نَفْسِكَ
كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ لَدَى الْجَمِيعِ . وَأَنَّهُ يَسْهَلُ عَلَيْكَ أَنْ تَدْعُو غَيْرَكَ كَسَالًا
وَتَنْسِبُهُ إِلَى التَّوَانِي . فَإِنَّكَ قَدْ قَضَيْتَ عُمْرَكَ كُلَّهُ بِغَيْرِ شُغْلٍ وَلَمْ
يَكُنْ لَكَ فِيهِ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا التَّحْدِيقُ فِي وَجْهِ النَّاسِ وَالْإِنْشِرَاحُ
بِرُؤْيَا مَا يَخْدُثُ فِي الطَّنَجِ . أَرَأَيْتَ لَوْ كُنْتَ مِنْبِي فِي مَوْضِعِ صَنْعِكَ
مُظْلِمٌ كَهَذَا . وَتَحْيِزُ حَيَاتِكَ كُلَّهَا بَيْنَ عَجِيٍّ وَذَهَابٍ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ

وَعَامًا بَعْدَ عَامٍ . فَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ : أَوَلَيْسَ فِي مَوْضِعِكَ طَاقَةٌ تَنْظُرُ
مِنْهَا . فَقَالَ الدَّقَاقُ : بَلَى . وَلَكِنَّهَا مُظْلَمَةٌ . عَلَى أَنَّه وَإِنْ تَكُنْ لِي
طَاقَةٌ فَلَا أَتَجَسَّرُ عَلَى التَّطَلُّعِ مِنْهَا . حَيْثُ لَا يُمَكِّنُ لِي الْوُقُوفُ وَلَوْ
طَرَفَةً عَيْنٍ . وَالْحَاصِلُ أَنِّي مَلَكْتُ هَذَا الْحَالَ . وَإِنْ أَسْتَرَدَّيْتِي شَرْحًا .
فَأَنِّي أَخْبِرُكَ بِمَا سَبَّبَ لِي الصَّبْرَ مِنْ شُغْلِي . وَذَلِكَ أَنِّي حَسَبْتُ فِي
صَبَاحِ هَذَا الْيَوْمِ كَمِيَّةَ الْمِرَارِ الَّتِي أَغْدُو وَأَرْوَحُ فِيهَا مُدَّةَ أَرْبَعِ
وَعِشْرِينَ سَاعَةً . فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَيَّ . وَقَدْ يُمَكِّنُ تَحْقِيقُ ذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ
أَحَدِ الْجُلُوسِ الَّذِينَ فَوْقُ . فَبَادَرَ عَقْرَبُ الدَّقَاقِ إِلَى الْعَدَدِ وَقَالَ
بِدِيهَا : إِنَّ عِدَّةَ الْمِرَارِ الَّتِي يَتَّبِعِي الْكَ فِيهَا الْحُجْبِي وَالذَّهَابُ فِي هَذِهِ
الْمُدَّةِ الْوَجِيزَةِ . إِنَّمَا تَبْلُغُ سِتًّا وَثَمَانِينَ أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِئَةِ مَرَّةٍ . فَقَالَ
الدَّقَاقُ : هُوَ هَكَذَا . فَهَلْ (وَالْحَالَةُ هَذِهِ وَقَصَّيْتُ قَدْ رَفَعْتُ لَكُمْ) يُحَالُ
أَنْ مُجَرَّدَ التَّفَكُّرِ فِي هَذَا الْعَمَلِ لَا يُوجِبُ عَنْهُ وَتَعَبًا لَنْ يُبَانِيَهُ . عَلَى
أَنِّي حِينَ شَرَعْتُ فِي ضَرْبِ دَقَاقِ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي مُسْتَقْبَلِ الشُّهُورِ
وَالْأَعْوَامِ زَالَتْ مِنِّي قُوَّتِي وَوَهْنٌ عَظِيمٌ وَعَزْمِي . وَمَا ذَلِكَ بِغَرِيبٍ .
وَبَعْدَ تَحِيلَاتٍ شَتَّى عَمَدْتُ إِلَى الْوُقُوفِ كَمَا تَرَوْنِي . فَكَادَ الْوَجْهُ
فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْمَكَالَةِ أَنْ لَا يَتِمَّ أَلَكَ عَنْهُ . وَلَكِنَّهُ كَظَمَ غَيْظَهُ وَخَاطَبَهُ
بِحِلْمٍ . وَقَالَ : يَا سَيِّدِي الدَّقَاقُ الْغَرِيزَاتِي لَهِي تَعْجِبٌ عَظِيمٌ مِنْ
أَنْفِلَابِ شَخْصٍ فَاضِلٍ تَظْيِيرِكَ لِشَلِّ هَذِهِ الْأَسَاوِسِ بِنَتَةٍ . نَعَمْ
إِنَّكَ وُلِيتَ فِي عَمْرِكَ أَعْمَالًا جَسِيَّةً كَمَا عَمِلْنَا نَحْنُ كُلُّنَا أَيْضًا . وَإِنَّ

التَّفَكُّرُ فِي هَذِهِ الْأَشْغَالِ وَحْدَهُ يُوجِبُ الْمَنَاءَ غَيْرَ أَنِّي أَظُنُّ مُبَاشَرَتَهَا
 لَيْسَتْ كَذَلِكَ . فَأَلْتَمَسُ مِنْكَ أَنْ تُسَدِّيَ إِلَيَّ مَعْرُوفَكَ بِأَنْ تَدُقَّ
 الْآنَ سِتَّ دَقَّاتٍ لِتَضَعِ مِصْدَاقَ مَا قُلْتَ . فَرَضِي الدَّقَّاقُ بِهَذَا وَدَقَّ
 سِتَّ دَقَّاتٍ جَرَأًا عَلَى عَادَتِهِ . فَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ حَيْثُ نَاشِدُكَ اللَّهُ :
 هَلْ أَبْدَى لَكَ مَا بَاشَرْتَهُ الْآنَ نَصَبًا وَتَعَبًا . فَقَالَ الدَّقَّاقُ : كَلَّا فَإِنَّ
 مَالِي وَتَصْغِيرِي لَمْ يَنْشَأَنَّ عَنْ سِتِّ دَقَّاتٍ . وَلَا عَنْ سِتِّينَ دَقَّةً . بَلْ عَنْ
 الْأُوفِ وَالْأُوفِ الْأُوفِ . فَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ : صَدَقْتَ . وَلَكِنَّهُ يُدْبِغِي لَكَ أَنْ
 تَعْلَمَ هَذَا الْأَمْرَ الضَّرُورِيَّ . وَهُوَ أَنَّكَ حِينَ تُتَكَّرُ فِي هَذِهِ الْأُوفِ
 بِالْخَطَةِ وَاحِدَةٍ . فَإِنَّ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكَ مِنْهَا إِنَّمَا هُوَ مُبَاشَرَةٌ دَقَّةً
 وَاحِدَةً لِأَخِيرِ . ثُمَّ مَهْمَا لَزِمَكَ بَعْدَهُ مِنَ الدَّقِّ يَفْسَحَ اللَّهُ لَكَ فِي أَجَلٍ
 لِإِتِمَامِهِ فَقَالَ الدَّقَّاقُ : أَشْهَدُ أَنَّ كَلَامَكَ هَذَا حَالِكٌ فِيَّ وَأَمَّا لِي .
 فَقَالَ الْوَجْهُ : عَسَى بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ نَعُودَ بِأَجْمَعِنَا إِلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنْ
 الْعَمَلِ . لِأَنَّا إِذَا بَقِينَا كَذَلِكَ يَظَلُّ أَهْلُ الْمَنْزِلِ مُسْتَعْرِقِينَ فِي النَّوْمِ
 إِلَى الظُّهْرِ . ثُمَّ إِنَّ الْأَنْقَالَ الَّتِي لَمْ تَكُنْ وَصِفَتْ قَطُّ بِالْخِفَةِ مَا بَرِحَتْ
 تُغْرِي الدَّقَّاقَ عَلَى الشُّغْلِ حَتَّى أَخَذَ فِي مُبَاشَرَةِ خِدْمَتِهِ كَمَا كَانَ .
 وَحِينَئِذٍ شَرَعَتْ الدَّوَالِبُ فِي الدَّوَرَانِ . وَطَفَقَتْ الْعُقَارِبُ تَسِيرُ . حَتَّى
 إِذَا ظَهَرَ شُعَاعُ الشَّمْسِ فِي الْمَطْنِجِ الْمَغْلُوقِ مِنْ كَوَّةٍ فِيهِ أَمْتَلَا الْوَجْهَ
 ضِيَاءً وَانْجَلَى تَعْيُسُهُ . كَانَ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ . فَأَمَّا صَاحِبُ الْمَنْزِلِ
 فَلَمَّا رَزَلَ إِلَى الْمَطْنِجِ لِيَقْطِرَ فِيهِ . نَظَرَ إِلَى السَّاعَةِ الْمَرْكُوزَةِ فَقَالَ : إِنَّ

السَّاعَةِ الَّتِي يَجِيئُ تَأَخَّرَتْ فِي السَّيْرِ لِيَلَّا يَنْجُو ثَلَاثِينَ دَقِيقَةً
قَرْدٌ وَغِيلَمٌ

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ يَطْلُبُ الْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا أَضَاعَهَا
٨٣ زَعَمُوا أَنَّ قَرْدًا يُقَالُ لَهُ مَا هَرُّ كَانَ مَلِكًا الْقِرْدَةَ وَكَانَ قَدَهُ كَبِيرَ
وَهَرَمَ . فَوُثِبَ عَلَيْهِ قَرْدٌ شَابٌّ مِنْ بَيْتِ الْمَلِكَةِ فَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ وَأَخَذَ
مَكَانَهُ . فَخَرَجَ هَارِبًا عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أَتَتْهُ إِلَى السَّاحِلِ . فَوَجَدَ شَجَرَةً
بَيْنَ قَارَتَيْنِ إِلَيْهَا وَأَتَّخَذَهَا مَقَامًا . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ يَأْكُلُ مِنْ
ثَمَرِهَا . إِذْ سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ تِينَةٌ فِي الْمَاءِ فَسَمِعَ لَهَا صَوْتًا وَإِيمَاعًا . فَجَعَلَ
يَأْكُلُ وَيَرْيِي فِي الْمَاءِ فَأَطْرَبَهُ ذَلِكَ فَاتَّكَرَ مِنْ تَطَرُّجِ التِّينِ فِيهِ . وَكَانَ
ثُمَّ غِيلَمٌ كُلَّمَا وَقَعَتْ تِينَةٌ أَكَّاهَا . فَلَمَّا كَثُرَ ذَلِكَ ظَنَّ أَنَّ الْقِرْدَ إِنَّمَا
يَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَجْلِهِ فَرَغَبَ فِي مُصَادَقَتِهِ وَأَنَسَ إِلَيْهِ وَكَلَّمَهُ . وَأَلْفَ
كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ . وَطَالَتْ غَيْبَةُ الْغِيلَمِ عَلَى زَوْجَتِهِ . فَحَبَزَتْ
عَلَيْهِ وَشَكَّتْ ذَلِكَ إِلَى جَارَةٍ لَهَا وَقَالَتْ : قَدْ خِفْتُ أَنْ يَكُونَ عَرَضَ
لَهُ عَارِضٌ سَوَاءٌ فَأَعْتَالَهُ . فَقَالَتْ لَهَا : إِنْ زَوَّجَكَ بِالسَّاحِلِ قَدْ أَلْفَ
قَرْدًا وَأَلْفَهُ الْقِرْدُ . فَهُوَ مُؤَاكَلُهُ وَمُشَارِبُهُ وَمُجَالِسُهُ . ثُمَّ إِنَّ الْغِيلَمَ انْطَلَقَ
بَعْدَ مُدَّةٍ إِلَى مَنْزِلِهِ . فَوَجَدَ زَوْجَتَهُ سَيِّئَةَ الْحَالِ مَهْمُومَةً . فَقَالَ لَهَا :
مَا لِي أَرَاكِ هَكَذَا فَأَجَابَتْهُ جَارَتُهَا : إِنَّ قَرِينَتَكَ مَرِيضَةٌ مُسْكِنَةٌ . وَقَدْ
وَصَفَتْ لَهَا الْأَطِبَاءُ قَلْبَ قَرْدٍ وَلَيْسَ لَهَا دَوَاءٌ سِوَاهُ . فَقَالَ : هَذَا أَمْرٌ
عَسِيرٌ مِنْ أَيْنَ لَنَا قَلْبُ قَرْدٍ وَنَحْنُ فِي الْمَاءِ وَلَكِنْ سَأَشَاوِرُ صَدِيقِي . ثُمَّ

أَنْطَلِقَ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَقَالَ لَهُ الْقِرْدُ : يَا أَخِي مَا حَبَسَكَ عَنِّي . قَالَ
 لَهُ الْغِيلَمُ : مَا تُبْطِنِي عَنْكَ إِلَّا حَيَاتِي . كَيْفَ أَجَارِيكَ عَلَى إِحْسَانِكَ
 إِلَيَّ وَإِنَّمَا أُرِيدُ الْآنَ أَنْ تُتِمَّ هَذَا الْإِحْسَانُ بِزِيَارَتِكَ لِي فِي مَنْزِلِي .
 فَأَتَانِي سَاكِنٌ فِي جَزِيرَةٍ طَيِّبَةِ الْهَوَاكِيمَةِ كَثِيرَةِ الْأَنْجَارِ . فَأَرْكَبُ ظَهْرِي
 لِأَسْبَحَ بِكَ . فَرَعِبَ الْقِرْدُ فِي ذَلِكَ وَتَرَلْ فَأَمْتَطَى مَطَا الْغِيلَمِ . حَتَّى
 إِذَا سَبَحَ بِهِ مَا سَبَحَ عَرَضَ لَهُ فُجْجٌ مَا أَصْمَرَ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْقَدْرِ فَتَكَسَّ
 رَأْسُهُ . فَقَالَ لَهُ الْقِرْدُ : مَا لِي أَرَاكَ مُتَمًّا . فَقَالَ الْغِيلَمُ : إِنَّمَا هُمَيَّ
 لِأَنِّي ذَكَرْتُ أَنْ قَرَيْتَنِي شَدِيدَةَ الْمَرَضِ . وَذَلِكَ يَنْمَعُنِي عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا
 أُرِيدُ أَنْ أَبْلُغَكَ مِنْ أَلَمِ كَرَامٍ وَالْإِلْطَافِ . قَالَ الْقِرْدُ : إِنْ الَّذِي
 أَعْتَقِدُ مِنْ جِرْصِكَ عَلَى كَرَامَتِي يَكْفِيكَ مَوْنَةُ التَّكْلِيفِ . قَالَ الْغِيلَمُ :
 أَجَلٌ . وَمَضَى بِالْقِرْدِ سَاعَةً ثُمَّ تَوَقَّفَ بِهِ ثَانِيَةً . فَمَسَاءَ ظَنَّ الْقِرْدُ وَقَالَ
 فِي نَفْسِهِ : مَا أَحْتَبَسُ الْغِيلَمَ وَبُطُوهُ إِلَّا لِأَمْرٍ . وَلَسْتُ أَمِنًا أَنْ يَكُونَ
 قَلْبُهُ قَدْ تَغَيَّرَ عَلَى وَحَالٍ عَنْ مَوَدَّتِي فَأَرَادَنِي سُوءًا . فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَخْفَ
 وَأَسْرَعَ تَغْيِيرًا مِنَ الْقَلْبِ . وَيُقَالُ : يَذْنِبِي لِلْعَاقِلِ أَنْ لَا يَقِفَ عَنِ التَّمَسَّسِ
 مَا فِي نَفْسِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَإِخْوَانِهِ وَصَدِيقِهِ عِنْدَ كُلِّ أَمْرٍ وَفِي كُلِّ
 لَحْظَةٍ وَكَلِمَةٍ . وَعِنْدَ الْقِيَامِ وَالْعُودِ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ . وَإِنَّهُ إِذَا دَخَلَ
 قَلْبُ الصَّدِيقِ مِنْ صَدِيقِهِ رَيْبَةً . فَلْيَأْخُذْ بِالْحَزْمِ فِي التَّحْفُظِ مِنْهُ وَيَتَّقِ
 ذَلِكَ فِي لَحْظَاتِهِ وَحَالَاتِهِ . فَإِنْ كَانَ مَا يَظُنُّ حَقًّا ظَهَرَ بِالسَّلَامَةِ .
 وَإِنْ كَانَ بِاطِلًا ظَهَرَ بِالْحَزْمِ وَلَمْ يَضُرَّهُ . ثُمَّ قَالَ لِلْغِيلَمِ : مَا الَّذِي

يَحْسِبُكَ . وَمَا لِي أَرَاكَ مُتَمًّا كَأَنَّكَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مَرَّةً أُخْرَى .
 قَالَ : يَهْمُنِي أَنَّكَ تَأْتِي مَنَزِلِي فَلَا تُؤَلِّفِي أَمْرِي كَمَا أُحِبُّ لِأَنَّ زَوْجَتِي
 مَرِيضَةٌ . قَالَ الْفَرْدُ : لَا تَهْتَمِّ . فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا . وَلَكِنْ
 أَلْتَمَسَ مَا يُصْلِحُ زَوْجَتَكَ مِنَ الْأَدْوِيَةِ وَالْأَغْذِيَةِ . فَإِنَّهُ يُقَالُ :
 يَبْذُلُ ذُو الْمَالِ مَالَهُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ : فِي الصَّدَقَةِ . وَفِي وَقْتِ الْحَاجَةِ .
 وَعَلَى الزَّوْجَةِ . قَالَ الْغَيْلَمُ : صَدَقْتَ . وَإِنَّمَا قَالَتِ الْأَطْبَاءُ : إِنَّهُ لَا دَوَاءَ
 لَهَا إِلَّا قَلْبُ قَرْدٍ . فَقَالَ الْفَرْدُ فِي نَفْسِهِ : وَاسَوْءُ نَاهُ لَهَذَا أَدْرَكْنِي الْحِرْصُ
 وَالشَّرْدُ عَلَى كِبَرِيَّيْنِي حَتَّى وَقَعْتُ فِي شَرِّ مُورِطٍ . وَلَهَذَا صَدَقَ الَّذِي
 قَالَ : يَعْيشُ الْقَانِعُ الرَّاغِبِي مُسْتَرِيحًا مُطْمَئِنًّا . وَذُو الْحِرْصِ وَالشَّرِّ
 يَعْيشُ مَعَاشًا فِي تَعَبٍ وَنَصَبٍ . وَإِنِّي قَدْ اخْتَجْتُ أَلَانَ إِلَى عَقْلِي فِي
 التَّمَسُّكِ الْخُرُوجِ بِمَا وَقَعْتُ فِيهِ . ثُمَّ قَالَ الْغَيْلَمُ : وَمَا مَنَعَكَ أَنْ تَعْلِمَنِي
 حَتَّى كُنْتُ أَجْعَلُ قَلْبِي مَعِي . وَهَذِهِ سُنَّةٌ فِينَا مَعَاشِرَ الْفَرْدَةِ إِذَا خَرَجَ
 أَحَدُنَا لِزِيَارَةِ صَدِيقٍ لَهُ خَلَفَ قَلْبُهُ عِنْدَ أَهْلِهِ أَوْ فِي مَوْضِعِهِ . لِنَنْظَرِ
 إِذَا نَظَرْنَا إِلَى حُرْمِ الْمَزُورِ وَمَا قُلُوبُنَا مَعَنَا . قَالَ الْغَيْلَمُ : وَأَيْنَ قَلْبُكَ
 أَلَانَ . قَالَ : خَلَفَتْهُ فِي الشَّجَرَةِ فَإِنْ شِئْتَ فَارْجِعْ بِي إِلَيْهَا حَتَّى آتِيكَ
 بِهِ . فَقَرَحَ الْغَيْلَمُ بِذَلِكَ وَرَجَعَ بِالْفَرْدِ إِلَى مَكَانِهِ . فَلَمَّا قَارَبَ
 السَّاحِلَ وَثَبَ الْفَرْدُ عَنْ ظَهْرِهِ فَارْتَقَى الشَّجَرَةَ . فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَى الْغَيْلَمِ
 نَادَاهُ يَا خَلِيلِي أَجْعَلْ قَلْبَكَ وَأَنْزِلْ فَقَدْ عَثَيْتَنِي . فَقَالَ الْفَرْدُ : هَيْهَاتَ
 وَلَيْكُنْكَ أَحْتَلْتُ عَلَيَّ وَخَدَعْتَنِي فَخَدَعْتُكَ بِمِثْلِ خَدِيعَتِكَ . وَاسْتَدْرَكْتُ

قَارِطَ أَمْرِي . وَقَدْ قِيلَ : الَّذِي يُفْسِدُهُ الْحِلْمُ . لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْعِلْمُ . قَالَ
الْعَلِيمُ : صَدَقَ . إِلَّا أَنَّ الرَّجُلَ الصَّالِحَ يَعْتَرِفُ بِزَلَّتِهِ . وَإِذَا أَذْنَبَ
ذَنْبًا لَمْ يَسْتَحْيَ أَنْ يُؤَدَّبَ . وَإِنْ وَقَعَ فِي وَرْطَةٍ أَمَكَّنَهُ التَّخَلُّصُ مِنْهَا .
كَالرَّجُلِ الَّذِي يَعْتَرِ عَلَى الْأَرْضِ وَعَلَى الْأَرْضِ يَنْهَضُ وَيَقْتَمِدُ . قَدْ
مَثَلَ الرَّجُلُ الَّذِي يَطْلُبُ الْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا أَصَاعَهَا (كَلِيلُهُ وَدَمْنُهُ)

الضبعة والرجل

٨٤ قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : خَرَجَ فَيَّانٌ فِي صَيْدِهِمْ . فَأَثَارُوا ضَبْعَةً فَفَقَرَتْ
وَمَرَّتْ فَأَتَّبَعُوهَا . فَلَجَّتْ إِلَى بَيْتِ رَجُلٍ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بِالسِّيفِ مَسْلُولًا .
فَقَالُوا لَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَمْتَعُنَا مِنْ صَيْدِنَا . فَقَالَ : إِنَّهَا اسْتَجَارَتْ بِي
فَحَلَّوْا بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ . فَظَنَرُ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ مَهْرُولَةٌ مَضْرُورَةٌ . فَجَمَلَ يَسْقِيهَا
الْأَبْنَاءُ صَبُوحًا وَمَقِيلًا وَعَبُورًا حَتَّى سَمِتَتْ وَحَسَّتْ حَالَهَا . فَيَتَنَا هُوَ ذَاتَ
يَوْمٍ رَاقِدًا عَدَّتْ عَلَيْهِ فَشَقَّتْ بَطْنَهُ وَشَرِبَتْ دَمَهُ . فَقَالَ ابْنُ عَمِّ لَهُ :
وَمَنْ يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ . يُلَاقِي الَّذِي لَا قِيَّاسَ لَهُ . فَعَامِرٌ
أَعَدَّ لَهَا لَمَّا اسْتَجَارَتْ بِقُرْبِهِ . مَعَ الْأَمْنِ أَلْبَانَ اللَّقَاحِ الدَّرَائِرِ
فَأَشْبَعَهَا حَتَّى إِذَا مَا تَمَكَّنَتْ قَرْنَهُ بِأَنْيَابِهَا وَأَظْأَفِرَ
فَقُلْ لِدَوِي الْمَعْرُوفِ هَذَا جَزَاءُ مَنْ يُوجِّهَ مَعْرُوفًا إِلَى غَيْرِ شَاكِرٍ

اسد وذئب وغراب وابن آوى ورجل

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ يُعَاشِرُ مَنْ لَا يُشَارِكُهُ حَتَّى يُهْلِكَ نَفْسُهُ

٨٥ زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَجْمَةٍ مُجَاوِرًا لِأَحَدِ الطَّرِيقِ الْمَسْلُوكَةِ . وَكَانَ

لَهُ أَصْحَابُ ثَلَاثَةٌ: ذِئْبٌ وَغُرَابٌ وَابْنُ آوَى. وَإِنْ رُحَاةَ مَرَوْا بِذَلِكَ
الطَّرِيقِ وَمَعَهُمْ جَمَالٌ. فَتَخَفَ مِنْهَا جَمَلٌ قَدْ خَلَّ تِلْكَ الْأَجَمَةُ حَتَّى أَتَتْهُ
إِلَى الْأَسَدِ. فَقَالَ لَهُ أَبُو فِرَاسٍ: مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ. قَالَ: مِنْ مَوْضِعٍ
كَذَا. قَالَ: فَمَا حَاجَتُكَ. قَالَ: مَا يَأْمُرُنِي بِهِ الْمَلِكُ. قَالَ: تُقِيمُ
عِنْدَنَا فِي السَّعَةِ وَالْأَمْنِ وَالْخَصْبِ. فَلَيْتَ عِنْدَهُ زَمَانًا طَوِيلًا ثُمَّ إِنْ
الْأَسَدَ مَضَى فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ لِيَطْلُبَ الصَّيْدَ فَلَقِيَ فَيْلًا عَظِيمًا. فَقَاتَلَهُ
قِتَالًا شَدِيدًا وَأَقْلَتَ مِنْهُ مُثْقَلًا مُثْنَتًا بِالْجِرَاحِ يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ. وَقَدْ
أَنْشَبَ الْفَيْلُ فِيهِ أَنْيَابَهُ. فَلَمْ يَكْدُ يَصِلْ إِلَى مَكَانِهِ. حَتَّى رَزَحَ لَا
يَسْتَطِيعُ جِرَافًا وَحَرَّمَ طَلَبَ الصَّيْدِ. فَلَيْتَ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى
أَيَّامًا لَا يَجِدُونَ طَعَامًا. لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْ فَضَلَاتِ الْأَسَدِ
وَقَوَاضِيهِ. فَأَجْهَدَهُمُ الْجُوعُ وَالْهَزَالُ. وَعَرَفَ الْأَسَدُ ذَلِكَ مِنْهُمْ
فَقَالَ: لَقَدْ جُهِدْتُمْ وَأَحْتَجَمْتُمْ إِلَى مَا تَأْكُلُونَ. فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا تَهْمُنَا
أَنْفُسُنَا. لَكِنَّا نَرَى الْمَلِكَ عَلَى مَا رَأَاهُ فَلَيْتَنَا نَجِدُ مَا يَأْكُلُهُ وَيَصْلُحُ بِهِ. قَالَ
الْأَسَدُ: مَا أَشْكُ فِي نَصِيحَتِكُمْ. وَلَكِنْ أَنْتَشِبُوا لَعَنَكُمْ تُصِيدُونَ
صَيْدًا فَأَنْتَسِبُكُمْ وَنَفْسِي مِنْهُ. فَخَرَجَ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى
مِنْ عِنْدِ الْأَسَدِ. فَتَحَنَّنَا نَاحِيَةً وَاتَّبَعُوا فِيهَا بَيْنَهُمْ وَقَالُوا: مَا لَنَا وَهَذَا
الْأَكِيلُ الْعَشْبِ الَّذِي لَيْسَ شَأْنُهُ مِنْ شَأْنِنَا. وَلَا رَأْيُهُ مِنْ رَأْيِنَا.
الْأَبْرُتَيْنِ لِلْأَسَدِ قِيَا كُلَّهُ وَيُطْعِمَنَا مِنْ لَحْمِهِ. قَالَ ابْنُ آوَى: هَذَا بِمَا
لَا نَسْتَطِيعُ ذِكْرَهُ لِلْأَسَدِ. لِأَنَّهُ قَدْ أَتَى الْجَمَلَ وَجَعَلَ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ.

قَالَ الْغُرَابُ : أَنَا أَتُفِيكُمُ الْأَسَدَ . ثُمَّ انْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ فَقَالَ
 لَهُ : هَلْ أَصَبْتُمْ شَيْئًا . قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّمَا يُصِيبُ مَنْ يَسْعَى وَيُبْصِرُ .
 وَنَحْنُ فَلَا سَعْيَ لَنَا وَلَا بَصَرَ لِمَا بَيْنَ مِنَ الْجُوعِ . وَلَكِنْ قَدْ وَفَّقْنَا لِرَأْيِ
 وَاجْتِمَاعِنَا عَلَيْهِ . فَإِنْ وَافَقْنَا الْمَلِكُ فَتَحْنُ لَهُ مَجِئُونَ . قَالَ الْأَسَدُ : وَمَا
 ذَاكَ . قَالَ الْغُرَابُ : هَذَا الْجَبَلُ أَكْلُ الْعُشْبِ الْمُنْتَرِغِ بَيْنَنَا مِنْ غَيْرِ
 مَنَفَعَةٍ لَنَا مِنْهُ وَلَا رَدٍّ عَائِدَةٍ . وَلَا عَمَلٍ يُنْتَبِ مُضْلِحَةٌ . فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ
 ذَلِكَ . غَضِبَ وَقَالَ : مَا أَخْطَأَ رَأْيُكَ . وَمَا أَعْجَزَ مَقَالُكَ وَأَبْعَدُكَ مِنْ
 الْوَفَاءِ وَالرَّحْمَةِ . وَمَا كُنْتُ حَقِيقًا أَنْ تَجْتَرِيَ عَلَى يَهْدِهِ الْمَقَالَةُ
 وَتَسْتَيْلِنِي بِهَذَا الْخُطَابِ . مِمَّا عَلِمْتَ أَنِّي قَدْ آمَنْتُ الْجَبَلَ وَجَعَلْتُ
 لَهُ مِنْ ذِمَّتِي . أَوْ لَمْ يَلْبُغْكَ أَنَّهُ لَمْ يَتَصَدَّقْ مُتَصَدِّقُ بَصَدَقَةٍ هِيَ أَعْظَمُ
 أَجْرًا مِنْ أَمْنِ نَفْسًا خَائِفًا وَحَقَّنَ دَمًا مَهْدُورًا . وَقَدْ آمَنْتُهُ وَلَسْتُ
 بِالْغَادِرِ بِهِ . قَالَ الْغُرَابُ : إِنِّي لَأَعْرِفُ مَا يَقُولُ الْمَلِكُ . وَلَكِنْ النَّاسُ
 الْوَاحِدَةُ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْيَتِّ . وَأَهْلُ الْيَتِّ يُفْتَدَى بِهِمُ الْقَبِيلَةُ .
 وَالْقَبِيلَةُ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْمِصْرِ . وَأَهْلُ الْمِصْرِ فِدَى الْمَلِكِ . وَقَدْ تَرَأْتِ
 بِالْمَلِكِ الْحَاجَةَ . وَأَنَا أَجْعَلُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ مَخْرَجًا عَلَى أَنْ لَا يَتَكَلَّفَ ذَلِكَ
 وَلَا يَلِيَهُ بِنَفْسِهِ وَلَا يَأْمُرُ بِهِ أَحَدًا . وَلَكِنَّا نَحْتَالُ عَلَيْهِ بِحِيلَةٍ لَنَا وَلِلْمَلِكِ
 فِيهَا صَلَاحٌ وَظَهْرٌ . فَسَكَتَ الْأَسَدُ عَنْ جَوَابِ الْغُرَابِ عَنْ هَذَا الْخُطَابِ .
 فَلَمَّا عَرَفَ الْغُرَابُ إِقْرَارَ الْأَسَدِ أَتَى أَصْحَابَهُ فَقَالَ لَهُمْ : قَدْ كَلَّمْتُ
 الْأَسَدَ فِي أَكْثَلِهِ الْجَمَلِ : عَلَى أَنْ نَجْتَمِعَ نَحْنُ وَالْجَمَلُ لَدَى حَضَرَتِهِ .

فَتَذَكَّرُ مَا أَصَابَهُ وَتَتَوَجَّعُ لَهُ أَهْتِمَامًا مِنْ بَأْسِهِ وَغِرْصًا عَلَى صَلَاحِهِ .
وَيَعْرِضُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا نَفْسَهُ عَلَيْهِ . فَيَرُدُّهُ الْآخَرَانِ وَيُسِفُهُ رَأْيُهُ
وَيُبَيِّنُ الضَّرَرَ فِي أَكْلِهِ . فَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ سَلِمْنَا كُلُّنَا وَرَضِيَ الْأَسَدُ
عَنَّا فَفَعَلُوا ذَلِكَ وَتَقَدَّمُوا إِلَى الْأَسَدِ فَقَالَ الْغُرَابُ : قَدِ اخْتَبَتَ أَيُّهَا
الْمَلِكُ إِلَى مَا يُقْوِيكَ . وَتَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَهَبَ أَنْفُسَنَا لَكَ فَإِنَّا بِكَ نَعِيشُ .
فَإِذَا أَهْلَكْتَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَّا بَقَاءٌ بَعْدَكَ . وَلَا لَنَا فِي الْحَيَاةِ مِنْ خَيْرَةٍ .
فَلْيَاكُلْنِي الْمَلِكُ فَقَدْ طَبْتُ بِذَلِكَ نَفْسًا . فَأَجَابَهُ الذِّبُّ وَابْنُ آوَى
أَنْ أَسْكُتَ . فَلَا خَيْرَ لِلْمَلِكِ فِي أَكْلِكَ وَلَيْسَ فِيكَ شَيْعٌ . قَالَ ابْنُ
آوَى : لَكِنْ أَنَا أَشْبَعُ الْمَلِكَ . فَلْيَاكُلْنِي فَقَدْ رَضِيتُ بِذَلِكَ وَطَبْتُ
عَنهُ نَفْسًا . فَرَدَّ عَلَيْهِ الذِّبُّ وَالْغُرَابُ يَقُولُهُمَا لَهُ إِنَّكَ مُنْتِنٌ قَذِرٌ . قَالَ
الذِّبُّ : أَنَا لَسْتُ كَذَلِكَ . فَلْيَاكُلْنِي الْمَلِكُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنِّي
وَإِخْلَاصِ طَوِيَّةٍ . فَأَعْتَرَضَهُ الْغُرَابُ وَابْنُ آوَى وَقَالُوا قَدْ قَالَتْ
الْأَطْيَاءُ : مَنْ أَرَادَ قَتْلَ نَفْسِهِ . فَلْيَاكُلْ لَحْمَ ذِئْبٍ . فَظَنَّ الْجَمَلُ أَنَّهُ
إِذَا عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الْأَكْلِ الْتَمَسُوا لَهُ عُذْرًا كَمَا الْتَمَسَ بَعْضُهُمْ
لِبَعْضٍ فَيَسْلَمُ وَيَرْضَى عَنْهُ الْأَسَدُ . فَقَالَ : لَكِنْ أَنَا فِي الْمَلِكِ شَيْعٌ
وَرِيٌّ . وَلَحْمِي طِيبٌ هَنِيٌّ وَبَطْنِي نَظِيفٌ . فَلْيَاكُلْنِي الْمَلِكُ وَيُطْعِمِ
أَصْحَابَهُ وَحَشَمَهُ . فَقَدْ سَمِعْتُ بِذَلِكَ طَوْعًا وَرِضًا . فَقَالَ الذِّبُّ
وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى : لَقَدْ صَدَقَ الْجَمَلُ وَتَكَرَّمَ وَقَالَ مَا دَرَى . ثُمَّ
إِنَّهُمْ وَثَبُوا عَلَيْهِ وَمَزَّقُوهُ

(كليله ودمنه)

للجدي السالم والذئب النادم

٨٦ حَكِي أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ الْغِيَاضِ لِذئْبٍ وَجَارٌ . وَأَهْلٌ وَجَارٌ .
فَخَرَجَ يَوْمًا لِطَلَبِ صَيْدٍ . وَنَصَبَ لِذَلِكَ شِبَاكَ الْكَيْدِ . وَصَارَ يُجُولُ
وَيُصُولُ . وَلَا يَقَعُ عَلَى مُحْصُولٍ . فَأَثَرُ فِيهِ الْجُوعُ وَاللُّغُوبُ . وَأَذْنَتِ
الْشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ . فَصَادَفَ بَعْضَ الرُّعْيَانِ . يَسُوقُ قُطْعًا مِنَ الضَّأْنِ .
وَفِيهَا بَعْضُ جِدْيَانِ . فَهَمَّ عَلَيْهَا لِشِدَّةِ الْجُوعِ بِالْعُجُومِ . ثُمَّ أَذْرَكَهُ مِنْ
خَوْفِ الرَّاعِي الْوُجُومِ . لِأَنَّهُ كَانَ مُتَيْقِظًا . وَمِنَ الذَّئْبِ عَلَى مَا شِئَتْهُ
مُتَحَفِظًا . فَجَمَلَ بِرَأْفَتِهِ مِنْ بَعِيدٍ . وَالْخِرْصُ وَالشَّرُّ يَزِيدُ . وَالرَّاعِي
سَائِقٌ . وَلِلذَّئْبِ عَائِقٌ . فَتَخَلَّفَ جَدْيٌ غَيٌّ . غَفَلَ عَنْهُ الرَّاعِي الذَّكِيُّ .
فَأَذْرَكَهُ الذَّيْبُ الشَّيْطُ . وَأَقْطَعَهُ بِأَمَلٍ بَسِيطٍ . وَبَشَّرَ نَفْسَهُ بِالظَّفَرِ .
وَطَارَ بِاتِّقَاحٍ وَاسْتَبَشَرَ . فَلَمَّا رَأَى الْجَدْيُ الذَّيْبَ . عَلِمَ أَنَّهُ أُصِيبَ
يَوْمَ عَصِيبٍ . وَظَفَرَ قَصَابُ الْبِلَادِ مِنْ قُصْبِهِ بِأَوْقَرِ نَصِيبٍ . فَتَدَارَكَ
نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ . وَاسْتَحْضَرَ حِيلَةَ جَانِبِهِ وَحَدْسَهُ . وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يُنْجِيهِ مِنْ
تِلْكَ الْوَرْطَةِ الْوَلِيلَةِ . إِلَّا لَمِغِثُ الْحِدَاعِ وَالْحِيلَةِ . وَأَذْكُرُهُ مُذَكِّرُ الْخَاطِرِ .
مَا قَالُ الشَّاعِرُ :

وَلَكِنْ أَخُو الْحَزْمِ الَّذِي لَيْسَ نَازِلًا بِهِ الْخُطْبُ إِلَّا وَهُوَ لِقَصْدٍ مُبْصِرُ
فَتَمَدَّمَ بِجَاشِ صَلِيبٍ . وَقَبْلَ الْأَرْضِ بَيْنَ يَدَيِ الذَّيْبِ . وَقَالَ لَهُ حُبَّكَ
الرَّاعِي . لِحَبَابِكَ دَائِمِي . يُسَلِّمُ عَلَيْكَ . وَقَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ . يَشْكُرُ
صَدَاقَتَكَ وَشَفَقَتَكَ . وَحَسَمَتَكَ وَمَرَاهَتَكَ . وَيَقُولُ قَدْ تَرَكْتُ بِحُسْنِ

إِبَائِكَ . عَادَةَ أَجْدَادِكَ وَأَبَائِكَ . فَلَمْ تَعْرِضْ لِمَوَاشِيهِ . وَحَفِظْتَ
 بِنَظْرِكَ ضِعَافَ حَوَاشِيهِ . وَقَدْ حَصَلَ لِضِعَافِهَا الشَّبَعُ . وَأَمِنْتَ بِجِوَارِكَ
 الْجُبُوعَ وَالْفَزَعَ . وَحَصَلَ أَلَاَمْنٌ مِنَ الْجَنَعِ . فَسَيَجِلُ جِوَارُكَ وَغِيَاضُكَ
 أَحْسَنَ مُسْتَجِمٍ . لِأَنَّ ضِعَافَ مَا شِئْتَهُ شَبِعَتْ وَرَوَيْتَ . وَأَتَمَعَشْتَ
 وَقَوَيْتَ . فَأَرَادَ مُكَافَأَتَكَ . وَطَلَبَ مُصَادَقَتَكَ وَمُصَافَاةَكَ . فَأَرْسَلَنِي
 إِلَيْكَ لِتَأْكُلَنِي . وَأَوْصَانِي أَنْ أَطْرِبَكَ بِمَا أَغْنِي . فَأَنِي حَسَنُ
 الصَّوْتِ فِي الْغِنَاءِ . وَصَوْنِي يَزِيدُ شَهْوَةَ الْغِنَاءِ . فَإِنْ أَقْنَيْتَنِي رَأْيِكَ
 أَلَا سَعْدُ . غَنَيْتُكَ غِنَاءً يُبْسِي أَبَا إِسْحَاقَ وَمَعْبَدَ . وَهُوَ شَيْءٌ لَمْ يَظْهَرْ بِهِ
 آبَاؤُكَ وَأَجْدَادُكَ . وَمَا يَنَالُهُ أَغْطَابُكَ وَأَوْلَادُكَ . يُقَوِّي كَرَمَكَ .
 وَشَهْوَتَكَ وَقَدَمَكَ . وَيُطِيبُ مَا كَلَّكَ . وَيُسِينِي مَا مَلَّكَ . وَإِنْ صَوْنِي
 اللَّذِيذِ . أَلَذُّ لِلْجَانِعِ مِنْ جَدِي حَنِيزٍ . وَخَبَزِ سَمِيدٍ . وَلِلْعَظْشَانِ مِنْ قَدَحِ
 نَيْزٍ . فَرَأَيْكَ أَعْلَى . وَأَمْتَأَلُكَ أَوْلَى . فَقَالَ الذَّبُّ : لَا بَأْسَ وَالكَ .
 فَفَنِّ مَا بَدَا لَكَ . فَرَفَعَ الْجَدِي عَفِيرَتَهُ . وَرَأَى فِي الصُّرَاخِ خَيْرَتَهُ .
 وَأَنْشَدَ :

وَعَصْفُورُ الْحَشَا يَهْوَى جَرَادَهُ كَمَا عَشِقَ الْحُرُوفُ أَبُو جَمَادَهُ
 فَاهْتَرَّ الذَّبُّ طَرَبًا . وَتَمَّيْلَ عُجْبًا وَعَجَبًا . وَقَالَ أَحْسَنْتَ يَا زَيْنَ النِّعَمِ .
 وَلَكِنْ هَذَا الصَّوْتُ فِي الْهَمِّ . فَأَرْفَعُ صَوْتَكَ فِي الزَّيْرِ . فَقَدْ أَجَلَّتْ
 الْبَلَابِلُ وَالزَّرَازِيرُ . وَزِدْنِي يَا مُغْنِي . وَعَنْ لِي . مَا يَلِي قَوْلِي :
 أَقْرَ هَذَا الزَّمَانُ عَيْنِي بِالْجَمْعِ بَيْنَ أَمْنِي وَبَيْنِي

وَلَيْكُنْ هَذَا يَا سَيِّدَ الْجَدَاءِ فِي أَوْجِ الْحُسَيْنِيِّ . فَأَغْتَنِمَ الْجَدِيَّ الْفُرْصَةَ
وَأَزَاحَ بِيَعْلَاطِهِ الْفُصَّةَ . وَصَرَخَ صَرْخَةً أُخْرَى . أَذْكَرُ الطَّامَّةَ الْكُبْرَى .
وَرَفَعَ الصَّوْتُ . كَمَنْ عَابَنَ الْمَوْتَ . وَخَرَجَ مِنْ دَائِرَةِ الْحِجَازِ إِلَى الْعِرَاقِ .
وَكَاذَ يَخْصُلُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْإِنْفَتَاقُ . وَقَالَ :

فَقَوَّائِمُ أَنْظَرُوا حَالِي أَبُو مَذَقَّةٍ أَكْغَالِي

فَسَمِعَهُ الرَّايِّي يَشْدُو . فَأَقْبَلَ بِالْمِطْرِقِ يَبْدُو . فَلَمْ يَشْعُرِ الذِّبُّ الذَّاهِلُ .
وَهُوَ يُحَسِّنُ السَّمْعَ غَافِلٌ . إِلَّا وَالرَّايِّي بِالنَّصَا عَلَى قَفَاهُ نَازِلٌ .
فَرَأَى الذِّبُّ الْغَنِيَّةَ فِي النَّجَاةِ . وَأَخَذَ فِي طَرِيقِ الْحَيَاةِ . وَتَرَكَ الْجَدِيَّ
وَأَقْلَتَ . وَنَجَّاهُ مِنْ سَيْفِ الْمَوْتِ الْمُصَلَّتِ . وَصَعِدَ إِلَى تَلٍّ يَتَلَقَّتْ . إِذْ
تَفَلَّتْ . وَأَفْعَى يَعْضُ يَدَيْهِ نَدَامَةً . وَيُخَاطِبُ نَفْسَهُ بِالْمَلَامَةِ . وَيَقُولُ :
أَيُّهَا الْغَافِلُ الذَّاهِلُ . الْأَحْمَقُ الْجَاهِلُ . مَتَى كَانَ عَلَى سِمَاطِ السَّرْحَانِ .
الْقُبْزُ وَالْأَوْزَانُ . وَأَيُّ جَدٍّ لَكَ قَانٍ . أَوْ أَبٍ مُفْسِدٍ جَانٍ . كَانَ لَا
يَأْكُلُ إِلَّا بِالْمَغَانِي . وَعَلَى صَوْتِ الْمُنَالِثِ وَالْمُنَانِي . فَلَوْلَا أَنَّكَ عَدَلْتَ
عَنْ طَرِيقَةِ آبَائِكَ . مَا قَاتَكَ لَزِيدُ عَشَائِكَ . وَلَا أَمْسَيْتَ جَانِعًا
تَتَلَوَّى . وَبِحَجْمَةِ قَوَاتِ الْفُرْصَةِ تَتَكَوَّى . ثُمَّ بَاتَ يَحْرِقُ ضَرْسَهُ وَنَابَهُ .
وَيُخَاطِبُ نَفْسَهُ لِمَا نَابَهُ :

وَعَاجِزُ الرَّايِّي مُضَيَّاعٌ لِفُرْصَتِهِ حَتَّى إِذَا قَاتَ أَمْرُ عَاتِبِ الْقَدَرَا

فَارَةٌ وَهَرٌ

٨٧ كَانَ رَجُلٌ فَقِيرٌ عِنْدَهُ هَرٌّ رَبَاهُ . وَأَحْسَنَ مَا وَاهُ . وَكَانَ أَقِطُ قَدْ

عَرَفَ مِنْهُ الشَّقَّةَ . وَأَلِفَ مِنْهُ الْمَوَدَّةَ وَالْمَلَّةَ . فَكَانَ لَا يَبْرَحُ مِنْ
مَيْتِهِ . وَلَا يَسْعَى لِطَلَبِ قُوَّتِهِ . فَحَصَلَ لَهُ الْفُرْزَالُ . وَتَغَيَّرَ حَالُهُ مِنْ
أَمْرٍ وَحَالٍ . فَلَا عِنْدَ صَاحِبِهِ مَا يُغْذِيهِ . وَلَا لَهُ قُوَّةٌ عَلَى الْأَصْطِبَارِ
تُغْنِيهِ . إِلَى أَنْ عَجَزَ عَنِ الصَّيْدِ . وَصَارَ يَسْخَرُ بِهِ مِنْ أَرَاذِلِ الْفَارِ عَمُرُو
وَزَيْدُ . وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ . مَاوَى لِرِيسِ الْجُرْدَانِ . وَبِجَوَارِهِ
مُخَزْنُ سَمَانٍ . فَاجْتَرَأَ الْجُرْدُ لِيُضْفِئَ أَبِي عَزْوَانَ . وَتَمَكَّنَ مِنْ نَقْلِ مَا
يَحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَصَارَ يَمُرُّ عَلَى الْقَطِ آمِنًا وَيَعْمَلُ عَلَيْهِ . إِلَى أَنْ أُمْتَلَأَ
وَكْرَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّاعِمِ . وَحَصَلَ لَهُ الْفَرَاغُ مِنَ الْخَوَافِ وَالزَّاجِمِ .
فَاسْتَطَالَ عَلَى الْخَيْرَانِ . وَاسْتَمَانَ بِطَوَائِفِ الْفَارِ عَلَى السَّدَوَانِ .
وَأَفْتَكَرَ يَوْمًا فِي نَفْسِهِ . فِكْرًا آدَاهُ إِلَى حُلُولِ رَمْسِهِ . وَهُوَ أَنَّ هَذَا
الْقَطُ وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا قَدِيمًا . وَمُرَابِكًا عَظِيمًا . وَلَكِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي
الْإِنْتِحَالِ . وَضَعَفَ عَنِ الصَّيْدِ وَالْإِنْتِيَالِ . وَقُوَّتِي إِنَّمَا هِيَ لِسَبَبِ
ضَعْفِهِ . وَهَذَا الْبَقْنُخُ إِنَّمَا هُوَ حَاصِلُ بَحْثِهِ . وَلَكِنَّ الدَّهْرَ الْغَدَارَ . لَيْسَ
لَهُ عَلَى حَالِهِ اسْتِمْرَارٌ . فَرُبَّمَا يَعُودُ الدَّهْرُ إِلَيْهِ . وَيُعِيدُ صِحَّتَهُ وَعَافِيَتَهُ
عَلَيْهِ . فَإِنَّ الزَّمَانَ الدَّوَّارَ يَنْهَبُ وَيَهَبُ . وَيُعْطِي مَا سَابَ . وَيَرْجِعُ
فِيمَا وَهَبَ . كُلُّ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ مُوجِبٍ وَلَا سَبَبٍ . وَإِذَا عَادَ الْقَطُ إِلَى
مَا كَانَ عَلَيْهِ . يَتَذَكَّرُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ إِسَاءَتِي إِلَيْهِ . فَيَثُورُ قَلَمُهُ . وَيَفُورُ
حَنَفُهُ . وَيَأْخُذُهُ لِلْإِنْتِقَامِ مَنِي أَرْقُهُ . فَلَا يَقْرُّ لِي مَعَهُ قَرَارٌ . فَاضْطَرُّ
إِلَى التَّحَوُّلِ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ . وَالخُرُوجِ عَنِ الْوَطَنِ الْمَأْلُوفِ . وَمُفَارَقَةِ

السَّكَنُ الْمَعْرُوفِ . فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِهْتِمَامِ قَبْلَ حُلُولِ هَذَا الْفَرَامِ .
 وَالْأَخْذِ فِي طَرِيقَةِ الْخُلَاصِ . قَبْلَ الْوُقُوعِ فِي شَرِّهِ الْاِقْتِصَاصِ .
 ثُمَّ إِنَّهُ ضَرَبَ أَهْمَاسًا لِأَسْدَاسٍ . فِي كَيْفِيَّةِ الْخُلَاصِ مِنْ هَذَا الْبَاسِ .
 فَأَدَّاهُ الْفِكْرُ إِلَى إِصْلَاحِ الْمَعَاشِ . بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي حِرَاشٍ . لِيَدُومَ لَهُ
 هَذَا النَّشَاطُ . وَيَسْتَمِرَّ بِوَاسِطَةِ الصِّلَحِ بِسَاطِ الْأَنْبَاطِ . فَرَأَى أَنَّهُ
 لَا يُفِيدُهُ إِلَّا أَنْ يَزْرَعَ الْجَمِيلَ . مِنْ كَثِيرٍ وَقَلِيلٍ . خُصُوصًا فِي وَقْتِ
 الْفَاقَةِ . فَإِنَّهُ أَجْلَبُ لِلصَّدَاقَةِ . وَأَبْقَى فِي الْوَثَاقَةِ . ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ
 يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا الْعُهُودُ . وَيَتَأَكَّدُ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْإِتِّفَاقُ مِنَ الْعُقُودِ .
 وَهُوَ أَنْ يَلْتَزِمَ كَثِيرُ الْجِرْدَانِ فِي كُلِّ عَدَاةٍ . مَا يَكْفِيهِ مِنْ طَيِّبِ
 الْغِذَاءِ صَبَاحَهُ وَمَسَاءَهُ . لِأَنَّ الشَّيْخَ قَالَ فِي الدَّرْسِ : خَيْرُ الْمَالِ مَا
 وَقَيْتَ بِهِ النَّفْسَ . إِلَى أَنْ يَبْعَ جَسَدَهُ . وَرَدَّ عَلَيْهِ مِنْ عَيْشِهِ رَغَدَهُ .
 وَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لِعُقُودِ الصَّدَاقَةِ وَتَرْكِ الْعَدَاوَةِ الْقَدِيمَةِ . فَجَمَعَ لَهُ
 مِنَ الْخُبْزِ وَالْجَبْنِ وَاللَّحْمِ الْقَدِيدِ . مَا قَدَرَ عَلَى حَمْلِهِ . وَنَهَضَتْ قُوَّتُهُ
 بِقَلْبِهِ . وَقَدِمَ مُقَامَ الْهَرِّ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ سَلَامٌ مُكْرَمٌ مُبِيرٌ . وَقَدَّمَ مَا لَدَيْهِ
 إِلَيْهِ . وَتَرَامَى بِكَثْرَةِ الْإِشْتِيَاقِ وَالتَّوَدُّدِ عَلَيْهِ . وَقَالَ : يَعْزُّ عَلِيٌّ . وَيَنْظُمُ
 لَدَيْ . أَنْ أَرَاكَ يَا خَيْرَ جَارٍ . فِي هَذَا الْإِضْطِرَارِ . وَسَيَكْفِيكَ اللَّهُ هَذَا
 الْجُحْدَ وَالضَّرِيرَ . وَلَكِنَّ الْعَاقِبَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِلَى خَيْرٍ . فَتَأَوَّلَ الْفِطْرُ
 مِنْ تِلْكَ السَّرِيقَةِ . مَا سَدَّ رَمَقَهُ . وَشَكَرَ لَهُ تِلْكَ الصَّدَقَةَ . ثُمَّ قَالَ :
 إِنَّ لِي عَلَيْكَ مِنَ الْحَقُوقِ . مِثْلَ مَا لِلجَارِ الصَّدُوقِ . عَلَى الْجَارِ الشَّفُوقِ .

وَأَرَدْتُ أَنْ يَتَأَكَّدَ الْجَوَارُ بِالْمَصَادِقَةِ . وَتَثَبَّتِ الْحَبَّةُ بِالْمَوَاقِفَةِ .
وَأِنْ كَانَتْ بَيْنَنَا عَدَاوَةٌ قَدِيمَةٌ . فَتَرَكْ مِنْ الْجَانِبِينَ تِلْكَ الْخَصْلَةَ
الذِّمِّيَّةَ . وَلَسْتَأْنِفُ الْهُودَ . عَلَى خِلَافِ الْخُلُقِ الْمَهُودِ . وَهَذَا أَنَا أَذْكُرُ
لَكَ سَبَبًا يَحْمِلُكَ عَلَى تَرْكِ خُلُقِكَ الْقَدِيمِ . وَيُرْشِدُكَ فِي طَرِيقِ الْإِخَاءِ
إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ . وَهُوَ أَنَّ أَكْلِي مَثَلًا . مَا يُغْذِي مِنْكَ بَدَنًا .
فَضْلًا عَنْ أَنْ يُظْهِرَ فِيكَ صِحَّةً وَسِمَةً . فَإِنْ أَمْنَتْنِي مَكْرَكَ وَرَغِبْتَ فِي
صُحْبَتِي . وَعَاهَدْتَنِي عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِ مَوَدَّتِي . وَأكَّدْتَ ذَلِكَ لِي
بِمُعْلَظَاتِ الْأَيَّامِ حَتَّى أَسْتَوْثِقَ بِأَسْتَصْحَابِكَ . وَأَبَيْتَ أَيْمَانًا فِي حِمْيِكَ
وَدَهَابِكَ . وَلَوْ كُنْتُ بَيْنَ خَالِيكَ وَأَنْبِيَاكَ . فَأَتْنِي أَلْتَرِمُ لَكَ كُلَّ
يَوْمٍ . عِنْدَمَا تَسْتَقِظُ مِنَ النَّوْمِ . بِمَا يَسُدُّ حَلَّتَكَ . وَيُنْقِي مُهْجَتَكَ .
صَبَاحًا وَمَسَاءً وَعَدَاءً وَعَشَاءً . فَلَمَّا رَأَى الْهَرُّ . هَذَا الْيَرُّ . أَعْجَبَتْهُ هَذِهِ
النِّعَمُ . وَأَطْرَبَهُ هَذَا النِّعَمُ . وَأَقْسَمَ طَائِفًا مُخْتَارًا . لَا إِكْرَاهَا وَلَا
إِجْبَارًا . أَنَّهُ لَا يَسْلُكُ مَعَ الْجُرْدَانِ . إِلَّا طَرِيقَ الْأَمَانِ وَالْإِحْسَانِ .
فَرَجَعَ الْجُرْدُ وَهُوَ بِهَذِهِ الْحَرَكَةِ جَذْلَانُ . وَصَارَ يَأْتِي الْفِطْرُ كُلَّ يَوْمٍ
بِمَا أَلْتَرِمُ بِهِ مِنَ الْغَدَاءِ وَالْعَشَاءِ . إِلَى أَنْ صَحَّ الْفِطْرُ وَأَسْتَوَى . وَسَلِمَتْ
خَلَوَاتُ بَدَنِهِ مِنَ الْخَوَاءِ . وَقَدْ كَانَ لِهَذَا الْفِطْرِ دِيكَ صَاحِبٌ قَدِيمٌ .
وَصَدِيقٌ نَدِيمٌ . كُلُّ مِنْهُمَا يَأْنَسُ بِصَاحِبِهِ . وَيَحْفَظُ خَاطِرَهُ بِمُرَاعَاةِ
جَانِبِهِ . فَحَصَلَ لِلدِّيكِ تَعْوِيقٌ عَنْ زِيَارَةِ صَدِيقِهِ . فَلَمْ يَثْبُقْ لَهُمَا لِقَاءٌ .
إِلَّا بَعْدَ أَنْ زَالَ عَنِ الْفِطْرِ ذَلِكَ الشَّقَاءُ . وَحَازَ تَمَامَ الشِّفَاءِ . فَسَأَلَهُ

الذبيك : بماذا زال ذلك الهزال . فأخبره بخبر الجرذ وأنه صار عنده
من أعز الأصدقاء الحزين الأماناء . فصحك الذبيك مستغرباً . وطبق
يصفق بجناحيه متعجباً . فقال له : يمّ تضحك . قال : من سلامة باطنك .
وأنقيادك لداهيك . وحسن صنائعك . إلى غاشيك ومخاديعك . ومن
يامن لهذا البرم . ألواجب قتله في الحِلِّ والحرم . المفسد القاسق .
المؤذي المنافق . الذي خدعك حتى آمن على نفسه . وأوقعك في
حبال كيديه ونحسه . مع أنك لست عنده بمشكور . ولا بالخير
مذكور . وإنما الذي شاع . وملاً الأسماع . أنك تحل عهده . وتنفذ
عهده . وتثبث الأيمان . وتجازي بالسنة الإحسان . فإنه لما لم
ير منك ما يسره . أصبح متوقفاً ما يضره . وأعظم من هذا أنه حشر
ونادى . وجأهرك بالشر وعادى وقال : إنه أحيأك بعد الموت . وردك
بعد القوت . وإنه لولا فضله عليك . وبره ألواصل إليك . لمت هزلاً
وجوعاً . ولما عشت أسبوعاً . وإنه شفاك وعافاك . وصفاك وصافاك .
وهل سمعت أن جرذاً صادق هرة . أو اتفق بينهما مرافقة . فمنا صحة
القطر والفار . كمصادقة الماء والنار . فلما سمع القط هذا الكلام . تألم
خاطره بعض إيلام . وقال للذبيك : جزاك الله عني خيراً . ولكن من
أخبرك بهذا الخبر . وصدقك ما أثر . فقال : لقد غررك الجرذ بلقيات
من الحرام . وألصحت المنميس في الآثام . وجعلها لك بمنزلة حبة
القمح . فلا تشربها إلا وأنت في السخ . حيث لا رفيق يتشفع فيك

وَلَا أَخَ . وَهَنَّاكَ يُعْرِفُ تَحْقِيقُ هَذَا الْكَلَامِ . وَمَا أَطْلَعْتُكَ عَلَى مَا قُلْتُ
إِلَّا مِنْ قَرطِ الشَّفَقَةِ وَالسَّلَامِ . فَتَرَجَّحَ جَانِبُ صِدْقِ الدِّيكِ عِنْدَ الْقَطْرِ
فَقَالَ فِي خَاطِرِهِ . بَعْدَ مَا أَجَالَ قَدَحَ صَمَائِرِهِ : إِنَّ هَذَا الدِّيكَ مِنْ حِينَ
أَنْفَلَقَتْ عَنْهُ الْبَيْضَةُ . وَسَرَحَتْ مَعَهُ مِنَ الصَّدَاقَةِ فِي رَوْضَةٍ . مَا وَقَفَتْ
لَهُ عَلَى كَذِبٍ . وَلَا سَمِعَتْ أَنَّهُ لَشَيْءٍ مِنَ الزُّورِ مُرْتَكِبٌ . فَهُوَ أَبَعْدَ مِنْ
أَنْ يُخْدَعَ . وَأَجَلٌ مِنْ أَنْ يُنْشَ وَيَصْنَعَ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : كَيْفَ أَعْرِفُ
صِدْقَ هَذَا الْخَبَرِ . وَهَلْ عَلَى سُوءِ طَوِيلِهِ دَلَالَةٌ تُنْظَرُ . قَالَ : نَعَمْ .
وَرَبَّ الْحَرَمِ عَلَامَةٌ ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ . وَنَظَرَ إِلَيْكَ . يَكُونُ
مُنْخَفِضَ الرَّاسِ . مُجْتَمِعَ الْأَنْفَاسِ . مُتَوَقِّعًا حُلُولَ نَائِبَةٍ . أَوْ زُولِ
مُصِيبَةٍ صَائِبَةٍ . مُتَلَفِّعًا يَمِينًا وَشِمَالًا . مُتَخَوِّفًا نَكَالًا وَوَبَالًا . طَائِفًا
يَتَّقِبُ . خَائِفًا يَتَرَقَّبُ . وَذَلِكَ لِأَنَّهُ خَائِنٌ . وَالْخَائِنُ خَائِفٌ وَهَذَا
أَمْرٌ بَائِنٌ . وَبَيْنَمَا هُمَا فِي الْحَاوِرَةِ . وَالْمُنَاطَرَةِ وَالْمَشَاوِرَةِ . دَخَلَ أَبُو
جَوَالٍ . وَهُوَ غَافِلٌ عَنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ . فَرَأَى أَبَا يَفْظَانَ . يُخَاطِبُ أَبَا
عَزْوَانَ . فَحَسَسَ وَفَهَّرَ . وَتَوَقَّفَ وَتَفَكَّرَ . وَهُوَ غَافِلٌ عَمَّا قَضَى اللَّهُ
وَقَدَّرَ . فَأَشْمَازَ لِرُؤْيَيْهِ الدِّيكَ وَاشْتَمَلَ . وَانْتَفَضَ وَأَبْرَأَلَ . فَأَرْتَدَّ
الْجُرْذُ مِنْ شَيْخِ الدِّيَكَةِ . لَمَّا رَأَى مِنْهُ هَذِهِ الْحَرَكَةَ . وَانْتَفَشَ وَأَثْرَوَى .
وَتَقَبَّضَ وَذَوَى . وَانْتَفَتَّ يَمِينًا وَشِمَالًا . كَالطَّالِبِ لِلْفَرَارِ بِجَالَا .
وَالْقَطْرِ بِرَأْقِ أَحْوَالِهِ . وَتَمَيَّزُ حَرَكَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ . فَتَحَقَّقَ مَا قِيلَ لَهُ فِيهِ
وَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرُ الْمُسْتَقِيمِ . وَهُمْ وَكَفَّهُ . وَرَقَصَتْ شَوَارِبُهُ وَأَزْبَارُ .

وَتَسِيَّ الْهُودَ وَالْأَيَّانَ . وَبَضَ فِيهِ عِرْقُ الْعِدَاوَةِ الْقَدِيمَةِ وَالْعُدْوَانِ .
قَوَّبَ عَلَيْهِ وَأَدْخَلَهُ فِي خَبَرِ كَانَ . وَأَخْلَى مِنْهُ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ

المهدد الغير المتدي

٨٨ ذَكَرُوا أَنَّ اللَّهَ مُجْرِي الْخَيْرِ . عَامَ بَضَ عَيْدِهِ الصَّلَاحُ مَنْطِقَ
الطَّيْرِ . فَصَاحَبَ مِنْهَا هَذَا . وَأَزْدَادَ مَا بَيْنَهُمَا تَوَدُّدًا . فَبَضَ بَضَ
الْأَيَّامِ . مَرَّ بِالْمُهْدِدِ ذَلِكَ الْإِمَامُ . وَهُوَ فِي مَكَانٍ عَالٍ . مُلْتَمِثٌ إِلَى
نَاحِيَةِ الشِّمَالِ . وَهُوَ مَشْغُولٌ بِالسَّبِيحِ يُسَبِّحُ اللَّهَ بِلِسَانِهِ الْقَصِيحِ فَنَادَاهُ :
يَا صَاحِبَ النَّجَّ وَالْقَبَاءِ وَالْدِّيَاجِ لَا تَعْمُدْ فِي هَذَا الْمَكَانِ فَإِنَّهُ
طَرِيقُ كُلِّ قَتَّانٍ . وَمَطْرُوقُ كُلِّ صَائِدِ شَيْطَانٍ . وَمَقْعَدُ أَرْبَابِ
الْبَنَادِقِ وَمَرَصِدُ أَصْحَابِ الْجُلَاهِقِ . فَقَالَ الْمُهْدِدُ : إِنِّي عَرَفْتُ
ذَلِكَ وَأَنَّهُ مَسَلِّكَ الْمَهَالِكِ قَالَ : فَلَا يَشِيءُ عَزَمْتُ عَلَى الْقُعُودِ فِيهِ .
مَعَ عَلَيْكَ بِمَا فِيهِ مِنْ دَوَاهِيهِ . قَالَ : أَرَى صَبِيًا وَأُظَنُّهُ غَوِيًّا نَصَبَ لِي
فِتْنًا . يَرُومُ لِي فِيهِ رَحًا . وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى مَكَائِدِهِ . وَمَنَاصِبِ مَصَائِدِهِ .
وَعَرَفْتُ مَكِيدَتَهُ أَيْنَ هِيَ . وَإِلَى مَاذَا تَنْتَهِي . وَأَنَا أَتَقَرَّجُ عَلَيْهِ .
وَأَتَقَدَّمُ لِلصَّحِّحِ إِلَيْهِ . وَأَتَعَجَّبُ مِنْ تَضَيُّعِ أَوْقَاتِهِ . وَتَعْطِيلِ سَاعَاتِهِ .
فِيمَا لَا يَبُودُ عَلَيْهِ مِنْهُ نَفْعٌ . وَلَا يُفِيدُهُ فِي قَفَاهُ سِوَى الصَّفْعِ . وَأَسْخَرُ
مِنْ حَرَكَاتِهِ . وَأَنْبَهُ مِنْ يَمْرِ عَلَى خُرْعَائِلَتِهِ . فَتَرَكَهُ الرُّجُلَ وَذَهَبَ .
وَقَضَى حَاجَاتِهِ وَأَنْقَلَبَ . فَرَأَى الْمُهْدِدَ فِي يَدِ الصَّبِيِّ وَلِسَانُ حَالِهِ .
يُلْهِجُ بِمَقَالِهِ :

كَمْصُورَةٍ فِي يَدِ طِفْلِ يَهْنُهَا تُقَاسِي عَذَابَ الْمَوْتِ وَالطِّفْلُ يَلْعَبُ
فَلَا الطِّفْلُ دُوعَثْلُ يَرْقُ لِحَالِهَا وَلَا الطَّيْرُ مُنْفَكُّ الْجَنَاحِ فَيَهْرُبُ
فَكَادَهُ وَقَالَ : يَا أَبَا عَبَّادٍ كَيْفَ وَقَعْتَ فِي شَرِّكَ الصِّيَادِ وَقُلْتَ لِي
إِنَّكَ وَعَيْتَ . وَرَأَيْتَ مَا رَأَيْتَ . فَقَالَ : أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ الْهَدْهَدَ إِذَا
نَقَرَ الْأَرْضَ يَعْرِفُ مَسَافَةَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَاءِ . وَلَا يُبْصِرُ شَعْرَةَ الْفَحِّ
وَلَا مَا وَرَاءَهُ . وَنَاهِيكَ قَضِيَّةَ آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ . كَيْفَ خُذِلَ لَمَّا غَوِيَ
وَأَغْتَرَّ وَبَطِرَ . وَكَذَلِكَ غَيْرُهُ يَمُنُّ أَشْهَرَ أَمْرُهُمْ وَأَنْتَشَرَ . وَأَنَا لَمَّا
أَغْتَرَزْتُ بِحِدَّةٍ بَصْرِي . ذَهَلْتُ عَمَّا يَجُولُ فِي فِكْرِي . فَتَنَطَّتْ حِدَّةٌ
أَسْتَبْصِرِي فَوْقَتِي فِي فَحٍّ أَغْتَرَارِي

مالك للخرين واسمكة

٨٩ كَانَ فِي مَسْكَانٍ مَكِينٍ . مَاوَى لِمَالِكِ الْخَزِينِ . وَفِي ذَلِكَ الْمَكَانِ
غِيَاضٌ وَعُذْرَانُ تُضَاهِي رِيَاضَ الْجَنَانِ . وَفِي مِيَاهِهِ مِنَ السَّمَاءِ . مَا
يَفُوقُ سَابِحَاتِ السَّمَاءِ . فَكَانَ ذَلِكَ الطَّيْرُ . فِي دَعَا وَخَيْرٍ . يُرْجِي
الْأَوْقَاتَ . يَطِيبُ الْأَفْوَاطَ . وَكُلَّمَا تَحَوَّكَ بِحَرَكَةٍ . كَانَ فِيهَا بَرَكَةٌ .
حَتَّى لَوْ غَاصَ فِي تِلْكَ الْبِحَارِ وَالْعُذْرَانِ لَمْ يَخْرُجْ إِلَّا وَفِي مِنْقَارِهِ
سَمَكَةٌ . فَأَتَقَّ أَنَّهُ فِي بَعْضِ الْأَسَاءِ . تَمَسَّرَ عَلَيْهِ أَسْبَابُ الْغَدَاءِ .
وَأَرْتَجَ لِقَوْتِ قُوَّتِهِ أَبْوَابُ الْعِشَاءِ . فَكَانَ يَطِيرُ بَيْنَ عَالَمِ الْمَلِكِ
وَالْمَلَكُوتِ . يَطْلُبُ مَا يَسُدُّ الرَّمَقَ مِنَ الْقُوتِ . فَلَمْ يَفْتَحْ عَلَيْهِ شَيْءٌ
مِنْ أَعْلَى السَّمَاءِ إِلَى أَسْفَلِ الْخُوتِ . وَامْتَدَّ هَذَا الْحَالُ . عِدَّةَ أَيَّامٍ

وَلَيْلٍ . فَخَاضَ يَوْمًا فِي الرِّقَاقِ . يَطْلُبُ شَيْئًا مِنَ الْأَرْزَاقِ . فَصَادَفَ
سَمَكَةً صَغِيرَةً قَدْ عَارَضَتْ مَسِيرَهُ فَأَخْطَفَهَا . وَمِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ التَّقَهَا .
ثُمَّ بَعْدَ أَتْبَالِهَا . قَصَدَ إِلَى أَتْبَالِهَا . فَتَدَارَكَتْ زَاهِقَ نَفْسِهَا قَبْلَ
اِسْتِقْرَارِهَا فِي رَمْسِهَا . فَكَادَتْ بَعْدَ أَنْ كَادَتْ أَنْ تَكُونَ بَادَتْ : مَا
الْبَرْغُوثُ وَدَمُهُ . وَالْمُصْفُورُ وَدَمُّهُ . أَسْمَعَ يَا جَارَ الرِّضَا . وَمَنْ عُمَرَانَا
فِي صَوْنِهِ أَقْضَى . لَا تَجْعَلْ فِي أَتْبَالِي . وَلَا تُسْرِعْ فِي ضِيَاعِي . فَبَقِيَ
بَقَائِي قَوَائِدُ وَعَوَائِدُ . عَلَيْكَ عَوَائِدُ . وَهُوَ أَنْ أَيْ قَدْ مَلَكَ هَذَا
الْأَسَمُكَ فَأَلْكَلُ عَيْدَهُ وَرِعَيْتُهُ . وَوَجِبَ عَلَيْهِمْ طَاعَتُهُ وَمَشِيتُهُ . ثُمَّ
إِنِّي وَاحِدُ أَبِي . وَأُرِيدُ مِنْكَ الْإِبْقَاءَ عَلَيَّ . فَإِنْ أَيْ نَذَرَ النَّذُورِ . حَتَّى
حَصَلَ لَهُ بُجُودِي السَّرُورُ . فَمَا فِي أَتْبَالِي كَبِيرُ قَائِدَةٍ . وَلَا أَسَدُ
لَكَ رَمَقًا . وَلَا أَشْغَلُكَ مَعِدَةٌ قَصِيرٌ مَعَ أَيْ كَمَا قِيلَ : فَأَقْفِرْنِي فِيمَنْ
أُحِبُّ وَلَا أَسْتَعْنِي فَأَلَاؤِي أَنْ أَقْرَعَ عَيْنَكَ . وَأَعْرِفَ مَا بَيْنَ أَيْ وَبَيْنَكَ .
فَأَكُونَ سَبَبًا لِعُقُودِ الْمَصَادِقَةِ . وَفَاتِحًا لِأَغْلَاقِ الْحُبِّ وَالْمُرَافَقَةِ .
وَيَحْمِلُ لَكَ الْجَمِيلَةَ . وَالْمِنَّةَ التَّامَةَ وَالْفَضِيلَةَ . وَأَمَّا أَنَا فَأَعَاهِدُكَ إِنْ
أَعْمَيْتَنِي . وَمَنْنْتَ عَلَيَّ وَأَطْلَقْتَنِي . أَنْ أَتَكْفَلَ لَكَ كُلَّ يَوْمٍ بِعَشْرِ
سَمَكَاتٍ بَيْضَ يَمَانٍ وَدَكَاتٍ . تَأْتِيكَ مَرْفُوعَةً . غَيْرَ مَمْنُوعَةٍ وَلَا مَقْطُوعَةٍ
يُرْسِلُهَا إِلَيْكَ أَيْ مَكَا فَاةٌ لِمَا فَعَلْتَ بِي مِنْ غَيْرِ نَصَبٍ مِنْكَ وَلَا وَصَبٍ .
وَلَا كَدٍ تَحْمَلُهُ وَلَا تَعَبٍ . فَلَمَّا سَمِعَ الْبَلْشُونُ . هَذَا الْعُجُونُ . أَغْرَاهُ
الْطَّمَعُ . فَمَا أَتْبَلَعَ . بَلْ سَهَا وَلَهَا . ثُمَّ قَالَ لَهَا : أَعِيدِي هَذِهِ الرَّمْزَةَ

فِيمَجْرِدِ مَا فَتَحَ فَاهُ بِالْمَنْزَرَةِ . اُتَمَلَّصَتِ السَّمَكَةُ مِنْهُ بِجَمَزَةٍ . وَغَاصَتْ
فِي الْمَاءِ . وَتَحَلَّصَتْ مِنْ بَيْنِ فَكِّي الْبَلَاءِ . وَلَمْ يُحْصِلْ ذَلِكَ الطَّلَاعُ .
إِلَّا قَطَعَ الْأَطْمَاعَ . وَإِنَّمَا أَوْرَدْتُ يَا ذَا الدَّرَايَةِ . هَذِهِ الْحِكَايَةَ .
لِتَتَأَمَّلَ عَمِّي أَمْرَكَ قَبْلَ الشَّرُوعِ فِيهِ . وَتَتَدَبَّرَ مُنْتَهَى أَوَاخِرِهِ فِي
مَبَادِيهِ . فَقَدْ قِيلَ : أَوَّلُ الْفِكْرِ . آخِرُ الْعَمَلِ

• الديك والثعلب •

٩٠ كَانَ فِي بَعْضِ الْفَرَى لِلرَّائِسِ دَيْكٌ . حَسَنُ الْخُلُقِ وَدَيْكٌ .
مَرَّتْ بِهِ التَّجَارِبُ . وَقَرَأَ تَوَارِيخَ الْأَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ . وَمَعْنَى عَلَيْهِ
مِنَ الْعَمْرِ سِنُونَ . وَأُطْلِعَ مِنْ حَوَادِثِ الزَّمَانِ عَلَى فُؤُونٍ . وَقَلَسَى
حُلُوهُ وَرَمَهُ . وَعَانَى حَرَهُ وَقَرَهُ . وَقَطَعَ لِلتَّعَالِبِ شِبَاكَ مَصَايِدَ .
وَتَخَلَّصَ لِابْنِ آوَى مِنْ وَرَطَاتِ مَكَايِدَ . وَرَأَى مِنَ الزَّمَانِ وَبَيْنِهِ
فَوَائِبَ وَشَدَائِدَ . وَحَفِظَ وَقَائِعَ لِبَنَاتِ آوَى وَتَعَالِبَ . وَطَالَعَ مِنْ
كُتُبِ حِيلِهَا طَلَانِعَ كِتَابَ . وَأَحْكَمَ مِنْ طَرَائِقِهَا عَجَائِبَ غَرَائِبَ .
فَاتَّفَقَ لَهُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ . أَنَّهُ وَتَفَ عَلَى بَعْضِ الْجُدْرَانِ . فَنَظَرَ
فِي عِطْفِيهِ . وَتَأَمَّلَ فِي نَقْشِ بُرْدِيهِ . فَرَأَى خَيَالَ تَاجِهِ الْعَمِيقِي .
وَنَظَرَ إِلَى خَدِّهِ الشَّفِيقِي . وَنَقَضَ بُرَائِلَهُ الْمُنْشَشَ . وَسَرَّأَوِيلَهُ الْمُنْشَشَ .
وَالثُّوبَ الَّذِي رَمَهُ نَقَّاشُ الْفُدْرَةِ مِنَ الْمُقَطَّعِ الْمُبَرَّقَشِ . فَأَعْجَبَتْهُ
نَفْسُهُ . وَأَذَنَ فَاطَرُهُ جِسْمَهُ فَصَارَ يَدِيهِ وَيَتَبَخَّرُ . وَيَتَصَفُّ
وَيَخْطُرُ . فَاسْتَهْوَاهُ النَّشِي سُوِيَةً . حَتَّى أَبْعَدَ عَنِ الضَّيِّعَةِ . فَصَعِدَ

إِلَى جِدَارٍ . وَكَانَ قَدْ انْتَصَفَ النَّهَارُ . فَرَفَعَ صَوْتَهُ بِالْأَذَانِ . فَأَذَى
صَوْتُهُ الْكَتَّانِيَّ وَالْدَّهَّانَ . فَسَمِعَهُ ثَعْلَبٌ . فَقَالَ : مَطْلَبٌ . وَسَارَعَ مِنْ
وَكْرِهِ . وَحَمَلَ شَبَكَةَ مَكْرِهِ . وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ . فَرَأَاهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ . فَلَمَّا حَسَّ
بِهِ أَبُو الْيَقْظَانِ . طَفَرَ إِلَى أَعْلَى الْجُدْرَانِ . ثُمَّ حَيَّاهُ تَحِيَّةَ الْخُلَّانِ .
وَتَرَامَى لَهُ بِهِ تَرَامِي الْأَخْوَانِ . وَقَالَ : أَنْعَشَ اللَّهُ بِدَنِّكَ وَرَوْحَكَ .
وَرَوَى مِنْ كَلَسَاتِ الْحَيَاةِ غُبُوفَكَ وَصَبُوحَكَ . فَإِنَّكَ أَحْيَيْتَ
الْأَرْوَاحَ وَالْأَبْدَانَ . بِطَيِّبِ النِّعَمِ وَالصَّبَاحِ فِي الْأَذَانِ . فَإِنَّ لِي
زَمَانًا لَمْ أَسْمَعْ بِمِثْلِ هَذَا الصَّوْتِ . وَقَاهُ اللَّهُ تَوَابَ الْقَوْتِ . وَمَصَابِ
الْمَوْتِ . وَقَدْ جِئْتُ لِأُسَلِّمَ عَلَيْكَ . وَأَذْكُرَكَ مَا أَسْدَى مِنْ النِّعَمِ
إِلَيْكَ . وَأُبَشِّرَكَ بِبِشَارَةٍ . وَهِيَ أَرْبَحُ تِجَارَةٍ . وَأَنْجَحُ مِنْ أَوْلِيَاةِ
وَالْإِمَارَةِ . وَلَمْ يَتَّفِقْ مِثْلُهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ . وَلَا يَتَّعُ نَظِيرُهَا إِلَى
آخِرِ الْعَصْرِ . وَهِيَ أَنَّ السُّلْطَانَ أَيْدَى اللَّهُ بِدَوْلَتِهِ أَرْكَانَ الْإِيمَانِ .
أَمْرَ مُنَادِيًا فَسَادَى بِالْأَمَانِ وَالْإِطْمِئْنَانِ . وَإِجْرَاءَ مِيَاهِ الْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ . مِنْ حَدَائِقِ الصُّحْبَةِ وَالصَّدَاقَةِ فِي كُلِّ بُسْتَانٍ . وَأَنْ
تَشْمَلَ الصَّدَاقَةُ كُلَّ حَيَوَانٍ . مِنَ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ وَالْحَيْتَانِ . وَلَا
يَقْتَصِرَ فِيهَا عَلَى جِنْسِ الْإِنْسَانِ . فَيَتَشَارَكَ فِيهَا الْوُحُوشُ وَالسَّبَاعُ .
وَالْبِهَائِمُ وَالضَّبَاعُ . وَالْأَرْوَاحُ وَالنَّعَامُ . وَالصَّغَرُ وَالْحَمَامُ . وَالضَّبُّ
وَالثَّوْنُ . وَالذَّبَابُ وَأَبُو قَلَمُونٍ . وَيَتَعَامَلُونَ بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ .
وَالْإِسْعَافِ دُونَ الْإِعْسَافِ . وَلَا يَجْرِي بَيْنَهُمْ إِلَّا الْمَصَادَقَةُ . وَحَسَنُ

الْمَعَاشِرَةَ وَالْمُرَاقَبَةَ . فَخُحِّي مِنْ لَوْحِ صُدُورِهِمْ نُفُوشُ الْعِدَاوَةِ
 وَالْمُنَاقَبَةِ . فَيَطِيرُ الْقَطَامُ مَعَ الْعَقَابِ . وَيَبِيتُ الْعَصْفُورُ مَعَ الْغُرَابِ .
 وَيَرَعَى الذِّبُّ مَعَ الْأَرَنْبِ . وَيَتَأَخَى الدِّيكُ وَالثَّلَبُ . وَفِي الْجُمْلَةِ
 لَا يَتَعَدَّى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ . فَتَأْمَنُ الْقَارَةُ مِنَ الْهَرَّةِ . وَالْحُرُوفُ مِنَ
 الْأَسَدِ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَا . فَقَدْ أَرْتَفَعَ الشَّرُّ وَالْأَذَى . فَلَا
 بُدَّ أَنْ يُمَثِّلَ هَذَا الْمُرْسُومُ . وَيُتْرَكَ مَا بَيْنَنَا مِنَ الْعِدَاوَةِ وَالْخُلُقِ
 الْمَذْمُومِ . وَيَجْرِي بَيْنَنَا بَعْدَ الْيَوْمِ الْمَصَادَقَةُ . وَتَنْفُخُ أَبْوَابُ الْحُبَّةِ
 وَالْمُرَاقَبَةِ . وَلَا يَتَفَرُّ أَحَدٌ مِّنَّا مِنْ صَاحِبِهِ . بَلْ يَرَا عِي مَوَدَّتَهُ وَيُبَالِغُ فِي
 حِفْظِ جَانِبِهِ . وَجَعَلَ الثَّلَبُ يُقَرِّرُ هَذَا الْقِتَالَ . وَالِدِّيكُ تَلَفَّتْ إِلَى
 هَذَا الْأَهْدْيَانِ وَالْحَبَالِ . فَقَالَ الثَّلَبُ : يَا أَيُّهَا . مَا لَكَ عَنْ سَمَاعِ
 كَلَامِي مُرْتَجِي . أَنَا أَبَشِّرُكَ بِبَشَارٍ عَظِيمَةٍ . لَمْ تَتَّقْ فِي الْأَعْصِرِ
 الْقَدِيمَةِ . وَإِنَّمَا بَرَزْتَ بِهَا مَرَّاسِيمُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْجَسِيمَةِ . وَأَرَاكَ
 لَا تَلْتَفِتُ إِلَى هَذَا الْكَلَامِ . وَلَا تُسَرُّ بِهَذَا اللَّطْفِ الْعَامِ . وَلَا تَلْتَفِتُ
 إِلَيَّ . وَلَا تُعَوِّلُ عَلَيَّ . وَتُسْتَشْرِفُ عَلَى بُعْدِ لِسِي . فَهَلَا أَخْبَرْتَنِي بِمَا
 أَضْمَرْتَ وَتَوَيْتَ . وَتُطْلَعُنِي فِيمَا تَتَطَاوَلُ إِلَيْهِ عَلَى مَا رَأَيْتَ . حَتَّى
 أَعْرِفَ فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ . وَهَلْ رَكَنْتَ إِلَى أَخْبَارِي وَسَكَنْتَ .
 فَهَالَ : أَرَى عَجَاجًا نَازِرًا . وَنَقْمًا إِلَى الْعَنَانِ فَارًّا . وَحَيَوَانًا جَارِيًا . كَأَنَّهُ
 الْبَرْقُ سَارِيًا . وَمَا عَرَفْتُ مَا هُوَ . وَلَكِنَّهُ أَجْرَى مِنَ الْهَوَاءِ . فَقَالَ :
 أَبُو الْخَصَنِ . وَقَدْ نَسِيَ الْمَكْرَ وَالْمِينَ . يَا اللَّهُ يَا أَبَا نَهَانَ . حَقَّقْ لِي

هَذَا الْحَيَّانَ . فَقَالَ : حَيَّانٌ رَشِيقٌ . لَهُ أَذَانٌ طَوَالٌ وَخَصْرٌ دَقِيقٌ .
لَا أَحْخِيلُ تَلْحَمُهُ . وَلَا أَلْزِيحُ تَسْبَهُهُ . فَرَجَعَتْ قَوَائِمُ الثَّلَبِ . وَطَلَبَ
الْمُهْرَبَ . فَقَالَ أَبُو الْمُنْذِرِ : تَلَبَّثَ يَا أَبَا الْحَصِينِ وَأَصْبِرْ حَتَّى أَحَقِّقَ
رُؤْيَيْهِ . وَاتَّبِعْ مَا هَيَّئْتُ . فَإِنَّهُ يَا أَبَا الْحَصِينِ . يَسْبِقُ طَرَفَ الْعَيْنِ .
وَيَكَادُ يَا أَبَا النُّجْمِ . يُخْلِفُ النُّجْمَ فِي الرَّجَمِ . فَقَالَ : أَخَذَنِي فُؤَادِي .
وَمَا هَذَا وَقْتُ التَّادِي . ثُمَّ وَلَّى وَهُوَ يَصْدَحُ بِقَوْلِهِ :

لَا يَسَ التَّاجِ الْعَقِيقِي لَا تَقِفْ لِي فِي طَرِيقِي
إِنْ يَكُنْ ذَا الْوَصْفِ حَقًّا فَهُوَ وَاللَّهِ السَّلَاقِي

فَقَالَ الْإِدْيَكُ : وَإِذَا كَانَ وَقَدْ قُلْتَ إِنَّ السُّلْطَانَ . رَسَمَ بِالصُّلْحِ بَيْنَ
سَائِرِ الْحَيَّانِ . فَلَا بَأْسَ مِنْهُ عَلَيْكَ . فَتَلَبَّثَ حَتَّى يَجِيَّ وَيَقِيلَ يَدَيْكَ .
وَنَعْمَدَ بَيْنَنَا عُقُودَ الْمَصَادِقَةِ . وَيَصِيرَ رَفِيقَنَا وَنَصِيرَ رِفَاقِهِ . فَقَالَ : مَا
لِي بِرُؤْيَيْهِ حَاجَةٌ . فَدَعُ عَنْكَ الْحَاجَّةَ وَاللَّحَاجَةَ . فَقَالَ : أَوْ مَا زَعَمْتَ
يَا أَبَا وَثَّابٍ . أَنَّ السُّلْطَانَ رَسَمَ لِلْأَعْدَاءِ وَالْأَصْحَابِ . أَنْ يَسْلُكُوا
طَرِيقَ الْأَصْدِقَاءِ وَالْأَحْبَابِ . فَلَوْ خَالَفَ الْمَرْسُومَ هَذَا الْكَلْبُ . لَمَّا
قَابَلَهُ الْمَلِكُ إِلَّا بِالْقَتْلِ وَالصَّلْبِ . قَالَ : لَعَلَّ هَذَا الْمَرْسُومَ . لَمْ يَنْلِفْهُ
الْمَرْسُومُ . ثُمَّ وَلَّى هَارِبًا . وَقَصَدَ لِلْخَلَّاصِ جَانِبًا

لِلْجَمَلِ وَاللَّح

٩١ كَانَ جَمَالٌ فَخِيرٌ ذُو عِيَالٍ لَهُ جَمَلٌ يَتَعِيشُ عَلَيْهِ . وَيَتَمَوَّتُ هُوَ
وَعِيَالُهُ بِمَا يَصِلُ مِنْهُ إِلَيْهِ . فَرَأَى صَلَاحَهُ فِي نَقْلِ مَلْحٍ مِنَ الْمَلَّاحَةِ .

فَجَدَّ فِي تَنْقِيلِ الْأَحْمَالِ . وَمُلَازِمَتِهِ بِأَثْقَالِ الْأَثْقَالِ . إِلَى أَنْ آَلَ حَالُ
الْجَمَلِ إِلَى الْهَزَالِ . وَزَالَ نَشَاطُهُ وَحَالَ . وَالْجَمَالُ لَا يَدْرُقُ لَهُ بِحَالِ .
وَيَجِدُّ فِي كَدِّهِ بِالِاشْتِغَالِ . فَفِي بَعْضِ الْأَيَّامِ . أَرْسَلَهُ مَعَ السَّوَامِ .
فَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَرْعَى . وَهُوَ سَاقِطُ الْقُوَّةِ عَنِ الْمَسْعَى . وَكَانَ لَهُ أَرْتَبُ
صَدِيقُ . فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْمَضِيقِ . وَدَعَاهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ . وَبَثَّ
عَظِيمَ اسْتِيفَاقِهِ . فَلَمَّا رَأَى الْخُرْزُ هَزَالَهُ . تَأَلَّمَ لَهُ وَسَالَهُ أَحْوَالَهُ .
فَأَخْبَرَهُ بِحَالِهِ . وَمَا يُقَاسِيهِ مِنْ غِذَائِهِ وَنِكَالِهِ . وَأَنَّ الْخَلَجَ قَدْ قَرَحَهُ .
وَجَبَّ سَنَامُهُ وَجَرَحَهُ . وَأَنَّهُ قَدْ أَعْيَتْهُ الْحِيلَةُ . وَأَضَلَّ إِلَى الْخُلَاصِ
سَبِيلَهُ . فَتَأَلَّمَ الْأَرْتَبُ وَتَأَمَّلَ . وَتَفَكَّرَ فِي كَيْفِيَّةِ عَصْرِ هَذَا الْأَمَلِ .
ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا أَيُّوبَ . أَقْدَفْتُ بِالْمَطْلُوبِ . وَقَدْ ظَهَرَ وَجْهُ الْخُلَاصِ .
مِنْ شَرِكِ هَذَا الْإِقْتِنَاصِ . وَالنَّجَاءُ مِنَ الْإِرْتِهَاصِ وَالْإِرْتِصَاصِ .
تَحْتَ حِجْلِ كَالرِّصَاصِ . فَهَلْ يَتَرَضُّكَ يَا ذَا الرِّيَاضَةِ . فِي طَرِيقِ
الْمَلَاخَةِ تَخَاصُّهُ . فَقَالَ : كَثِيرٌ وَكَمْ مِنْ نَهْرٍ وَغَدِيرٍ . فَقَالَ : إِذَا مَرَدْتَ
فِي خَوْضٍ وَلَوْ أَنَّهُ رَوْضٌ أَوْ حَوْضٌ . فَأَبْرِكَ فِيهِ وَتَمَرَّغْ . وَتَتَّصِلْ مِنْ
حِمْلِكَ وَتَتَفَرَّغْ . وَاسْتَسْرِفْ فِيهِ يَا أَبَا أَيُّوبَ . فَإِنَّ الْخَلَجَ فِي الْمَاءِ يَذُوبُ .
وَكُرِّرْ هَذِهِ الْحَرَكَةَ . فَإِنَّكَ تَرَى فِيهَا الْبَرَكَةَ . فِيمَا أَنَّهُمْ يُغَيِّرُونَ
حِمْلَكَ أَوْ يُخَفِّفُوهُ . أَوْ تَسْتَرْيِجُ بِذَوِيهِ مِنَ الَّذِي أَضْعَفُوهُ . فَتَعْمَلُ
الْجَمْلُ لِلْأَرْتَبِ الْمُنَّةَ . وَشَفَّ بِدَرِّ هَذِهِ الْمَلَانِدَةِ أَذَنَهُ . فَلَمَّا حَمَلَهُ
صَاحِبُهُ الْجَمْلُ الْمَعْمُودَ . وَدَخَلَ بِهِ فِي طَرِيقِهِ الْمُرُودِ . وَوَصَلَ الْحَاصَةَ

بَرَكَ . فَضَرَبُوهُ وَمَا احْتَرَكَ . وَتَحَمَّلَ ضَرْبَهُ وَعَسَفَهُ . حَتَّى أَذَابَ مِنْ
 الْجَمَلِ نِصْفَهُ . ثُمَّ نَهَضَ انْتِهَاضَةً . وَخَرَجَ مِنَ الْخَاضَةِ . وَلَا زَمَ هَذِهِ
 الْمَادَّةَ . إِلَى أَنْ أَقْفَرَ صَاحِبُهُ وَأَبَادَهُ . فَأَذْرَكَ الْجَمَالَ هَذِهِ الْحِيلَةَ .
 فَأَتَفَكَّرَ لَهُ فِي دَاهِيَةِ وَيْلَةٍ . وَعَمِدَ إِلَى عَيْنِ مَنُوشٍ . وَغَيْرِ فِي مُقَامَرَتِهِ
 شَكْلَ النَّفُوشِ . وَأَوْسَقَ لِلْجَمَلِ حِمْلًا . وَبَالَغَ فِيهِ تَعْيَةً وَثِقَلًا . وَسَلَّطَ
 عَلَيْهِ الظُّمَاءَ . ثُمَّ دَخَلَ بِهِ إِلَى الْمَاءِ . فَلَمَّا تَوَسَّطَ الْمَاءَ بَرَكَ . وَتَغَافَلَ
 عَنْهُ صَاحِبُهُ وَتَرَكَ . فَشَرَبَ الصُّوفُ مِنَ الْمَاءِ مَا يَمْلَأُ الْبِرْكَ . ثُمَّ أَرَادَ
 النَّهْوضَ . فَنَظَرَ بِهِ الرُّبُوضُ . فَقَاسَى مِنَ الْمَشَاقِ . مَا لَا يُطَاقُ . وَرَجَعَ
 هَذَا الْهَكْرُ الْوَيْلُ . عَلَى الْجَمَلِ الْمُسْكِينِ بِأَضْعَافِ التَّثْنِيلِ . فَسَاءَ
 مَصِيرُهُ . وَكَانَ فِي تَذْيِيرِهِ تَذْمِيرُهُ . وَمَا اسْتَفَادَ إِلَّا زِيَادَةَ النَّصَبِ .
 وَأَمْتَالَ مَا كَانَ يَجِدُهُ مِنَ التَّعَبِ وَالْوَصَبِ . وَإِنَّمَا أَوْرَدَتْ هَذَا
 الْمَثَلَ عَنْ الْجَمَلِ لِيَعْلَمَ الْمَلِكُ وَالْخَضَارُ . أَنَّ الْعَدُوَّ الْقُدَّارَ . وَالْحُسُودَ
 الْمَكَارَ . يَفْتَكِرُ فِي أَنْوَاعِ الدَّوَاهِي . وَيُقْرِغُ أَنْوَاعَ الْبَلَايَا وَالرَّزَايَا
 كُلَّهَا . وَيَبْذُلُ فِي ذَلِكَ جِدَّهُ وَجَهْدَهُ . وَلَا يَقْصِرُ فِيمَا تَصِلُ إِلَيْهِ
 مِنْ ذَلِكَ يَدُهُ . فَخَارَةٌ تُدْرِكُ مَكَائِدَهُ . وَتُعْرِفُ مَصَائِدَهُ . وَتَأْتِي
 يُغْلِقُ عَنْ دَوَاهِيهَا . فَلَا يَشْعُرُ الْخَضَمُ إِلَّا وَقَدْ تَوَرَّطَ فِيهَا . وَعَلَى كُلِّ
 حَالٍ . لَا بُدَّ لِلشَّخْصِ لَهُ وَعَلَيْهِ مِنَ الْإِحْتِيَالِ

الْبِسْتَانِي وَالْأَرْبَعَةُ الْعَاشِرُونَ بِحَسْبِهِ

٩٢ كَانَ مِنْ تَكْرِيتِ رَجُلٍ مُسْكِينٍ . يَنْظُرُ الْبَسَاتِينَ . فَهِيَ

بَعْضِ السِّينِ . قَدِيمَ قَرْيَةِ مَنِينَ . وَسَكَنَ فِي بُسْتَانٍ . كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ مِنْ
الْجَنَانِ . فِيهِ فَاكِهَةٌ وَتَحُلُّ وَرْدَانٌ . قَبِي بَعْضِ الْأَعْوَامِ . أَقْبَلَتْ أَلْهَوَاكُهُ
بِالْإِنْعَامِ . وَنَثَرَتْ الثَّمَارَ مَلَايِسُ الْأَشْجَارِ مِنْ الْأَذْيَالِ وَالْأَكْمَامِ .
فَأَلْبَسَتْ الضَّرُورَةَ ذَلِكَ الْإِنْسَانَ . أَنْ خَرَجَ مِنَ الْبُسْتَانِ . ثُمَّ رَجَعَ فِي
الْحَالِ قَرَأَى فِيهِ أَرْبَعَةَ رِجَالٍ . أَحَدُهُمْ جُنْدِيٌّ وَالْآخَرُ شَرِيفٌ .
وَالثَّلَاثُ قَبِيهِ وَالرَّابِعُ تَاجِرٌ ظَرِيفٌ . قَدْ أَكَلُوا وَسُقُوا . وَتَأَمَّلُوا
وَأَتَّقُوا . وَتَصَرَّفُوا فِي ذَلِكَ تَصَرَّفَ الْمَلَاكِ . وَأَفْسَدُوا فَسَادًا فَاحِشًا
خَادِشًا . وَمَارِشًا وَنَاوِشًا وَتَاكِشًا . فَأَضَرَّ ذَلِكَ بِحَالِهِ . وَرَأَى الْهَجْرَ فِي
أَفْعَالِهِ . إِذْ هُوَ وَحِيدٌ . وَهُمْ أَرْبَعَةٌ وَكُلُّ عَنِيدٌ . فَسَارَعَ إِلَى التَّلَاخِيذِ .
وَعَزَمَ عَلَى التَّنْخِيذِ . فَابْتَدَأَ بِالْتَّرْخِيبِ وَالْبَشَاشَةِ . وَالْإِكْرَامِ وَالْمَشَاشَةِ .
وَأَحْضَرَهُمْ مِنْ أَطْيَابِ الْهَافِكَةِ . وَطَايِبِهِمْ بِالْمَقَاسِكَةِ . وَسَاحَ
بِالْمُزَاحَةِ . وَمَازَحَ بِالْمُسَاحَةِ . إِلَى أَنْ أَطْمَأَنَّنُوا وَاسْتَكْنَوْا وَاسْتَكْنَوْا .
وَدَخَلُوا فِي اللَّعِبِ . وَلَا عُبُوهُ يَمَاجِيْبُ . فَقَالَ فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ : أَيُّهَا
السَّادَةُ الْكِرَامُ لَقَدْ خُرْتُمْ أَطْرَافَ الْمَعَارِفِ وَالْطَّرَفِ . فَأَيُّ شَيْءٍ
تُتَاوَنُونَ مِنَ الْخُرْفِ . فَقَالَ أَحَدُهُمْ : أَنَا جُنْدِيٌّ . وَقَالَ الْآخَرُ : أَنَا
شَيْخُ الْقَضَاةِ جُنْدِيٌّ . وَقَالَ الثَّلَاثُ : أَنَا قَبِيهِ . وَقَالَ الرَّابِعُ : أَنَا تَاجِرٌ نَبِيهِ .
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَسْتُ بِنَبِيٍّ . وَلَكِنْ تَاجِرٌ سَفِيهِ . وَقَبِيحُ الشَّكْلِ كَرِيهِ .
أَمَّا الْجُنْدِيُّ فَإِنَّهُ مَا لَكَ رِقَابُنَا . وَحَارِسُ حِجَابِنَا . يَحْفَظُنَا بِصَوْلَتِهِ .
وَيَصُونُ أَنْفُسَنَا وَأَمْوَالَنَا وَأَوْلَادَنَا بِسَيْفِ دَوْلَتِهِ . وَبِمَجْلُ نَفْسِهِ لَنَا

وَقَايَةً. وَيَنْكِحِي فِي أَعْدَانِنَا أَشَدَّ نِكَاحِيهِ. فَلَوْ مَدَّ يَدَهُ إِلَى كُلِّ مِنَّا وَرَزَقَهُ.
فَهُوَ بَعْضُ اسْتِحْقَاقِهِ وَدُونَ حَقِّهِ. وَأَمَّا الشَّرِيفُ فَقَدْ تَشَرَّفَ بِهِ الْيَوْمَ
مَكَانِي. وَحَلَّتْ بِهِ الْبَرَكَةُ عَلَيَّ وَعَلَى بُسْتَانِي. وَأَمَّا سَيِّدُنَا الْعَالَمُ فَهُوَ
مُرْشِدُ الْعَالَمِ. وَهُوَ سِرَاجُ دِينِنَا. الْمَادِي إِلَى يَقِينِنَا. فَإِذَا شَرَفُونَا
بِأَقْدَامِهِمْ. وَرَضُوا أَنْ نَكُونَ مِنْ خُدَّائِهِمْ. فَلَهُمُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا. وَالْإِنَّةُ
الْأَوَّالَةُ الْإِنْسَانِ. وَأَمَّا أَنْتَ يَا رَأِيَهُمْ. وَشَرَّ جَانِ تَابِعَهُمْ. بِأَيِّ طَرِيقٍ
تَدْخُلُ إِلَى بُسْتَانِي. وَتَتَنَاوَلُ سَفَرَجَلِي وَرُمَّانِي. هَلْ بِأَيْتِي بِسَاحَةِ.
وَرَزَكْتِ لِي الْفَرَاخَةَ. أَوَّلَكَ عَلَيَّ دِينَ. أَوْ عَامَلْتَنِي نَسِيَةً دُونَ عَيْنِ.
أَلَكِ عَلَيَّ حِمْلَةٌ. وَهَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَسِيلَةٌ. تَقْضِي تَنَاوُلَ مَالِي.
وَالْهَجُومَ عَلَى مِلْكِي وَمَنَالِي. ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَيْهِ. فَلَمْ يَتَرَضَ مِنْ رُحْمَائِهِ
أَحَدٌ عَلَيْهِ. لِأَنَّهُ أَرْضَاهُمْ بِالْكَلَامِ. وَاعْتَذَرَ عَمَّا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ مِنْ
مَلَامٍ. فَلَوْثَقَهُ وَثَاقًا مُحْكَمًا. وَتَرَكَهُ مُغْرَمًا. ثُمَّ مَكَثَ سَاعَةً. وَهُوَ عَلَى
الْحُلَاةِ مَعَ الْجُمَاعَةِ. رَعَا مَرَّ الْجُنْدِيِّ وَالشَّرِيفِ عَلَى الْفَقِيهِ الظَّرِيفِ.
فَقَالَ: أَيُّهَا الْعَالِمُ الْفَقِيهُ. وَالْقَاضِلُ النَّبِيُّ. أَنْتَ مُفْتِي الْمُسْلِمِينَ.
وَعَالِمُ بَيْنَاجِ الدِّينِ. عَلَى قَتَوَاكَ مَدَارُ الْإِسْلَامِ. وَكَلِمَتُكَ الْفَارِقَةُ
بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ. يَفْتَوَاكَ تُسْتَبَاحُ الدِّمَاءِ فَمَنْ أَفْتَاكَ بِالدُّخُولِ فِي
هَذَا. أَفْتَنِي يَا عَالِمُ الزَّمَانِ. مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ أَفْتَاكَ بِهَذَا أَمِ النُّعْمَانُ.
أَمِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَمِ مَالِكٌ. فَبُجَّ لَنَا بِذَلِكَ. وَإِلَّا فَمَا بِالكَ تَمُوتُ
وَتَقْبُثُ بِمَا لَيْسَ لَكَ. وَلَا عَنَبَ عَلَى الْأَجْنَادِ وَالْأَشْرَافِ. وَلَا عَلَى

الجهلاء والأجلاف . إِذَا أَرْتَكَبَ مِثْلَكَ هَذَا الْخَطُورَ . وَتَعَاطَى الْعُلَمَاءُ
وَالْفُقَهَاءُ أَقْبَحَ الْأُمُورِ . ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى جَلَابِيهِ . وَأَوْثَقَهُ بِتَلَابِيهِ .
فَلَحَّكَهُ وَنَاقَا . وَآلَمَهُ رَبَاقًا . فَاسْتَجَدَّ بِصَاحِبِهِ إِلَى جَانِبِهِ فَمَا أُنْجِدَاهُ
وَلَا رَفَدَاهُ . ثُمَّ جَلَسَ يَلَاهِي . الْجُنْدِيُّ السَّاهِي . وَغَامَزَهُ عَلَى
الشَّرِيفِ . ذِي النَّسَبِ الطَّرِيفِ . ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا السَّيِّدُ الْأَصِيلُ
الْغَيْبُ الْجَمِيدُ الْحَسِيبُ . لَا تَتَّبِعْ عَلَى كَلَامِي . وَلَا تَسْتَنْقِلْ مَلَامِي .
أَمَّا الْأَمِيرُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ كَبِيرٌ . ذُو قَدَرٍ خَطِيرٌ . لَهُ الْجَمِيلَةُ النَّامَةُ .
وَالْفَضِيلَةُ الْأَلَامَةُ . وَأَنْتَ يَا ذَا النَّسَبِ الطَّاهِرِ . وَالْأَصْلِ الْبَاهِرِ .
وَالْفَضْلِ الزَّاهِرِ سَلَفُكَ الطَّيِّبُ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّخُولِ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ
لَكَ . وَإِذَا كُنْتَ يَا طَاهِرَ الْأَسْلَافِ لَا تَتَّبِعْ سُنَّةَ آبَائِكَ الْأَشْرَافِ .
مِنَ الزُّهْدِ وَالْعِفَافِ . فَلَا تَغْبِ عَلَى الْأَوْبَاشِ وَالْأَطْرَافِ . ثُمَّ وَبَّ
إِلَيْهِ وَكَتَفَ يَدَيْهِ . وَلَمْ يَعْطِفِ الْجُنْدِيُّ عَلَيْهِ . وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْجُنْدِيُّ
وَهُوَ وَحِيدٌ . فَانْتَصَفَ مِنْهُ الْبُسْتَانِيُّ كَمَا يُرِيدُ . وَأَوْثَقَهُ رَبَاطًا . وَزَادَ
لِنَفْسِهِ اخْتِطَاطًا . ثُمَّ أَوْجَعَهُمْ ضَرْبًا وَأَشْبَعَهُمْ لَعْنًا وَسَبًّا . وَجَمَعَ عَلَيْهِمُ
الْحَيْرَانَ . وَاسْتَعَانَ بِالْجَلَاوِذَةِ وَأَصْحَابِ الدِّيَوَانِ . وَحَمَلَهُمْ بِرَبَاطِهِمْ
وَعَمَلَتُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ إِلَى بَابِ الْوَالِي . وَأَخَذَ مِنْهُمْ ثَمَنَ مَا أَخَذُوهُ مِنْ
رَخِيسٍ وَغَالِي . وَإِنَّمَا أَوْرَدَتْ مَا جَرَى لِيَتَعَلَّمُوا أَيُّهَا الْوُزَرَاءُ أَنَّ
التَّنْخِيذَ . بَيْنَ الْأَعْدَاءِ بِالتَّائِيذِ . أَمْرٌ مِنَ السِّهَامِ فِي تَنْفِيذِ الْأَحْكَامِ
وَأَحْكَامِ التَّنْفِيذِ

(فَاكِهِةُ الْحُلَفَاءِ لِابْنِ عَرِيشٍ)

أَلْبَابُ السَّابِغِ فِي الْقَضَائِلِ وَالرَّذَائِلِ

الصبر

٩٣ يُقَالُ أَوْكَدُ الْأَسْبَابِ لِلظَّفَرِ الصَّبْرُ. وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: الصَّبْرُ
جَنَّةُ الْمُؤْمِنِ وَعَزِيمَةُ الْمُتَوَكِّلِ وَسَبَبُ دَرْكِ النَّحْلِ فِي الْحَوَائِجِ. فَمَنْ وَطَّنَ
نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ لَمْ يَجِدْ لِلْأَذَى مَسًّا. وَمَنْ اسْتَمْتَفَّ بِاللَّهِ عَفْهُ.
وَمَنْ اسْتَعَانَ بِهِ يُعِينَهُ وَلَنْ يُجِدَ وَاحِظًا خَيْرًا مِنَ الصَّبْرِ. جَاءَ فِي السُّبْحِ:
الصَّبْرُ أَحْيَى بِيْذِي النَّحْلِ. وَقَالَ حَكِيمٌ: تَابِعِ الصَّبْرَ مَتَّبِعِ النَّصْرَ
(المقدسي)

٩٤ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ:

إِذَا اسْتَمَلْتَ عَلَى أَلْيَاسِ الْقُلُوبِ وَضَاقَ لِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وَأَوْطَنْتِ الْمَكَارِهِ وَأَطْمَأَنَّتِ وَأَزْدَتْ فِي مَكَامِنِهَا الْخُطُوبُ
فَلَمْ تَرَ لَنَا كِشَافَ الضَّرِّ وَجْهًا وَلَا أَغْنَى بِحَيَاتِهِ الْأَرِيبُ
أَتَاكَ عَلَى قُضُوطٍ مِنْهُ غَوْثٌ يَمُنُّ بِهِ الْأَطِيفُ الْمُسْتَعِيبُ
فَكُلُّ الْحَادِثَاتِ وَإِنْ تَنَاهَتْ فَوْضُولُهَا قَرَجٌ قَرِيبُ
٩٥ مِنَ الدِّيَوَانِ الْمُنْسُوبِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ:

هِيَ حَالَانِ شِدَّةٌ وَرَخَاءٌ وَسِحَالَانِ نِعْمَةٌ وَبَلَاءٌ
وَأَلْقَى الْحَادِيقُ الْأَدِيبُ إِذَا مَا خَانَهُ الدَّهْرُ لَمْ يَخْنَهُ الْعَرَاءُ

إِنْ أَلَمْتُ مُلَمَّةً بِي فَأَنِّي فِي الْمَلَمَاتِ صَخْرَةٌ صَمَاءٌ
حَازَتْ فِي الْبِلَادِ عِلْمًا بِأَنْ لَيْسَ يَدُومُ النَّبِيمُ وَأَبْلَوَاهُ
وَأَنشَدَ أَعْرَابِي :

وَأَنِّي لَا أَغْضِي مُقَلَّتِي عَلَى الْقَدَى
وَأَنِّي لَا دَعُو اللَّهَ وَالْأَمْرُ ضَيْقٌ
وَكَمْ مِنْ قَتَى صَافَتْ عَلَيْهِ وَجُوهُهُ
٩٦ قَالَ غَيْرُهُ :

تَصَبَّرْ وَلَا تُبْدِ التَّضَعُّعَ لِلْعَدَى
سُرُورُ الْأَعَادِي أَنْ تَرَكَ بَذْلَهُ
إِنِّي وَجَدْتُ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ
وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرٍ يُحَاوِلُهُ
قَالَ آخَرُ :

عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فِيمَا قَدْ مُنِيتَ بِهِ
كَمْ أَيْلَافٍ مِنْ هُمُومِ الدَّهْرِ مُظْلِمَةٍ
وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الشَّيْخُ حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبُورِينِي :

صَبْرًا عَلَى نُوبِ الزَّمَانِ فَإِنَّهَا
لَا يُكْسِفُ النَّجْمُ الضَّعِيفُ وَإِنَّمَا
٩٧ قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْعِمَادِي :

لَا تَحْشَ مِنْ شِدَّةٍ وَلَا نَصَبٍ
وَتَقِ بِفَضْلِ الْإِلَهِ وَأَتَّبِعْ

وَأَرْجُ إِذَا أَشَدَّ هَمٌّ نَازِلَةٌ فَأَخِرُ أَلْهَمَ أَوَّلُ الْهَمِّ
وَقَالَ غَيْرُهُ وَأَجَادَ :

تَصَبَّرَ قَبِي الْأَوَاءُ قَدْ يُحْمَدُ الصَّبْرُ وَلَوْ لَا صُرُوفُ الدَّهْرِ لَمْ يُعْرِفِ الْحُرُّ
وَأَنَّ الَّذِي أَبْلَى هُوَ الْعَوْنُ فَأَتَتَّبِعُ جَمِيلَ الرِّضَا يَتَّقِي لَكَ الذِّكْرُ وَالْآخِرُ
وَتَقِي بِالَّذِي أُعْطِيَ وَلَا تَكُ جَارِعًا فَلَيْسَ بِحُزْمٍ أَنْ يَرُوعَكَ الضَّرُّ
فَلَا نِعَمٌ تَبْقَى وَلَا نِقَمٌ وَلَا تَقْلُبْ هَذَا الْأَمْرَ لَيْسَ بِدَائِمٍ
قَالَ آخَرُ :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا أَشَدَّتْ مَسَالِكُهَا قَالَ الصَّبْرُ يَقْفُضُ مِنْهَا كُلَّ مَا رُتِجَا
لَا تَيَأْسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مَطَالِبُهُ إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجًا
وَقَالَ آخَرُ :

عَلَى قَدْرِ فَضْلِ الْمَرْءِ تَأْتِي خُطُوبُهُ وَيُعْرِفُ عِنْدَ الصَّبْرِ فَضْلُ نَهَاهُ
وَمَنْ قَلَّ فِي مَا يَتِمُّهُ أَصْطَبَارُهُ فَقَدْ قَلَّ فِي مَا يَنْجِيهِ مِنْهُ
قَالَ الْمُرَادُ بْنُ سَعِيدٍ :

إِذَا شِئْتَ يَوْمًا أَنْ تَسُودَ عَشِيرَةٌ فَبِالْجَلْمِ سُدَّ لَا بِالتَّسَرُّعِ وَالشَّمِّ
وَالْجَلْمِ خَيْرٌ فَأَعْلَمَنَّ مَعَبَةً مِنَ الْجَهْلِ إِلَّا أَنْ تَشْسَ مِنْ ظُلْمٍ

القناعة

٩٨ إِعْلَمْ أَنَّ مِمَّا يَجْعَلُهُ الْعَاقِلُ وَلَا يَنْهَلُ عَنْهُ إِلَّا الْآبِلُهُ أَنَّ الدُّنْيَا
دَارُ الْأَنْكَدَارِ وَحُلُّ الْمُؤَمِّ وَالنُّعُومِ وَالْحُسَرَاتِ . وَأَنَّ أَخْفَ الْخُلُقِ

بَلَاءَ وَالْمَا أَفْقَرَاءَ . وَأَعْظَمَ النَّاسِ تَعَبًا وَهَمًّا وَغَمًّا هُمُ الْمُلُوكُ وَالْأَمْرَاءُ
وَالْكُتَبَاءُ . وَيُقَالُ : لِكُلِّ شَيْءٍ قَامَةٌ مِنْ أَلْهَمٍ . وَقِيلَ :
لَقَدْ قُبِعَتْ هِمَّتِي بِالْحُمُولِ وَصَدَّتْ عَنِ الرَّتَبِ الْعَالِيَةِ
وَمَا جِئْتُ طِيبَ طَعْمِ الْعُلَى وَلَكِنَّهَا تَوَثَّرُ الْعَافِيَةِ
وَطَالَمَا رَضِيتُ الْمُلُوكَ وَالسَّلَاطِينَ . بِحَالِ الْفُقَرَاءِ وَالضُّعَفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ .
فِي كُلِّ بَيْتٍ كُرْبَةٌ وَمُصِيبَةٌ وَلَعَلَّ بَيْتَكَ إِنْ رَأَيْتَ أَقْلَامًا
فَارْضَ بِحَالِ فَرِكَ . وَاشْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى خِفَةِ ظَهْرِكَ . وَلَا تَتَعَدَّ
طَوْرَكَ . وَقِفْ عِنْدَ قَدْرِكَ . تَجِدُ ذَلِكَ نِعْمَةً خَفِيَّةً سَاقِمًا اللَّهُ تَعَالَى
إِلَيْكَ . وَرَأْفَةً وَرَحْمَةً أَقَاضَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ خَزَائِنِ لَطْفِهِ عَلَيْكَ . فَاعْتَبِرْ
بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ . وَخُذْ لِنَفْسِكَ حَظًّا وَافِرًا مِنْ هَذِهِ الْعِظَاتِ . وَمِنْ
ذَلِكَ أَنَّ هَارُونَ الرَّشِيدَ مِنْ أَعْقَلِ الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ وَأَكْمَلِهِمْ
رَأْيًا وَتَدْبِيرًا وَفِطْنَةً وَقُوَّةً وَاتِّسَاعَ مَمْلَكَةٍ وَكَثْرَةَ خَزَائِنِ بَيْتِهِ كَانَ
يَقُولُ لِلسَّحَابَةِ : أَمْطُرِي حَيْثُ شِئْتُ فَإِنَّ خَرَّاجَ الْأَرْضِ إِلَيَّ تَمْطُرِينَ
فِيهَا يَجِيءُ إِلَيَّ . وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ أَنْعَمَهُمْ خَاطِرًا وَأَشْهَمَهُمْ فِكْرًا
وَأَشْغَلَهُمْ قَلْبًا

(الاعلام لقطب الدين النهر والي)

٩٩ وَاللَّهِ مِنْ قَالَ :

أَرَى الدُّنْيَا لَمْ يَ فِي يَدَيْهِ عَذَابًا كُلَّمَا كَثُرَتْ لَدَيْهِ
إِذَا اسْتَعْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ فَدَعَهُ وَخُذْ مَا كُنْتَ مُتَحَاجًّا إِلَيْهِ
قَالَ آخَرُ :

أَفَادَتْنِي الْفَنَاعَةُ كُلَّ عِزٍّ وَهَلْ عِزٌّ أَعَزُّ مِنَ الْفَنَاعَةِ
فَاجْعَلْهَا لِنَفْسِكَ رَأْسَ مَالٍ وَاشْتَرِ بِعَدِّهَا التَّقْوَى بِضَاعَةَ
قَالَ ابْنُ وَابِصَةَ :

غَنَى النَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سِدِّ قَافَةٍ فَإِنْ زَادَ شَيْئًا عَادَ ذَلِكَ الْغِنَى قَهْرًا
قَالَ غَيْرُهُ :

يَا أَحْمَدُ أَقْنِعْ بِالَّذِي أُوتِيتَهُ إِنْ كُنْتَ لَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ ذَلِكَ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ لَمْ يَخْلُقِ الدُّنْيَا لِأَجْلِكَ كُلِّهَا

العدل

١٠٠ يُحْكَمُ عَنْ إِسْمَاعِيلَ السَّامَانِيِّ فِي كِتَابِ سِيرِ الْمُلُوكِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا
أَحْتَلَّ مَدِينَةً يَجْلِسُ لِلنَّاسِ وَكَانَ يَرْفَعُ الْحِجَابَ . وَيُعِيدُ الْحِجَابَ .
وَيُرِيحُ الْبُؤَابَ . لِيَهَيَّ كُلُّ مَنْ لَهُ ظُلَامَةٌ وَيَقِفَ عَلَى جَانِبِ الْإِسَاطِ
وَيُخَاطَبُهُ وَيَعُودُ مَقْضِي الْحَاجَةِ . وَكَانَ يَقْضِي بَيْنَ الْخُصُومِ مِثْلَ
الْحُكَّامِ إِلَى أَنْ يُفْنِيَ الدَّعَاوِي . ثُمَّ يَقُومُ مِنْ مَوْضِعِهِ وَيَقْبِضُ عَلَى
مَحَاسِنِهِ بِيَدِهِ . وَيُوجِّهُ وَجْهَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ : إِلَهِي هَذَا جَهْدِي
وَطَاقَتِي قَدْ بَذَلْتُهُ وَأَنْتَ عَالِمُ الْأَسْرَارِ وَتَعْلَمُ عَلَانِيَتِي . وَلَا أَعْلَمُ عَلَى
أَيِّ عَبْدٍ مِنْ عِبِيدِي أَجَنَّفْتُ أَوْ لَايِي عَبْدٍ ظَلَمْتُ وَمَا أَنْصَفْتُ . أَنَا
وَاحِدٌ مِنْ أَصْحَابِي . فَاعْفِرْ لِي مِنْ ذَلِكَ مَا لَا أَعْلَمُ . فَلَمَّا كَانَ تَقَى
النِّيةَ حِمْلِ الطَّوِيَّةِ لَا حَرَمَ عِلَاقَتِهِ وَارْتَفَعَ قَدْرُهُ . وَكَانَ عَسْكَرُهُ

أَلْفَ فَارِسٍ مُتَعَدِّينَ بِالسِّلَاحِ مُقْنَعِينَ بِالْحَدِيدِ وَبِرَكَّةٍ ذَلِكَ
الْعَدَلِ وَالْإِنصَافِ ظَفَرَهُ اللَّهُ بِأَعْدَائِهِ
(للغزالي)
قَالَ شَاعِرٌ :

الْعَدْلُ رُوحٌ بِهِ تَحْيَا أَلْيَادُ كَمَا دَمَارُهَا أَبَدًا بِالْجُورِ يَنْتَحِمُ
الْجُورُ شَيْنٌ بِهِ التَّعْبِيرُ مُتَّبِعٌ وَالْعَدْلُ زَيْنٌ بِهِ التَّنْهِيدُ يَنْتَظِمُ
١٠١ لَمَّا ظَلَمَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ قَبْلَ أَنْ يَعْدِلَ . اسْتَعَاثَ النَّاسُ مِنْ
ظُلْمِهِ وَتَوَجَّهُوا إِلَى السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ وَاسْتَكَوْهُ إِلَيْهَا . فَقَالَتْ لَهُمْ : مَتَى
يَذُكُّ . فَقَالُوا : فِي غَدٍ فَكَبَّتْ دُقْمَةً وَوَقَفَتْ فِي طَرِيقِهِ . وَقَالَتْ :
يَا أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ . فَلَمَّا رَأَاهَا عَرَفَهَا وَتَرَجَّلَ عَنْ قَرَسِهِ وَأَخَذَهَا مِنْهَا
وَقَرَأَهَا . فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ مَلَكْتُمْ فَأَسْرَيْتُمْ . وَقَدَرْتُمْ فَهَرَيْتُمْ . وَخَوَلْتُمْ
فَعَسَفْتُمْ . وَدَرَّتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْزَاقُ فَطَطَّمْتُمْ . هَذَا وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ سِيَّهَامَ
الْأَسْحَارِ نَافِذَةٌ لَا سِيَّامَ مِنْ قُلُوبِ أَجْفَعْتُمُوهَا . وَأَجْسَادِ أَعْرَيْتُمُوهَا .
أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَإِنَّا صَابِرُونَ . وَجُورُوا فَإِنَّا بِاللَّهِ مُسْتَجِيرُونَ . وَأَظْلِمُوا
فَإِنَّا مِنْكُمْ مُتَظَلِّمُونَ . وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَابٍ يَنْقَلِبُونَ . فَعَدَلَ
مِنْ وَقْتِهِ وَسَاعَتِهِ

(لبهاء الدين)

١٠٢ أَخْبَرَ الْعَالِي قَال : اسْتَشْهَدَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَرَاتِ أَيَّامَ وَزَارَتِهِ عَلِيَّ بْنَ
عِيْسَى صَاحِبَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَمْ يَشْهَدْ لَهُ : فَلَمَّا عَادَ إِلَى بَيْتِهِ كَتَبَ إِلَيْهِ :
لَا تَلْمِني عَلَى نَكُوصِي عَنْ نُصْرَتِكَ شَهَادَةَ زُورٍ . فَإِنَّهُ لَا إِتِّفَاقَ عَلَى
يَنْفَاقٍ . وَلَا وِفَاءَ لِذِي مَيْنٍ وَأَخْتِلَاقٍ . وَآخِرُ بَيْنٍ تَعْدَى الْحَقِّ فِي

مَسْرَتِكَ إِذَا رَضِيَ أَنْ يَتَعَدَّى الْبَاطِلُ فِي مَسَاءَتِكَ إِذَا غَضِبَ. وَكَأَنَّ
الْمُتَنَبِّيَ أَشَارَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ :

لَقَدْ أَبْلَحَكَ غِشًّا فِي مُعَامَلَةٍ مَنْ كُنْتَ مِنْهُ بِغَيْرِ الصِّدْقِ تَنْتَفِعُ

الكرم

١٠٣ كَانَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْفُسَيْرِيُّ يَقُولُ تَنَافَسُوا فِي الْمَنَافِمِ وَسَارِعُوا
إِلَى الْمَكَارِمِ. وَاكْتَسِبُوا بِالْجُودِ حَمْدًا وَلَا تَكْتَسِبُوا بِالْمَالِ ذَمًّا. وَلَا
تَعْدُوا بِمَعْرُوفٍ وَلَمْ يُجْلَوْهُ. وَأَعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ نِعْمَةٌ مِنْ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ فَلَا تَمْلُوهَا قَتْعُودَ نِقْمًا. وَقَالَ الشَّاعِرُ :

مَاتَ الْكِرَامُ وَوَلَّوْا وَأَنْقَضُوا وَمَضُوا وَمَاتَ فِي إِثْرِهِمْ تِلْكَ الْكَرَامَاتُ
وَخَلَقُونِي فِي قَوْمٍ ذَوِي سَفَهٍ لَوْ عَانُوا طَيْفَ صِفَتِي فِي الْكُرَى مَا تَوَا
١٠٤ قَالَ آخَرُ :

إِنِّي وَإِنْ لَمْ يَنْلِ مَالِي مَدَى خُلُقِي قَيَاضُ مَا مَلَكَتْ كَهَّايَ مِنْ مَالٍ
لَا أَحِسُّ الْمَالَ إِلَّا رَيْثَ أَتْلِفُهُ وَلَا تُشِيرُنِي حَالٌ إِلَى حَالٍ
وَقَالَ سَوَادَةُ الْبَرْبُوعِيُّ :

أَلَا بَكَرْتَ مَعِيَ عَلَى تَلْوِينِي تَقُولُ أَلَا أَهْلَكَتَ مِنْ أَنْتَ عَائِلَتَهُ
ذَرِينِي فَإِنْ أَلْجَلَّ لَا يُخْلِدُ أَلْتَقَى وَلَا يَهْلِكُ الْمَعْرُوفُ مِنْ هُوَ قَائِلُهُ
قَالَ آخَرُ :

يُنْفِي الْبُخْلَ بِجَمْعِ الْمَالِ مُدَّتُهُ وَلِلْحَوَادِثِ وَالْأَيَّامِ مَا يَدْعُ
كَدُودَةَ الْفَرِّ مَا تَنْبِيهِ يَهْدِيهَا وَغَيْرَهَا بِالَّذِي تَنْبِيهِ يَنْتَفِعُ

قَالَ غَيْرُهُ فِي الْمَعْنَى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ طَوَّلَ حَيَاتِهِ مُعْنَى بِأَمْرٍ لَا يَزَالُ يُعْلَلُ بِهِ
كَذَلِكَ دُودُ الْقَرْيَةِ يَسُجُّ دَائِمًا وَبَيْنَكَ غَمًّا بِالَّذِي هُوَ نَائِبُكَ

الوفاء

١٠٥ يُخَيِّبُنِي قَوْلُ بَعْضِهِمْ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ شَجَرَ وَعْدِكَ قَدْ أَوْرَقَتْ
فَلْيَكُنْ ثَمَرُهَا سَلَامًا مِنْ حَوَائِجِ الْمَطْلُ وَالسَّلَامُ (للحموي)

قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

إِذَا قُلْتُ فِي شَيْءٍ نَعَمْ فَأَتِمَّهُ فَإِنَّ نَعَمْ دَيْنٌ عَلَى الْخَيْرِ وَاجِبٌ
وَلَا أَقُولُ لَا تَسْتَرْخِ وَتَرْخِ بِهَا لِئَلَّا يَقُولَ النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبٌ
وَقَالَ آخَرُ :

وَلَقَدْ وَعَدْتَ وَأَنْتَ أَكْرَمُ وَاعِدٍ لَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ بِغَيْرِ تَمَامٍ
أَنْعَمَ عَلَيَّ بِمَا وَعَدْتَ تَكْرُمًا فَالْمَطْلُ يَذْهَبُ بِهَجَّةِ الْإِنْعَامِ
وَقَالَ غَيْرُهُ :

لَنْ يَجْمَعَ الْأَقَاتُ قَالِبُ الْجُلِّ شَرُّهَا وَشَرُّ مِنَ الْجُلِّ الْمَوَاعِيدُ وَالْمَطْلُ
وَلَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ إِذَا كَانَ كَاذِبًا وَلَا خَيْرَ فِي قَوْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِعْلٌ

الرأي والمشورة

١٠٦ قِيلَ : مَنْ بَدَأَ بِالِاسْتِخَارَةِ وَتَنَّى بِالِاسْتِشَارَةِ فَحَقِيقٌ أَنْ لَا يَخِيبَ
رَأْيُهُ . وَقِيلَ : الرَّأْيُ السَّيِّدُ أَحْمَى مِنَ الْبَطْلِ الشَّدِيدِ . وَقِيلَ : مَنْ بَدَّلَ

نُصَحَهُ وَاجْتِهَادُهُ لِمَنْ لَا يَشْكُرُهُ فَهُوَ كَمَنْ بَذَرَ فِي السِّبَاخِ . قَالَ الشَّاعِرُ
يَدْحُ مَنْ لَهُ رَأْيٌ وَبَصِيرَةٌ :

بَصِيرٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ كَأَنَّمَا يُخَاطَبُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرِ عَوَاقِبُهُ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ : خَيْرُ الرَّأْيِ خَيْرٌ مِنْ قَطِيرَةٍ . وَتَقْدِيمُهُ خَيْرٌ مِنْ تَأْخِيرِهِ
(للابشيهي)

وَمَا يُعْرِفُ أَحْسَنَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ فِي ذَلِكَ :
نَارُ الرُّوْيَةِ نَارٌ جِدُّ مُنْجِيَةٍ وَلِلْبَيْسَةِ نَارٌ ذَاتُ تَلْوِيحٍ
وَقَدْ يُفْضِلُهَا قَوْمٌ لِمَا جِلَّهَا لَكِنَّهُ عَاجِلٌ يَمْضِي مَعَ الرِّيحِ
قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُنْتَبِي :

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ وَهْيِ الْمُحِلِّ الثَّانِي
فَإِذَا هُمَا أَجْتَمَعَا لِنَفْسٍ حُرَّةٍ بَلَغَتْ مِنَ الْعِلَاءِ كُلِّ مَكَانٍ
وَلَرُبَّمَا طَعَنَ أَهْلِي أَقْرَانُهُ بِالرَّأْيِ قَبْلَ طَعْنِ الْأَقْرَانِ
لَوْ لَا الْقَوْلُ لَكَانَ أَذَى ضَيْعَمٍ أَذَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ
١٠٧ قَالَ بَعْضُهُمْ : وَشَاوِرِ النَّاسِ فِي الْأَمْرِ يَنْبَغِي أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا
يَسْتَعْنِي عَنْ مَشُورَةٍ نَصِيحٍ لَهُ . كَمَا أَنَّ الْقَوَادِمَ مِنْ رِيْشِ الْجَنَاحِ
تَسْتَعْنِي بِالْخَوَافِي مِنْهُ . قَالَ بَشَّارُ :

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الشُّورَةَ فَاسْتَعْنِ بِحَزْمٍ نَصِيحٍ أَوْ نَصَاحَةِ حَازِمٍ
وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً فَرِيْشُ الْخَوَافِي تَابِعٌ لِلْقَوَادِمِ
وَمَا خَيْرُ كَهِّ أَمْسَكَ الْغُلَّ اخْتَهَا وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمٍ

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : قُلْتُ لِبِشَارٍ : رَأَيْتُ رَجَالَ الرَّأْيِ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ
 آيَاتِكَ فِي الْمَشُورَةِ . فَقَالَ : أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ الْمَشَاوِرَ بَيْنَ إِحْدَى
 الْحُسَيْنَيْنِ . صَوَابٍ يَفُوزُ بِثَمَرَتِهِ . أَوْ خَطَأٌ يُشَاوِرُ فِي مَكْرُوهِهِ .
 قُلْتُ لَهُ : أَنْتَ فِي هَذَا الْكَلَامِ أَشْعَرُ مِنْكَ فِي شِعْرِكَ . وَقَالَ
 الْجَاهِظُ : الْمَشُورَةُ لِقَاحُ الْعُقُولِ وَرَأْيُ الصَّوَابِ وَالْمُسْتَشِيرُ عَلَى
 طَرَفِ النَّجَاحِ . وَاسْتِشَارَةُ الْمُرْدِ بِرَأْيِ أَخِيهِ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ وَخَزَمِ
 التَّدْبِيرِ . وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : لِأَنَّهُ أَخْطِئْتُ وَقَدْ اسْتَشَرْتُ
 أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصِيبَ وَقَدْ اسْتَبَدَدْتُ بِرَأْيِي مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ

(لأبي نصر المقدسي)

وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ :

لَا تَخْضِرَنَّ الرَّأْيَ وَهُوَ مُوَافِقٌ حُكْمَ الصَّوَابِ إِذَا آتَى مِنْ نَاقِصٍ
 فَالْدَّرُ وَهُوَ أَجَلُ شَيْءٍ يُقْتَتَلُ مَا حَظَّ قِيَمَتُهُ هَوَانُ الْعَانِصِ
 قَالَ الْأَرَجَانِيُّ وَأَجَادَ :

شَاوِرُ سِوَاكَ إِذَا نَابَتْكَ نَائِبَةٌ يَوْمًا وَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْمَشُورَاتِ
 فَالْعَيْنُ تَنْظُرُ مِنْهَا مَا دَنَا وَنَأَى وَلَا تَرَى نَفْسَهَا إِلَّا بِمِرَاقَةٍ
 وَقَالَ أَيْضًا :

خَصَائِصُ مَنْ تَشَاوَرَهُ ثَلَاثٌ فَخُذْ مِنْهَا جَمِيعًا بِالْوَثِيقَةِ
 وَدَادُ خَالِصٍ وَوُفُورُ عَقْلِ وَمَعْرِفَةُ بِحَالِكَ وَالْحَقِيقَةُ
 فَمَنْ حَصَلَتْ لَهُ هَذِي الْعَانِي فَتَابِعْ رَأْيَهُ وَاتَّزِمْ طَرِيقَهُ

وَلَهُ أَيْضًا :

فَمَا كُلُّ ذِي نُفْعٍ بِمُؤْتِيكَ نُفْعَهُ وَلَا كُلُّ مُوتٍ نُفْعَهُ بِلَيْبٍ
وَلَكِنْ إِذَا مَا اسْتَجْمَعَا عِنْدَ وَاحِدٍ فَحَقُّ لَهُ مِنْ طَاعَةٍ يَنْصِيبُ
الحسد

١٠٨ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَا أَتَقَى لِلْإِيمَانِ وَلَا أَهْتَكُ لِلسِّرِّ
مِنَ الْحَسَدِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْحَاسِدَ مُقِنْدُ لِحُكْمِ اللَّهِ . بَاغٍ عَلَى عِبَادِهِ .
عَاتٍ عَلَى رَبِّهِ . يَتَعَدَّى نِعَمَ اللَّهِ نِقْمًا وَمَزِيدُهُ غُبْرًا . وَعَدَلُ قَضَائِهِ حِقْفًا
لِلنَّاسِ حَالٌ وَلَهُ حَالٌ . لَيْسَ يَهْدَأُ لَيْلُهُ . وَلَا يَتَامُ جَشْمُهُ . وَلَا يَنْفَعُهُ
عَيْشُهُ . يُخْتَصِرُ لِنِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ . مُتَسَخِّطٌ مَا جَرَتْ بِهِ أَقْدَارُهُ . وَلَا يَبْرُدُ
غَلِيلُهُ . وَلَا تَوْمَنُ غَوَائِلُهُ . إِنْ سَأَلْتَهُ وَتَرَكَ . وَإِنْ وَاصَلْتَهُ قَطَعْتَكَ .
وَإِنْ صَرَمْتَهُ سَبَقْتَكَ . ذَكَرَ حَاسِدٌ عِنْدَ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ قَالًا : يَا عَجَبًا
لِرَجُلٍ أَسْلَكَهُ الشَّيْطَانُ مَهَاوِي الضَّلَالَةِ . وَأَوْرَدَهُ فُحْمَ الْمَلَكَةِ .
فَصَارَ لِنِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْمُرَاصِدِ إِنْ أَنَا لَهَا مِنْ أَحَبٍّ مِنْ عِبَادِهِ .
أَشْعَرَ قَلْبُهُ الْأَسْفَ عَلَى مَا لَمْ يُتَذَرَّ لَهُ . وَأَغَارَهُ الْكَفُّ بِمَا لَمْ يَكُنْ
لِنَالِهِ . قَالَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ : الْحَسَدُ يُضْعِفُ الْيَقِينَ وَيُسِيرُ الْعَيْنَ
وَيُكْثِرُ الْهَمَّ . وَلَا يَبِي الْمَتَاهِيَةَ :

وَكَيْفَ وَلَوْ أَنْصَقْتُهُمْ ظِلِّي وَنِي
أَيَّارِبَ إِنَّ النَّاسَ لَا يُصْفُونَنِي
وَإِنْ كَانَ لِي شَيْءٌ تَصَدَّقُوا لِأَخِيهِ
وَإِنْ أَنَا لَمْ أَبْدِلْ لَهُمْ شَتْمُونِي

وَأِنْ طَرَقْتَنِي نِعْمَةً قَرِحُوا بِهَا وَإِنْ صَحِبْتَنِي نِعْمَةً حَسَدُونِي
 سَأَمْنَعُ قَلْبِي أَنْ يَحْنَنَّ إِلَيْهِمْ وَأَحْجُبُ عَنْهُمْ نَاطِرِي وَجُفُونِي
 كَتَبَ ابْنُ بَشِيرٍ الْمُرُوزِيُّ إِلَى ابْنِ الْمُبَارَكِ هَذِهِ الْأَنْيَاتُ :
 كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ رَجَى إِمَائُهَا إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدٍ
 فَإِنَّ فِي الْقَلْبِ مِنْهَا عُقْدَةً عُقِدَتْ وَلَيْسَ يَفْتَحُهَا رَاقٍ إِلَى الْأَبَدِ
 قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا طَالِبَ الْعَيْشِ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَايَ رَغْدًا يَا قَتَرَ صَفْوَا يَا رَتَقَ
 خَالِصَ فُؤَادِكَ مِنْ غِلٍّ وَمِنْ حَسَدٍ قَالِغِلٌ فِي الْقَلْبِ مِثْلُ الْغُلِّ فِي الْعُنُقِ
 (لَا بَنَ عَبْدِ رَبِّهِ)

وَقَالَ آخَرُ :

إِيَّاكَ وَالْحَسَدَ الَّذِي هُوَ آفَةٌ قُوَّةٌ وَتَوَقَّ غِرَّةً مِنْ حَسَدٍ
 إِنَّ الْحُسُودَ إِذَا أَرَاكَ مَوْدَّةً بِالْقَوْلِ فَهَوْلَكَ بِالْعَدُوِّ أُلْجِهَتْهُ
 وَلِبَعْضِ الْأَدْبَاءِ يَنْصَحُ الْحُسُودَ :

لَا يُخْرِجَنَّكَ قَهْرٌ إِنْ عَرَاكَ وَلَا تَتَّبِعْ أَخَاكَ فِي مَالٍ لَهُ حَسَدًا
 فَإِنَّهُ فِي رَخَاءٍ فِي مَعِيشَتِهِ وَأَنْتَ تَلْقَى بِذَلِكَ أَلْهَمَ وَالنَّكَدَا

حفظ اللسان

١٠٩ عِلْمٌ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ الْمُكَلَّفِ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنْ جَمِيعِ
 الْكَلَامِ إِلَّا كَلَامًا تَظْهَرُ الْمَصْلَحَةُ فِيهِ . وَمَتَى اسْتَوَى الْكَلَامُ وَتَرَكَهُ
 فِي الْمَصْلَحَةِ فَالْأَسَنَةُ إِلَّا مَسَاكُ عَنْهُ . لِأَنَّهُ قَدْ يَجْرُ الْكَلَامُ الْمُبَاحُ إِلَى

حَرَامٌ أَوْ مَكْرُوهٌ . بَلْ هَذَا كَثِيرٌ وَقَابٌ فِي الْعَادَةِ . وَالسَّلَامَةُ لَا
يُعَادِلُهَا شَيْءٌ . قَالَ وَهَبُ بْنُ الْوَرْدِ : بَلَّغْنَا أَنَّ الْحِكْمَةَ عَشْرَةُ أَجْزَاءَ
تَسْعَةٍ مِنْهَا فِي الصَّمْتِ وَالْمَإِشِرَةِ فِي عِزَّةِ النَّاسِ . وَمِنْ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ :
مَنْ نَطَقَ مِنْ غَيْرِ خَيْرٍ فَقَدْ لَفَا . وَمَنْ نَظَرَ فِي غَيْرِ أَعْيَارٍ فَقَدْ سَهَا .
وَمَنْ سَكَتَ فِي غَيْرِ فِكْرٍ فَقَدْ لَهَا . وَقِيلَ : لَوْ قَرَأْتَ صَفِيحَتَكَ . لَا عَمِدَتْ
صَفِيحَتَكَ . وَلَوْ رَأَيْتَ مَا فِي مِيزَانِكَ . لَحَمَتَ عَنْ لِسَانِكَ . وَقِيلَ :
الْكَلِمَةُ أُسِيرَةٌ فِي وَثَاقِ الرَّجُلِ . فَإِذَا تَكَلَّمَ بِهَا صَادَ فِي وَثَاقِهَا .
يَقُولُ اللِّسَانُ كُلَّ صَبَاحٍ وَكُلَّ مَسَاءٍ لِلْجَوَارِحِ : كَيْفَ أَنْتُمْ . فَيُطْلَنُ
بِخَيْرٍ إِنْ تَرَكْنَاهَا (للابشيحي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

إِنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْكَلَامِ بِأَهْلِهِ حَسَنٌ وَإِنْ كَثِيرَهُ مَمْنُوتٌ
مَا زَلْ ذُو صَمْتٍ وَمَا مِنْ مَكْثَرٍ إِلَّا يَزِلُّ وَمَا يُعَابُ صَمُوتٌ
إِنْ كَانَ يَنْطِقُ نَاطِقٌ مِنْ فَضْلِهِ قَالَ صَمْتُ دُرٍّ زَانَهُ يَأْفُوتُ
١١٠ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِذَا قُلْتَ فَأَوْجِزْ . فَإِذَا بَلَغْتَ حَاجَتَكَ
فَلَا تَتَكَلَّفْ . وَقَالَ آيضًا : أَنْتَ سَالِمٌ مَا سَكَتَ . فَإِذَا تَكَلَّمْتَ فَلَاكَ
أَوْ عَلَيْكَ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : الْكَلَامُ كَالدَّوَادِ إِنْ أَقَلَّتْ مِنْهُ
نَفْعٌ . وَإِنْ أَكْثَرَتْ مِنْهُ صَدَعٌ . وَقَالَ ثَعْمَانُ لِأَبْنَيْهِ : يَا بُنَيَّ إِنْ مِنْ
الْكَلَامِ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ الْحَجَرِ . وَأَنْفَذُ مِنْ وَخْرِ الْإِبْرَةِ . وَأَاسَرُ مِنْ
الصَّبْرِ . وَأَحَرُّ مِنَ الْجَمْرِ . وَإِنَّ الصُّلُوبَ مَزَارِعٌ فَأَزْرَعْ فِيهَا طَيْبَ

الْكَلَامِ . فَإِنْ لَمْ يَنْبِتْ فِيهَا كُلُّهُ نَبَتَ بَعْضُهُ . وَقَالَ عَلِيٌّ : مَا حَسَرَ
 اللَّهُ جَارِحَةً فِي حِصْنٍ أَوْتَقَ مِنَ اللِّسَانِ . الْأَسْنَانُ أَمَامَهُ وَالشَّفَتَانِ
 مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ . وَاللِّهَامَةُ مُطَبِّقَةٌ عَلَيْهِ وَالْقَلْبُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ . فَأَتَقَى
 اللَّهُ وَلَا تَطْلُقْ هَذَا الْحُبُوسَ مِنْ حَبْسِهِ إِلَّا إِذَا أَمِنْتَ شَرَّهُ . وَقَالَ
 بَعْضُ الْأُدَبَاءِ : أَحْسِرْ لِسَانَكَ قَبْلَ أَنْ يُطِيلَ حَبْسَكَ (للسَّهْرَاوِيِّ)
 قَالَ الشَّاعِرُ :

وَأَحْفَظْ لِسَانَكَ وَأَحْتَرِزْ مِنْ لَفْظِهِ فَالْمُرُءُ يَسْلَمُ بِاللِّسَانِ وَيَعْطَبُ
 وَزَيْنُ الْكَلَامِ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ تَرْثَارَةً فِي كُلِّ نَادٍ تَخْطُبُ
 قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ سَعْدُونَ :

يَجْنُ اللِّسَانُ هُوَ السَّلَامَةُ لِلْفَتَى مِنْ كُلِّ نَارَ لَوْ لَهَا أُسْتُصَالَ
 إِنْ اللِّسَانُ إِذَا حَلَّتْ عَقَالُهُ أَلْقَاكَ فِي شَنْءٍ لَيْسَ تُقَالُ
 قَالَ أَبُو عُثْمَانَ بْنُ لُؤْنٍ التَّيْمِيُّ :

تَرَهُ لِسَانَكَ عَنْ قَوْلٍ تُعَابُ بِهِ وَأَرْغَبُ بِسَمْعِكَ عَنْ فِيلٍ وَعَنْ قَالَ
 لَا تَتَّبِعْ غَيْرَ الَّذِي يَمِينُكَ وَأَطْرَحَ الْفُضُولَ تَحَى قَرِيدَ الْعَيْنِ وَالْبَالِ
 كَتَمَانَ السَّرِّ

١١١ قَالَ حَكِيمٌ : كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي آتِيَةٍ لَا تُمَسِّكُ مَا فِيهَا . كَذَلِكَ
 لَا خَيْرَ فِي صَدْرٍ لَا يَكْتُمُ سِرَّهُ . قَالَ آخَرُ : مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ سَرَّهُ . وَأَمِنْ
 النَّاسِ شَرُّهُ . وَمَنْ حَكَّمَ لِسَانَهُ شَانَهُ . وَأَفْسَدَ شَانَهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ :
 مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَجِدُ رَاحَةً فِي إِفْشَاءِ سِرِّهِ إِلَى غَيْرِهِ فَقَدْ أَتَاهُمْ عَمَلُهُ .

لِأَنَّ مَشَقَّةَ الْأَسْتِدَادِ بِالسِّرِّ أَقْلُ مِنْ مَشَقَّةِ إِفْشَائِهِ بِسَبَبِ
الْمُشَارَكَةِ (للشراوي)

قَالَ الْقَاضِي الْأَسْعَدُ أَبُو الْمَكَارِمِ الْبَصْرِيُّ الْكَاتِبُ:
وَأَكْتُمُ السِّرَّ حَتَّى عَنْ إِعَادَتِهِ إِلَى السِّرِّ بِهِ مِنْ غَيْرِ نِسِيَانٍ
وَذَلِكَ أَنَّ لِسَانِي لَيْسَ يُعْلِمُهُ سَمْعِي بِسِرِّ الَّذِي قَدْ كَانَ تَأْجَانِي
١١٢ (فِي التَّلَاجِ): إِنْ بَعْضُ مُلُوكِ الْأَنْجَمِ اسْتَشَارَ وَزِيرِيهِ . فَقَالَ
أَحَدُهُمَا: لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَسْتَشِيرَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا خَالِيًا . فَإِنَّهُ أَمُوتُ
لِلسِّرِّ وَأَحْزَمُ لِلرَّأْيِ وَأَجْدَرُ بِالسَّلَامَةِ وَأَعْنَى لِبَعْضِنَا مِنْ غَائِلَةٍ بَعْضٍ .
فَإِنْ إِفْشَاءَ السِّرِّ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ أَوْتَقُ مِنْ إِفْشَائِهِ إِلَى أَثْنَيْنِ . وَإِفْشَاءُهُ
إِلَى ثَلَاثَةٍ كَإِفْشَائِهِ إِلَى جَمَاعَةٍ . فَإِذَا كَانَ السِّرُّ عِنْدَ وَاحِدٍ كَانَ أُخْرَى
أَنْ لَا يَظْهَرُ رَغْبَةً وَرَهْبَةً . وَإِنْ كَانَ عِنْدَ أَثْنَيْنِ دَخَلَتْ عَلَى الْمَلِكِ
الشُّبْهَةُ وَاتَّسَعَتْ عَلَى الرَّجُلَيْنِ الْمُعَارِضُ فَإِنْ عَاقَبَهُمَا عَاقِبَ أَثْنَيْنِ
بِذَنْبٍ وَاحِدٍ . وَإِنْ أَتَاهُمَا أَتَاهُمَا بَرِيًّا بِخِيَانَةٍ مُجْرِمٍ . وَإِنْ عَفَا عَنْهُمَا
كَانَ الْعَفْوُ عَنْ أَحَدِهِمَا وَلَا ذَنْبَ لَهُ وَعَنْ الْآخَرِ وَلَا حُجَّةَ مَعَهُ

النَّيْبَةُ

١١٣ عَابَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ بَعْضِ الْأَشْرَافِ فَقَالَ لَهُ: قَدْ اسْتَدَلْتُ
عَلَى كَثْرَةِ عُيُوبِكَ بِمَا تَكْثُرُ مِنْ عُيُوبِ النَّاسِ . لِأَنَّ طَالِبَ الْعُيُوبِ
إِنَّمَا يَطْلُبُهَا بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنْهَا . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ:
لَا تَهْتَكَنَّ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَا سَتَرُوا فَيَهْتِكَ اللَّهُ سِرًّا مِنْ مَسَاوِيكَ

وَأَذْكُرُ مَحَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا وَلَا تَيْبُ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ
(ابن عبد ربه)

قَالَ ابْنُ الْحَلَجِ الدَّقِيقُ :

إِنَّ الْكَرِيمَ الَّذِي تَبَقَى مَوَدَّتُهُ وَيَحْفَظُ السِّرَّ إِنْ صَافَى وَإِنْ صَرَمَا
لَيْسَ الْكَرِيمُ الَّذِي إِنْ غَابَ صَاحِبُهُ بَثَّ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِهِ عَلِمَا
وَقَالَ أَيْضًا :

إِذَا مَا كَتَمْتُ السِّرَّ عَنْ أَوْدُهُ تَوَهَّمُ أَنَّ الْوَدَّ غَيْرُ حَقِيقٍ
وَلَمْ أَخْفِ عَنْهُ السِّرَّ مِنْ ضَنْئِهِ بِهِ وَلَكِنِّي أَخَشَى صَدِيقَ صَدِيقِي
قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : لَا تَطْعُ كُلَّ حَلَاظٍ مِنْ هَمَازٍ مَشَاءَ نَمِيمٍ
الْأَيَّةُ . وَحَسْبُكَ بِالنَّمَامِ خِصَّةٌ وَرَذِيلَةٌ سُقُوطُهُ وَضَعْفُهُ (وَالْهَمَازُ
الْمُتَعَتِّبُ الَّذِي يَأْكُلُ لَحْمَ النَّاسِ الطَّاعِنُ فِيهِمْ) . قَالَ حَكِيمٌ : أَلَا
أَخْبَرَكُمْ بِشِرَارِكُمْ . قَالُوا : بَلَى . قَالَ : شِرَارُكُمْ الْمَشَاوُنَ بِالنَّمِيسَاتِ
الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ الْبُلْعُونَ الْعُيُوبَ . وَقِيلَ مَلْعُونُ ذُو الْوُجْهِينِ .
مَلْعُونُ ذُو اللِّسَانَيْنِ . مَلْعُونُ كُلُّ شَغَازٍ . مَلْعُونُ كُلُّ قَتَّابٍ . مَلْعُونُ
كُلُّ نَّمَامٍ . مَلْعُونُ كُلُّ مَنَانٍ (وَالشَّغَازُ الْمُحَرِّشُ بَيْنَ النَّاسِ يُلْقِي
بَيْنَهُمُ الْعِدَاوَةَ . وَالْمَنَانُ الَّذِي يَعْمَلُ الْخَيْرَ وَيَمْنُ بِهِ) .
قَالَ آخَرُ : أَحْذَرُوا أَعْدَاءَ الْعُقُولِ وَالْأَصْوَصِ الْمَوَدَّاتِ . وَهُمْ السُّعَاةُ
وَالنَّمَامُونَ . إِذَا سَرَقَ الْأَصْوَصُ الْمَتَاعَ سَرَقُوا هُمُ الْمَوَدَّاتِ . وَفِي الْمَثَلِ
السَّائِرِ : مَنْ أَطَاعَ الْوَاشِيَّ ضَيَعَ الصَّدِيقُ وَقَدْ تُقَطَّعُ الشَّجَرَةُ قَتَبْتُ

وَيَقْطَعُ الْحَمَامُ السَّيْفُ فَيَنْدِمِلُ . وَاللِّسَانُ لَا يَنْدِمِلُ جُرْحُهُ . قَالَ صَالِحُ
بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ :

قُلْ لِلَّذِي لَسْتُ أَذْرِي مِنْ تَلَوْنِهِ أَنَا صَاحِبُ أَمٍّ عَلَى غَشٍّ يُكَاجِبُنِي
إِنِّي لَأَكْثَرُ بِمَا سَمْتَنِي عَجَبًا يَدُ نَسِجٍ وَأُخْرَى مِنْكَ تَأْسُونِي
تَعْتَابُنِي عِنْدَ أَقْوَامٍ وَتَمْدَحُنِي فِي آخِرِينَ وَكُلُّ عَنْكَ يَأْتِينِي
هَذَا شَيْئَانِ قَدْ نَاقَيْتَ بَيْنَهُمَا فَانْكَفُ لِسَانَكَ عَنْ شَيْئِي وَتَرَيْنِي
١١٤ وَقَالَ الْمَأْمُونُ : النَّسِيبَةُ لَا تَقْرُبُ مَوَدَّةً إِلَّا أَفْسَدَتْهَا . وَلَا
عَدَاوَةً إِلَّا جَدَّدَتْهَا وَلَا جَمَاعَةً إِلَّا بَدَّدَتْهَا . ثُمَّ لَا بُدَّ لِمَنْ عُرِفَ بِهَا وَنُسِبَ
إِلَيْهَا أَنْ يُحْتَبَبَ وَيُخَافَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَلَا يُوثَقَ بِمَكَانِهِ . وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ :
مَنْ نَمَّ فِي النَّاسِ لَمْ تَوْمَنْ عَقَارِبُهُ عَلَى الصَّدِيقِ وَلَمْ تَوْمَنْ أَقَاعِيهِ
كَالسَّيْلِ بِاللَّيْلِ لَا يَدْرِي بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَيْنَ جَاءَ وَلَا مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ
أَلْوَيْلُ لِلْعَهْدِ مِنْهُ كَيْفَ يَنْقُضُهُ وَالْوَيْلُ لِلْوَدِّ مِنْهُ كَيْفَ يُفْنِيهِ
(للأبشهي)

الصدق والكذب

١١٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : الْكُذِبُ شِعَارُ الْحَيَاةِ وَتَحْرِيفُ الْعِلْمِ
وَخَوَاطِرُ الزُّورِ وَتَسْوِيلُ أَضْغَاثِ النَّفْسِ وَأَعْوَجَاجُ التَّرْكِيبِ وَأَخْتِلَافُ
الْبَيِّنَةِ . وَعَنْ خُمُولِ الذِّكْرِ مَا يَكُونُ صَاحِبُهُ قَالَ أَعْرَافِي لِأَنَّهُ وَسَمِعَهُ
يَكْذِبُ : يَا بُنَيَّ عَجِبْتُ مِنْ الْكُذَّابِ الْمُشِيدِ بِكَذِبِهِ وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى
عَيْهِ وَيَتَعَرَّضُ لِلْعِقَابِ مِنْ رَبِّهِ . فَلَا تَأْمُ لَهُ عَادَةٌ . وَالْأَخْبَارُ عَنْهُ

مُتَضَادَّةٌ. إِنْ قَالَ حَقًّا لَمْ يُصَدِّقْ. وَإِنْ أَرَادَ خَيْرًا لَمْ يُؤَفَّقْ. فَهُوَ الْجَانِي عَلَى نَفْسِهِ بِفِعَالِهِ. وَالْدَّالُّ عَلَى قَضِيَّتِهِ بِمَقَالِهِ. فَمَا صَحَّ مِنْ صِدْقِهِ نُسِبَ إِلَى غَيْرِهِ وَمَا صَحَّ مِنْ كَذِبِ غَيْرِهِ نُسِبَ إِلَيْهِ (لابن عبد ربه) قَالَ بَعْضُهُمْ:

إِيَّاكَ مِنْ كَذِبِ الْكَذُوبِ وَإِفْكِهِ فَلَرُبَّمَا مَزَجَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا صَحَّكَ الْكَذُوبُ تَفَكُّهُمَا وَبَكَى مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يُبَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا صَمَتَ الْكَذُوبُ تَخَلُّفًا وَشَكَاهُ مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يُشَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا كَذَبَ أَمْرًا بِكَلَامِهِ وَبَصْمَتِهِ وَبُكَاهُ وَبُحْكِهِ

المزاح

١١٦ قَالَ الْحُجَّاجُ بْنُ يُونُسَ لِابْنِ الْقُرَيْبِ: مَا زَالَتْ الْحُكَمَاةُ تَكْرَهُ الْمَزَاحَ وَتَنْهَى عَنْهُ. فَقَالَ: الْمَزَاحُ مِنْ أَذْنِي مَنْزِلَتِهِ إِلَى أَقْصَاهَا عَشْرَةُ أَبْوَابٍ. الْمَزَاحُ أَوَّلُهُ قَرَحٌ وَآخِرُهُ تَرَحُّ. الْمَزَاحُ نَقَاطُضُ السُّفَهَاءِ كَالشَّعْرِ نَقَاطُضُ الشُّعْرَاءِ. وَالْمَزَاحُ يُوغِرُ صَدْرَ الصَّدِيقِ. وَيَنْفِرُ الرِّفِيقَ. وَالْمَزَاحُ يُبْدِي السَّرَازِ. لِأَنَّهُ يُظْهِرُ الْمَعَايِرَ. وَالْمَزَاحُ يُسْقِطُ الْمُرُوءَةَ. وَيُبْدِي الْحَقَّ. لَمْ يَجِرَّ الْمَزَاحُ خَيْرًا. وَكَثِيرًا مَا جَرَّ شَرًّا. أَلْغَابُ بِالْمَزَاحِ وَآثَرُ. وَالْمَغْلُوبُ بِهِ تَأَثَّرَ. وَالْمَزَاحُ يُجْلِبُ الشَّتْمَ صَغِيرُهُ. وَالْحَرْبُ كَبِيرُهُ. وَلَيْسَ بَعْدَ الْحَرْبِ إِلَّا عَفْوٌ بَعْدَ قُدْرَةٍ. فَقَالَ الْحُجَّاجُ: حَسْبُكَ الْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ عَفْوِ مَعَهُ قُدْرَةٌ. وَذَكَرَ الْمَزَاحُ بِحَضْرَةِ خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ فَقَالَ: يُبَشِّقُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ مِثْلَ الْحُرْدَلِ. وَيُفْرِغُ عَلَيْهِ مِثْلَ

المرجل . ودرميه مثل الجدل . ثم يقول : إنما كنت أزعج . أخذ هذا
المعنى محمود بن الحسين الوراق فقال :

تَلَقَى الْهَتَى يَلْقَى أَخَاهُ وَخِدْنَهُ فِي لَحْنِ مَنْطِقِهِ بِمَا لَا يُغْفَرُ
وَيَقُولُ كُنْتُ مُمَارِجًا وَمُلَاعِبًا هَيْهَاتَ نَارِكَ فِي الْحَشَى تَتَسَعَّرُ
أَوْ مَا عَلِمْتَ وَكَانَ جَهْلُكَ غَالِبًا أَنَّ الْمَزَاحَ هُوَ السَّبَابُ الْأَصْغَرُ
(القيرواني)

الصدقة وخصوص المودة

١١٧ (قِيلَ فِي الْمُبْهَجِ) : الصَّدِيقُ الصَّدُوقُ ثَانِي النَّفْسِ وَثَالِثُ
الْعَيْنِ . (وَمِنْهُ) الصَّدِيقُ الصَّدُوقُ . كَالشَّقِيقِ الشَّقُوقِ . (وَمِنْهُ)
الصَّدِيقُ عُمْدَةُ الصَّدِيقِ وَعِدَّتُهُ . وَنَصْرَتُهُ وَعَقْدَتُهُ . وَرَبِيعُهُ وَزَهْرَتُهُ .
وَمُشْتَرِيهِ وَزَهْرَتُهُ . وَمِنْهُ لِقَاءُ الْحَلِيلِ شِفَاءُ الْغَلِيلِ . وَلَيْسَ لِلصَّدِيقِ
إِذَا حَضَرَ عَدِيلٌ . وَلَا غَنَهُ إِذَا غَابَ بَدِيلٌ . وَمِثْلُ الصَّدِيقَيْنِ كَالْيَدِ
تَسْتَعِينُ بِالْيَدِ وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ . (وَمِنْهُ) لِقَاءُ الصَّدِيقِ رُوحُ الْحَيَاةِ .
وَفِرَافُهُ سَمُّ الْمَوَاتِ . (وَمِنْهُ) لَا تُسَاقِ مَرَارَةَ الْأَوْقَاتِ . إِلَّا بِحُلَاوَةِ
الْإِخْوَانِ الْفَقَاتِ . فَاسْتَرَوْحَ مِنْ عُمَةِ الزَّمَانِ بِمُؤَانَسَةِ الْخُلَانِ . (وَمِنْهُ)
الْحَاجَةُ إِلَى الْآخِ الْمَعِينِ . كَالْحَاجَةِ إِلَى الْمَاءِ الْمَعِينِ . وَلِبَعْضِهِمْ فِي
مَعْنَى هَذَا الْبَابِ :

مَا صَاعَ مَنْ كَانَ لَهُ صَاحِبٌ يَقْدِرُ أَنْ يُصْلِحَ مِنْ شَانِهِ
فَإِنَّمَا الدُّنْيَا بِسُكَّانِهَا وَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِإِخْوَانِهِ

١١٨ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

ذُو أَلْوَدٍ مِنِّي وَذُو الْقُرْبَى بِمَنْزِلَةٍ
عِصَابَةٍ جَاوَرَتْ أَدَابَهُمْ أَدْبِي
أَرْوَاحُنَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَغَدَتْ
قَالَ غَيْرُهُ :

إِنَّ الصَّدَاقَةَ أَوْلَاهَا السَّلَامُ وَمِنْ
وَبَعْدَ ذَلِكَ كَلَامٌ فِي مِلَاطَقَةٍ
وَأَصْلُ ذَلِكَ أَنْ تَبْنِي شِمَالَهَا
لَمْ تَنْسَ غَيْبًا وَلَمْ تَقْلَلْ إِذَا حَضَرُوا
إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا صَادَقُوا صَدَقُوا
قَالَ إِسْحَاقُ ظَهِيرُ الدِّينِ الْمُوَصِّلِيُّ :

لَا تَنْسَوْنِي يَا ثِقَاتِي إِلَى
أَقْسَمْتُ بِالذَّهَابِ مِنْ عَيْنِنَا
إِنِّي عَلَى عَهْدِهِمْ لَمْ أَحُلْ
وَعُدَّةُ الْمِشَاقِ مَا حُلَّتْ

١١٩ ذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ الْأَغَانِي فِي أَخْبَارِ عَلَوِيَّةِ الْأَحْمَدِيِّ أَنَّهُ دَخَلَ
يَوْمًا عَلَى الْمُأْمُونِ وَهُوَ يَرْفُصُ وَيُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ وَيُغَنِّي بِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :
عَذِيرِي مِنَ الْإِنْسَانِ لَا إِنْ جَفَوْتُهُ صَفَائِي وَلَا إِنْ صَرْتُ طَوْعَ يَدَيْهِ
وَأِنِّي لَمُسْتَقَاتٌ إِلَى ظِلِّ صَاحِبِ
فَسَمِعَ الْمُأْمُونُ وَجَمِيعُ مَنْ حَضَرَ الْمَجْلِسَ مِنَ الْمُغَنِّينَ وَغَيْرِهِمْ مَا لَمْ يَعْرِفُوا

وَأَسْتَظَرُّهُ الْمَأْمُونُ. وَقَالَ : أَدْنُ يَا عَلَوِيَّةُ وَرَدِّدْهَا. فَرَدَّدَهَا عَلَيْهِ سَبْعَ
مَرَّاتٍ. فَقَالَ الْمَأْمُونُ : يَا عَلَوِيَّةُ خُذِ الْخِلَافَةَ وَأَعْطِنِي هَذَا الصَّاحِبَ
(لبهاء الدين)

١٢٠ قَالَ بَشَّارٌ :

خَيْرُ إِخْوَانِكَ الْمُشَارِكُ فِي الْمَرْءِ وَأَيُّ الشَّرِيكِ فِي الْمَرْءِ أَتَيْنَا
الَّذِي إِنْ شَهِدْتَ سَرَّكَ فِي الْحَيِّ وَإِنْ غَيْبَتْ كَانَ سَمْعًا وَعَيْنًا
أَنْتَ فِي مَعْشَرٍ إِذَا غَيْبَتْ عَنْهُمْ بَدَلُوا كُلُّ مَا يَزِيئُكَ شَيْنًا
وَإِذَا مَا رَأَوْكَ قَالُوا جَمِيعًا أَنْتَ مِنْ أَكْثَرِ الْبَرِّ يَا عَلَيْنَا
مَا أَرَى لِلْأَنَامِ وَدًّا صَحِيحًا صَارَ كُلُّ أُلُودٍ زُورًا وَمِينًا
قَالَ بَشَّارُ بْنُ بَرْدٍ :

إِذَا كُنْتُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ
وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَلِمْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ
فَمِشْرٌ وَاحِدًا أَوْصَلَ لَخَالِكَ قَائِلُهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ
١٢١ كَانَ لِمُحَمَّدِ بْنِ حَازِمٍ الْبَاهِلِيِّ صَدِيقٌ عَلَى طُولِ الْأَيَّامِ. فَقَالَ
مَرْتَبَةً مِنَ السُّلْطَانِ وَعَلَا قَدْرُهُ فَجَاءَ مُحَمَّدًا وَتَغَيَّرَ لَهُ. فَقَالَ فِي ذَلِكَ
مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ :

وَصَلَ الْمُلُوكُ إِلَى التَّعَالَى وَوَقَا الْمُلُوكُ مِنَ الْحَالِ
مَا لِي رَأَيْتُكَ لَا تَدُو مُ عَلَى الْمُدَّةِ لِلرِّجَالِ
إِنْ كَانَ ذَا أَدَبٍ وَظَرُ فَبِقُلْتَ ذَاكَ أَخُو ضَلَالٍ

أَوْ كَانَ ذَا نَسِكٍ وَدِينٍ قُلْتَ ذَاكَ مِنْ أُلْقَالٍ
أَوْ كَانَ فِي وَسْطِ مِنَ الْأَمْرَيْنِ قُلْتَ يُرِيعُ مَالِي
فِيمِثْلٍ ذَا ثِكْلِكَ أَمْكَ تَبْتَنِي رَبِّ الْمَالِي

١٣٢ قَالَ الْعَنْزِيُّ وَأَنْشَدَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا لِحَمَّادٍ :

كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَسْتَ تُتَكْرَهُ مَا دُمْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي بُسْرِ
مُتَصَبِّحٍ لَكَ فِي مَوَدَّتِهِ يَلْقَاكَ بِالْتَّرْجِيْبِ وَالنَّسْرِ
يُطْرِي الْوَفَاءَ وَذَا الْوَفَاءَ وَيَلْحَقِي الْعَدْرُ مُجْتَهِدًا وَذَا الْعَدْرُ
فَإِذَا عَدَا وَالْدَّهْرُ ذُو غَيْرٍ دَهْرٌ عَلَيْكَ عَدَا مَعَ اللَّهِ
فَارْفِضْ بِإِجْمَالٍ مَوَدَّةَ مَنْ يَغْلِي الْمِقْلَ وَيَعْشَقُ الْمَثْرِي
وَعَلَيْكَ مِنْ حَالَاهُ وَاحِدَةٌ فِي الْعُسْرِ إِمَّا كُنْتَ وَالنَّسْرِ
لَا تَخْلُطْهُمْ بغيرِهِمْ مَنْ يَخْلُطُ الْعِيقَانَ بِالصُّفْرِ

قَالَ الْقَاضِي عَبْدُ الْجَوَادِ الْمَنْوُفِيُّ :

أَتَرَعُمُ أَنْتَ الْحِذْنُ الْمُقْدَى وَأَنْتَ مُصَادِقُ أَعْدَائِي حَقًّا
إِلَيَّ إِلَيَّ فَأَجْمَلْنِي صَدِيقًا وَصَادِقٌ مَنْ أَصَادِقُهُ حَقًّا
وَجَانِبٌ مِنْ أَعَادِيهِ إِذَا مَا أَرَدْتَ تَكُونَ لِي حِدْنًا وَتَبْقَى
قَالَ أَوْسُ بْنُ خَجَرٍ :

وَلَيْسَ أَخُوكَ الدَّائِمُ الْعَهْدُ بِالَّذِي يَذْمُكَ إِنْ وَلَّى وَيَرْضِيكَ مُقْبِلًا
وَلَكِنْ أَخُوكَ النَّأْيُ مَا دُمْتَ آمِنًا وَصَاحِبُكَ الْأَذَى إِذَا لَمْ تُرَاعِضْ
١٣٣ قَالَ الْعِتَابِيُّ : الْإِخْوَانُ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٍ . فَرَعٌ بَائِنٌ مِنْ أَصْلِهِ

وَأَصْلُ مُتَّصِلٍ بِفَرْعِهِ . وَفَرْعٌ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ . فَأَمَّا الْفَرْعُ الْبَاطِنُ مِنْ أَصْلِهِ
فَإِحَاةُ ابْنِي عَلَى مَوَدَّةٍ ثُمَّ انْقَطَعَتْ فَحُفِظَ عَلَى زِمَامِ الصَّحْبَةِ . وَأَمَّا الْأَصْلُ
الْمُتَّصِلُ بِفَرْعِهِ فَإِحَاةُ أَصْلِهِ الْكَرَمُ وَأَعْصَانُهُ اتَّقَوَى . وَأَمَّا الْفَرْعُ الَّذِي
لَا أَصْلَ لَهُ فَالْمَوَّةُ الظَّاهِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَاطِنٌ (لابن عبد ربه)

١٢٤ قَالَ الْكُبَرِيُّ :

وَحَلِيلٍ لَمْ أَخْضَهُ سَاعَةً فِي دَمِي كَفَيْهِ ظُلْمًا قَدْ غَمَسَ
كَانَ فِي سِرِّي وَجَهْرِي ثِقَتِي لَسْتُ عَنْهُ فِي مَهْمٍ أَحْتَرِسُ
سَرًّا أَلْبُغْضُ بِالْقَاطِظِ الْهَوَى وَأَدْعِي أَلُودَ بَغْضِي وَدَلَسُ
إِنْ رَأَيْتَنِي قَالَ لِي خَيْرًا وَإِنْ غِبْتُ عَنْهُ قَالَ شَرًّا وَدَحَسُ
ثُمَّ لَمَّا أَمَكَّتْهُ فُرْصَةٌ حَمَلَ السَّيْفَ عَلَى مَجْرَى النَّفْسِ
وَأَرَادَ الرُّوحَ لَكِنَّ خَائِنَهُ قَدَّرَ أَيْقَظَ مَنْ كَانَ نَفْسُ

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَازِمٍ :

وَصَاحِبٍ كَانَ لِي وَكُنْتُ لَهُ أَشْفَقَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ
كُنَّا كَسَاقٍ تَسْعَى بِهَا قَدَمٌ أَوْ كَذِرَاعٍ نِيْطُ إِلَى عَضُدٍ
حَتَّى إِذَا دَبَّتِ الْحَوَادِثُ فِي عَظْمِي وَحَلَّ الزَّمَانُ مِنْ عُقْدِي
إِحْوَلَ عَنِّي وَكَانَ يَنْظُرُ مِنْ طَرَفِي وَيَزِي بِسَاعِدِي وَيَدِي
١٢٥ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْإِخَاءُ جَوْهَرَةٌ رَقِيقَةٌ . وَهِيَ مَا لَمْ تَرْقُهَا
وَتَحْرُسْهَا مَعْرَاضَةً لِلْآفَاتِ فَرُضَ الْإِلَهِيِّ بِالْجَدَاءِ لَهُ حَتَّى تَصِلَ إِلَى
قُرْبِهِ . وَبِالْكُظْمِ حَتَّى يَتَنَدَّدَ إِلَيْكَ مَنْ ظَلَمَكَ . وَالرِّضَا حَتَّى لَا

تَسْتَكْثِرُ مِنْ نَفْسِكَ بِالْفَضْلِ وَلَا مِنْ أَخِيكَ بِالتَّصْصِيرِ . (وَلِيَحْمُودُ
الْوَرَّاقُ) :

لَا يَرَّ أَعْظَمُ مِنْ مُسَاعَدَةٍ فَأَشْكُرُ أَخَاكَ عَلَى مُسَاعَدَتِهِ
وَإِذَا هَمًّا فَأَقِلَّهُ هَفْوَتَهُ حَتَّى يَبُودَ أَخَا كَمَادَتِهِ
فَالصَّبْحُ عَنْ ذَلِّ الصَّدِيقِ وَإِنْ أَغْيَاكَ خَيْرٌ مِنْ مُعَانَدَتِهِ
١٢٦ قَالَ ابْنُ طَاهِرٍ فِي حُسْنِ الْعَشْرِ :

أَوَّصِلْ مَنْ هَوَيْتَ عَلَى خِلَالِ أَذُودٍ مِنْ لَبَاتِ الْمَقَالِ
وَأَحْظِظْ سِرَّهُ وَالْغَيْبَ مِنْهُ وَأَرْنِ عَهْدَهُ فِي كُلِّ حَالِ
وَقَاهُ لَا يَحُولُ بِهِ أَنْتِكَاثٌ وَوَدُّ لَا تُخَوِّنُهُ الْإِلْيَالِي
وَأَوْرَثُهُ عَلَى عُسْرِ وَيُسْرِ وَيَنْفِذْ حُكْمَهُ فِي سِرِّ مَالِي
وَأَغْفِرْ نَبْوَةَ الْإِدْلَالِ مِنْهُ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ غَيْرَ الدَّلَالِ
وَمَا أَنَا بِالْمُلُولِ وَلَا بِمَجَافٍ وَلَا أَلْعَدُّ الْمُدْمَمُ مِنْ فِعَالِي
قَالَ بَعْضُهُمْ يَصِفُ خِدَاعَ النَّاسِ وَنِفَاقَهُمْ :

وَإِخْوَانٍ تَحْذَرُهُمْ دُرُوعًا فَكَاثُوهَا وَلَكِنْ لِلْأَعَادِي
وَحِلْتَهُمْ سِهَامًا صَائِبَاتٍ فَكَاثُوهَا وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي
وَقَالُوا قَدْ صَفَتْ مِنَّا قُلُوبُ لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ عَنْ وَدَادِي
وَقَالُوا قَدْ سَعَيْنَا كُلَّ سَعْيٍ لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ فِي فُسَادِ
١٢٧ وَأَنشَدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

فَلَا تَضْحَكْ أَخَا السُّوءِ وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ

فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَوْدَى حَلِيمًا حِينَ آخَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ إِذَا مَا الْمَرْءُ مَا شَاءَ
وَفِي النَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَقَايِيسٌ وَأَشْبَاهُ
وَفِي الْعَيْنِ عَلَى الْعَيْنِ إِذَا تَنَطَّقُ أَفْوَاهُ
وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
كَتَبَ الْمُتَعَصِّمُ صَاحِبُ الْمَرْيَةِ إِلَى ابْنِ عَمَّارٍ :

وَرَهَدَنِي فِي النَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ وَطُولُ اخْتِبَارِي صَاحِبًا بَعْدَ صَاحِبٍ
قَلَمَ تُرِنِي الْأَيَّامُ خِلَا تَسْرِنِي مَبَادِيهِهِ إِلَّا سَاءَنِي فِي الْعَوَاقِبِ
وَلَا كُنْتُ أَرْجُوهُ لِدَفْعِ مُلِمَةٍ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا كَانَ إِحْدَى الْمَصَائِبِ

المطل في الوعد

١٢٨ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ أُمِّ الْحَكَمِ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي
مَوَاعِدَ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَمَطَّلَهُ بِهَا : نَحْنُ إِلَى الْفِعْلِ أَحْوَجُ مِنْهُ إِلَى الْقَوْلِ .
وَأَنْتَ يَا إِفْجَارَ أَوَّلَى مِنْكَ مِنَ الْمَطْلِ . وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ
إِلَّا بِإِنجَازِكَ الْوَعْدَ وَاسْتِمَامِكَ الْمَعْرُوفَ . قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ :
إِنَّ أَوْقَعَ الْمَعْرُوفِ فِي الْقُلُوبِ وَأَبْرَدُهُ عَلَى الْأَكْبَادِ مَعْرُوفٌ مُنْتَظَرٌ
يُوعَدُ لَا يُكْدِرُهُ الْمَطْلُ . كَتَبَ الْعِتَابِيُّ إِلَى بَعْضِ أَهْلِ السُّلْطَانِ : أَمَّا
بَعْدُ فَإِنَّ سَحَابَ وَعْدِكَ قَدْ أَبْرَقَتْ فَلْيَكُنْ وَبَلَهَا سَائِلًا مِنْ عِلَلِ
الْمَطْلِ . وَالسَّلَامُ (لابن عبد ربه)

في التواضع والتكبر

١٢٩ إَعْلَمَنَّ أَنَّ الْكِبَرَ وَالْإِعْجَابَ يَسْلُبَانِ الْقَضَائِلَ . وَيُخْسِبَانِ
الرِّذَائِلَ . وَحَسْبُكَ مِنْ رَذِيلَةٍ تَمْنَعُ مِنْ سَمَاعِ الثُّنُوعِ وَقَبُولِ التَّأْدِيبِ .
وَتَسْلُبُ الرِّئَاسَةَ وَالسِّيَادَةَ . وَالْكَبَرُ يُكْسِبُ الْمَقْتَّ وَيَمْنَعُ مِنَ التَّأَلُّفِ .
وَلَمْ تَرَلِ الْحُكَمَاءَ تَتَحَايَ الْكِبَرَ وَتَأْتِفُ مِنْهُ . وَنَظَرَ أَفْلَاطُونُ إِلَى
رَجُلٍ جَاهِلٍ مُعْجَبٍ بِنَفْسِهِ فَقَالَ : وَدِدْتُ أَنِّي مِثْلُكَ فِي ظَنِّكَ وَأَنَّ
أَعْدَائِي مِثْلُكَ فِي الْحَقِيقَةِ . وَرَأَى رَجُلٌ رَجُلًا يَخْتَالُ فِي مَشْيِهِ فَقَالَ :
جَعَلَنِي اللَّهُ مِثْلَكَ فِي نَفْسِكَ وَلَا جَعَلَنِي مِثْلَكَ فِي نَفْسِي (للابشيهي)
قَالَ بَعْضُهُمْ :

قُلْ لِلَّذِي تَاهَ فِي دُنْيَاهُ مُفْتَخِرًا ضَاعَ اخْتِخَارُكَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ
إِذَا تَفَقَّدَتْ فِي الْأَجْدَاثِ مُعْتَبِرًا هُنَاكَ تَنْظُرُ تَيْجَانَ السَّلَاطِينِ
وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ قَوْلُ الْقَائِلِ :

يَا صَاحِبَ لَا تَكُ بِالْعِلْيَاءِ مُفْتَخِرًا إِنْ كُنْتَ لَمْ تُؤْلِ نَفْعًا قَطُّ بَلْ ضَرَرًا
إِنِّي أَرَى شَجَرَ الصَّفَصَافِ مُرْتَفِعًا إِلَى الْعُلُوِّ وَلَكِنْ لَا أَرَى ثَمَرًا
قَالَ آخَرُ :

إِنَّمَنْ لِنَاسٍ إِنْ رُمِيَ الْعُلَا وَأَكْظِمُ الْغَيْظَ وَلَا تُبْدِي الصَّبْرَ
وَأَجْمَلُ الْمَعْرُوفَ ذُخْرًا إِنَّهُ لَأَفْقَى أَفْضَلُ شَيْءٍ يُدْخَرُ
إِجْمَلُ النَّاسِ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ فِيهِ تَمَلُّكَ أَعْنَاقِ الْبَشَرِ

الْبَابُ الثَّامِنُ فِي الذِّكَاةِ وَالْأَدَبِ

فِي الْعَقْلِ وَمَاهِيَةِ

١٣٠ قَالَ سَهْلُ التَّسْتَرِيِّ: الْعَقْلُ أَنْ تَسْتَغْنِيَ بِهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ دُونَهُ جَلَّ جَلَالُهُ. أَمَّا ذَاتُهُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْعَقْلُ ذَاتُهُ جَوْهَرٌ مُضِيٌّ وَنُورٌ مُجَرَّدٌ وَلَيْسَ بِرَضٍ. خَلَقَهُ اللَّهُ وَجَعَلَ نُورَهُ فِي الْقَلْبِ يُدْرِكُ بِهِ الْمَعْقُولَاتِ بِالْوَسَائِطِ وَالْخُشُوسَاتِ بِالشَّاهِدَةِ. وَهُوَ مَنَالٌ إِلَى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَإِلَى الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ. آلَةُ الْمُؤْمِنِ يَعْمَلُ بِهِ. وَالْعَقْلُ ذَاتُهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَلَهُ وَجْهَانِ. أَحَدُهُمَا الْعَقْلُ الْمَشْرُوكُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ وَيَعْبُرُ عَنْهُ بِعَقْلِ الْمَعَاشِ. وَالْأُخْرَى الثَّانِي الْعَقْلُ الْخَاصُّ بِالْمُؤْمِنِ وَهُوَ الْمَعْبُورُ عَنْهُ بِعَقْلِ الْهِدَايَةِ. فَمَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ الْهِدَايَةَ فَهُوَ الْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ (الكثر المدفون)

مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ:

إِنِّي لَأَمِنُ مِنْ عَدُوِّ عَاقِلٍ وَخَافُ خِلَافَتِيهِ جُنُونٍ
وَالْعَقْلُ قَدْ وَاحِدٌ وَطَرِيقُهُ أَذْرَى وَأَرْصَدُ وَالْجُنُونُ فَنُونُ

فِي شَرَفِ الْعَقْلِ

١٣١ الْعَقْلُ أَحْسَنُ حِلْيَةٍ. وَالْعِلْمُ أَفْضَلُ قُنْيَةٍ. لَا سَيْفَ كَالْحَقِّ. وَلَا عَدْلَ كَالصِّدْقِ. الْجَهْلُ مَطِيَّةٌ سَوْءٌ مَنْ رَكِبَهَا زَلَّ. وَمَنْ صَحَّحَهَا

ضَلَّ . مِنْ أَجْلِ صُحْبَةِ الْجَهْلِ . وَمِنْ الذَّلَّةِ عَشْرَةُ ذَوِي الضَّلَالِ .
 خَيْرُ الْمَوَاهِبِ الْعَقْلُ . وَشَرُّ الْمَصَائِبِ الْجَهْلُ . مَنْ صَاحَبَ الْعُلَمَاءَ
 وَقَرَّ . وَمَنْ عَاشَرَ السُّفَهَاءَ حَفِرَ . مَنْ لَمْ يَتَعَلَّمْ فِي صِغَرِهِ . لَمْ يَتَدَبَّرْ فِي
 كِبَرِهِ . وَقِيلَ : أَصْلُ الْعِلْمِ الرَّغْبَةُ وَثَمَرَتُهُ الْعِبَادَةُ . وَأَصْلُ الزُّهْدِ
 الرَّهْبَةُ وَثَمَرَتُهُ السَّعَادَةُ . وَأَصْلُ الْمُرُوءَةِ الْحَيَاءُ وَثَمَرَتُهَا الْعِفَّةُ . الْعَقْلُ
 أَقْوَى أَسَاسٍ . وَالْتِمَوَى أَفْضَلُ لِبَاسٍ . الْجَاهِلُ يَطْلُبُ الْمَالَ . وَالْعَاقِلُ
 يَطْلُبُ الْكَمَالَ . لَمْ يُذْرِكِ الْعِلْمَ مَنْ لَا يُطِيلُ دَرَسَهُ . وَلَا يَكْدُ نَفْسَهُ .
 كَمْ مِنْ ذَلِيلٍ أَعَزَّهُ عَقْلُهُ . وَعَزَّزَهُ أَذَلَّهُ جَهْلُهُ (الشبراوي)

١٣٢ حَكَى الْكِسَائِيُّ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِإِخْصَارِ
 الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ لَدَيْهِ . وَقَالَ : فَلَمْ يَلْبَثْ قَلِيلًا أَنْ أَقْبَلَ كَكُوكَيْ
 أَفْقِي يُزَيْنُهُمَا هُدَاهُمَا وَوَقَّارُهُمَا . وَقَدْ غَضَّ أَبْصَارَهُمَا وَقَارَبَا خَطُوهَا
 حَتَّى وَفَّقَا فِي مَجْلِسِهِ . فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ وَدَعَا لَهُ بِأَحْسَنِ الدُّعَاءِ .
 فَاسْتَدْنَاهُمَا وَأَسْنَدَ مُحَمَّدًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَبْدَ اللَّهِ عَنْ يَسَارِهِ . ثُمَّ أَمَرَنِي
 أَنْ أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَبْوَابًا مِنَ النُّحُوفِ . فَمَا سَأَلْتُهُمَا شَيْئًا إِلَّا أَحْسَنَّا الْجَوَابَ
 عَنْهُ . فَسَرَّهُ ذَلِكَ سُرُورًا عَظِيمًا وَقَالَ : كَيْفَ تَرَاهُمَا . فَقُلْتُ :

أَرَى قَرْنِي أَفْقِي وَقَرْنِي بَشَامَةِ يُزَيْنُهُمَا عِرْقُ كَرِيمٍ وَتَحْتَهُ
 سَلِيلِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَحَازِرِي مَوَارِيثِ مَا أَبْقَى النَّبِيُّ الْمُؤَيَّدُ
 يَسُدُّانِ أَنْفَاقَ الْتَفَاقِ بِشِيَةِ يُزَيْنُهُمَا حَزْمٌ وَعَضْبٌ مَهْدُ
 ثُمَّ قُلْتُ : مَا رَأَيْتُ أَعَزَّ لِلَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَدًا مِنْ أَبْنَاءِ الْخِلَافَةِ

وَأَغْصَانُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الزَّلَالِيَّةِ آدَبَ مِنْهُمَا السُّنَا . وَلَا أَحْسَنَ الْفَاعِلَا .
وَلَا أَشَدَّ أَقْدَارًا مِنْهُمَا عَلَى تَأْدِيَةِ مَا حَفِظَا وَرَوِيَا . أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى
أَنْ يُزِيدَ بِهِمَا الْحَقَّ تَأْيِيدًا وَعِزًّا . وَيُدْخِلَ بِهِمَا إِلَى أَهْلِ الضَّلَالِ ذُلًّا
وَقَمًّا . فَأَمَّنَ الرَّشِيدُ عَلَى دُعَاوِي . ثُمَّ صَمَّهَمَا إِلَيْهِ وَجَعَ عَلَيْهِمَا يَدَيْهِ .
فَلَمَّ يَنْسُطُهُمَا حَتَّى رَأَيْتُ الدَّمُوعَ تَحَدَّرَ عَلَى صَدْرِهِ . ثُمَّ أَمَرَهُمَا
بِالْخُرُوجِ . (كتاب الدراري للحلي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّمَالِكِ أَكْثَرُ . أَبُوهُمْ آدَمُ وَالْأُمُّ حَوَاءُ
فَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ فِي أَصْلِهِمْ شَرَفٌ يُفَاخِرُونَ بِهِ قَالِطِينَ وَالْمَاءُ
مَا أَفْخَرُ إِلَّا لِأَهْلِ السَّلَامِ إِنَّهُمْ عَلَى الْهَدْيِ لِمَنْ اسْتَهْدَى أَدْلًا
وَقَدَّرَ كُلَّ أَمْرٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ
وَإِنْ أَتَيْتَ بِجُودٍ فِي ذَوِي نَسَبٍ فَإِنَّ نِسَبَنَا جُودٌ وَعَلِيَّاهُ
قَفَرٌ يَعْلَمُ تَعْنُ حَيًّا بِهِ أَبَدًا النَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ
١٣٣ إَعْلَمَنَّ أَنَّ الْعِلْمَ شَرَفٌ لِلْإِنْسَانِ . وَتَخَرُّلُهُ فِي جَمِيعِ الْأَزْمَانِ .
وَهُوَ الْغَيْرُ الَّذِي لَا يَبْلَى جَدِيدُهُ . وَالْكَثَرُ الَّذِي لَا يَفْتَنُ مَزِيدُهُ . وَقَدَرُهُ
عَظِيمٌ . وَقَفْضُهُ جَسِيمٌ . وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ :

مَا أَحْسَنَ الْعَقْلَ وَالْحُمُودُ مِنْ عَقْلًا وَأَقْبَحَ الْجَهْلَ وَالْمَذْنُومُ مِنْ جَهْلًا
فَلَيْسَ يَصْنَعُ نُطْقُ الرَّمْزِ فِي جَدَلٍ وَالْجَهْلُ يُفْسِدُهُ يَوْمًا إِذَا سُئِلَا
١٣٤ ثُمَّ أَعْلَمَنَّ أَنَّ الدُّنْيَا رُبَّمَا أَقْبَلَتْ عَلَى الْجَاهِلِ بِالْإِتِّفَاقِ . وَأَذْهَبَتْ

عَنِ الْعَالِمِ بِالِاسْتَحْقَاقِ . فَإِنَّ أَتَاكَ مِنْهَا مُلِمَّةٌ مَعَ جَهْلٍ . أَوْ قَاتَكَ مِنْهَا
بُغْيَةٌ مَعَ عَقْلٍ . فَلَا يَحْمِلَنَّكَ ذَلِكَ عَلَى الرَّغْبَةِ فِي الْجَهْلِ . قَدَوَلَةُ
الْجَاهِلِ مِنَ الْمُمَكِّنَاتِ . وَدَوَلَةُ الْعَاقِلِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ . وَلَيْسَ مَنْ
أَمَكَّهُ شَيْءٌ فِي ذَاتِهِ . كَمَنْ اسْتَوْجَبَهُ بِآدَابِهِ وَآلَاتِهِ . وَأَيْضًا قَدَوَلَةُ
الْجَاهِلِ كَالْغَرِيبِ الَّذِي يَخْنُ إِلَى الثَّقَلَةِ . وَدَوَلَةُ الْعَاقِلِ كَالنَّسِيبِ
الْمُتَمَكِّنِ الْوَصْلَةَ

لَا تَيَاسَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ ذَا أَدَبٍ عَلَى خَمُولِكَ أَنْ تَرْتَقِيَ إِلَى انْفِلَاقِكَ
فَيَنِمَّا أَلْذَهَبُ الْأَبْرِيذُ مُخْتَاطٌ بِالْتَرَبِ إِذَا صَارَ إِكْلِيلًا عَلَى الْمَلِكِ
١٣٥ وَقَالَ حَكِيمٌ : يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ لَا يَفْرَحَ بِمَرْتَبَةٍ تَرَفَّاهَا بغيرِ
عَقْلٍ . وَلَا يَمْنَزِلَةَ رَفِيعَةً حَلَمًا بغيرِ فَضْلٍ . فَلَا بُدَّ أَنْ يُزِيلَهُ الْجَهْلُ عَنْهَا .
وَيَسْلُبَهُ مِنْهَا . فَيَخْطُ إِلَى رُتْبَتِهِ . وَيَرْجِعَ إِلَى قِيَمَتِهِ . بَعْدَ أَنْ تَظْهَرَ عُيُوبُهُ .
وَتَكْثُرَ ذُنُوبُهُ . وَيَصِيرَ مَادِحُهُ هَاجِيًا . وَصَدِيقُهُ مُعَادِيًا

لَا تَقْعُدَنَّ عَنْ اكْتِسَابِ فَضِيلَةٍ أَبَدًا وَإِنْ أَدَّتْ إِلَى الْإِعْدَامِ .
جَهْلُ الْفَقْرِ عَارٌ عَلَيْهِ لِذَاتِهِ وَخَمُولُهُ عَارٌ عَلَى الْإِيَّامِ .

(الشبراوي)

١٣٦ سَيَّلَ الْأَخْفَ بْنَ قَيْسٍ عَنِ الْعَقْلِ فَقَالَ : رَأْسُ الْأَشْيَاءِ فِيهِ
قَوَامُهَا وَبِهِ تَمَامُهَا لِأَنَّهُ سِرَاجٌ مَا بَطُنَ . وَمِلَاكٌ مَا عَلَنَ . وَسَائِسُ الْحَدِّ
وَزِينَةُ كُلِّ أَحَدٍ . لَا تَسْتَقِيمُ الْحَيَاةُ إِلَّا بِهِ . وَلَا تَدُورُ الْأُمُورُ إِلَّا عَلَيْهِ

(القيرواني)

قَالَ الْخَضِرَاوِيُّ :

وَأَفْضَلُ قَسَمٍ اللَّهُ لِلْعَرْدِ عَقْلُهُ
يَزِينُ الْفَتَى فِي النَّاسِ صِحَّةُ عَقْلِهِ
وَشَيْنُ الْفَتَى فِي النَّاسِ قِلَّةُ عَقْلِهِ
إِذَا اكْتَمَلَ الرَّحْمَانُ لِلْعَرْدِ عَقْلُهُ
فَلَيْسَ مِنَ الْخَيْرَاتِ شَيْءٌ يُقَارِبُهُ
وَإِنْ كَانَ مُحْظُورًا عَلَيْهِ مَكَاسِبُهُ
وَإِنْ كَرُمَتْ أَعْرَاقُهُ وَمَنَاسِبُهُ
فَقَدْ كَمَلَتْ أَخْلَاقُهُ وَمَارِبُهُ
وَقَالَ آخَرُ :

الْعَقْلُ حُلَّةٌ فَخْرٍ مَنْ تَسَرَّبَلَهَا
وَالْعَقْلُ أَفْضَلُ مَا فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ
قِيلَ : إِنَّ الْعُمَيَّانِ أَذْكَى مِنْ غَيْرِهِمْ . وَقِيلَ لِقَتَادَةَ : مَا بَالُ
الْعُمَيَّانِ يُجِدُّهُمْ أَذْكَى مِنَ الْبُصَرَاءِ . قَالَ : لِأَنَّ الْقُوَّةَ الْبَاصِرَةَ مِنْهُمْ
أُنْقَلَبَتْ إِلَى بَاطِنِهِمْ

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَمَّا كُفَّ بَصَرُهُ :

إِنْ يَأْخُذِ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نُورَهَا
فَلْيُذِكِّني وَعَلَيَّ غَيْرُ ذِي دَخَلٍ
فَفِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهُمَا نُورٌ
وَفِي فِي صَارِمٍ كَالسَّيْفِ مَشْهُورٌ
(لابن عبد ربه)

فِي الْعِلْمِ وَشَرَفِهِ

١٣٨ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَلْعِلْمُ حَلِيلٌ وَالْحِلْمُ وَزِيرُهُ . وَالْعَقْلُ
دَلِيلُهُ . وَالْعَمَلُ قَائِدُهُ وَالْوَفْقُ وَالِدُهُ . وَالْبِرُّ أَخُوهُ وَالصَّبْرُ أَمِيرُ جُنُودِهِ .
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لِمَقَالِ ذَرَّةٍ مِنَ الْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنْ جِهَادِ الْجَاهِلِ

أَفْعَامٌ . وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ : لَيْسَ بَعْدَ الْقِرَاطِ أَفْضَلُ مِنْ
طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ نُورٌ يَهْتَدِي بِهِ الْخَائِرُ (لَا بِي نَصْرَ الْمَقْدِسِي)
قَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ :

وَالْعِلْمُ أَشْرَفُ شَيْءٍ قَالَهُ رَجُلٌ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ عِلْمٌ لَمْ يَكُنْ رَجُلًا
تَعْلَمُ الْعِلْمَ وَتَعْمَلُ يَا أَخِي بِهِ قَالَ الْعِلْمُ زَيْنٌ لِي بِالْعِلْمِ قَدْ عَمِلَا
وَفِي مَعْنَاهُ أَنْشَدُوا :

بِالْعِلْمِ تَحْيَا نَفْسٌ قَطْمًا مَعَرَفَتْ مِنْ قَبْلِ مَا تَفْرُقُ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالْمَيْنِ
الْعِلْمُ لِلنَّفْسِ نُورٌ يُسَدِّدُ بِهِ عَلَى الْحَقَائِقِ مِثْلُ النُّورِ لِلْأَمِينِ
١٣٩ وَقَالَ أَبُو بَيْرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : كَتَبَ إِلَيَّ أَبِي مِنَ الْعِرَاقِ : يَا بُنَيَّ
عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ فَإِنَّكَ إِنْ أَفْقَرْتَ إِلَيْهِ كَانَ مَالًا وَإِنْ أَسْتَعْنَيْتَ بِهِ
كَانَ جَاهًا . وَأَنْشَدَ فِي مَعْنَاهُ :

الْعِلْمُ مُبْلِغٌ قَوْمٍ ذِرْوَةَ الشَّرَفِ وَصَاحِبُ الْعِلْمِ مُحْفُوظٌ مِنَ التَّلَفِ
يَا صَاحِبَ الْعِلْمِ هَلَا لَا تُدَنِّسُهُ بِالْمُوبِقَاتِ فَمَا لِلْعِلْمِ مِنْ خَلْفٍ
الْعِلْمُ يَرْفَعُ بَيْتًا لَا عِمَادَ لَهُ وَالْجَهْلُ يَهْدِمُ بَيْتَ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ
١٤٠ وَقَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ : يَتَّبِعِي لِكُلِّ عَاقِلٍ أَنْ يُبَالِغَ فِي تَعْظِيمِ
الْعُلَمَاءِ مَا أَمْكَنَ وَلَا يُعَدِّغَ غَيْرَهُمْ مِنَ الْأَحْيَاءِ . وَقَدْ أَجَادَ الْحَرِيرِيُّ بِقَوْلِهِ
وَمِنْ الْجَمَالَةِ أَنْ تُعْظِمَ جَاهِلًا لِصِقَالِ مَلْبَسِهِ وَرَوْتِ نَقْشِهِ
وَأَعْلَمَ بِأَنَّ التَّبَرُّ فِي بَطْنِ الثَّرَى خَافٍ إِلَى أَنْ يَسْتَيْنَ بِنَبْشِهِ
وَقَضِيئَةُ الدِّينَارِ يَظْهَرُ سِرُّهَا مِنْ حَكِّهِ لَا مِنْ مَلَاَحَةِ نَقْشِهِ

وَقِيلَ فِي مَعْنَى ذَلِكَ :

عَابَ التَّعَلُّمَ قَوْمٌ لَا عُقُولَ لَهُمْ وَمَا عَلَيْهِ إِذَا عَابُوهُ مِنْ ضَرَرٍ
مَا ضَرَّ شَيْئًا الصَّحِيَّ وَالشَّمْسُ طَالِمَةٌ أَنْ لَا يَرَى ضَوْهَهَا مِنْ لَيْسَ ذَا بَصَرٍ
١٤١ وَقَالَ عَلِيٌّ : أَلْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ . أَلْعِلْمُ يَخْرُسُكَ وَأَنْتَ تَخْرُسُ
الْمَالَ . وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ وَالْمَالُ مُحْكُومٌ عَلَيْهِ . وَالْعِلْمُ يَزِيدُ بِالْإِنْفَاقِ وَالْمَالُ
يَقْصُ بِالنَّفَقَةِ . وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : خَيْرٌ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ بَيْنَ
الْعِلْمِ وَالْمَلِكِ وَالْمَالِ . فَأَخْتَارَ الْعِلْمَ فَأَعْطِيَ الْمَلِكَ وَالْمَالَ مَعَهُ . وَقَالَ
الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ إِنَّمَا الْعِلْمُ نُورٌ
يَجْعَلُهُ فِي قَلْبٍ مَنْ يَشَاءُ . وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ :

(مَعَ) فَيَبِيهَ جَلَالَهُ لِلْقُلُوبِ مِنَ الْعَمَى وَعَوْنٌ عَلَى الدِّينِ الَّذِي أَمْرُهُ غُفْمٌ
فَحَالِطُ رَوَاةِ الْعِلْمِ وَأَصْحَابُ خِيَارِهِمْ فَصَبَّحَتْهُمْ زَيْنٌ وَحُلُطَتْهُمْ غُفْمٌ
وَلَا تَمْدُونَ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ نُجُومٌ هُدَى إِنْ عَابَ تَجْمٌ بَدَا تَجْمٌ
قَوْلَ اللَّهِ تَوَلَّوْا الْعِلْمَ مَا أَنْصَحَ الْهُدَى وَلَا لَاحَ مِنْ غَيْبِ الْأُمُورِ لَنَا رَسْمٌ

١٤٢ وَعَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ أَنَّهُ قَالَ : لَا يَزَالُ الرَّءُفُ عَالِمًا مَا طَلَبَ الْعِلْمَ
فَإِذَا ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ فَقَدْ جَهَلَ . وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ :
سَمِعْتُ وَكَيْعًا يَقُولُ : لَا يَكُونُ الرَّجُلُ عَالِمًا حَتَّى يَسْمَعَ مَنْ هُوَ أَسَنُ مِنْهُ .
وَمَنْ هُوَ مِثْلُهُ . وَمَنْ هُوَ دُونُهُ . وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ : مَنْهُوَ مَنْ
لَا يَشْبَعَانِ طَالِبُ الْعِلْمِ وَطَالِبُ الدُّنْيَا وَهِيَ لَا يَسْتَوِيَانِ . أَمَّا طَالِبُ
الْعِلْمِ فَيَزِدُّهُ رِضَا الرَّحْمَنِ . وَأَمَّا طَالِبُ الدُّنْيَا فَيَزِدُّهُ فِي الطُّغْيَانِ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

لَوْ كَانَ نُورُ الْعِلْمِ يُدْرِكُ بِالْمُنَى مَا كَانَ يَبْقَى فِي الْبَرِيَّةِ جَاهِلٌ
إِحْجَدْ وَلَا تَكْسَلْ وَلَا تَكُ غَافِلًا قَدَامَةُ الْعَمَلِ لَنْ يَتَكَسَّلَ
قَالَ غَيْرُهُ :

مِفْتَاحُ رِزْقِكَ تَقْوَى اللَّهِ فَاتَّقِهِ وَلَيْسَ مِفْتَاحُهُ حِرْصًا وَلَا طَمَعًا
وَالْعِلْمُ أَجَلُ تَوْبٍ أَنْتَ لِإِسْئِهِ فَأَخْتَرْ لَهُ عَمَلَيْنِ الدِّينَ وَالنُّورَ
قَالَ غَيْرُهُ :

وَفِي الْجَهْلِ قَبْلَ الْمَوْتِ مَوْتٌ لِأَهْلِهِ وَأَجْسَادُهُمْ دُونَ الْقُبُورِ قُبُورٌ
وَأَنْ أَمْرًا لَمْ يُحْيِ بِالْعِلْمِ قَلْبُهُ فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى الشُّورِ نُشُورٌ
وَقَالَ أَيْضًا :

لِكُلِّ مَجْدٍ فِي الْوَرَى نَفْعٌ فَاصْلِلْ وَلَيْسَ يُعِيدُ الْعِلْمُ مِنْ دُونَ عَامِلٍ
يُسَاقِ بَعْضُ النَّاسِ بَعْضَ أَجْهِدِهِمْ وَمَا كُلُّ كَرٍّ بِالْهَوَى كَرٌّ بِالسِّلِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ نَفْعٌ لِذِي الْعِلْمِ وَالْحُجِّي فَمَا هُوَ بَيْنَ النَّاسِ إِلَّا كَجَاهِلٍ
كَذَاكَ إِذَا لَمْ يَنْفَعِ الْمَرْءَ غَيْرُهُ يُعَدُّ كَشُولِكُ بَيْنَ زَهْرِ الْحَمَائِلِ
وَقِيلَ أَيْضًا :

أَلَمْ يَفْنِ مَعَ الْأَيَّامِ إِنْ قَلَبْتَ لَكِنَّ ذَا يَنْحَبُ الْإِنْسَانَ لِلتَّرَبِّ
إِنْغَمَ حَتَّى ثَمَرَةٍ تَحْطُ بِبَيْلِ مَنْى وَتَعْلُ بِالْقَدْرِ فَوْقَ السَّبْعَةِ الشُّهُبِ
١٤٣ قَالَ الْمَاهِزَادِيُّ مُغْرِبًا عَلَى تَأْثِيرِ الْعِلْمِ :

يَا سَاعِيًا وَطَلَابَ أَلْمَالِ هِمَّتُهُ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفَ الْعَقْلِ وَالِدِينَ

عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ لَا تَطْلُبْ لَهُ بَدَلًا
 أَلْعِلْمُ يُجِدِّي وَيَبْقَى لِلْفَتَى أَبَدًا
 هَذَاكَ عِزٌّ وَذَا ذُلٌّ لِصَاحِبِهِ
 قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ دُرَيْدٍ :

لَا تَحْتَرِنَ عَالِمًا وَإِنْ خَلَقْتَ
 وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ بِعَيْنِ ذِي خَطَرٍ
 فَأَلْسَنُكَ مَهْمًا تَرَاهُ مُمْتَنًا
 حَتَّى تَرَاهُ بِعَارِضِي مَلِكٍ
 قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوَلِيُّ :

أَلْعِلْمُ زَيْنٌ وَتَشْرِيفٌ لِصَاحِبِهِ
 كَمَ سَيِّدٍ بَطَلٍ آبَاؤُهُ نُجُبُ
 وَمُتَرَفٍ خَامِلٍ إِلَّا بَاءَ ذِي آدَبٍ
 أَلْعِلْمُ كَنْزٌ وَذَخْرٌ لَا فَنَاءَ لَهُ
 قَدْ يَجْمَعُ الْمَالُ تَخْصُصٌ ثُمَّ يُحْرَمُهُ
 وَجَامِعُ الْعِلْمِ مَغْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا
 يَا جَامِعَ الْعِلْمِ نِعَمَ الذَّخْرِ تَجْمَعُهُ
 ١٤٤ قَالَ غَيْرُهُ :

بِالْعِلْمِ وَالْعَقْلِ لَا بِالْمَالِ وَالذَّهَبِ
 فَأَلْعِلْمُ طَوْقُ النَّهْيِ يَذْهَبُ بِهِ شَرَفًا
 يَزْدَادُ رَفْعُ الْقَتَى قَدْرًا بِمَا طَلَبَ
 وَالْجَهْلُ قَيْدٌ لَهُ يُبْلِيهِ بِاللَّغَبِ

كَمْ يَرَفُّ الْعِلْمُ اشْتِغَالًا إِلَى رُتَبٍ وَيَخْفُضُ الْجَهْلُ أَشْرَافًا بِلاَ آدَبٍ
الْعِلْمُ كَنْزٌ فَلَا تَفْنَى ذَخَائِرُهُ وَالْمَرْءُ مَا زَادَ عِلْمًا زَادَ بِالرُّتَبِ
فَالْعِلْمُ قَاطِبٌ لِكَيْ يُجِدِيكَ جَوْهَرُهُ كَالثَوْبِ لِلْجِسْمِ لَا تَطْلُبُ غِنَى النَّهْبِ
قَالَ آخَرُ:

مَا حَوَى الْعِلْمُ جَمِيعًا أَحَدٌ لَا وَلَوْ مَارَسَهُ أَلْفَ سَنَةٍ
إِنَّمَا الْعِلْمُ بِعِيدٍ غَوْرُهُ فَخُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ
قَالَ بَعْضُهُمْ:

تَعْلَمُ مَا اسْتَطَعْتَ بَحِثْ تَسْعَى فَإِنَّ الْعِلْمَ زَيْنُ الرِّجَالِ
لِأَنَّ الْعِلْمَ فِي الدُّنْيَا جَمَالٌ وَفِي الْآخِرَةِ تَزَالُ بِهِ الْعَالِي
قَالَ آخَرُ:

الْعِلْمُ زَيْنٌ فَكُنْ لِلْعِلْمِ مُكْتَسِبًا وَكُنْ لَهُ طَالِبًا مَا عَشْتَ مُتَقَسِّمًا
إِذْ كُنْ إِلَيْهِ وَثِقًا بِاللَّهِ وَاعْنِ بِهِ وَكُنْ حَلِيمًا دَرِينًا الْعَقْلُ مُحْتَرِسًا
وَكُنْ فَتَى مَا سَكَتَ مُحَضَّرًا لَتَقَى وَرِعًا لِلدِّينِ مُتَقَسِّمًا فِي الْعِلْمِ مُنْعَمًا
فَمَنْ تَخَلَّقَ بِالْآدَابِ ظَلَّ بِهَا رَيْسَ قَوْمٍ إِذَا مَا قَارَقَ الرُّوسَا
وصف الكتاب

١٤٥ أَلْكِتَابُ نِعَمٍ أَلَا نَيْسُ فِي سَاعَةِ الْوَحْدَةِ . وَنِعَمَ الْمَعْرِفَةُ فِي
دَارِ الْغُرْبَةِ . وَنِعَمَ الْفَرِينُ وَالْذَّخِيلُ . وَنِعَمَ الزَّائِرُ وَالنَّزِيلُ . وَعَاذُ مُلِيٍّ
عِلْمًا وَظَرْفًا . وَإِنَاءُ مُلِيٍّ نَزْحًا وَجِدًّا . وَحَبْدَا بُسْتَانٍ يُجْمَلُ فِي خُرْجِ
وَرَوْضٍ يُقَابُ فِي خَيْرٍ . هَلْ سَمِعْتَ لِشَجَرَةٍ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ

يَا وَانِ خُتْلَفَةٍ وَطُغُومٍ مُتَبَايِنَةٍ . هَلْ سَمِعْتَ لِشَجَرَةٍ لَا تَذَوِي . وَزَهْرٍ لَا يُنَوِي .
 وَغَمْرٍ لَا يُفْنِي . وَمَنْ لَكَ بِجَلِيسٍ يُفِيدُ الشَّيْءَ . وَخِلَافَهُ وَالْجُلُوسَ وَضِدَّهُ .
 يَنْطِقُ عَنِ الْمَوْتِ وَيُترَجِّمُ عَنِ الْأَحْيَاءِ . إِنْ غَضِبْتَ لَمْ يَغْضَبْ . وَإِنْ
 عَرَبِدْتَ لَمْ يَضْحَبْ . أَكْتَمَ مِنَ الْأَرْضِ . وَأَتَمَّ مِنَ الرِّيحِ . وَأَهْوَى مِنَ
 الْهَوَى . وَأَخْدَعَ مِنَ الْمُنَى وَأَمْتَعَ مِنَ الصُّحَى . وَأَنْطَقَ مِنْ سَخْبَانٍ وَإِلَى
 وَأَعْيَانٍ بِأَقْلٍ . هَلْ سَمِعْتَ يُعَلِّمُ تَحِيَّيَ بِخِلَالِ كَثِيرَةٍ وَجَمَعَ أَوْصَافًا عَدِيدَةً .
 عَرَبِيٌّ فَارِسِيٌّ يُونَانِيٌّ هِنْدِيٌّ سِنْدِيٌّ رُومِيٌّ . إِنْ وَعَظَ أَسْمَعَ . وَإِنْ أَلَمَى
 أَمْنَعَ . وَإِنْ أَبْكَى أَدْمَعَ . وَإِنْ ضَرَبَ أَوْجَعَ . يُفِيدُكَ وَلَا يَسْتَفِيدُ مِنْكَ .
 وَيُذِيْدُكَ وَلَا يَسْتَرِيْدُ مِنْكَ . إِنْ وَجَدَ فَعَبْرَةٌ . وَإِنْ مَرَحَ فَزَهْرَةٌ . قَبْرُ
 الْأَسْرَارِ وَخَزْنُ الْوَدَائِعِ . قَيْدُ الْعُلُومِ . وَيَبْنُو عِ الْحِكْمِ وَمَعْدِنُ
 الْمَكَارِمِ . وَمُؤْنِسٌ لَا يَنَامُ . يُفِيدُكَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ . وَيُنْخِرُكَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ
 أَخْبَارِ الْمُتَأَخِّرِينَ . هَلْ سَمِعْتَ فِي الْأَوَّلِينَ أَوْ بَلَغْتَ أَنْ أَحَدًا مِنَ السَّالِفِينَ
 جَمَعَ هَذِهِ الْأَوْصَافَ مَعَ قَلَّةٍ مَوْوَنَةٍ وَخَفَةِ مَحْمِلِهِ . لَا يَزِدُّوكَ شَيْئًا مِنْ
 دُنْيَاكَ . نِعَمَ الْمُدَّخِرِ وَالْعُدَّةِ . وَالْمُسْتَغْلِ وَالْحِرْقَةِ . جَلِيسٌ لَا يُطْرِكُ
 وَرَفِيقٌ لَا يَمْلِكُ . يُطِيعُكَ فِي الْكَلْبِ طَاعَتُهُ فِي النَّهَارِ . وَيُطِيعُكَ فِي السَّعْرِ
 طَاعَتُهُ فِي الْحَضَرِ . إِنْ أَطَلْتَ النَّظَرَ إِلَيْهِ أَطَالَ إِمْتَاعَكَ . وَتَحَدَّ طَبَاعَكَ .
 وَبَسَطَ لِسَانَكَ . وَجَوَّدَ بَيَانَكَ . وَتَحَمَّ أَلْفَاظَكَ . إِنْ أَلْفَتَهُ خَلَدَ عَلَى
 الْأَيَّامِ ذِكْرَكَ . وَإِنْ دَرَسْتَهُ رَفَعَ فِي الْخُلُقِ قَدْرَكَ . وَإِنْ نَعَتَهُ تَوَهَّ عَنْهُمْ
 بِأَسْمِكَ . يُفِيدُ الْعَبِيدَ فِي مَقَاعِدِ السَّادَاتِ . وَيُجَلِّسُ السُّوقَةَ فِي مَجَالِسِ

الْمُلُوكِ فَأَكْرَمَ بِهِ مِنْ صَاحِبِهِ . وَأَعَزَّ بِهِ مِنْ مُوَافِقِ (الكنز المذفون)
 ١٤٦ أَرْسَلَ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ فِي طَلَبِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ لِيَسَائِرَهُ . فَلَمَّا
 جَاءَ الْخَادِمُ إِلَيْهِ وَجَدَهُ جَالِسًا وَحَوْلَيْهِ كُتُبٌ وَهُوَ يُطَالِعُ فِيهَا . فَقَالَ
 لَهُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَدْعِيكَ . فَقَالَ : قُلْ عِنْدِي قَوْمٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ
 أَحَادِيثُهُمْ فَإِذَا فَرَعْتُ مِنْهُمْ حَضَرْتُ . فَلَمَّا عَادَ الْخَادِمُ إِلَى الْخَلِيفَةِ وَأَخْبَرَهُ
 بِذَلِكَ قَالَ لَهُ : وَيْحَكَ مَنْ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءِ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَهُ . قَالَ :
 وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ عِنْدَهُ أَحَدٌ . قَالَ : فَأَحْضِرْهُ السَّاعَةَ كَيْفَ
 كَانَ . فَلَمَّا حَضَرَ ذَلِكَ الْعَالِمُ . قَالَ لَهُ الْخَلِيفَةُ : مَنْ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءِ
 الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

لَنَا جُلَسَاءٌ مَا تَمَلُّ حَدِيثُهُمْ أَلْبَاءُ مَأْمُونُونَ غِيَا وَمَشْهَدَا
 يُفِيدُونَ نَأَمِينَ عِلْمُهُمْ عِلْمُ مَا مَضَى وَرَأْيَا وَتَأْدِيبَا وَمَجْدَا وَسُودَدَا
 فَإِنْ قُلْتَ أَمْوَاتٌ فَلَمْ تَعُدْ أَمْرَهُمْ وَإِنْ قُلْتَ أَحْيَاءٌ فَلَسْتَ مُفْسِدًا
 فَعَلِمَ الْخَلِيفَةُ أَنَّهُ يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى الْكُتُبِ وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ تَأْخُرَهُ

١٤٧ طَلَبَ الْمُكْتَتَبِيُّ مِنْ وَزِيرِهِ كُتُبًا يَلْهُو بِهَا وَيَقْطَعُ بِمُطَالَعَتِهَا
 زَمَانَهُ . فَتَقَدَّمَ الْوَزِيرُ إِلَى النُّوَابِ يَحْصِلُ ذَلِكَ وَعَرَضَهُ عَلَيْهِ قَبْلَ
 حَمْلِهِ إِلَى الْخَلِيفَةِ . فَحَصَلُوا شَيْئًا مِنْ كُتُبِ التَّارِيخِ فِيهَا شَيْءٌ بِمَا جَرَى
 فِي الْأَيَّامِ السَّالِفَةِ مِنْ وَقَائِعِ الْمُلُوكِ وَأَخْبَارِ الْوُزَرَاءِ وَمَعْرِفَةِ التَّحِيلِ
 فِي اسْتِخْرَاجِ الْأَمْوَالِ . فَلَمَّا رَأَاهُ الْوَزِيرُ قَالَ لِنَوَائِهِ : إِنَّكُمْ أَشَدُّ
 النَّاسِ عِدَاوَةً لِي . أَنَا قُلْتُ لَكُمْ حَصَلُوا لَهُ كُتُبًا يَلْهُو بِهَا وَيَسْتَغِلُّ بِهَا

عَنِّي وَعَنْ غَيْرِي . فَقَدْ حَصَلَتْ لَهُ مَا يَعْرِفُهُ مَصَارِعُ الْوُزَرَاءِ وَيُوجَدُ
الطَّرِيقُ إِلَى اسْتِخْرَاجِ الْمَالِ وَيَعْرِفُهُ خَرَابُ الْبِلَادِ مِنْ عِمَارَتِهَا . رَدُّوْهَا
وَحَصَلُوْا لَهُ كُتُبًا فِيهَا حِكَايَاتُ تَلَاهِيهِ وَأَشْعَارُ تَطَرُّبِهِ
(لأفخري)
قَالَ ابْنُ دُوسْتٍ فِي الْحِفْظِ وَالْإِسْتِظْهَارِ :

عَلَيْكَ بِالْحِفْظِ دُونَ الْجَمْعِ فِي الْكُتُبِ فَإِنَّ لِكُتُبِ آفَاتٍ تُفَرِّقُهَا
الْمَاءُ يَفْرِقُهَا وَالنَّارُ تُخْرِقُهَا وَالْقَارُ يَخْرِقُهَا وَاللِّصُّ يَسْرِقُهَا

في البيان والبلاغة والقصاحة

١٤٨ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ : الْبَيَانُ تَرْجُمَانُ الْقُلُوبِ وَصَيْقُلُ الْعُقُولِ . وَأَمَّا
حَدُّهُ فَقَدْ قَالَ الْجَلَّاحُظُ : الْبَيَانُ أَسْمُ جَامِعٍ لِكُلِّ مَا كَشَفَ لَكَ عَنْ
الْمَعْنَى . وَقَالَ الْيُونَانِيُّ : الْبَلَاغَةُ وَضُوحُ الدَّلَالَةِ وَاتِّهَازُ الْفُرْصَةِ
وَحُسْنُ الْإِشَارَةِ . وَقَالَ الْهِنْدِيُّ : الْبَلَاغَةُ تَضَمُّنُ الْأَقْسَامِ . وَاخْتِيَارُ
الْكَلَامِ . وَقَالَ الْكِنْدِيُّ : يَجِبُ لِلْبَلِغِ أَنْ يَكُونَ قَلِيلَ اللَّفْظِ كَثِيرَ
الْمَعْنَى وَقِيلَ : إِنَّ مُعَاوِيَةَ سَأَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : مَنْ أَبْلَغُ النَّاسِ .
فَقَالَ : أَقَلُّهُمْ لَفْظًا وَأَسْهَلُهُمْ مَعْنَى وَأَحْسَنُهُمْ بَدِيعَةً . وَقَالَ أَبُو عَبْدِ
اللَّهِ وَزِيرُ الْمُهَدِيِّ : الْبَلَاغَةُ مَا فَهَمَتْهُ الْعُلَمَاءُ وَرَضِيَتْ بِهِ الْخَاصَّةُ .
وَقَالَ الْبُخَيْرِيُّ : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا قَلَّ . وَجَلَّ . وَدَلَّ . وَلَمْ يَمَلَّ . وَقَالُوا :
الْبَلَاغَةُ مِيدَانٌ لَا يَقْطَعُ إِلَّا بِسَوَائِقِ الْأَذْهَانِ . وَلَا يُسَلِّكُ إِلَّا بِبَصَائِرِ
الْبَيَانِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

لَكَ الْبَلَاغَةُ مِيدَانٌ نَشَأَتْ بِهِ وَكُنَّا بِمُصَوِّرِ عَنْكَ نَعْتَرِفُ

مَهْدِي الْمَذَرِ فِي نَظْمٍ بَعَثَ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ الدُّرَّ لَا يَهْدِي لَهُ الصَّدْفُ
 ١٤٩ وَقَالَ الثَّمَالِيُّ: أَلْبَيْغُ مَا كَانَ لَفْظُهُ فَحَلًا وَمَعْنَاهُ بَكْرًا. وَقَالَ
 الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ الرَّازِيِّ فِي حَدِّ الْبَلَاغَةِ: إِنَّهَا بُلُوغُ الرَّجُلِ بِعِبَارَتِهِ
 كُلِّهَا مَا فِي قَلْبِهِ مَعَ الْأَحْتِرَازِ عَنِ الْإِبْجَازِ الْخِجَلِ. وَالْتِّوِيلِ الْمُمْلِ.
 وَأَمَّا الْقَصَاحَةُ فَهِيَ قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ الرَّازِيِّ عَنْهَا: أَعْلَمُ أَنَّ
 الْقَصَاحَةَ خُلُوصُ الْكَلَامِ مِنَ التَّعْقِيدِ وَأَصْلُهَا مِنْ قَوْلِهِمْ أَقْصَحَ الْكَلْبُ
 إِذَا أَخَذَتْ عَنْهُ الرِّغْوَةُ. وَكَثُرَ الْبَلَاءُ لَا يَكْأَدُونَ يَفْرُقُونَ بَيْنَ
 الْبَلَاغَةِ وَالْقَصَاحَةِ. بَلْ يَسْتَعْمِلُونَهَا اسْتِعْمَالَ الشَّيْئَيْنِ الْمُرَادِفَيْنِ عَلَى
 مَعْنَى وَاحِدٍ فِي تَسْوِيَةِ الْحُكْمِ بَيْنَهُمَا. وَدَّعُمُ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْبَلَاغَةَ
 فِي الْمَعَانِي وَالْقَصَاحَةُ فِي الْأَلْفَافِ. وَيُسْتَدَلُّ بِقَوْلِهِمْ مَعْنَى بَلِيغٌ وَلَفْظٌ
 فَصِيحٌ وَقَالَ نَيْمِيُّ بْنُ خَالِدٍ: مَا رَأَيْتُ رَجُلًا قَطُّ إِلَّا هَبَّتْهُ حَتَّى يَتَكَلَّمَ. فَإِنْ
 كَانَ فَصِيحًا عَظُمَ فِي صَدْرِي. وَإِنْ قَصَرَ سَطَّ مِنْ عَيْنِي (اللابشيحي)

في الشعر

١٥٠ كَانَ يُقَالُ: الشَّعْرُ دِيْوَانُ الْعَرَبِ وَمَعْدِنُ حِكْمَتِهَا وَكَثْرُ أَجْزَائِهَا.
 وَيُقَالُ: الشَّعْرُ لِسَانُ الزَّمَانِ. وَالشُّعْرَاءُ لِلْكَلامِ أُمَرَاءُ. وَقَالَ بَنُصُّ
 السَّافِ: الشَّعْرُ جَزْلٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ تُقَامُ بِهِ الْجَالِسُ وَتُسْتَبَحُّ بِهِ
 الْحَوَاجُّ وَتَشْفَى بِهِ السَّخَامُ. وَيُقَالُ: الْمُدْحُ مَهْرَةُ الْكِرَامِ. وَإِعْطَاهُ
 الشُّعْرَاءُ مِنْ سِرِّ أَوْلَادِهِمْ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَنْصَفَ الشُّعْرَاءُ فَإِنْ
 ظَلَمَتْهُمْ تَبَيَّ وَعَقَابُهُمْ لَا يَفْنَى. وَهُمْ الْحَاكُمُونَ عَلَى الْحُكَّامِ. وَقَالَ

آخِرُ : الشَّعْرُ الْحَمِيدُ هُوَ الشَّعْرُ الْحَلَالُ . وَالْعَذْبُ الزَّلَالُ . إِنْ مِنْ
 الشَّعْرِ لِحِكْمَةٌ وَإِنْ مِنْ أَلْبَانٍ لِسِحْرًا . وَكَانَ يُقَالُ : النَّثْرُ يَتَطَايَرُ تَطَايُرَ
 الشَّرَرِ . وَالشَّعْرُ يَبْقَى بَقَاءَ النَّفْسِ فِي الْحَجْرِ . وَقِيلَ لِحِمَزةِ بْنِ بَيْصٍ :
 مَنْ أَشْعَرَ النَّاسَ . قَالَ . مَنْ إِذَا قَالَ أَسْرَعَ . وَإِذَا وَصَفَ أَبْدَعَ . وَإِذَا
 مَدَحَ رَفَعَ . وَإِذَا هَجَا وَضَعَ . وَقَالَ دَعِيلُ فِي كِتَابِهِ الْمَوْضُوعِ فِي مَدَحِ
 الشُّعْرَاءَ : إِنَّهُ لَا يَكْذِبُ أَحَدٌ إِلَّا أَجْتَرَاهُ النَّاسُ فَقَالُوا : كَذَّابٌ . إِلَّا
 الشَّاعِرَ فَإِنْ يَكْذِبُ يُسْتَحْسِنُ كَذِبُهُ . وَيُحْتَمَلُ ذَلِكَ لَهُ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ
 عَيْبًا عَلَيْهِ . ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَنْ يُقَالَ : أَحْسَنْتَ . (وَفِيهِ) أَنَّ الرَّجُلَ الْمَلِكَ أَوْ
 السُّوْقَةَ إِذَا صَيَّرَ ابْنَهُ فِي الْكِتَابِ أَمْرًا مُعَلِّمَهُ أَنْ يُعَلِّمَهُ الشَّعْرَ . لِأَنَّهُ
 تَوَصَّلَ بِهِ إِلَى الْمَجَالِسِ . وَتَضَرَّبَ فِيهِ الْأَمْثَالُ وَتُعْرَفُ بِهِ تَحَاسِنُ الْأَخْلَاقِ
 وَمَشَائِبُهَا فَتَدُمُ وَتُحْمَدُ وَتُهْجَى وَتُمْدَحُ . وَأَيُّ شَرَفٍ أَبْقَى مِنْ شَرَفِ
 يَبْقَى بِالشَّعْرِ . (وَفِيهِ) أَنَّ أَمْرًا أَقْنَسَ كَانَ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ . وَكَانَ
 مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَبَنِي أَبِيهِ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِينَ مَلِكًا فَبَادُوا وَبَادَ ذِكْرُهُمْ .
 وَبَقِيَ ذِكْرُهُ إِلَى الْقِيَامَةِ . وَإِنَّمَا أَمْسَكَ ذِكْرَهُ شِعْرُهُ . وَقَالَ : أَحْسَنُ مَا
 مَدَحَ بِهِ الشَّعْرُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ حَيْثُ يَقُولُ :
 وَلَوْ لَا خِلَالُ سَنَاءِ الشَّعْرِ مَا دَرَى بُنَاءَ الْمَعَالِي كَيْفَ بُنِيَ الْمَكَارِمُ
 وَأَحْسَنُ مِنْهُ :

أَرَى الشَّعْرَ يُنْجِي الْجُودَ وَالْبَاسَ بِالَّذِي تُبْقِيهِ أَرْوَاحُ لَهُ عَطَرَاتُ
 وَمَا يُنْجِدُ لَوْلَا الشَّعْرُ إِلَّا مَعَاهِدُ وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَعْظَمُ نَخِرَاتُ

١٥١ (فَصَلِّ لِأَيِّ بَكْرِ الْخَوَارِزْمِيِّ جَامِعِ لِمَذْحِ الشُّعْرَاءِ) مَا ظَنُّكَ
 بِقَوْمٍ أَلاَ قَصَارُ مُحَمَّدٍ إِلَّا مِنْهُمْ . وَالكَذِبُ مَذْمُومٌ وَمَرْدُودٌ إِلَّا فِيهِمْ .
 إِذَا ذَمُّوا ثَلَمُوا . وَإِذَا مَدَحُوا سَلَبُوا . وَإِذَا رَضُوا رَفَعُوا . الْوَضِيعُ .
 وَإِذَا غَضِبُوا . وَضَعُوا الرَّفِيعُ . وَإِذَا أَقْرَأُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَبِيرِ . لَمْ
 يَلْزَمْ حَدٌّ . وَلَمْ تَمْتَدَّ إِلَيْهِمْ بِالْعُثُوبَةِ يَدٌ . غَنِيهِمْ لَا يُصَادَرُ . وَفَقِيرُهُمْ لَا
 يُسْتَحَقُّ . وَشَيْخُهُمْ يُوقَرُ . وَشَابُهُمْ لَا يُسْتَصَفَرُ . سِهَانُهُمْ تَقْدُ فِي
 الْأَعْرَاضِ . وَشَهَادَتُهُمْ مَقْبُولَةٌ . وَإِنْ لَمْ يَنْطِقْ بِهَا سَجَلٌ وَلَمْ يَشْهَدْ بِهَا
 عَدْلٌ . بَلْ مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ هُمْ صَيَارِفُهُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ . وَسَمَاسِرُهُ
 النَّقْصِ وَالْكَمَالِ . بَلْ مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ أَسْمُهُمْ نَاطِقٌ بِالْفَضْلِ . وَأَسْمُ
 صِنَاعَتِهِمْ مُسْتَقٌّ مِنَ الْعَقْلِ . بَلْ مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ هُمْ أَمْرَاءُ الْكَلَامِ .
 يَقْصِرُونَ طَوِيلَهُ . وَيُطَوِّلُونَ قَصِيرَهُ . يَقْصِرُونَ تَحْدُودَهُ . وَيُحَقِّقُونَ
 ثَقِيلَهُ . وَلَمْ لَا أَقُولُ : مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ . وَفِي كُلِّ وَادٍ
 يَهيمُونَ

(لَايِي نصر المقدسي)

في الأدب

١٥٢ قَالَ الْعَلَاءُ بْنُ أَيُّوبَ كَانَ يُقَالُ : مَثَلُ الْأَدِيبِ ذِي الْقَرِيحَةِ
 مَثَلُ دَائِرَةٍ تُدَارُ مِنْ خَارِجِهَا . فَهِيَ فِي كُلِّ دَائِرَةٍ تُدَارُ تَسْعُ وَتَرْدَادُ
 عِظَمًا . وَمَثَلُ الْأَدِيبِ غَيْرِ ذِي الْقَرِيحَةِ مَثَلُ دَائِرَةٍ تُدَارُ مِنْ دَاخِلِهَا فَهِيَ
 عَنْ قَلِيلٍ تَبْلُغُ إِلَى بَاطِنِهَا . أَوْصَى بَعْضُ الْحُكَمَاءِ بَيْنَهُ فَقَالَ لَهُمْ :
 الْأَدَبُ أَكْرَمُ الْجَوَاهِرِ طَبِيعَةً وَأَنْفُسُهَا قِيَمَةٌ . يَرْفَعُ الْأَخْسَابَ الْوَضِيعَةَ .

وَيُفِيدُ الرَّعَابَ الْجَلِيلَةَ . وَيُغْنِي مِنْ غَيْرِ عَشِيرَةٍ . وَيُكْثِرُ الْأَنْصَارَ مِنْ
غَيْرِ رِزْيَةٍ . فَأَلْبَسُوهُ حُلَّةً . وَزَيَّنُوا بِهِ حَاجَةً . يُؤَانِسُكُمْ فِي الْوَحْشَةِ .
وَيَجْمَعُ الْقُلُوبَ الْمُخْتَلِفَةَ . وَأَنْشَدَ الْأَصْمَعِيُّ :

إِنْ كَانَ لِلْعَقْلِ مَوْلُودٌ فَلَسْتُ أَرَى ذَا الْعَقْلِ مُسْتَوْحِشًا مِنْ حَادِثِ الْأَدَبِ
إِنِّي رَأَيْتُهُمَا كَالْمَاءِ مُخْتَلَطًا بِالْتَرَبِّ تَطَهَّرُ عَنْهُ زَهْرَةُ الْعُشْبِ
١٥٣ وَقَالَ بَرْزَجَهْرُ : مَا وَرَثْتُ الْأَبَاءَ إِلَّا بَنَاءَ خَيْرٍ مِنَ الْأَدَبِ .
لَا نَهَمَ بِهِ يَكْسِبُونَ أَمَالًا وَبِلِجْلٍ يُتْلَفُونَهُ . وَقَالَ : حُسْنُ الْخَلْقِ خَيْرُ
قَرِينٍ وَالْأَدَبُ خَيْرُ مِيرَاثٍ وَأَلْتَقَى خَيْرُ زَادٍ . وَقَالَ أَيْضًا : لَيْتَ
شِعْرِي أَيْ شَيْءٍ أَذْرَكَ مِنْ قَاتِهِ الْأَدَبُ . وَأَيْ شَيْءٍ قَاتَ مَنْ أَذْرَكَ
الْأَدَبُ . وَقَالَ ابْنُ عَابِشَةَ الْفَرَسِيِّ : أَهْلُ الْأَدَبِ هُمُ الْأَكْثَرُونَ
وَأِنْ قَلُّوا . وَحَلَّ الْأَنْسَ أَيْنَ حَلُّوا . وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ لِابْنِهِ :
يَا بَنِي الْأَدَبِ بَهَاءُ الْمُلُوكِ وَرِيَاشُ السُّوقَةِ وَالنَّاسُ بَيْنَ هَاتَيْنِ فَتَعْلَمُهُ
تَجَدُّهُ حَيْثُ تَحُبُّ . وَقَالَ بَعْضُ الظَّاهِرِيِّ : لَوْ عَاشَ الْجَاهِلُونَ مَا
الْأَدَبُ . لَا يَقْنُؤُوا أَنَّهُ الطَّرَبُ . وَقَالَ حَكِيمٌ لِابْنِهِ : يَا بَنِي عِزِّ السُّلْطَانِ
يَوْمَ لَكَ وَيَوْمَ عَلَيْكَ . وَعِزُّ أَمَالٍ وَشَيْكَ ذَهَابُهُ . جَدِيدُ أَنْفِطَاعِهِ
وَأَنْفِقَالُهُ . وَعِزُّ الْحَسَبِ إِلَى خُمُولٍ وَدُثُورٍ وَدُثُولٍ . وَعِزُّ الْأَدَبِ رَاتِبٌ
وَاصِبٌ . لَا يَزُولُ بِزَوَالِ أَمَالٍ وَلَا يَتَحَوَّلُ بِتَحَوُّلِ السُّلْطَانِ . وَيُقَالُ : مَنْ
قَعَدَ بِهِ حَسَبُهُ . نَهَضَ بِهِ أَدَبُهُ . وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِي : حَاجَةُ الْأَدَبِ لَا
تُغْنِي . وَحَرَمَتُهُ لَا تُخْفِي . وَالْأَدَبُ صُورَةُ الْعَقْلِ فَحَسِّنْ عَقْلَكَ كَيْفَ

شئت . قَالَ بَرَزَجَهُمْ : مَنْ كَثُرَ آدِبُهُ . كَثُرَ شَرَفُهُ وَإِنْ كَانَ قَبْلُ
وَضِيْعًا وَبَعْدَ صَيْتِهِ وَإِنْ كَانَ خَامِلًا . وَسَادَ وَإِنْ كَانَ غَرِيْبًا . وَكَثُرَتْ
الْحَاجَةُ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ فَقِيْرًا . وَقَالُوا : الْأَدَبُ أَدْبَانُ أَدَبُ الْغَرِيْزَةِ
وَهُوَ الْأَصْلُ وَأَدَبُ الرِّوَايَةِ وَهُوَ الْقَرَعُ . وَلَا يَتَفَرَّغُ الشَّيْءُ إِلَّا عَنْ
أَصْلِهِ . وَلَا يَنْفُو الْأَصْلُ إِلَّا بِاتِّصَالِ الْمَادَّةِ (لشرشي)

١٥٤ وَقَالَ حَيْبُ فَاحْسَنَ .

وَمَا السَّيْفُ إِلَّا زُرَّةٌ لَوْ تَرَكْتَهُ عَلَى الْحِلْقَةِ الْأُولَى لَمَا كَانَ يَقْطَعُ
وَقَالَ آخَرُ :

مَا وَهَبَ اللَّهُ لِأَمْرِئٍ هِبَةً أَفْضَلَ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ آدِبِهِ
هُمَا كَمَالُ الْفَتَى فَإِنْ فَقِدَا فَقَقِدَهُ لِلْحَيَاةِ أَحْسَنُ بِهِ
وَقِيلَ : إِذَا كَانَ الرَّجُلُ ظَاهِرَ الْأَدَبِ ظَاهِرَ النَّبْتِ تَأَدَّبَ بِآدِبِهِ
وَصَلَحَ بِصَلَاحِهِ أَهْلُهُ وَوَلَدُهُ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

رَأَيْتُ صِلَاحَ الْمَرْءِ يُصْلِحُ أَهْلَهُ وَيُعَدِّيهِمْ عِنْدَ الْفَسَادِ إِذَا فَسَدَ
يُعْظَمُ فِي الدُّنْيَا لِأَجْلِ صِلَاحِهِ وَيُحْفَظُ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ
قَالَ غَيْرُهُ :

لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا ابْنُ يَوْمِهِ عَلَى مَا تَجَلَّى يَوْمُهُ لَا ابْنُ أُمِّهِ
وَمَا الْفَخْرُ بِالْعَظَمِ الرَّمِيمِ وَإِنَّمَا فَخَارُ الَّذِي يَنْبَغِي الْفَخَارَ بِنَفْسِهِ
١٥٥ الْأَدَبُ مَالٌ . وَاسْتِعْمَالُهُ كَمَالٌ . بِالْعَمَلِ يُصْلِحُ كُلُّ أَمْرٍ .
(لشبراوي) وَيُجْلِمُ يَقْطَعُ كُلُّ شَرٍّ

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

حَرَصَ بَيْتُكَ عَلَى الْآدَابِ فِي الصَّغَرِ كَمَا تَقَرَّ بِهِمْ عَيْنَاكَ فِي الْكِبَرِ
وَأَمَّا مَثَلُ الْآدَابِ تَجَمُّعُهَا فِي عُقْوَانِ الصَّبَا كَالنَّفْسِ فِي الْحَجَرِ
هِيَ الْكُنُوزُ الَّتِي تَنْمُو ذَخَائِرُهَا وَلَا يُخَافُ عَلَيْهَا حَادِثُ الْعَبَرِ
إِنَّ الْآدِيبَ إِذَا رَلَتْ بِهِ قَدَمٌ يَهْوِي عَلَى فُرْشِ الدِّيَابِجِ وَالسُّرَرِ
قَالَ غَيْرُهُ :

مَنْ لَمْ يَدِ الْآدِيبَ فِي صِغَرِ الصَّبَا شَخَّ الْقَلَاحُ عَلَيْهِ فِي وَقْتِ الْكِبَرِ
الآداب الظاهرة

١٥٦ (الآداب في الأكل) . قَالَ بَعْضُهُمْ : إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ
فَلْيَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ فِي أَوَّلِ أَكْلِهِ وَآخِرِهِ . وَعَلَى مَنْ يَأْكُلُ أَنْ يُلْحَقَ
بِالْآدَابِ وَالرُّسُومِ الْمُسْتَحْسَنَةِ . مِنْهَا أَنْ يَأْكُلَ يَمِينَهُ وَيَشْرَبَ يَمِينَهُ .
وَأَلَّا يَأْكُلَ وَيَشْرَبَ قَائِمًا . وَأَوْصَى رَجُلٌ مِنْ خَدَمِ الْمُلُوكِ أَبْنَهُ
فَقَالَ : إِذَا أَكَلْتَ فَضَمَّ شَفَتَيْكَ وَلَا تَلْتَفِتْ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا وَلَا تَقَنَّ
بِسِكِّينٍ . وَلَا تَجْلِسَ فَوْقَ مَنْ هُوَ أَشْرَفُ مِنْكَ وَأَرْقِعْ مَنْزِلًا . وَلَا
تَبْصُقْ فِي الْأَمَاكِنِ النَّظِيفَةِ . وَمِنْ حُسْنِ الْآدَابِ أَنْ يَغْرِضَ عَنِ
الْبُطْنَةِ . قَالَ بَعْضُهُمْ : مَنْ قَلَّ طَعَامُهُ صَحَّ جِسْمُهُ وَصَفَا قَلْبُهُ . مَنْ كَثُرَ
طَعَامُهُ سَقَمَ جِسْمُهُ وَفَسَا قَلْبُهُ . قَالَ آخَرُ : لَا تَمِثُوا الْقُلُوبَ بِكَثْرَةِ
الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ . فَإِنَّ الْقَلْبَ كَالزَّرْعِ . إِذَا كَثُرَ عَلَيْهِ الْمَاءُ مَاتَ .
قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّرِ : كَانَتْ مُلُوكُ الْأَعَاجِمِ إِذَا رَأَتْ الرَّجُلَ نَهْمًا شَرِيهَا

أَخْرَجُوهُ مِنْ طَبَقَةِ الْجِدِّ إِلَى بَابِ الْهَزْلِ وَمِنْ بَابِ التَّعْظِيمِ إِلَى بَابِ
الْإِحْتِقَارِ (للابشيحي)

١٥٧ (وَأَمَّا أَدَبُ الْمُضَيَّفِ) فَهُوَ أَنْ يَخْدُمَ أَضْيَافَهُ وَيُظَاهِرَ لَهُمْ الْغِنَى
وَيَبْسُطَ أَلْوَجَهُ فَقَدْ قِيلَ: الْبَشَاشَةُ فِي أَلْوَجِهِ خَيْرٌ مِنَ الْقِرَى. قَالُوا:
فَكَيْفَ يَمُنْ يَأْتِي بِهَا وَهُوَ ضَاحِكٌ. وَقَدْ صَمَّنَ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ
الْبُدْيَوِيُّ هَذَا الْكَلَامَ بِآيَاتٍ فَقَالَ:

إِذَا الْمُرءُ وَافَى مَنْزِلًا مِنْكَ قَاصِدًا قِرَاكَ وَأَرَمْتُهُ لَدَيْكَ أَسَالِكَ
فَكُنْ بَاسِمًا فِي وَجْهِهِ مُتَهَلِّلًا وَقُلْ مَرْحَبًا أَهْلًا وَيَوْمٌ مُبَارَكٌ
وَقَدِّمْ لَهُ مَا تَسْتَطِيعُ مِنَ الْقِرَى عَجُولًا وَلَا تَبْخُلْ بِمَا هُوَ هَالِكٌ
فَقَدْ قِيلَ بَيْتٌ سَالِفٌ مُتَقَدِّمٌ تَدَاوَلَهُ زَيْدٌ وَعَمَرُو وَمَالِكٌ
بَشَاشَةً وَجْهِ الْمُرءِ خَيْرٌ مِنَ الْقِرَى فَكَيْفَ يَمُنْ يَأْتِي بِهِ وَهُوَ ضَاحِكٌ
قَالَ الْعَرَبُ: تَمَامُ الضِّيَافَةِ الطَّلَاقَةُ عِنْدَ أَوَّلِ وَهْلَةٍ وَإِطَالَةُ
الْحَدِيثِ عِنْدَ الْمُوَاكَلَةِ. وَلِلَّهِ دَرَمَنٌ قَالَ:

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَا سَرَّني شَيْءٌ كَطَارِقَةِ الضُّيُوفِ الْتَزَلُّ
مَا زِلْتُ بِالْتَرَجِيبِ حَتَّى خَلَّتْني ضَيْفًا لَهُ وَالضَّيْفَ رَبُّ الْمَنْزِلِ
وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ:

مَنْزِلُنَا رَحْبٌ لِمَنْ زَارَهُ نَحْنُ سَوَاءٌ فِيهِ وَالطَّارِقُ
وَكُلُّ مَا فِيهِ حَلَالٌ لَهُ إِلَّا الَّذِي حَرَّمَهُ الْخَالِقُ

قَالَ عَاصِمُ بْنُ وَائِلٍ:

وَأَمَّا النَّفْسُ الضَّعِيفَةُ قَبْلَ زُرْوَلِهِ وَنُشْعُهُ بِالْبَشَرِ مِنْ وَجْهِ ضَا حِكِ
 ١٥٨ وَمِنْ آدَابِ الْمُضَيَّفِ أَنْ يُحَدِّثَ أَضْيَافَهُ بِمَا يَمِيلُ إِلَيْهِ نَفْسُهُمْ . وَلَا
 يَتَأَمَّ قَلْبُهُمْ . وَلَا يَشْكُو الزَّمَانَ بِحُضُورِهِمْ . وَيَبْشُرُ عِنْدَ قُدُومِهِمْ وَيَتَأَمَّ
 عِنْدَ وِدَاعِهِمْ . وَأَنْ لَا يُحَدِّثَ بِمَا يَرُوعُهُمْ بِهِ . وَيَجِبُ عَلَى الْمُضَيَّفِ أَنْ
 يُرَاعِيَ خَوَاطِرَ أَضْيَافِهِ كَيْفَمَا أَمَكَّنَ . وَلَا يَنْضَبَ عَلَى أَحَدٍ بِحُضُورِهِمْ .
 وَلَا يَنْخَسَ عَيْنُهُمْ بِمَا يَكْرَهُونَهُ . وَلَا يَبْسُ بِوَجْهِهِ . وَلَا يُظْهِرُ نَكَدًا .
 وَلَا يَنْهَرُ أَحَدًا . وَلَا يَشْتُمُهُ بِحُضْرَتِهِمْ بَلْ يَدْخُلُ عَلَى قُلُوبِهِمْ السُّرُورُ بِكُلِّ مَا
 أَمَكَّنَ . وَعَلَيْهِ أَنْ يَسْهَرَّ مَعَ أَضْيَافِهِ وَيُؤَانِسَهُمْ بِلَذِيذِ الْمَحَادَثَةِ وَغَرِيبِ
 الْحِكَايَاتِ . وَأَنْ يَسْتَمِيلَ قُلُوبَهُمْ بِالْبَذْلِ لَهُمْ مِنْ غَرَائِبِ الطَّرَفِ إِنْ
 كَانَ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ . وَعَلَى الْمُضَيَّفِ إِذَا قَدَّمَ الطَّعَامَ إِلَى أَضْيَافِهِ أَنْ
 لَا يَنْتَظِرَ مَنْ يَحْضُرُ مِنْ عَشِيرَتِهِ . فَهَذَا قِيلَ : ثَلَاثَةٌ تُضَيِّعُ سِرَاجَ لَا يُضِيئُ .
 وَرَسُولٌ بَطِي . وَمَا يَنْتَظَرُ لَهَا مَنْ يَجِي . وَمِنْ أَلْسِنَةٍ أَنْ يُشْمِعَ
 الْمُضَيَّفُ الضَّعِيفَ إِلَى بَابِ الدَّارِ (للابشيهي)

١٥٩ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : مَا اسْتَكْمَلَ عَقْلُ أَمْرٍ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ
 عَشْرُ خِصَالٍ . الرَّشْدُ مِنْهُ مَأْمُولًا . وَالْكِبَرُ مِنْهُ مَأْمُونًا . نَصِيبُهُ مِنْ
 الدُّنْيَا الْقَوْتُ . وَالذَّلُّ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعِزِّ . وَالْفَقْرُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْغِنَى .
 يَسْتَقِيلُ كَثِيرَ الْمَعْرُوفِ مِنْ نَفْسِهِ . وَيَسْتَكْثِرُ قَلِيلَ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِهِ .
 وَلَا يَسْأَلُ مِنَ طَلَبِ الْعِلْمِ طَوْلَ عَمْرِهِ . وَلَا يَتَبَرَّمُ مِنَ طَلَبِ الْحَوَائِجِ
 قَلْبُهُ . وَالْعَاشِرَةُ أَنْ يَرَى النَّاسَ كُلَّهُمْ خَيْرًا مِنْهُ (لَا بِنِ الْمَعْتَرِ)

أَبَابُ التَّاسِعِ فِي اللَّطَائِفِ

للحداد والامير

١٦٠ حَكِي الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَمِيدِيُّ التَّائِبُ قَالَ : دَخَلْتُ
عَلَى الْأَمِيرِ السَّعِيدِ أَبِي ظَفَرٍ أَيَّامَ وَلَايَتِهِ لِلتَّغْرِ فَوَجَدْتُهُ يَقْطُرُ دُهْنًا
عَلَى خِنْصِرِهِ . فَسَأَلْتُهُ عَنْ سَبَبِهِ فَذَكَرَ ضَيْقَ حَايِمِهِ وَأَنَّهُ وَرِمَ بِسَبَبِهِ .
فَقُلْتُ لَهُ : الرَّأْيُ قَطْعُ حَلْقَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَتَقَاعَمَ الْأَمْرُ . فَقَالَ : مَنْ يَضْلَعُ
لِذَلِكَ . فَاسْتَدْعَيْتُ ظَافِرًا الْحَدَّادَ الشَّاعِرَ فَهَطَعَ الْحَلْقَةَ وَأَلْشَدَ بَدِيهَا :
قَصَّرَ عَنِ أَوْصَافِكَ الْعَالَمَ وَكَثُرَ النَّازِرُ وَالنَّاظِمُ
مَنْ يَكُنَّ الْبَجْرُ لَهُ رَاحَةً يَضِيقُ عَنْ خِنْصِرِهِ الْحَايِمُ
فَاسْتَحْسَنَهُ الْأَمِيرُ وَوَهَبَ لَهُ الْحَلْقَةَ . وَكَانَتْ مِنْ ذَهَبٍ
وَكَانَ بَيْنَ يَدَيِ الْأَمِيرِ غَزَالٌ مُسْتَأْنِسٌ وَقَدْ رُبَّضَ وَجَعَلَ رَأْسَهُ فِي
حُجْرِهِ . فَقَالَ ظَافِرٌ بَدِيهَا :

عَجِبْتُ لِحُرَاةِ هَذَا الْغَزَالِ وَأَمْرٍ تَخْطِي لَهُ وَاعْتَمَدَ
وَأَعْجَبَ بِهِ إِذْ بَدَأَ جَائِمًا وَكَيْفَ أَطْمَأَنَّ وَأَنْتَ أَسَدُ
فَزَادَ الْأَمِيرُ وَالْحَاضِرُونَ فِي الْإِسْتِحْسَانِ (بدائع البداهة للزدي)
١٦١ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ الْفَقِيرَ وَالْغَنِيَّ :
مَنْ كَانَ يَمْلِكُ دِرْهَمَيْنِ تَعَلَّمَتْ شَفَاتُهُ أَنْوَاعَ الْكَلَامِ فَقَالَ لَا

وَتَقَدَّمَ الْإِخْوَانُ فَاسْتَمَعُوا لَهُ وَرَأَيْتُهُ بَيْنَ الْوَرَى مُخْتَلَا
لَوْلَا دَرَاهِمُهُ الَّتِي يَذْهَبُ بِهَا لَوَجَدْتُهُ فِي النَّاسِ أَسْوَأَ حَالًا
إِنَّ الْغَنِيَّ إِذَا تَكَلَّمَ بِالْحَطَا قَالُوا صَدَقْتَ وَمَا نَطَقْتَ مُخْتَلَا
أَمَّا الْفَقِيرُ إِذَا تَكَلَّمَ صَادِقًا قَالُوا كَذَبْتَ وَأَبْطَلُوا مَا قَالَا
إِنَّ الدَّرَاهِمَ فِي الْأَوَاطِنِ كُلِّهَا تَكْسُو الرِّجَالَ مَهَابَةً وَجَمَالًا
فَهِيَ اللِّسَانُ لِمَنْ أَرَادَ فَصَاحَةً وَهِيَ السِّلَاحُ لِمَنْ أَرَادَ فِتْنًا

الحجاج والفتية

١٦٢ أمر الحجاجُ صاحبَ حرسِهِ أَنْ يَطُوفَ بِاللَّيْلِ مَنْ رَأَاهُ بَعْدَ
الْمَشَاءِ سَكْرَانٌ ضَرْبُ عُنُقِهِ . فَطَافَ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي فَوَجَدَ ثَلَاثَةَ فِتْيَانٍ
يَتِمَّائُونَ وَعَلَيْهِمْ أَمَارَاتُ السُّكْرِ . فَاحَاطَتْ بِهِمُ الْغُلَمَانُ . وَقَالَ لَهُمْ
صَاحِبُ الْحَرَسِ : مَنْ أَنْتُمْ حَتَّى خَالَقْتُمْ أَمْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَخَرَجْتُمْ
فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ . فَقَالَ أَحَدُهُمْ :

أَنَا ابْنُ مَنْ دَانَتْ الرِّقَابُ لَهُ مَا بَيْنَ مَخْزُومِهَا وَهَاشِمِهَا
تَأْتِيهِ بِالرَّغْمِ وَهِيَ صَاغِرَةٌ يَأْخُذُ مِنْ مَالِهَا وَمِنْ دِيْنِهَا
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ : لَعَلَّهُ مِنْ أَقَارِبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . ثُمَّ قَالَ لِالْآخَرِ :
وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ . فَقَالَ :

أَنَا ابْنُ مَنْ لَا تَنْزِلُ الدَّهْرَ قِدْرُهُ وَإِنْ تَرَلَّتْ يَوْمًا قَسُوفَ تَعُودُ
تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ فَمِنْهُمْ قِيَامٌ حَوْلَهَا . وَفُعُودُ
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ : لَعَلَّهُ ابْنُ أَشْرَفِ الْعَرَبِ . ثُمَّ قَالَ لِالْآخَرِ :

وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ . فَأَنْشَدَ عَلَى الْبُدِيَّةِ :

أَنَا ابْنُ مَنْ خَاضَ الصُّفُوفَ بِزِمِهِ وَقَوْمًا بِالسَّيْفِ حَتَّى اسْتَقَامَتْ
وَرَكْبَاهُ لَا يَتَفَكَّرُ رَجُلُهُ مِنْهُمَا إِذَا الْخَيْلُ فِي يَوْمِ الْكِرِيَّةِ وَلَّتْ
فَأَمْسَكَ عَنِ الْآخِرِ وَقَالَ : لَعَلَّهُ ابْنُ أَشْجَعِ الْعَرَبِ وَأَحْتَفِظَ عَلَيْهِمْ .
فَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ رَفَعَ أَمْرَهُمْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأَحْضَرَهُمْ وَكَشَفَ عَنْ
حَالِهِمْ . فَإِذَا الْأَوَّلُ ابْنُ حُجَّامٍ . وَالثَّانِي ابْنُ قَوَالٍ . وَالثَّلَاثُ ابْنُ
حَابِثٍ . فَتَجَبَّ مِنْ فَصَاحَتِهِمْ وَقَالَ لِحُلَسَائِهِ : عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ الْأَدَبَ
قَوْلَ اللَّهِ لَوْلَا فَصَاحَتُهُمْ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَهُمْ (للنواحي)

ابو العلاء وكتاب الفصوص

١٦٣ أَلْفَ أَبُو الْعَلَاءِ صَاعِدُ كُتُبًا مِنْهَا كِتَابُ الْفُصُوصِ . وَاتَّفَقَ
لِهَذَا الْكِتَابِ مِنْ عَجَائِبِ الْإِتِّفَاقِ أَنَّ أَبَا الْعَلَاءِ دَفَعَهُ حِينَ كَمَلَ لِعَلَامٍ
لَهُ يَحْمِلُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَعَبَّرَ النَّهْرَ نَهْرَ قَرْطَبَةَ . فَخَانَتْ الْعَلَامُ رِجْلَهُ
فَسَقَطَ فِي النَّهْرِ هُوَ وَالْكِتَابُ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ وَهُوَ
الْعَرِيفُ بَيْتًا مَطْبُوعًا بِحَضْرَةِ الْمَنْصُورِ وَهُوَ :

قَدْ غَاصَ فِي أُنْجَرِ كِتَابُ الْفُصُوصِ وَهَكَذَا كُلُّ ثِقِيلٍ يُغُوصُ
فَصَحَّحَ الْمَنْصُورُ وَالْحَاضِرُونَ . فَلَمْ يَرُغْ ذَلِكَ صَاعِدًا وَلَا هَالَةً .
وَقَالَ مُرْتَجِلًا حُبًّا لِابْنِ الْعَرِيفِ :

عَادَ إِلَى مَعْدِنِهِ إِنَّمَا تُوْجَدُ فِي قَعْرِ الْجَارِ الْفُصُوصُ

(كتاب المحجب لعبد الواحد المراكشي)

١٧١ أَرْسَلَ شَاعِرٌ هَدِيَّةً إِلَى مَلِكٍ وَشَقَّعَهَا بِهَذِهِ الْأَيَّاتِ :
 أَتَيْتَ سُلَيْمَانَ يَوْمَ الْعَرْضِ قُبْرَةً تُبْدِي إِلَيْهِ جَرَادًا كَانَ فِي فِيهَا
 وَأَنْشَدْتَ فِي لِسَانِ الْحَالِ قَائِلَةً إِنَّ الْهَدِيَّةَ مِنْ مِقْدَارِ هَادِيهَا
 لَوْ أَنَّ يَهْدِي إِلَى الْإِنْسَانِ قِيَمَتُهُ لَكَانَ تُهْدِي إِلَيْكَ الدُّنْيَا مَا فِيهَا
 فَاسْتَحْسَنَهَا الْمَلِكُ وَأَجَازَهُ
 (طرائف اللطائف)

١٧٢ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ فِي تَفْرِيدِ الْبَلْبَلِ :
 أَيُّهَا الْبَلْبَلُ الْمَغْرَدُ فِي الْخَلِّ غَرِيْبًا مِنْ أَهْلِهِ حَيْرَانًا
 أَفِرَاقًا تَشْكُوهُ أَمْ دُمْتَ تَدْعُو فَوْقَ أَفْكَانٍ تَحْلَةً وَرَشَانًا
 هَاجَ لِي صَوْتُكَ الْمَغْرَدُ سَجَّوًا رَبِّ صَوْتٍ يُعَمِّجُ الْأَحْزَانَا
 ١٧٣ وَقَالَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ فِي مَنْ لَا يَتَصَدَّى إِلَى صَغَائِرِ الشُّرُودِ :
 أَرَى بَيْنَ الرَّمَادِ وَمِضْرَ نَارٍ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامُ
 فَإِنْ لَمْ تُطْفِئْهَا عَمَلًا قَوْمٍ يَكُونُ وَقُودَهَا جُثَّةٌ وَهَامُ
 فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تَذْكِي وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلَهَا كَلَامُ
 ١٧٤ اجْتَمَعَ يَوْمًا آلُ الصَّحَابَةِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ :

الْمَوْتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ تَدْخُلُهُ يَأْتِيَتْ شِعْرِي بَعْدَ أَلْبَابٍ مَا الدَّارُ
 فَقَالَ عُمَرُ :

الدَّارُ دَارُ نَعِيمٍ إِنْ عَمِلْتَ بِمَا يُرِضِي الْإِلَٰهَ وَإِنْ خَالَفْتَ فَالنَّارُ
 فَأَجَازَهُ عُثْمَانُ :

هَاجَ حِلَانِ مَا لِلنَّاسِ غَيْرُهُمَا فَأَنْظِرْ لِنَفْسِكَ أَيَّ الدَّارِ تَخْتَارُ

فَأَجَازَهُ عَلِيٌّ يَقُولُهُ :

مَا لِلْعِبَادِ سِوَى الْفِرْدَوْسِ أَنْ يَعْمَلُوا وَإِنْ هَفَوْا هَفْوَةً فَالزَّبُّ غَفَّارٌ
١٧٥ قَالَ أَعْرَابِيٌّ يَتَشَوَّقُ إِلَى بَلَدِهِ :

ذَكَرْتُ بِلَادِي فَاسْتَهَلَّتْ مَدَامِي بِشَوْقِي إِلَى عَهْدِ الصَّبَا الْمُتَقَادِمِ
خَلَّتْ إِلَى رُبْعٍ بِهِ أَخْضَرٌ شَارِبِي وَقُطِعَ عَنِّي فِيهِ عَهْدُ التَّمَامِ
١٧٦ قَالَ ابْنُ عَلَاءٍ مُوَدَّعًا :

لَا وَدَعَنَّكَ ثُمَّ تَدْمَعُ مُقَلَّتِي إِنَّ الدَّمْعَ هِيَ الْوَدَاعُ الثَّانِي
فِي فُرْقَةٍ الْأَحْبَابِ شَغْلٌ شَاغِلٌ وَالْمَوْتُ صِدْقًا فُرْقَةٌ الْإِخْوَانِ
١٧٧ قَالَ تَمِيمُ الْمَعَالِي قَابُوسٌ وَكَانَتْ أَصْحَابُهُ قَدْ خَرَجَتْ عَنْ طَاعَتِهِ :

قُلْ لِلَّذِي بَصُرُوفِ الدَّهْرِ عَيْرَنَا هَلْ عَانَدَ الدَّهْرُ إِلَّا مَنْ لَهُ خَطَرُ
فَقِي السَّمَاءِ نُجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ وَلَيْسَ يُكْشَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
١٧٨ حَدَّثَ إِسْمَاعِيلُ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ الْقُضَلِ بْنِ الرَّبِيعِ

يَوْمًا فَدَخَلَ إِلَيْهِ ابْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْقُضَلِ وَهُوَ طِفْلٌ
وَكَانَ يَرِقُّ عَلَيْهِ لِأَنَّ أَبَاهُ مَاتَ فِي حَيَاتِهِ فَأَجْلَسَهُ فِي حُجْرِهِ وَصَمَّمَهُ إِلَيْهِ
وَدَمَمَتْ عَيْنَاهُ . فَأَنْشَأَتْ أَقُولُ :

مَدَّ لَكَ اللَّهُ الْحَيَاةَ مَدًّا حَتَّى يَكُونَ أَبْنُكَ هَذَا جَدًّا
مُؤَزَّرًا بِعَبْدِهِ مُرْدَى ثُمَّ يُقْدَى مِثْلَ مَا تُقْدَى
أَشْبَهُ مِنْكَ سُنَّةً وَجِدًّا وَشَيْئًا مُرْضِيَةً وَمُجَدًّا
كَأَنَّهُ أَنْتَ إِذَا تَبَدَّى شَمَائِلًا مَحْمُودَةً وَقَدًّا

قَالَ : قَبَسَمَ الْفَضْلُ وَقَالَ : أَمَتَنِي اللَّهُ بِكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ . فَقَدْ عَوَّضْتُ
مِنَ الْحَزَنِ سُرُورًا وَتَسَلَّيْتُ بِقَوْلِكَ . وَكَذَلِكَ يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

١٧٩ أَخْبَرَ الصَّوْلِيَّ قَالَ : عَتَبَ الْمَأْمُونُ عَلَى إِسْحَاقَ فِي شَيْءٍ
فَكَتَبَ إِلَيْهِ رُقْعَةً وَأَوْصَلَهَا إِلَيْهِ مِنْ يَدِهِ . فَفَتَحَهَا الْمَأْمُونُ فَإِذَا فِيهَا قَوْلُهُ :

لَا شَيْءَ أَعْظَمُ مِنْ جُرْمِي سِوَى أَمَلِي لِحَسَنِ عَفْوِكَ عَنْ ذَنْبِي وَعَنْ زَلَالِي
فَإِنْ يَكُنْ ذَا وَذَا فِي الْقَدْرِ قَدْ عَظُمَا فَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْ جُرْمِي وَمِنْ أَمَلِي

فَفَضَحَكَ ثُمَّ قَالَ : يَا إِسْحَاقُ عَذْرُكَ أَعْلَى قَدْرًا مِنْ جُرْمِكَ . وَمَا جَالَ
بِفِكْرِي وَلَا أَحْضَرْتُهُ بَعْدَ أَنْقِضَائِهِ عَلَى ذِكْرِي (الافغاني)

١٨٠ تَعَذَّرَ بَعْضُهُمْ لِلْحَرْبِ فَقَالَ :

قَامَتْ تُسَمِّعُنِي هِنْدُ فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الشَّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا الْعَطَبُ
لَا وَالَّذِي مَنَعَ الْأَبْصَارَ رُؤْيَاهُ مَا يَشْتَهِي الْمَوْتُ عِنْدِي مِنْ لَهُ أَدَبُ

لِلْحَرْبِ قَوْمٌ أَضَلَّ اللَّهُ سَعِيَهُمْ إِذَا دَعَتْهُمْ إِلَى نِيرَانِهَا وَتَبَوُّوا
وَلَسْتُ مِنْهُمْ وَلَا أَهْوَى فِعَالَهُمْ لَا الْقَتْلُ يُجَحِّبُنِي مِنْهُمْ وَلَا السَّابُ

١٨١ قَالَ مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

أَيُّهَا الْقَارِسُ الْمَشِيجُ الْمَغِيرُ إِنَّ قَلْبِي مِنَ السَّلَاحِ يَطِيرُ
لَيْسَ لِي قُوَّةٌ عَلَى رَهْجِ الْخَيْلِ إِذَا تَوَرَّ النَّبَارُ مُثِيرُ

وَأَسْتَدَارَتْ رَحَى الْحُرُوبِ بِقَوْمٍ فَتِيلُ وَهَارِبُ وَأَسِيرُ
حَيْثُ لَا يَنْطِقُ الْجَبَانُ مِنَ الدُّعْرِ وَيَعْلُو الصَّبَاحُ وَاللَّكْخِيرُ

أَنَا فِي مِثْلِ هَذَا وَهَذَا بَلِيدُ وَلَيْبُ فِي غَيْرِهِ تَحْرِيدُ

١٨٢ مَثَلُ دَرْعِلُ بَيْنَ يَدَيَّ بَعْضِ أَمْرَاءِ الرِّقَّةِ فَقَالَ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ:
مَاذَا أَقُولُ إِذَا أَتَيْتُ مَعَاشِرِي صُفْرًا يَدَيَّ مِنْ عِنْدِ أَرْوَمِ مُجْزِلِ
إِنْ قُلْتُ أُعْطَانِي كَذَبٌ وَإِنْ أَقُلْتُ ضَنْنَ الْأَمِيرِ بِمَا لَهُ لَمْ يَجْمَلْ
وَلَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالْمَكَارِمِ وَالْعُلَى مِنْ أَنْ أَقُولَ فَعَلْتَ مَا لَمْ تَفْعَلْ
فَأَخْتَرْتُ نَفْسَكَ مَا أَقُولُ فَإِنِّي لَا بُدَّ تُخْبِرُهُمْ وَإِنْ لَمْ أَسْأَلِ
قَالَ لَهُ مَا تَلَاكَ اللَّهُ : وَأَمْرُهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ (لَا بَنَ عَبْدِ رَبِّهِ)

١٨٣ وَصَفَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ رَجُلًا يَحْمِي خَيْثًا:
رَأَيْتُ مُنَافِقًا يَحْمِي خَيْثًا وَكُلَّ مِنْهَا بِالظُّلَمِ يَسْعَى
قَدْ اتَّقَى وَلَكِنْ فِي فُسَادٍ كَمَقْرَبَ رَاكِبٍ لِلشَّرِّ أَفْعَى

ابو عبادة البجلي عند المتوكل

١٨٤ حَدَّثَ أَبُو عِبَادَةَ الْبُجَيْرِيُّ الشَّاعِرُ وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ أَدَخَلَهُ فِي
نُدْمَانِهِ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ يَوْمًا فَرَأَيْتُ فِي يَدَيْهِ دُرَّتَيْنِ مَا
رَأَيْتُ أَشْرَفَ مِنْ نُورِهِمَا . وَلَا أَنْفَى بَيَاضًا وَلَا أَكْبَرَ . فَأَدَمْتُ النَّظَرَ
إِلَيْهِمَا وَلَمْ أَصْرِفْ طَرْفِي عَنْهُمَا . وَرَأَيْتُ الْمُتَوَكِّلَ فَرَمَى إِلَيَّ الْإِثْمَانِ كَأَنَّهُ
فِي يَدَيْهِ الْيَتْنَى . فَقَبَّلْتُ الْأَرْضَ وَجَعَلْتُ أَفْكَرُ فِيمَا يُضْحِكُهُ طَهْمًا فِي
الْآخَرَى . فَقَعْنِي لِي أَنْ قُلْتُ :

بِسْرٍ مَرًّا لَنَا إِمَامٌ تَعْرِفُ مِنْ كَفِّهِ الْجَارُ
خَلِيفَةُ مُدْمَجِي وَمُخْشَى كَأَنَّهُ جَنَّةٌ وَنَارُ
الْمَلِكُ فِيهِ وَفِي بَيْنِهِ مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

يَدَاهُ فِي الْجُودِ ضَرَّانِ هَذِي عَلَى هَذِهِ تَعَارُ
وَلَيْسَ تَأْتِي الْيَمِينُ شَيْئًا إِلَّا أَتَتْ مِثْلَهُ الْيَسَادُ
فَرَمَى بِالْذَّرَّةِ الَّتِي كَانَتْ فِي يَسَارِهِ وَقَالَ : خُذْهَا يَا عِمَارُ (لِلْأَزْدِيِّ)
١٨٥ مَرَضَ ابْنُ عُنَيْنٍ فَكَتَبَ إِلَى السُّلْطَانِ هَذَيْنِ الْيَمِينَيْنِ :

أَنْظُرْ إِلَيَّ يَمِينَ مَوْلَى لَمْ يَزَلْ يُؤَلِّي النَّدَى وَتَلَّافَ قَبْلَ تَلَا فِي
أَنَا كَأَلَّذِي أَحْتَاجُ مَا يَحْتَاجُهُ فَأَغْنِمْ دُعَائِي وَالتَّاءُ الْوَاوِي
فَحَضَرَ السُّلْطَانُ إِلَى عِيَادَتِهِ . وَأَتَى إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ
الَّذِي . وَهَذِهِ الصَّلَةُ . وَأَنَا الْعَائِدُ (لِبِهَاءِ الدِّينِ)

١٨٦ كَانَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ الدِّينِ الرَّازِيُّ فِي تَجْلِسِ دَرَسِهِ إِذَا أَقْبَلَتْ
حَمَامَةٌ خَلْفَهَا صَرٌّ يُرِيدُ صَيْدَهَا . فَأَلْقَتْ نَفْسَهَا فِي حُجْرِهِ كَأَنَّهَا تُسْتَجِيرُهُ
بِهِ فَأَنْشَدَ شَرَفُ الدِّينِ بْنُ عُنَيْنٍ أَيْبَانًا فِي هَذَا الْمَعْنَى . مِنْهَا :

جَاءَتْ سُلَيْمَانَ الزَّمَانَ حَمَامَةٌ وَالْمَوْتُ يَلْمَعُ مِنْ جَنَاحِي خَاطِفٍ
مَنْ أَنْبَأَ الْوُرَقَاءَ أَنَّ مَحَلَّكُمْ حَرَمٌ وَأَنَّكَ مَلْجَأٌ لِلْخَائِفِ
(تَارِيخُ الذَّهَبِيِّ)

١٨٧ رَكَبَ مُصَافٍ الْوَالِي يَوْمًا بَغْدَادَ فِي حَرَّاقَتِهِ فَأَعْرَضَهُ مُقَدِّسُ
ابْنُ صَفِيِّ الْخَلْقِيِّ الشَّاعِرِ . وَقَدْ أَذْنَيْتَ مِنَ الشَّطْرِ لِيُخْرِجَ . فَقَالَ :
أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَسْمَعَ مِنِّي أَيْبَانًا . فَقَالَ : قُلْ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :
عَجِبْتُ لِحَرَّاقَةِ ابْنِ الْحُسَيْنِ لَأَعْرِفْتُ كَيْفَ لَا تَرَقُ
وَتُخْرَانُ مِنْ قُوَّتِهَا وَاحِدٌ وَآخَرُ مِنْ تَحْتِهَا مُطْبِقُ

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَعْوَادُهَا وَقَدْ مَسَّهَا كَيْفَ لَا تُورِقُ
فَقَالَ طَاهِرٌ: أَعْطَوْهُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ دِينَارٍ (لأبن خلكان)

جرير والفرزدق والاخلط في مجلس عبد الملك

١٨٨ اجتمع جرير والفرزدق والاخلط في مجلس عبد الملك. فأحضر
بين يديه كيساً فيه خمس مائة دينار. وقال لهم: ليقل كل منكم
بيتاً في مدح نفسه فأنيكم غلب فله الكيس. فبدر الفرزدق فقال:
أَنَا أَطْطَرَانُ وَالشُّعْرَاءُ جَرَبِي وَفِي الْأَطْرَانِ لِلْجَرَبِيِّ شِفَاءُ
فَقَالَ الْاُخْطَلُ:

فَإِنْ تَكُ زِقَ زَامِلَةٌ فَإِنِّي أَنَا الطَّاعُونَ لَيْسَ لَهُ دَوَاءُ
فَقَالَ جَرِيرٌ:

أَنَا أَلَمْتُ الَّذِي آتَى عَلَيْكُمْ فَلَيْسَ لِهَارِبٍ مِنِّي نَجَاءُ
فَقَالَ: خُذِ الْكَيْسَ فَلَعْنِي إِنْ أَلَمْتُ يَأْتِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
(طبقات الشعراء لابن سلام)

الركاض والرشيذ

١٨٩ أَدْخَلَ الرِّكَاضُ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِ سِنِينَ إِلَى الرَّشِيدِ لِتَجَبُّ مِنْ
فِطْنَتِهِ. فَقَالَ لَهُ: مَا تُحِبُّ أَنْ أَهَبَ لَكَ. قَالَ: جَمِيلَ رَأْيِكَ. فَإِنِّي
أَفُوزُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فَأَمَرَ بِدَنَانِيرَ وَدَرَاهِمَ فَصَبَّتْ بَيْنَ يَدَيْهِ.
فَقَالَ لَهُ: اخْتَرِ الْأَحَبَّ إِلَيْكَ فَقَالَ: الْأَحَبُّ إِلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ.
وَهَذَا مِنْ هَذَيْنِ وَضُرِبَ يَدُهُ إِلَى الدَّنَانِيرِ. فَضَمِكَ الرَّشِيدُ وَأَمَرَ

بِصَمِّهِ إِلَى وَلَدِهِ وَالْإِجْرَاءَ عَلَيْهِ (لكمال الدين الحلبي)

١٩٠ كَتَبَ الْبُسْتِيُّ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ وَكَانَ مُعْتَقَلًا :

قَدَيْتُكَ يَا رُوحَ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَا بِأَنْفَسٍ مَا عِنْدِي مِنَ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ
حُسِبْتَ فَمِنْ بَعْدِ الْكُفُوفِ تَبْلُغُ نَفْسِي بِهِ الْآفَاقَ كَالْبَدْرِ وَالشَّمْسِ
فَلَا تَعْتَدِ لِلْحَسَنِ هَمًّا وَوَحْشَةً قَبْلَكَ قَدَمَا كَانَ يُوسُفُ فِي الْحَبْسِ
١٩١ قَالَ ابْنُ عَرَبٍ شَاهُ يُغْرِي عَلَى طَلَبِ الْمَجْدِ :

لَا يُؤَيِّسُكَ مِنْ مَجْدٍ تَبَاعُدُهُ فَإِنَّ لِلْمَجْدِ تَذَرِيجًا وَتَرْتِيبًا
إِنَّ الْقِتَاةَ الَّتِي شَاهَدْتَ رَفَعَهَا تَنَمُّوْا قَلْبُتْ أَنْبُوبًا فَأَنْبُوبًا
١٩٢ كَانَ ابْنُ أَبِي صَفْرِ طَعَنَ فِي السِّنِّ وَضَعَفَ عَنِ الْمَشْيِ . فَصَارَ
يَتَوَكَّلُ عَلَى عَصَا فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

كُلُّ مَرءٍ إِذَا تَفَكَّرْتَ فِيهِ وَتَأَمَّلْتَهُ رَأَيْتَ ظَرِيفًا .
كُنْتُ أَمْشِي عَلَى اثْنَتَيْنِ قَوِيًّا صِرْتُ أَمْشِي عَلَى ثَلَاثٍ ضَعِيفًا
١٩٣ زَلْتُ بِالْأَتَاكِ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ بَقْلَتُهُ فَأَنْشَدَ ابْنُ الْأَثِيرِ :
إِنْ زَلَّتِ الْبَغْلَةُ مِنْ تَحْتِهِ فَإِنَّ فِي زَلَّتِهَا عُدْرًا
حَمَلَهَا مِنْ عِلْمِهِ شَاهِدًا وَمِنْ نَدَى رَاحَتِهِ بَحْرًا

١٩٤ قَالَ ابْنُ السَّرَّاجِ الْوَرَّاقُ يَتَبُّ عَلَى نَفْسِهِ :

يَا تَجَلَّتِي وَصَحَائِفِي قَدْ سُودَتْ وَصَحَائِفُ الْأَبْرَارِ فِي إِشْرَاقِ
وَمَوْجِخِ لِي فِي الْقِيَامَةِ قَائِلُ أَكْذَا تَكُونُ صَحَائِفُ الْوَرَّاقِ
١٩٥ حَضَرَ ابْنُ الْحُجَّاجِ فِي دَعْوَةِ رَجُلٍ فَأَخَّرَ الطَّلَامَ إِلَى الْمَسَاءِ فَقَالَ :

يَا صَاحِبَ أَلَيْتِ الَّذِي ضَيَّفَانُهُ مَاثُوا جَمِيعًا
أَدْعَوْتَنَا حَتَّى نَمُوتَ بِدَائِنَا عَطْشًا وَجُوعًا
مَا لِي أَرَى فَلَكَ الرَّغِيفَ لَدَيْكَ مُشْتَرَفًا رَفِيمًا
كَالْبَذْرِ لَا زُرْجُو إِلَى وَقْتِ الْمَسَاءِ لَهُ طُلُوعًا

١٩٦ قَالَ ابْنُ هَمْدَانَ يَتَشَوَّقُ إِلَى صِقْلِيَّةٍ وَهِيَ مَكَانٌ مَأْمُورٌ :

ذَكَرْتُ صِقْلِيَّةً وَالْأَسَى يُجِدُّ لِلنَّفْسِ تَذَكُّارَهَا
فَإِنْ كُنْتُ أُخْرِجْتُ مِنْ جَنَّةٍ فَإِنِّي أُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا
وَلَوْلَا مُلُوحَةُ مَاءِ الْبُكَاءِ حَسِبْتُ دُمُوعِي أَنَّنَاهَا

١٩٧ حُكِيَ أَنَّ جُمْهُورَ شُعْرَاءِ مِصْرَ كَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ يَأْتُوا أَلْوَالِيَّ
كُلِّ سَنَةٍ فِي الْعِيدِ فَيَهْنُؤُهُ بِاللِّسَانِ وَيَتَالُونَ مِنْهُ الْجَوَائِزَ . فَبَيْنَمَا كَانُوا
لَدَيْهِ ذَاتَ سَنَةٍ يُسَبِّحُونَهُ بِالْأَشْعَارِ حَدَّثَتْ زَلْزَلَةٌ شَدِيدَةً أَرْجَحَتْ
مِنْهَا دِيَارَ مِصْرَ . فَاتَّقَتْ أَلْوَالِيَّ إِلَى الشُّعْرَاءِ وَقَالَ لَهُمْ : هَلْ مِنْكُمْ
مَنْ يُطْرِفُنَا بِدِيهَا بَيِّنٍ مَضْمُونُهُ هَذِهِ الزَّلْزَلَةُ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا حَاكِمَ الْفَضْلِ إِنْ أَحَقَّ مُنْضِحُ لَدَى الْكِرَامِ أَيَا ابْنَ السَّادَةِ النُّجَبَا
مَا زِلْتَ مِصْرَ مِنْ كَيْدِ أَلْمِ بِهَا لَكِنَّا رَقَصْتَ مِنْ عَدْلِكَ طَرَبًا
الْأَعْمَى وَالْأَعُورُ

١٩٨ سَمِعْتُ أَعْمَى مَرَّةً قَائِلًا يَا قَوْمُ مَا أَصَبَ بَشَدَ الْبَصَرِ

أَجَابَهُ أَعُورٌ مِنْ خَلْفِهِ عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ نِصْفُ الْخَبَرِ

١٩٩ قَالَ ابْنُ الدَّهَّانِ فِي غُلَامٍ لَسَبَتْهُ نَحْلَةٌ فِي شَفَتِهِ :

بِأَبِي مَنْ لَسَبَتْهُ نَحْلَةٌ أَلَمْتُ أَكْرَمَ شَيْءٍ وَأَجَلَ
حَسَبْتُ أَنَّ بَيْفِيهِ بَيْتَهَا إِذْ رَأَتْ رَيْقَتَهُ مِثْلَ الْعَسَلِ
٢٠٠ أَلْشَدَّ ابْنُ صُرْدَرَّابْنِ جَبْرِ لَمَّا عَادَ إِلَى الْوَزَارَةِ بَعْدَ الْعَزْلِ :

قَدْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى نَصَابِهِ وَأَنْتَ مِنْ كُلِّ الْوَرَى أَوْلَى بِهِ
مَا كُنْتُ إِلَّا السَّيْفَ سَلْتَهُ يَدُ ثُمَّ أَعَادَتْهُ إِلَى قِرَابِهِ
هَزَنَتْهُ حَتَّى أَبْصَرَتْهُ صَارِمًا رَوْنَفُهُ يُفْنِيهِ عَنْ ضَرَابِهِ
٢٠١ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ الرَّازِيُّ اللَّغْوِيُّ يَصِفُ مَا كَانَ عَلَيْهِ :

وَقَالُوا كَيْفَ حَالَكَ قُلْتُ خَيْرٌ تُقْضَى حَاجَةٌ وَتَقُوتُ حَاجُ
إِذَا أَرْدَمَتْهُمُومُ الصَّدْرِ قُلْنَا عَسَى يَوْمًا يَكُونُ لَهَا أَنْفِرَاجُ
نَدِيهِ هِرَّتِي وَأَنْبَسُ نَفْسِي دَقَّازُ لِي وَمَعْشُوقِي السَّرَاجُ
٢٠٢ أَرْسَلَ الْبَدِيعُ الْأَسْطُرْلَانِيُّ هَدِيَّةً لِبَعْضِ الْأَمْراءِ فَأَلْشَدَّ :

أَهْدِي لِمَجْلِسِهِ الْكَرِيمِ وَإِنَّمَا أَهْدِي لَهُ مَا حَزْتُ مِنْ نَعْمَانِهِ
كَالْبَحْرِ يَمْطُرُهُ الْأَسْحَابُ وَمَالُهُ فَضْلٌ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ مَالِهِ

٢٠٣ كَانَ الْحَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ يُقَطِّعُ الْعُرُوضَ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَلَدُهُ فِي
تِلْكَ الْحَالَةِ فَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ وَقَالَ : إِنَّ أَبِي قَدْ جَنَّ . فَدَخَلَ النَّاسُ
عَلَيْهِ وَهُوَ يُقَطِّعُ الْعُرُوضَ . فَأَخْبَرُوهُ بِمَا قَالَ أَبْنُوهُ . فَقَالَ لَهُ :

لَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا أَقُولُ عَذَرْتَنِي أَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا تَقُولُ عَذَرْتُكَ
لَكِنْ جَهَلْتُ مَقَالَتِي فَعَذَرْتَنِي وَعَلِمْتُ أَنَّكَ جَاهِلٌ فَعَذَرْتُكَ
(نزهة الالباء في طبقات الادباء لابي بركات الانباري)

اولاد تزار عند الافعى

٢٠٤ شَخَصَ مُضَرُّ رَيْبَةَ وَإِيَادُ وَأَمَّارُ أَوْلَادُ زِرَارٍ إِلَى أَرْضِ نَجْرَانَ .
فَإِنَّمَا هُمْ يَسِيرُونَ إِذْ رَأَى مُضَرُّ كَلًّا قَدْ رُعِيَ فَقَالَ : أَلْبَعِيرُ الَّذِي رُعِيَ
هَذَا أَعُورٌ . فَقَالَ رَيْبَةُ : وَهُوَ أَزُورٌ . قَالَ إِيَادُ : وَهُوَ أَتَرٌ . وَقَالَ أَمَّارُ :
وَهُوَ شُرُودٌ . فَلَمْ يَسِيرُوا إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى لَقِيَهُمْ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ فَسَأَلَهُمْ
عَنِ الْبَعِيرِ . فَقَالَ مُضَرُّ : أَهُوَ أَعُورٌ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ رَيْبَةُ : أَهُوَ أَزُورٌ .
قَالَ : نَعَمْ . قَالَ إِيَادُ : أَهُوَ أَتَرٌ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ أَمَّارُ : أَهُوَ شُرُودٌ .
قَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ : هَذِهِ وَاللَّهِ صِفَاتُ بَعِيرِي ذُلُونِي عَلَيْهِ . فَخَلَقُوا أَنَّهُمْ مَا
رَأَوْهُ . فَلَزِمَهُمْ وَقَالَ : كَيْفَ أَصَدَقْتُكُمْ وَأَنْتُمْ تَصِفُونَ بَعِيرِي بِصِفَتِهِ .
فَسَارُوا حَتَّى قَرَبُوا نَجْرَانَ فَتَزَلُّوا بِالْأَفْعَى الْجَرْهِي . فَتَنَادَى صَاحِبُ
الْبَعِيرِ : هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ وَصَفُوا لِي بَعِيرًا بِصِفَتِهِ ثُمَّ أَنْكَرُوهُ . فَقَالَ
الْجَرْهِيُّ : كَيْفَ وَصَفْتُمُوهُ وَلَمْ تَرَوْهُ . فَقَالَ مُضَرُّ : رَأَيْتُهُ يَدْعِي جَانِبًا
وَيَدْعُ جَانِبًا فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَعُورٌ . وَقَالَ رَيْبَةُ : رَأَيْتُ إِحْدَى يَدَيْهِ
تَأْتِيهِ الْأَثَرُ وَالْآخَرَى فَاسِدَةٌ الْأَثَرُ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَفْسَدَهَا بِشِدَّةِ
وَطْنِهِ لِأَزُورِيهِ . وَقَالَ إِيَادُ : عَرَفْتُ بَنِيهِ بِإِجْمَاعٍ بَعْرِهِ وَلَوْ كَانَ
ذِيًّا لَا تَتَفَرَّقُ . وَقَالَ أَمَّارُ : إِنَّمَا عَرَفْتُ أَنَّهُ شُرُودٌ لِكُونِ أَنَّهُ كَانَ
يَدْعِي فِي الْمَكَانِ الْمُتَلَفِّ نَبْتَهُ ثُمَّ يَجُوزُ إِلَى مَكَانٍ أَرْقَ مِنْهُ وَأَخْبَثَ .
فَقَالَ الْأَفْعَى : لَيْسُوا بِأَصْحَابِ بَعِيرِكَ . ثُمَّ سَأَلَهُمْ مَنْ هُمْ فَأَخْبَرُوهُ .
فَرَحَّبَ وَأَضَاهُمْ وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِمْ (ثمرات الاوراق للحوي)

مِنْ كُلِّ طَعَامٍ وَكُلِّ شَيْءٍ. وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِسَبْعَةِ آلَافٍ دِينَارٍ
 ٢٠٩ حَكِي الْمَنْصُورُ النَّسْرِيُّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ يَوْمَ مَا وَلَّمْتُ أُنْجَنَ
 أَعْدَدْتُ لَهُ مَدْحًا. فَوَجَدْتُهُ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ فَرُمْتُ شَيْئًا فَأَجَانِي.
 وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ مُسْتَقْبَلًا فَقُلْتُ:

إِذَا أَعْتَصَمَ الْمَدِيحُ عَلَيْكَ فَأَمْدَحْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَجِدْ مَقَالًا
 وَعُذْ يَفْنَاهُ وَأَجْنَحْ إِلَيْهِ تَنْلُ عُرْقًا وَلَمْ تَذَلَّ سُؤَالًا
 فَنَاءٌ لَا تَرَالُ بِهِ رِكَابٌ وَضَعْنَ مَدَائِحًا وَحَمَلْنَ مَالًا
 فَقَالَ: لِلَّهِ دَرَكٌ لَنْ قَصُرَتْ الْقَوْلُ لَقَدْ أَطْلَتِ الْمَعْنَى. وَأَمَرَنِي بِصَلَاةٍ سَنِيَّةٍ
 ٢١٠ لَمَّا تَوَلَّى ابْنُ زِيَادٍ أَعْمَالَ الْأَهْوَاذِ فَقَصَدَهُ عَجْرُذُ إِلَيْهَا وَقَالَ فِيهِ:

يَحْيَى أَمْرُؤُ زَيْتُهُ رَبُّهُ يَفْعَلُهُ الْأَقْدَمُ وَالْأَخْدَحُ
 إِنْ قَالَ لَمْ يَكْذِبْ وَإِنْ وَدَّ لَمْ يَقْطَعْ وَإِنْ عَاهَدَ لَمْ يَنْكُثْ
 أَصْبَحَ فِي أَخْلَاقِهِ كُلِّهَا مُوَكَّلًا بِالْأَسْهَلِ الْأَدْمَثِ
 طَبِيعَةٌ مِنْهُ عَلَيْهَا جَرَى فِي خُلُقٍ لَيْسَ بِسُتَحْدَثِ
 وَرَبُّهُ ذَاكَ أَبُوهُ فَيَا طَيِّبَ ثَمَاءِ الْوَارِثِ الْمُورِثِ
 فَوَصَلَهُ يَحْيَى بِصَلَاةٍ سَنِيَّةٍ وَحَمَلَهُ وَكَسَاهُ. وَأَقَامَ عِنْدَهُ مُدَّةً ثُمَّ أَنْصَرَفَ
 ٢١١ إِمْتَدَحَ رَبِيعَةُ الرَّقِيِّ الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِقَصِيدَةٍ لَمْ يُسَبِّحْ إِلَيْهَا
 حُسْنًا وَهِيَ طَوِيلَةٌ يَقُولُ فِيهَا:

لَوْ قِيلَ لِلْعَبَّاسِ يَا ابْنَ مُحَمَّدٍ قُلْ لَا وَأَنْتَ مُحَمَّدٌ مَا قَالَهَا
 مَا إِنْ أَعْدَتْ مِنَ الْمَكَارِمِ خَصَلَةً إِلَّا وَجَدْتُكَ عَمَّهَا أَوْ خَالَهَا

وَإِذَا الْمُلُوكُ تَسَايَرُوا فِي بَلَدَةٍ
 إِنَّ الْكَارِمَ لَمْ تَرَلْ مَقُولَةً حَتَّى حَلَّتْ بِرَاحَتِكَ عِقَالُهَا
 ٢١٢ أَتَشَدُّ أَبُو إِسْحَاقَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى الْبَرْمَكِيُّ:

عِنْدَ الْمُلُوكِ مَضْرَّةٌ وَمَنَافِعُ وَارَى الْبَرَامِكُ لَا تَضُرُّ وَتَنْفَعُ
 إِنَّ الْعُرُوقَ إِذَا اسْتَسْرَبَهَا الثَّرَى أَشِيرَ النَّبَاتُ بِهَا وَطَابَ الْمَزْرَعُ
 فَإِذَا نَكَرْتَ مِنْ أَمْرِي أَعْرَافَهُ وَقَدِيمَهُ فَأَنْظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ
 قَالَ فَأَعْجَبَهُ الشَّعْرُ فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ كَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ هَذَا الْقَوْلَ إِلَّا السَّاعَةَ.
 وَمَا لَهُ عِنْدِي إِلَّا أَنِّي لَمْ أَكْفَيْتُهُ عَلَيْهِ. فَقُلْتُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ أَصْلَحَكَ
 اللَّهُ وَقَدْ وَهَبَتْ لَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَقَالَ: لَا مَا ثَلَاثُونَ أَلْفَ
 دِينَارٍ بِمُكَافَأَتِهِ لَهُ فَكَيْفَ ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ (الآغا نِي)

قَالَ أَبُو الشَّيْخِ الْخَزَاعِيُّ يُمَدِّحُ بَعْضَ الْأَمْراءِ:

تَكَلَّمْتُ فِيكَ أَوْصَافُ خُصِصْتَ بِهَا فَكُلْنَا بِكَ مَسْرُورٌ وَمُقْتَبِطُ
 السِّنِّ ضَاحِكَةٌ وَالْكَفُّ مَانِحَةٌ وَالنَّفْسُ وَاسِعَةٌ وَالْوَجْهُ مُنْبَسِطُ
 ٢١٣ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ: الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ يَدُ تَقَاصَرَعَنَّا الْمَثْلُ.
 فَظَاهَرُهَا لِلْقَبْلِ . وَبَسَطْتُهَا لِلْغَنَى . وَسَطَوْتُهَا لِلْأَجْلِ . أَخَذَهُ ابْنُ
 الرَّوْمِيِّ فَقَالَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَدِيرِ:

أَصْبَحْتَ بَيْنَ ضَرَاعَةٍ وَتَحْمَلٍ وَالْمَرْءُ بَيْنَهُمَا يَمُوتُ هَزِيلًا
 قَامِدُ إِلَى يَدَا تَعَوَّدَ بَطْنُهَا بِذَلِ الْتَوَالِ وَظَهَرُهَا التَّقْيِيلَا

٢١٤ قَالَ ابْنُ الْمُؤَلَّى لِيَزِيدَ بْنِ قُبَيْصَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ:

وَإِذَا تُبَاعَ كَرِيْعَةٌ أَوْ تُشْتَرَىٰ فَسَوَاكَ بِأَيْمَانِهَا وَأَنْتَ الْمُسْتَرَىٰ
وَإِذَا تَوَعَّرَتِ الْمَسَالِكُ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا السَّبِيلُ إِلَىٰ نَدَاكَ بِأَوْعَرِ
وَإِذَا صَنَعْتَ صَنِيعَةً أَتَمَمْتَهَا بِيَدَيْنِ لَيْسَ نَدَاهُمَا بِمُكَدَّرٍ
يَا وَاحِدَ الْعَرَبِ الَّذِي مَا إِنْ لَهُمْ مِنْ مَذْهَبٍ عَنْهُ وَلَا مِنْ مَقْصَرٍ
٢١٥ قَالَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ الشَّاعِرُ النَّصْرَانِيُّ :

أَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إِنْ شِئْتِكَ الْحَيَاءُ
وَعَلِمْتُكَ بِالْحَقُوقِ وَأَنْتَ فَرَعُ لَكَ الْحَسْبُ الْمُدْبُ وَالسَّنَاءُ
خَلِيلٌ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ عَنِ الْخُلُقِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ
وَأَرْضُكَ كُلُّ مَكْرَمَةٍ بَنَتْهَا بَنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءُ
إِذَا أَتَنَىٰ عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعْرِضِهِ الْتَنَاءُ
تُبَارِي الرِّيحَ مَكْرَمَةً وَتَجِدَا إِذَا مَا الْكَأْبُ أَحْجَرَهُ الشِّتَاءُ
٢١٦ قَالَ آخِرُ مِدْحِ آلِ الْمُهَلَّبِ :

آلُ الْمُهَلَّبِ قَوْمٌ خَوَّلُوا شَرْفًا مَا نَالَهُ عَرَبِيٌّ لَا وَلَا كَادًا
لَوْ قِيلَ لِلتَّجْدِيدِ عَنْهُمْ وَخَلِيمٍ بِنَا احْتَكَمْتَ مِنَ الدُّنْيَا لَمَّا حَادَا
إِنَّ الْمَكَارِمَ أَرْوَاحٌ يَكُونُ لَهَا آلُ الْمُهَلَّبِ دُونَ النَّاسِ أَجْسَادَا
٢١٧ قَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْ إِيَادٍ :

أَخِيلُ تَعْلَمُ يَوْمَ الرُّوْعِ إِنْ هُزِمْتَ أَنْ ابْنَ عَمْرِو لَدَى الْهَيْمَاءِ يَحْمِيهَا
لَمْ يَبْدُ فَحْشًا وَلَمْ يَهْدُ لِعَظْمَةٍ وَكُلُّ مَكْرَمَةٍ يَلْقَى يُسَامِيهَا
الْمُسْتَشَارُ لِأَمْرِ الْقَوْمِ يَحْزَنُهُمْ إِذَا الْهَنَاتُ أَهَمَّ الْقَوْمَ مَا فِيهَا

لَا يَذْهَبُ الْجَارُ مِنْهُ عَذْرَةٌ أَبَدًا وَإِنْ أَلَمْتَ أُمُورٌ فَهُوَ كَافِيهَا
٢١٨ قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ يَمْدَحُ بَعْضَهُمْ :

كُلُّ الْخِلَالِ الَّتِي فِيكُمْ مَحَاسِنُكُمْ تَشَابَهَتْ مِنْكُمْ الْأَخْلَاقُ وَأَخْلَقُ
كَمَّا أَنْتُمْ شَجَرُ الْأَرْجِ طَابَ مِمَّا حَمَلَا وَنَشْرًا وَطَابَ الْوُدُّ وَالْوَرَقُ
٢١٩ قَالَ شَاعِرٌ يَمْدَحُ قَوْمًا بِالْكَرَمِ :

نَصَبُوا بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ خِيَامَهُمْ يَتَسَابِقُونَ عَلَى قَرَى الضِّيْفَانِ
وَيَكَادُ مَوْقِدُهُمْ يَجُودُ بِنَفْسِهِ حُبَّ الْقَرَى حَطَبًا عَلَى النَّبْرَانِ
٢٢٠ غَنَى يَوْمًا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْمَكِّي الْأَمِينُ :

تَبَشَّرَ عَمْرٌ رُوحٌ فِي سُورٍ وَغِيظَةٍ وَفِي خَفْضِ عَيْشٍ لَيْسَ فِي طُولِهِ إِثْمٌ
تُسَاعِدُكَ الْأَقْدَارُ فِيهِ وَتَنْتَنِي إِلَيْكَ وَتَرْعَى فَضْلَكَ الْعَرَبُ وَالنُّجْمُ
٢٢١ وَمِنْ جَمِيلٍ مَا جَاءَ فِي بَابِ الْمَدِيحِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

يَا دَهْرُ بَعْ رُتَبِ الْمَعَالِي بَعْدَهُ بَيْعَ السَّمَاحِ رُبِحْتَ أَمْ لَمْ تَرْبِحْ
قَدِمَ وَأَخَّرَ مَنْ تُرِيدُ فَإِنَّهُ مَاتَ الَّذِي قَدْ كُنْتَ مِنْهُ تُسْتَعِي
٢٢٢ وَقَالَ آخَرُ :

كَرِيمٌ يَغْضُرُ الطَّرْفَ فَضْلُ حَيَاتِهِ وَيَذْنُو وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ دَوَانُ
وَكَا لَسَيْفٍ إِنْ لَا يَنْتَهُ لَانَ مَسُهُ وَحَدَّاهُ إِنْ خَاشَتَهُ خَشِنَانُ
٢٢٣ مَدَحَ بَعْضُهُمْ أَمِيرًا فَقَالَ :

عَلِمَ اللَّهُ كَيْفَ، أَنْتَ فَاعْطَا لَكَ الْحُلَّ الْجَلِيلَ مِنْ سُلْطَانِهِ
٢٢٤ قَالَ آخَرُ :

أَبَا خَالِدٍ صَافَتْ خُرَّاسَانُ بَعْدَكُمْ وَقَالَ ذَوُو الْحَاجَاتِ أَيْنَ يَزِيدُ
وَمَا قَطَرَتْ بِالْشَّرْقِ بَعْدَكَ قَطْرَةٌ وَلَا أَخْضَرَ بِالْمَرْبِ بَعْدَكَ عُودٌ
وَمَا لِسِرِّ بَعْدَ بَعْدِكَ بَهْجَةٌ وَمَا لِحَوَادِ بَعْدَ جُودِكَ جُودٌ
فَقَالَ: يَا غَلَامُ أَعْطِهِ أَلْفَ أَلْفَةٍ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَإِنَّا نَصْبِرُ عَلَى عَذَابِ الْحُجَّاجِ وَلَا
نُحِبُّ الْأَخْطَلَ. فَلَبَّتِ الْحُجَّاجُ فَقَالَ: اللَّهُ دَرِّ يَزِيدَ لَوْ كَانَ تَارِكًا
لِلسَّخَاءِ يَوْمًا لَتَرَكَهُ الْيَوْمَ وَهُوَ يَتَوَقَّعُ الْمَوْتَ (للبيهي)

٢٣١ وَمِنْ رَفِيقِ شَعْرِ ابْنِ الْعَبَّاسِ الصَّوْلِيِّ قَوْلُهُ فِي الْمَدِيحِ وَالشُّكْرِ:
فَلَوْ كَانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يَبِينُ إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّاطِرُ
لَمَثَلْتُهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ قَتَلْتُمْ أَيَّ أَمْرُؤٍ شَاكِرٍ

٢٣٢ كَتَبَ بَدِيعُ الزَّمَانِ لِأَحَدِ الْخُلَفَاءِ:
يَا سَيِّدَ الْأَمْرِ أَفْخَرًا فَمَا مَلِكٌ إِلَّا تَمَنَّاكَ مَوْلَى وَاشْتَهَاكَ أَبَا
وَكَاذِبِيكَ صَوَّبَ الْغَيْثُ مُتَسَكِّبًا لَوْ كَانَ طَلَقَ الْحَيَاءُ يَمْطُرُ الذَّهَبَا
وَالدَّهْرُ لَوْ لَمْ يَخْنُ وَالشَّمْسُ لَوْ نَطَقَتْ وَاللَّيْلُ لَوْ لَمْ يَصُلْ وَالْبَحْرُ لَوْ عَذَّبَا
وَالْبَحْرِيُّ فِي الْمَدِيحِ: ٢٣٣

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى الْعَبَّاسِ عَنْ صَغِيرٍ فِي السِّنِّ وَانْظُرْ إِلَى الْعَجْدِ الَّذِي شَادَا
إِنَّ النُّجُومَ نُجُومَ الْجَوِّ أَحْرَهَا فِي الْعَيْنِ أَكْثَرَهَا فِي الْجَوِّ إِصْعَادَا
٢٣٤ قَالَ أَبُو نُوَّاسٍ يَمْدَحُ بَنِي حَمْدَانَ:

لَيْزَ خُلُقٍ أَلَا نَامَ لِحَبِّ كَاسٍ وَمَزْمَارٍ وَطَنْبُورٍ وَعُودٍ
قَلَمٌ يُخْلَقُ بَنُو حَمْدَانَ إِلَّا لِبَاسٍ أَوْ لِعَجْدٍ أَوْ لِحُودٍ

الْبَابُ الْحَادِي عَشَرَ
فِي الْفَخْرِ وَالْحَمَاسَةِ وَالنَّهْجِ

٢٣٥ كَانَ أَبُو سَفْيَانَ مِنْ أَشْعَرِ قُرَيْشٍ وَهُوَ الْقَائِلُ عَنْ قَيْلَتِهِ مُفْتَحِرًا:
لَقَدْ عَلِمْتُ قُرَيْشٌ غَيْرَ فَخْرٍ يَا نَا نَحْنُ أَجُودُهُمْ حِصَانًا
وَأَكْثَرُهُمْ ذُرُوعًا سَائِغَاتٍ وَأَمْضَاهُمْ إِذَا طَعَنُوا سِنَانًا
وَأَذَقَهُمْ عَنِ الضَّرَاءِ عَنْهُمْ وَأَبْيَنَهُمْ إِذَا نَطَقُوا لِسَانًا
٢٣٦ قَالَ السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ إسمَاعِيلَ بْنِ الْقَاسِمِ:

أَنَا مِنْ قَوْمٍ إِذَا مَا غَضِبُوا أَطْعَمُوا الْأَزْمَاحَ حَبَاتِ الْقُلُوبِ
وَهُمْ فِي السَّلَامِ كَالْمَاءِ صَفَا لِصَدِيقٍ وَحِمِيمٍ وَقَرِيبٍ
فِيهِمْ فَخْرِي وَفِيهِمْ قُدُوتِي وَبِهِمْ نَأْتِ مِنَ الْعُلَيَّا نَصِيبُ
وَبِقَضْلِ اللَّهِ رَبِّي لَمْ أَذَلْ فِي مَرَاقِي الْغِرِّ وَالْعَيْشِ الرُّطِيبُ
لَيْسَ لِي إِلَّا الْعَمَالِي أَرْبُ فَعَلَى كَاهِلِهَا صَارَ الرُّكُوبُ
إِنْ دَعَا دَاعٍ إِلَى غَيْرِ الْعَمَلَا لَا تَرَانِي لِدُعَاهُ مِنْ حُجُبِ
٢٣٧ مَرَّ ابْنُ بَشِيرٍ بِأَبِي عُمَانَ الْمَازِنِيِّ فَجَلَسَ إِلَيْهِ سَاعَةً. فَقَرَأَ مِنْ
فِي مَجْلِسِهِ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ نَعْلِ كَانَتْ فِي رِجْلِهِ خَلْقَةً فَأَخَذَ وَرَقَةً وَكَتَبَ:

كَمْ أَرَى ذَا تَعَجَّبٍ مِنْ نِعَالِي وَرِضَائِي مِنْهَا يَلْبَسُ الْبَوَالِي
مَنْ يُعَالِي مِنَ الرِّجَالِ يَنْعَلُ قِسْوَايَ إِذَا بَيْنَ يُعَالِي
لَوْ حَدَاهُنَّ لِلْجَمَالِ قَانِي فِي سِوَاهُنَّ زِينَتِي وَجَمَالِي

فِي إِخَاءٍ وَفِي وَفَاءٍ وَرَأْيٍ وَإِسَانِي وَمَنْطِقِي وَفِعَالِي
مَا وَقَانِي الْخَفَا وَبَلَّغْنِي الْحَا جَةً مِنْهَا فَأَتْنِي لَا أَبَالِي

٢٣٨ قَالَ الْحَرِيشُ بْنُ هِلَالٍ الْقُرَيْمِيُّ :

نُعْرَضُ لِلسُّيُوفِ إِذَا اتَّقَيْنَا وَجُوهًا لَا تُعْرَضُ لِلطَّامِ
وَلَسْتُ بِجَالِعٍ عَنِّي ثِيَابِي إِذَا هَرَّ الْكُمَاةُ وَلَا أَرَامِي
وَلَكِنِّي يَجُولُ الْمَعْرُ تَحْتِي إِلَى الْغَارَاتِ بِالْعُضْبِ الْحَسَامِ

٢٣٩ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْمُرُوفُ بِحِظَّةِ الْبَرْمَكِيِّ :

أَنَا ابْنُ أَنَاسٍ مَوْلَى النَّاسِ جُودُهُمْ فَأَضْحَوْا حَدِيثًا لِلنَّوَالِ الْمَشْهُرِ
فَلَمْ يَخْلُ مِنْ إِحْسَانِهِمْ لَقَطُ خَيْرٍ فَلَمْ يَخْلُ مِنْ تَقْرِيطِهِمْ بَطْنُ دَقْفَرٍ
٢٤٠ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْفَرَارِيِّينَ :

وَلَا أَلَيْكُنْ عَظِيمِي طَوِيلًا قَاتِنِي لَهُ بِالْحِصَالِ الصَّالِحَاتِ وَصُولُ
وَلَا خَيْرٍ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَنَبَاهَا إِذَا لَمْ تَرَنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عُمُولُ
إِذَا كُنْتُ فِي الْقَوْمِ الطُّوَالِ عُلُوتُهُمْ بِمَارِفَةٍ حَتَّى يُقَالَ طَوِيلُ
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ فُرُوعٍ كَثِيرَةٍ تَمُوتُ إِذَا لَمْ تُنْجِئَنَّ أَصُولُ
وَلَمْ أَرْ كَالْمُرُوفِ أَمَّا مَذَافُهُ فُحِّلُوا وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

٢٤١ قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلًا مِنْ أَمَالِ
وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِجَعْدٍ مُؤْتَلٍ وَقَدْ يَذْرُكُ أَجْدَ الْمُؤْتَلِ أَمْتَالِي

٢٤٢ قَالَ حَاتِمُ الطَّائِي :

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ
إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ
أَخَا طَارِقًا أَوْ جَارَ بَيْتِ قَاتِنِي
وَأِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيَا
٢٤٣ قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ :

أَصُونُ عِرْضِي بِمَالِي لَا أَدْنَسُهُ
أَحْتَالُ لِلْمَالِ إِنْ أَوْدَى فَاجْمَعُهُ
٢٤٤ قَالَ أَبُو دُفْلَفٍ الْخِجَلِيُّ :

أَجُودُ بِنَفْسِي ذُونَ قَوْمِي دَافِعًا
وَأَقْفَحُ الْأَمْرَ الْخَوْفَ أَفْتَحَاهُ
يَا نَابِئَهُمْ قَدَمَا وَأَغْشَى الدَّوَاهِيَا
لَا ذُرْكَ مَجْدًا أَوْ أَعَاوِدَ ثَاوِيَا
(الافاني والحماسة)

الهجو

٢٤٥ قَالَ أَبُو نُؤَاسٍ فِي بَخِيلٍ :

سَيَّانٍ كَسَرَ رَغِيفَهُ
فَارْتُقَ بِكَسْرِ رَغِيفِهِ
وَرَّاهُ مِنْ خَوْفِ النَّزْوِ
وَقَالَ أَيْضًا :

خَانَ عَهْدِي عَمْرُو وَمَا خُتُّ عَهْدُهُ
لَيْسَ لِي مِذْحِيْتُ ذَنْبٌ إِلَيْهِ
وَجَفَانِي وَمَا تَغَيَّرْتُ بَعْدَهُ
غَيْرَ أَنِّي يَوْمًا تَغَدَّيْتُ عَنْدَهُ

وَلَهُ أَيْضًا:

أَبُو جَنْفَرٍ رَجُلٌ عَالِمٌ بِمَا يُضِلُّ الْمَعْدَةَ الْقَاسِدَةَ
تَخَوَّفَ ثُخْمَةَ أَضْيَافِهِ فَمَوَدَّهَا أَكْلَةً وَاحِدَةً

٢٤٦ قَالَ الْخَوَارِزْمِيُّ فِي طَبِيبٍ:

أَبُو سَعِيدٍ رَاحِلٌ لِلْكَرَامِ وَمَنْسَفٌ يَنْسِفُ عُمَرَ الْأَنَامِ
لَمْ أَرَهُ إِلَّا خَشِيتُ الرَّدَى وَقُلْتُ يَا رُوحِي حَلَيْكَ السَّلَامِ
يَبْقَى وَيَفْنَى النَّاسُ مِنْ شُومِهِ قُومُوا أَنْظَرُوا كَيْفَ نَجَاةُ الْأَنَامِ
ثُمَّ تَرَاهُ آمِنًا سَالِمًا يَا مَلِكَ الْمَوْتِ إِلَى كَمِّ تَنَامِ
٢٤٧ يُحْكِي أَنَّ الْوَزِيرَ أَبَا عَلِيٍّ الْحَقَاقِيَّ كَانَ صَبُورًا كَثِيرَ الثَّقَلِ
فَكَانَ يُؤْتِي الْعَمَلَ الْوَاحِدَةَ مِنْ الْعَمَالِ فِي الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ . حَتَّى
إِنَّهُ وَلَّى الْكُوفَةَ فِي عِشْرِينَ يَوْمًا سَبْعَةً مِنَ الْعَمَالِ . فَقِيلَ فِيهِ :

وَزِيرٌ قَدْ تَكَامَلَ فِي الرِّقَاعَةِ يُؤْتِي ثُمَّ يَنْزِلُ بَعْدَ سَاعَةٍ
إِذَا أَهْلُ الرُّشَى اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ فَخَيَّرَ الْقَوْمَ أَوْفَرَهُمْ بِضَاعَةٍ

٢٤٨ قَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو بِخِيَلَا :

رَأَى الصِّيفَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِ دَارِهِ فَصَحَّفَهُ ضَيْفًا فَقَامَ إِلَى السِّيفِ
وَقُلْنَا لَهُ خَيْرًا فَظَنَّ بِأَنَّنَا نَقُولُ خُبْرًا فَمَاتَ مِنَ الْخَوْفِ

٢٤٩ هَجَا آخَرُ طَبِيبًا فَقَالَ :

قَالَ حِمَارُ الطَّبِيبِ مُوسَى لَوْ أَنْصَفُونِي لَكُنْتُ أَزْكَبُ
لَا تَنِي جَاهِلٌ بَسِيطٌ وَرَاكِبِي جَاهِلٌ مَرْكَبُ

٢٥٠ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يَهْجُو رَجُلًا جَبَانًا :
إِذَا صَوَّتَ الْمُصْفُورُ طَارَ فُؤَادُهُ وَلَيْثٌ حَدِيدُ الْتَلَابِ عِنْدَ الثَّرَائِدِ
قَالَ آخَرُ :

لَوْ أَنَّ خِفَّةَ عَقْلِهِ فِي رِجْلِهِ سَبَقَ الْغَزَالَ وَلَمْ يَفْتَهُ الْأَرْنبُ
٢٥١ قَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو الْمُبَرَّدَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ النَّخَوِيُّ :
سَأَلْنَا عَنْ ثَمَلَةٍ كُلِّ حَيٍّ فَقَالَ الْقَائِلُونَ وَمَنْ ثَمَلَةٌ
فَقُلْتُ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ مِنْهُمْ فَقَالُوا الْآنَ زِدَتْ بِهِمْ جَمَالَةٌ
٢٥٢ قَالَ غَيْرُهُ :

يَا قَبِجَ اللَّهِ أَقْوَامًا إِذَا ذُكِرُوا بَنِي عُمَيْرَةَ رَهَطَ اللَّوْمِ وَالْعَارِ
قَوْمٌ إِذَا خَرَجُوا مِنْ سَوْءَةٍ وَلَجُوا فِي سَوْءَةٍ لَمْ يُجْنُوهَا بِأَسْتَارِ
٢٥٣ قَالَتْ كَنْزَةُ أُمُّ ثَمَلَةَ الْمُنْقَرِي فِي مِثَّةٍ صَاحِبَةِ ذِي الرِّمَّةِ :
أَلَا حَبْدًا أَهْلُ الْمَلَأِ غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا ذُكِرَتْ مَيِّ قَلَا حَبْدًا هِيَا
عَلَى وَجْهِ مَيِّ مَسْمُومَةٍ مِنْ مَلَا حَةٍ وَفِي الْقَلْبِ مِنْهَا الْحَزَنُ لَوْ كَانَ بَادِيَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ يُخْلَفُ طَعْمُهُ وَإِنْ كَانَ لَوْنُ الْمَاءِ أَيْضَ صَافِيَا
إِذَا مَا أَتَاهُ وَارِدٌ مِنْ ضَرُورَةٍ تَوَلَّى بِأَضْعَافِ الَّذِي جَاءَ ظَامِيَا
٢٥٤ قِيلَ : إِنَّهُ أَفْخَرُ رَجُلٍ عَلَى ابْنِ الْأَهِانِ الشَّاعِرِ فَاجَابَهُ :

لَا تَحْسَبَنَّ أَنَّ الشَّعْرَ مِثْلُنَا سَتَصِيرُ
فَلَدَّ جَاجَةٍ رِيَشٌ لَكِنَّا لَا تَطِيرُ

ابن كلدة عند كسرى

٢٥٥ وقد ابن كلدة الثقي على كسرى فانتصب بين يديه . فقال له
 كسرى : من أنت . قال : أنا الحارث بن كلدة . قال : أعربي أنت .
 قال : نعم ومن صميمها . قال : فما صناعتك . قال : طيب . قال : وما تصنع
 العرب بالطيب مع جملها وضمف عقولها وقلة قبولها وسوء غذائها .
 فقال : ذلك أجدر أيها الملك إذا كانت بهذه الصفة أن تحتاج إلى ما
 يصلح جملها ويقيم عوجها . ويسوس أبدانها . ويعدل أسنادهما . قال
 الملك : كيف لها بأن تعرف ما تعده عليها . لو عرفت الحق لم تناسب
 إلى الجمل . قال الحارث : أيها الملك إن الله جل اسمه قسم العول بين
 العباد كما قسم الأرزاق وأخذ القوم نصيبهم . ففيهم ما في الناس من
 جاهل وعالم وعاجز وحازم . قال الملك : فما الذي تجد في أخلاقهم .
 وتحفظ من مذاهبهم . قال الحارث : لهم أنفس شعبة . وقلوب
 جريئة . وعقول صحيحة مرضية . وأحساب نقية . فيرق الكلام من
 أفواههم مروق السهم من ألوتر . ألين من الماء . وأعذب من الهواد .
 يطعمون الطعام . ويضربون الهام . وعزهم لا يرام . وجارهم لا
 يضام . ولا يروع إذا نام . لا يقرؤن بفضل أحد من الأقوام . ما
 خلا الملك الهام الذي لا يقاس به أحد من الأنام . قال كسرى :
 لله درك من عربي لقد أصبت علما وخصصت به من بيني الخلق
 فطنة وفهما . ثم أمر بإعطائه وصلته وقضى حوائجه (لابن عد ربه)

الْبَابُ الثَّانِي عَشَرَ
فِي الْأَلْعَازِ

٢٥٦ قَدْ أَلْفَزَ بَعْضُهُمْ فِي الْقَلَمِ :

وَأَرْقَسَ مَرْهُوفِ الشَّبَابَةِ مَهْفَفِ
يُسْتَتُّ سَمَلُ الْخُطْبِ وَهُوَ جَمِيعُ
تَدِينُ لَهُ الْأَفَاقُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
وَتَعْنُو لَهُ مَلَأَكُمَا وَتَطِيعُ
حَمَى الْمَلِكِ مَفْطُومًا كَمَا كَانَ تَحْتَمِي
بِهِ الْأَسَدُ فِي الْأَجَامِ وَهُوَ رَضِيعُ

٢٥٧ وَقَالَ آخَرُ فِيهِ :

وَذِي خُضُوعٍ رَاكِعٍ سَاجِدٍ
وَدَمْعُهُ مِنْ جَفْنِهِ جَارِي
مُؤَاطِبُ الْحُسْنِ لِأَوْقَاتِهَا
مُنْقَطِعٌ فِي خِدْمَةِ الْبَارِي

٢٥٨ وَقَالَ غَيْرُهُ فِيهِ :

فَلَا هُوَ يَمِشِي وَلَا هُوَ مُقْعَدٌ
وَمَا إِنْ لَهُ رَأْسٌ وَلَا كَفٌّ لَا مِسْ
وَلَا هُوَ حَيٌّ وَلَا هُوَ مَيِّتٌ
وَلَكِنَّهُ شَخْصٌ يَرَى فِي الْمَجَالِسِ
يَزِيدُ عَلَى سَمِّ الْأَفَاعِي لِعَابُهُ
يَدِبُ دَيْبًا فِي الدُّجَى وَالْحَنَادِسِ
يُفَرِّقُ أَوْصَالًا لَصَمْتٍ يَجِبُهُ
وَتُفَرِّى بِهِ الْأَوْدَاجُ تَحْتَ الْقَلَانِسِ
إِذَا مَا رَأَتْهُ الْعَيْنُ تَحْقِرُ شَأْنَهُ
وَهِيَاتِ يَبْدُو النَّفْسُ عِنْدَ الْكَرَادِسِ

٢٥٩ وَقِيلَ أَيْضًا فِيهِ :

وَأَهْيَفَ مَذْبُوحٍ عَلَى صَدْرِ غَيْرِهِ
يُتَرْجَمُ عَنْ ذِي مَنْطِقٍ وَهُوَ أَبْكَمُ
تَرَاهُ قَصِيرًا كُنْهًا طَالَ عُمُرُهُ
وَيُضْحِي بِلَيْغًا وَهُوَ لَا يَتَكَلَّمُ

وَجَاءَ أَيْضًا فِيهِ :

بَصِيرٌ بِمَا يُوحَى إِلَيْهِ وَمَا لَهُ
كَأَنَّ صَمِيرَ الْقَلْبِ بِأَحْسَرِهِ
إِلَيْهِ إِذَا مَا حَرَكْتَهُ الْأَصَابِعُ
٢٦٠ وَجَاءَ أَيْضًا فِي مَعْنَاهُ :

وَأَخْرَسَ يَنْطِقُ بِالْمُحْكَمَاتِ وَجَمَانُهُ صَامِتٌ أَجَوْفُ
بِمَكَّةَ يَنْطِقُ فِي خُفْيَةٍ وَيَالْشَّامِ مَنْطِقُهُ يُعْرِفُ
٢٦١ قَالَ آخَرُ مُلْغَزًا فِي دَوَاةٍ :

وَمَرْضَعَةٍ أَوْلَادَهَا بَعْدَ ذَنْبِهِمْ
وَفِي بَطْنِهَا السَّكِينُ وَالَّذِي رَأَسَهَا
وَأَوْلَادُهَا مَذْخُورَةٌ لِلنَّوَابِ
٢٦٢ وَالْمُغَزَّى أَبُو الْحَسَنِ بْنُ التَّلْمِيزِ الطَّبِيبُ النَّصْرَانِيُّ فِي الْمِيزَانِ :
مَا وَاحِدٌ مُخْتَلِفُ الْأَسْمَاءِ
يَعْدِلُ فِي الْأَرْضِ وَفِي السَّمَاءِ
يَحْكُمُ بِالْقِسْطِ بِلَا رِيَاءِ
أَعْمَى يُرِي الْإِرْشَادَ كُلَّ رَأْيٍ
أَخْرَسُ لَا مِينَ عِلَّةٍ وَدَادَ
يُعْنِي عَنِ التَّصْرِيحِ بِالْإِيمَانِ
يُجِيبُ إِنْ تَادَاهُ ذُو أَمْتَرَاءَ
بِالرَّفْعِ وَالْخَفْضِ عَنِ الْإِدَاءِ
يُفْصِحُ إِنْ عُلِقَ فِي الْهَوَاءِ

٢٦٣ قَالَ آخَرُ فِي الْبَيْضَةِ :

أَلَا قُلْ لِأَهْلِ الرَّأْيِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
أَلَا خَبِّرُونِي أَيَّ شَيْءٍ رَأَيْتُمْ
قَدِيمٌ حَدِيثٌ قَدْ بَدَأَ وَهُوَ حَاضِرٌ
وَكُلُّ بَصِيرٍ بِالْأُمُورِ لَدَى رَبِّ
مِنَ الطَّيْرِ فِي أَرْضِ الْأَعَاجِمِ وَالْعَرَبِ
يُصَادُ بِالْأَصِيدِ وَإِنْ جَدَّ فِي الطَّلَبِ

وَيُؤْكَلُ أَحْيَانًا طَيِّبًا وَتَارَةً
وَلَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَلَيْسَ لَهُ دَمٌ
وَلَيْسَ لَهُ رِجْلٌ وَلَيْسَ لَهُ يَدٌ
وَلَا هُوَ حَيٌّ وَلَا هُوَ مَيِّتٌ
فَلْيَا وَمَشُورًا إِذَا دُسَّ فِي اللَّهِبِ
وَلَيْسَ لَهُ عَظْمٌ وَلَيْسَ لَهُ عَصَبٌ
وَلَيْسَ لَهُ رَأْسٌ وَلَيْسَ لَهُ ذَنْبٌ
أَلَا خَبَرُونِي إِنَّ هَذَا هُوَ الْعَجَبُ

٢٦٤ أَنزَلَ أَبُو مُحَمَّدٍ ابْنُ الْحَشَّابِ الْبَغْدَادِي فِي كِتَابِ :

وَذِي أَوْجِهِ لِكِنَّهُ غَيْرُ بَاحٍ
تُجَاجِيكَ بِالْأَسْرَارِ أَسْرَارُ وَجْهِهِ
قُلِعَ لِإِسَامَةَ بْنِ الْمُثَنِّدِ ضَرْسٌ فَقَالَ فِيهِ مُلْفَزًا :
يَسِرُّ وَذُو الْوَجْهِينِ لِلْسِرِّ مُظْهِرٌ
قَسَمَهُمَا بِالْعَيْنِ مَا دُمْتَ تَنْظُرُ

٢٦٥ وَصَاحِبٌ لَا أَمَلُ الدَّهْرِ صُحْبَتُهُ
لَمْ أَلْقَهُ مُذْ تَصَاحَبْنَا فَحِينَ بَدَأَ
أَلْفَزَ ابْنُ زَكْرِيَاءَ بْنِ سَلَامَةَ الْحَصَكِيُّ فِي نَعْسِ الْمَوْتَى :
يَشْقَى لِنَفْعِي وَيَسْتَعِي سَعْيِي مُجْتَهِدٌ
لِنَظَرِي أَفْتَرَقَا فُرْقَةً الْأَبَدِ

٢٦٦ أَتَعْرِفُ شَيْئًا فِي السَّمَاءِ نَظِيرُهُ
فَتَلْقَاهُ مَرْكُوبًا وَتَلْقَاهُ رَاكِبًا
يَحْضُ عَلَى التَّقْوَى وَيُكْرَهُ قُرْبَهُ
وَلَمْ يُسْتَرْزَعَنَّ رَغْبَةً فِي زِيَارَتِهِ
وَكَانَ عَلَى رَغَمِ الْمَزُورِ يَزُورُ
وَقَدْ أَحْسَنَ الصَّاحِبُ بِهِمَا الدِّينَ زُهَيْرٌ وَزَيْدُ الْمَلِكِ الصَّالِحُ

مُلْفَزًا فِي قَفْلٍ :

وَأَسْوَدَ عَارِ أَتَحُلُّ الْبَرْدُ جِسْمَهُ
وَمَا زَالَ مِنْ أَوْصَافِهِ الْحِرْصُ وَالْمَنَعُ
وَأَعْجَبُ شَيْءٍ كَوْنُهُ الدَّهْرَ حَارِسًا
وَلَيْسَ لَهُ عَيْنٌ وَلَيْسَ لَهُ سَمْعُ

٢٦٨ نَزَرُ فِي طَاحُونَةٍ :

وَمُسْرَعَةٍ فِي سَيْرِهَا طُولَ دَهْرِهَا
وَفِي سَيْرِهَا مَا تَقْطَعُ إِلَّا كُلَّ سَاعَةٍ
وَمَا قَطَعَتْ فِي السَّيْرِ خَمْسَةَ أَذْرُعٍ
تَرَاهَا مَدَى الْأَيَّامِ تَمْشِي وَلَا تَتَبَّ

٢٦٩ قَالَ بَعْضُهُمْ فِي حِذَاءِ :

مَطِيَّةٌ فَارِسُهَا رَاجِلٌ تَحْمِلُهُ وَهُوَ لَهَا حَامِلٌ
وَاقِفَةٌ فِي الْبَابِ مَرْدُودَةٌ لَا تَشْرَبُ الدَّهْرَ وَلَا تَأْكُلُ

٢٧٠ قَالَ غَيْرُهُ فِي الْمَوْزِ :

مَا أَسْمُ شَيْءٍ حَسَنَ شَكْلُهُ
تَرَاهُ مَعْدُودًا فَإِنْ زِدْتَهُ
تَلْقَاهُ عِنْدَ النَّاسِ مَوْزُونًا
وَأَوَّا وَنُونًا صَارَ مَوْزُونًا

٢٧١ قَالَ آخَرُ فِي النَّارِ :

أَيُّ صَغِيرٍ يَنْفُو عَلَى عَجَلٍ
يَغْلِبُ أَقْوَى جِسْمٍ وَيَغْلِبُهُ
يَعِيشُ بِالرَّيْحِ وَهِيَ تُهْلِكُهُ
أَضْعَفُ جِسْمٍ يَحِثُّ يَذْرِكُهُ

٢٧٢ أَلْزَرَ آخَرُ فِي يَدِ الْهَآوَنِ :

خَبَرُونِي أَيُّ شَيْءٍ أَوْسَعُ مَا فِيهِ فُتَّةٌ
وَأَبْنَةُ فِي بَطْنِهِ يَرُفُّهُ وَيَلْكُمُهُ
وَقَدْ عَلَا صِيَاحُهُ وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يَرْجُمُهُ

٢٧٣ وَقَالَ آخَرُ فِي الْإِبْرَةِ :

وَذَاتِ ذَوَائِبٍ تَنْجَرُ طُولًا وَرَاهَا فِي الْحِجِيِّ وَفِي الذَّهَابِ

يَعْنِي لَمْ تَذُقِ النَّوْمَ طَعْمًا وَلَا ذَرَقْتَ لِدَمْعِ ذِي النَّسَاكِ
وَمَا لَيْسَتْ مَدَى الْأَيَّامِ تَوْبًا وَتَكْسُو النَّاسَ أَنْوَاعَ الثِّيَابِ
٢٧٤ أَلْفَزَ الصَّلَاحُ الصَّفْدِي فِي عِيدِ :

يَا كَاتِبًا بِفَضْلِهِ كُلُّ أَدِيبٍ يَشْهَدُ
مَا أَسْمُ عَلِيلٌ قَلْبُهُ وَفَضْلُهُ لَا يُجْحَدُ
لَيْسَ بِذِي جِسْمٍ يُرَى وَفِيهِ عَيْنٌ وَيَدُ
٢٧٥ قَالَ آخِرُ فِي غَزَالِ :

إِسْمٌ مَنْ هَاجَ خَاطِرِي أَرْبَعٌ فِي صُوفِهِ
فَإِذَا زَالَ رُبْعُهُ زَالَ بَاقِي حُرُوفِهِ
٢٧٦ قَالَ آخِرُ فِي الْمَاءِ :

يُمِيتُ وَيُنْجِي وَهُوَ مِيتٌ بِنَفْسِهِ وَيَمْشِي بِلَا رِجْلٍ إِلَى كُلِّ جَانِبٍ
يُرَى فِي حَضِيضِ الْأَرْضِ طُورًا وَتَارَةً تَرَاهُ تَسَامَى فَوْقَ طُورِ السَّحَابِ
٢٧٧ قَالَ آخِرُ فِي مِصْرَاعِ الْبَابِ :

تَحْبَتُ لِحَرٍّ وَمِنْ مَنْ كُلُّ لَذَّةٍ يَبْتَغَانِ طُولَ اللَّيْلِ يَتَقَانِ
إِذَا أَمْسَا كَانَا عَلَى النَّاسِ مَرَصَدًا وَعِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ يَفْتَرِقَانِ
٢٧٨ قَالَ غَيْرُهُ فِي نَارِ :

وَمَا أَسْمُ ثَلَاثِي لَهُ النَّفْعُ وَالضَّرَرُ لَهُ طَلْعَةٌ تُغْنِي عَنِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
وَلَيْسَ لَهُ وَجْهٌ وَلَيْسَ لَهُ قَهَا وَلَيْسَ لَهُ سَمْعٌ وَلَيْسَ لَهُ بَصَرٌ

وَسُئِلَ عَنْ اللَّهِ سُجَّانَهُ فَكُتِبَ: مَعْقُولٌ مُجْهُولٌ. وَاحِدٌ لَا تَغْيِيرَ لَهُ مَطْلُوبٌ
 غَيْرُ مُذَكَّرٍ سُجَّانَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. وَسُئِلَ عَنِ الْمَوْتِ فَكُتِبَ: نَوْمٌ لَا
 أَنْبَاءَ مَعَهُ رَاحَةٌ الْمَرْضَى. نَقِيزُ الْبَلِيَّةِ. أَنْفَصَالُ الْإِتِّصَالِ.
 الرَّجُوعُ إِلَى الْعَنْصَرِ. شَهْوَةُ الْفُقَرَاءِ. فَرْعُ الْأَغْنِيَاءِ. سَفَرُ الْبَدَنِ.
 فِئْدَانُ الْأَخْوَانِ. وَسُئِلَ عَنِ الْهَرَمِ فَكُتِبَ: شَرٌّ يَتَنَّى. مَرَضُ
 الْأَصِحَّاءِ. مَوْتُ الْحَيَاةِ. صَاحِبُهُ مَيِّتٌ يَتَحَرَّكُ. وَسُئِلَ عَنِ الْمَالِ
 فَكُتِبَ: خَادِمُ الشَّهَوَاتِ. هَمٌّ فِي كُلِّ يَوْمٍ. شَرٌّ مُجْبُوبٌ. وَسُئِلَ عَنِ
 الْحُسْنِ فَكُتِبَ: تَصَوُّرِي طَبِيعِي. زَهْرَةٌ تَذُبُلُ. وَسُئِلَ عَنِ الشَّمْسِ
 فَكُتِبَ: عَيْنُ الْفَلَكَ الْيَهَارِيِّ. عِلَّةُ الْعَوْرَاتِ. وَسَبَبُ الثَّمَرَاتِ. وَعَنْ
 الْقَمَرِ فَكُتِبَ: عَقِيبُ الشَّمْسِ. سِرَاجٌ لَيْلِي. وَسُئِلَ عَنِ الْإِنْسَانِ فَكُتِبَ:
 مَلْعَبَةٌ أُلْجِئَتْ. مَطْلُوبُ السِّنِينَ. أَمْنِيَّةُ الْأَرْضِ. وَسُئِلَ عَنِ الْأَرْضِ
 فَكُتِبَ: قَاعِدَةُ الْفَلَكَ. (عَلَى زَعَمِ الْأَقْدَمِينَ) أَصْلٌ نَابِتٌ فِي الْهَوَاءِ.
 أُمُّ الثَّمَرَاتِ. وَسُئِلَ عَنِ الْفَلَاحِ فَكُتِبَ: خَادِمُ الْغِذَاءِ. وَسُئِلَ عَنِ
 الْأَعْدَاءِ فَكُتِبَ:

إِنِّي بُلِيْتُ بِأَرْبَعٍ لَمْ يُخْلَعُوا إِلَّا لِشِدَّةِ شَقَوْتِي وَعَنَائِي
 إِبْلِيسُ وَالْدُّنْيَا وَنَفْسِي وَالْهَوَى كَيْفَ الْخُلَاصِ وَكُلُّهُمْ أَعْدَائِي
 ٢٨٥ وَصَفَ الْكَاتِبُ مُحَمَّدٌ كَاتِبًا فَقَالَ: وَهَذَا فَلَانُ آتَاهُ اللَّهُ
 الْحِكْمَةَ وَفَضَلَ الْخُطَابِ. وَمَكَّنَهُ مِنْ أَرْمَةِ حِيَادِ الْمَعَانِي. فَهِيَ تَجْرِي
 بِأَمْرِ رُخَاءٍ حَيْثُ أَصَابَ. وَمَنْحَهُ فَضِيلَتِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ. فَإِذَا كُتِبَ

أَخَذَتْ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأَزَيْتَتْ (الكثر المدفون)

٢٨٦ وَقَدْ أَحْسَنَ الشَّاعِرُ فِي وَصْفِ الطَّائُوسِ حَيْثُ قَالَ :

سُبْحَانَ مَنْ مِنْ خَلْقِهِ الطَّائُوسُ طَيْرٌ عَلَى أَشْكَالِهِ رَيْسُ
تَشْرِقُ فِي دَارَاتِهِ شُمُوسُ فِي الرَّأْسِ مِنْهُ شَجَرٌ مَفْرُوسُ
كَأَنَّهُ بَنَفْسُجٌ يَمِيسُ أَوْ هُوَ زَهْرٌ حَرَمٍ يَمِيسُ

٢٨٧ قَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِ الْفُسْتَقِ :

كَأَنَّمَا الْفُسْتَقُ الْمَلُوحُ حِينَ بَدَأَ مُشَقَّقًا فِي لَطِيفَاتِ الطَّيَافِيرِ
وَاللَّبُّ مَا بَيْنَ قَشْرَيْهِ يَلُوحُ لَنَا كَأَنَّ السِّنَّ الطَّيْرَ مَا بَيْنَ الْمَنَاقِيرِ

٢٨٨ وَقِيلَ فِي الْفُسْتَقِ أَيْضًا :

تَغَكَّرْتُ فِي مَعْنَى الثَّمَارِ فَلَمْ أَجِدْ لَهَا ثَمَرًا يَبْدُو بِحُسْنِ مَجْرَدِ
سِوَى الْفُسْتَقِ الرَّطْبِ الْحَنِيِّ فَإِنَّهُ زَهَا يَمَانٍ زَيْتٌ بِمَجْرَدِ
غَلَّالَةٍ مَرَجَانٍ عَلَى جَنَمٍ فَضَّةٍ وَأَحْشَاءُ يَأْقُوتٍ وَقَلْبُ زَرْجَدِ

٢٨٩ قَالَ ابْنُ الْأَرَمَوِيِّ يَصِفُ الْجُلْنَارَ :

بَدَأْنَا الْجُلْنَارُ فِي الْفُضْبِ وَالطَّلُّ يَبْدُو عَلَيْهِ كَالْجَبِ
كَأَنَّمَا أَكْخُوسُ الْفَقِيقِ بِهِ قَدْ مِلَّتْ مِنْ بَرَادَةِ الذَّهَبِ

٢٩٠ وَمِمَّا جَاءَ فِي وَصْفِ الْأَزْهَارِ وَالرَّبِيعِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

عَدَوْنَا عَلَى الرَّوْضِ الَّذِي طَلَّهُ الْأَنْدَى سُخَيْرًا وَأَوْدَاجُ الْأَبَارِقِ تُسْفِكُ
فَلَمْ تَرِ شَيْئًا كَانَ أَحْسَنَ مَنَظَرًا مِنَ النَّوْرِ يَجْرِي دَمْعُهُ وَهُوَ يَهْتِكُ

٢٩١ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ الرَّبِيعَ :

مَرْحَبًا بِالرَّيِّعِ فِي آذَارِ وَيَإِشْرَاقِ بَهْجَةِ الْأَنْوَارِ
مِنْ شَقِيقِ وَأَفْخَوَانِ وَوَرْدِ وَخَرَامِ وَزَجَسِ وَبَهَارِ
٢٩٢ قَالَ غَيْرُهُ :

أَمَا زَى الْأَرْضِ قَدْ أَعْطَتْكَ زَهْرَتَهَا بِخُضْرَةٍ وَأَكْنَسَى بِالنُّورِ عَارِيَهَا
فَلِلسَّمَاءِ بُكَاءٌ فِي جَوَانِبِهَا وَلِلرَّيِّعِ انْتِسَامٌ فِي تَوَاحِيهَا
٢٩٣ قَالَ آخَرُ فِي الْعَمَامِ :

إِنَّ السَّمَاءَ إِذَا لَمْ تَبْكْ مُقْلَتَهَا لَمْ تَضْحَكِ الْأَرْضُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ الزَّهْرِ
وَالْأَرْضُ لَا تَنْجِي أَنْوَارَهَا أَبَدًا إِلَّا إِذَا رَمِدَتْ مِنْ شِدَّةِ الطَّيْرِ
٢٩٤ قَالَ أَبُو الْحَزَمِ بْنِ جَهْوَرٍ فِي الْوَرْدِ :

الْوَرْدُ أَحْسَنُ مَا رَأَتْ عَيْنِي وَأَذْ كَى مَا سَقَى مَا السَّحَابِ الْجَامِدُ
خَضَعَتْ نَوَازِدُ الرِّيَاضِ لِحُسْنِهِ قَدْ ذَلَلْتُ تَنْقَادُ وَهِيَ شَوَارِدُ
وَإِذَا تَبَدَّى الْغَضُّ فِي أَغْصَانِهِ يَذْهُو قَدْ أَمِيتُ وَهَذَا حَاسِدُ
وَإِذَا أَتَى وَقْدُ الرَّيِّعِ مُبَشِّرًا يَطْلُوعُ وَقْدَتِهِ فَنَعَمَ الْوَافِدُ
لَيْسَ الْمُبَشِّرُ كَالْمُبَشَّرِ بِاسْمِهِ خَيْرٌ عَلَيْهِ مِنَ النَّبِوةِ شَاهِدُ
وَإِذَا تَعَرَّى الْوَرْدُ مِنْ أَوْرَاقِهِ بَقِيَتْ عَوَارِفُهُ فَهَنْ خَوَالِدُ
٢٩٥ قَالَ آخَرُ فِي الْيَاسَمِينِ :

وَالْأَرْضُ تَبْسِمُ عَنْ ثُغُورِ رِيَاضِهَا وَالْأَفْقُ يُسْفِرُ تَارَةً وَيُقَطِّبُ
وَكَاَنَّ خُضْرَ الرِّيَاضِ مُلَاءَةٌ وَالْيَاسَمِينُ لَهَا طِرَازُ مَذْهَبُ
٢٩٦ قَالَ الْأَخْطَلُ الْأَهْوَازِيُّ فِي السُّوسَنِ :

سَقَا لَأَرْضَ إِذَا مَا نُمْتُ نَبِييَ بَعْدَ الْهُدُوءِ بِهَا قَرَعُ النَّوَاقِيسِ
كَأَنَّ سُوسَهَا فِي كُلِّ شَارِقَةٍ عَلَى الْمَيَادِينِ أَذْنَابُ الطَّوَارِيسِ
٢٩٧ وَقِيلَ فِي السَّفَرِ جَل :

حَازَ السَّفَرُ جَلُّ لَهَا تِ الْوَرَى فَعَدَا عَلَى الْهَوَاسِكِ بِالتَّفْصِيلِ مَشْهُورَا
كَالْزَّاحِ طَعْمَا وَشَمَّ الْمِسْكِ رَاحَةً وَالتَّبَرِّ لَوْنَا وَشَكْلَ الْبَدْرِ تَذْوِيرَا
٢٩٨ وَقِيلَ فِي الْخَوْخ :

وَرِمَاحٍ بِغَيْرِ طَعْنٍ وَضَرْبٍ بَلْ لَا تَكُنْ وَمَصْرُوبٍ وَرَشْفٍ
كَلَّتْ فِي أَسْتَوَانِهَا وَأَسْتَقَامَتْ بِأَعْتِدَالٍ وَحُسْنٍ قَدٍّ وَلُطْفٍ
٢٩٩ قَالَ آخِرُ يَصِفُ نَاعُورَةَ :

وَنَاعُورَةَ قَالَتْ وَقَدْ حَالَ لَوْنُهَا وَأَضْلَعُهَا كَادَتْ تُعَدُّ مِنَ السُّقْمِ
أَدُورٌ عَلَى قَلْبِي لِأَنِّي صَدَّقْتُهُ وَأَمَّا دُمُوعِي فَهِيَ تَجْرِي عَلَى جَنْبِي
٣٠٠ قَالَ الْبُخْتَرِيُّ يَصِفُ الشَّامَ :

عُنِيتُ بِشَرْقِ الْأَرْضِ قَدَمَا وَغَرِبِهَا أَجُوبُ إِلَى آفَاقِهَا وَأَسِيرُهَا
فَلَمْ أَرِ مِثْلَ الشَّامِ دَارَ إِقَامَةٍ لِيُوَاحِ أَعَادِيهَا وَكَأْسِ أُدِيرُهَا
مَصْحَةُ أَبْدَانٍ وَزُرْهَةٌ أَعْيُنٍ وَلَهُوَ لِنَفْسٍ دَائِمٌ لِي سُرُورُهَا
مُقَدَّسَةٌ جَادَ الرِّبْعُ بِلَادَهَا فَبِئْسَ كُلِّ أَرْضٍ رَوْضَةٌ وَغَدِيرُهَا
٣٠١ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ الشَّطْرَنْجِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَرِ :

يَا عَابَ الشَّطْرَنْجِ مِنْ جَهْلِهِ وَلَيْسَ فِي الشَّطْرَنْجِ مِنْ بَاسٍ
فِي فَهْمِهَا عِلْمٌ وَفِي لَعْنِهَا شُغْلٌ عَنْ أَلْفِئَةِ لِلنَّاسِ

وَتَسْغُلُ الْهَائِمَ عَنْ حُزْنِهِ وَصَاحِبَ الْكَاسِ عَنِ الْكَاسِ
وَصَاحِبَ الْحَرْبِ بِتَذْيِيرِهَا يَزْدَادُ فِي الشَّدَةِ وَالْبَاسِ
وَأَهْلَهَا فِي حُسْنِ آدَابِهِمْ مِنْ خَيْرِ أَصْحَابِ وَجُلَّاسِ
٣٠٢ وَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ فِي وَصْفِ وَزِيرٍ كَثِيرِ التَّلَوْنِ :
مُقِيلٌ مُذِيرٌ بَعِيدٌ قَرِيبٌ مُحْسِنٌ مُذْنِبٌ عَدُوٌّ حَبِيبٌ
عَجَبٌ مِنْ عَجَابِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَتَوْعٌ قَرْدٌ وَشَكْلٌ غَرِيبٌ
٣٠٣ قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ خَلْفٍ الْبَهْرَانِيُّ فِي وَصْفِ النَّحْوِ :

النَّحْوُ يُضْلِعُ مِنْ لِسَانِ الْأَلَكْنِ وَالْمَرْءُ تُعْظِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ
فَإِذَا طَلَبَتْ مِنَ الْعُلُومِ أَجَلَهَا فَأَجَلُهَا مِنْهَا مَقِيمُ الْأَلْسُنِ
٣٠٤ وَصَفَ ابْنُ شَرَوَيْهِ الْحَمِّيَّ قَالَ :

وَزَائِرَةٌ تَرُورُ بِلَا رَقِيبٍ وَتَنْزِلُ بِأَلْقَى مِنْ غَيْرِ حِجَةٍ
وَمَا أَحَدٌ يُحِبُّ الْقُرْبَ مِنْهَا وَلَا تَحْلُو زِيَارَتُهَا بِقَلْبِهِ
تَبِيتُ بِبَاطِنِ الْأَخْشَاءِ مِنْهُ قَيْطَلُ بُعْدِهَا مِنْ عِظَمِ كَرِيهِهِ
وَمَنْعُهُ لَدَيْدِ الْعَيْشِ حَتَّى تُنْقَضَ تِمَاسِكُهُ وَشَرِيهِهِ
أَنْتَ لِي زِيَارَتِي مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ وَكَمْ مِنْ زَائِرٍ لَا مَرْحَبًا بِهِ
قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ فِرَاقَ الْخُلَانِ :

الْقَلْبُ مِنْ فُرْقَةِ الْخُلَانِ يَحْتَرِقُ وَالْذَّمْعُ كَالْدَرِّ فِي الْخُدَيْنِ يَسْتَقِيقُ
إِنْ قَاضَ مَا دُمُوعِي لَمْ يَكُنْ نَجْبًا أَلْعُودُ يَقْطُرُ مَاءً وَهُوَ مُحْتَرِقُ

الْبَابُ الرَّابِعُ عَشَرَ فِي الْحِكَايَاتِ

ابن الزُّبَيْرِ وَمَعَاوِيَةَ

٣٠٥ كَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَرْضٌ وَكَانَ لَهُ فِيهَا عَيْدٌ يَعْمَلُونَ فِيهَا .
وَالِى جَانِبِهَا أَرْضٌ لِمَعَاوِيَةَ وَفِيهَا أَيْضًا عَيْدٌ يَعْمَلُونَ فِيهَا . فَدَخَلَ عَيْدُ
مُعَاوِيَةَ فِي أَرْضِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ كِتَابًا إِلَى مُعَاوِيَةَ
يَقُولُ لَهُ فِيهِ : أَمَّا بَعْدُ يَا مُعَاوِيَةُ فَإِنَّ عَيْدَكَ قَدْ دَخَلُوا فِي أَرْضِي .
فَانْهَهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَإِلَّا كَانَ لِي وَلَكَ شَأْنٌ وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا وَقَفَ مُعَاوِيَةُ
عَلَى كِتَابِهِ وَقَرَأَهُ دَفَعَهُ إِلَى وَلَدِهِ يَزِيدَ . فَلَمَّا قَرَأَهُ قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : يَا بُنَيَّ
مَا تَرَى . قَالَ : أُرَى أَنْ تَبْعَثَ إِلَيْهِ جَيْشًا يَكُونُ أَوَّلُهُ عِنْدَهُ وَآخِرُهُ
عِنْدَكَ يَا تُوبَتَكَ بِرَأْسِهِ . فَقَالَ : بَلْ غَيْرُ ذَلِكَ خَيْرٌ مِنْهُ يَا بُنَيَّ . ثُمَّ أَخَذَ
وَرَقَةً وَكَتَبَ فِيهَا جَوَابَ كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ يَقُولُ فِيهِ : أَمَّا
بَعْدُ فَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ وَلَدِ حَوَارِيٍّ وَسَاءَ فِي مَا سَاءَهُ . وَاللَّهُ نَيَّا
بِأَسْرِهَا هِنَةً عِنْدِي فِي جَنْبِ رِضَاهُ . تَرَلْتُ عَنْ أَرْضِي لَكَ فَأَضْفَهَا
إِلَى أَرْضِكَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْعَبِيدِ وَالْأَمْوَالِ وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا وَقَفَ عَبْدُ
اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَلَى كِتَابِ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْهِ : قَدْ وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ وَلَا أَعْدَمُهُ الرَّأْيَ الَّذِي أَحْلَاهُ مِنْ
قُرَيْشٍ هَذَا الْحُلَّ وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا وَقَفَ مُعَاوِيَةُ عَلَى كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

وَالْمَرِيضِ . وَآلَ حَدِيثُهُمْ إِلَى مَنْ كَانَ يَجْتَهِدُ فِي إِيقَادِ نَارِ الْحَرْبِ عَلَيْهِمْ بِزِيَادَةِ التَّخْرِيسِ . فَقَالُوا : أَمْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ تُسَمَّى الزَّرْقَاءُ بِنْتُ عَدِيِّ كَانَتْ تَعْتَمِدُ الْوُقُوفَ بَيْنَ الصُّفُوفِ . وَتَرْفَعُ صَوْتَهَا صَارِخَةً : يَا أَصْحَابَ عَلِيٍّ . لَسْتُمْهُمْ كَلَامًا كَالصَّوَارِمِ . مُسْتَحْتَةً لَهُمْ بِقَوْلِ لَوْ سَمِعَهُ الْجَبَانُ لَقَاتَلُوا وَالْمَذْبُورُ لَأَقْبَلَ . وَالْمُسَالِمُ لِحَارَبَ . وَالْقَارُّ لَكَرَّ . وَالتَّرْزُلُ لَأَسْتَقَرَّ . فَقَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ : أَيُّكُمْ يَحْفَظُ كَلَامَهَا . قَالُوا : كُلُّنَا نَحْفَظُهُ . قَالَ : فَمَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِيهَا . قَالُوا : تُشِيرُ بِقَتْلِهَا فَإِنَّهَا أَهْلُ لَذَلِكَ . فَقَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ : بَلَسَمَا أَشْرْتُمْ بِهِ وَفُتِحَا لِمَا قَاتِمٌ . أَيْخَسُنُ أَنْ يَشْتَهَرَ عَنِّي أَنَّنِي بَعْدَمَا ظَفِرْتُ وَقَدَرْتُ قَتْلَ أَمْرَأَةٍ قَدْ وَفَتْ لِصَاحِبِهَا . إِنِّي إِذَا لِلنِّيمِ . لَا وَاللَّهِ لَا فَعَلْتُ ذَلِكَ أَبَدًا . ثُمَّ دَعَا بِكَاتِبِهِ فَكَتَبَ كِتَابًا إِلَى وَالِيهِ بِالْكُوفَةِ أَنْ : أَنْفِذْ إِلَيَّ الزَّرْقَاءَ بِنْتُ عَدِيِّ مَعَ نَفَرٍ مِنْ عَشِيرَتِهَا وَفَرَسَانِ مِنْ قَوْمِهَا . وَهَذَا لَهَا وَطَاءٌ لَنَا وَمَرْكَبًا ذُلُولًا . فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ رَكِبَ إِلَيْهَا وَقَرَأَهُ عَلَيْهَا . فَقَالَتْ بَعْدَ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ : مَا أَنَا بِزَانِيَةٍ عَنِ الطَّاعَةِ . فَحَمَلَهَا فِي هَوْدَجٍ وَجَعَلَ غِشَاءَهُ خَزًّا مُبْطِنًا . ثُمَّ أَحْسَنَ صُحْبَتَهَا . فَلَمَّا قَدِمَتْ عَلَى مُعَاوِيَةَ قَالَ لَهَا : مَرْحَبًا وَأَهْلًا خَيْرَ مُقَدِّمٍ قَدِمَهُ وَأَفْذُ . كَيْفَ حَالُكَ يَا خَالَةَ وَكَيْفَ رَأَيْتَ سَيْرَكَ . قَالَتْ : خَيْرَ مَسِيرٍ . فَقَالَ : هَلْ تَعْلَمِينَ لِمَ بَعَثْتُ إِلَيْكَ . قَالَتْ : لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ سُجَّانُهُ وَتَعَالَى . قَالَ : أَلَسْتُ رَاكِبَةً الْجَمَلِ الْأَحْمَرَ يَوْمَ صِفِّينَ . وَأَنْتِ بَيْنَ الصُّفُوفِ تُوقِدِينَ نَارَ الْحَرْبِ

وَتَحْرِصِينَ عَلَى الْقِتَالِ . قَالَتْ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ . قَالَتْ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ قَدِمَتِ الرَّأْسُ وَبَتِرَ الذَّنْبُ . وَاللَّهْرُ ذُوغِيرٌ وَمَنْ
تَفَكَّرَ أَبْصَرَ . وَالْأَمْرُ يَحْدُثُ بَعْدَهُ الْأَمْرُ . فَقَالَ : صَدَقْتَ فَهَلْ
تَعْرِفِينَ كَلَامَكَ وَتَحْظِينَ مَا قُلْتَ . قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ . قَالَ : لِلَّهِ أَبُوكَ فَلَقَدْ
سَمِعْتُكَ تَقُولِينَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْمَصْبَاحَ لَا يُضِيءُ فِي الشَّمْسِ . وَإِنَّ
الْكَوَاكِبَ لَا تُضِيءُ مَعَ الْقَمَرِ . وَإِنَّ الْبَغْلَ لَا يَسْبِقُ الْقَرَسَ . وَلَا يَقْطَعُ
الْحَدِيدُ إِلَّا بِالْحَدِيدِ . أَلَا مِنْ أَسْتَرَشَدْنَا أَرْشَدَنَاهُ . وَمَنْ سَأَلَنَا
أَخْبَرْنَاهُ . إِنْ الْحَقُّ كَانَ يَطْلُبُ ضَالَّةً فَأَصَابَهَا . فَصَبْرًا يَا مَعْشَرَ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . فَكَأَنَّكُمْ وَقَدْ أُنْتَامَ سَمَلُ الشَّتَاتِ وَظَهَرَتْ كَلِمَةُ
الْعَدْلِ وَغَلَبَ الْحَقُّ بَاطِلَهُ . فَإِنَّهُ لَا يَسْتَوِي الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ . أَفَمَنْ كَانَ
مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا . لَا يَسْتَوُونَ . فَالْتِزَالُ الْتِزَالُ وَالصَّبْرُ الصَّبْرُ .
أَلَا وَإِنْ خِضَابُ النِّسَاءِ الْحِنَاءُ وَخِضَابُ الرِّجَالِ الدِّمَاءُ . وَالصَّبْرُ خَيْرُ
الْأُمُورِ عَاقِبَةً . إِنْتَوِ الْحَرْبَ غَيْرَ نَاكِهِينَ هَذَا يَوْمٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ . يَا زُرْقَاهُ
أَلَيْسَ هَذَا قَوْلُكَ وَتَحْرِيطُكَ . قَالَتْ : لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ . قَالَ : لَقَدْ
شَارَكَتِ عَلِيًّا فِي كُلِّ دَمٍ سَفَكُهُ . فَقَالَتْ : أَحْسَنَ اللَّهُ بِشَارَتِكَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَدَامَ سَلَامَتَكَ . مِثْلُكَ مَنْ يُبَشِّرُ بِخَيْرٍ وَيَسِرُّ جَلِيسَهُ .
فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَوْ قَدْ سَرَّكَ ذَلِكَ . قَالَتْ : نَعَمْ وَاللَّهِ لَقَدْ سَرَّنِي قَوْلُكَ
وَأَتَى لِي بِتَصْدِيقِهِ . فَقَالَ لَهَا مُعَاوِيَةُ : وَاللَّهِ لَوْ أَنَّكُمْ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ
أَتَعَجَّبُ إِلَيَّ مِنْ حُبِّكُمْ لَهُ فِي حَيَاتِهِ فَادْكُرِي حَوَائِجَكَ تُقْضَى . فَقَالَتْ :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي آتَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ لَا أَسْأَلَ أَحَدًا بَعْدَ عَلِيٍّ
 حَاجَةً . فَقَالَ : قَدْ أَشَارَ عَلِيٌّ بَعْضُ مَنْ عَرَفَكَ بِقِتْلِكَ . فَقَالَتْ : لَوْ
 مِنْ الْمَشِيرِ . وَلَوْ أَطَعْتُهُ لَشَارَكْتُهُ . قَالَ : كَلَّا بَلْ نَعْقُوعُكَ وَنَحْسُنُ
 إِلَيْكَ وَزَعَالِكَ . فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَرَّمَ مِنْكَ . وَمِثْلَكَ مَنْ قَدَّرَ
 فَعَفَا وَتَجَاوَزَ عَنْ أَسَاءٍ وَأَعْطَى مِنْ غَيْرِ مَسْئَلَةٍ . فَأَعْطَاهَا كُسُوةً
 وَدِرَاهِمَ وَأَقْطَعَهَا صَبْعَةً تَبْلُ لَهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ .
 وَأَعَادَهَا إِلَى وَطَنِهَا سَالِمَةً وَكُتِبَ إِلَى وَالِي الْكُوفَةِ بِالْوَصِيَّةِ
 بِهَا وَبِعَشِيرَتِهَا

(للأبشيهي)

رجلان كرمان حصلتا على الامارة بكرهما

٣٠٩ كَانَ فِي أَيَّامِ خِلَافَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ
 خَزِيمَةُ بْنُ بَشِيرٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ مَشْهُورٌ بِالْمُرُوءَةِ وَالْكَرَمِ وَالْمُوَاسَاةِ . وَكَانَتْ
 نِعْمَتُهُ وَافِرَةً . فَلَمْ يَذَلْ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ مِنَ الْكَرَمِ حَتَّى أُحْتَاجَ إِلَى
 إِخْوَانِهِ الَّذِينَ كَانَ يُؤَاوِسُهُمْ وَيَتَفَضَّلُ عَلَيْهِمْ . فَاسْوَهُ جِنَاثُهُمْ إِنَّهُمْ مَلُوءَةٌ .
 فَلَمَّا لَاحَ مِنْهُمْ ذَلِكَ أَتَى أُمَّرَأَتُهُ وَكَانَتْ ابْنَةً عَمِّهِ . فَقَالَ لَهَا : يَا ابْنَةَ الْعَمِّ
 رَأَيْتُ مِنْ إِخْوَانِي تَغْيِيرًا عَمَّا عَهَدْتُ مِنْهُمْ . وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى لَزُومِ بَيْتِي
 إِلَى أَنْ يَأْتِيَنِي الْمَوْتُ . ثُمَّ إِنَّهُ أَغْلَقَ بَابَهُ وَأَقَامَ يَتَهَوَّتُ بِمَا عِنْدَهُ حَتَّى
 نَفِدَ جَمِيعُهُ وَبَقِيَ حَارِبًا فِي أَمْرِهِ . وَكَانَ يَوْمَئِذٍ عِكْرِمَةُ الْهَيَاضُ وَالْيَا
 عَلَى الْجَزِيرَةِ . فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي دِيْوَانِهِ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ
 مِنْ مَعَارِفِهِ إِذْ جَرَى ذِكْرُ خَزِيمَةَ بْنِ بَشِيرٍ . فَسَأَلَهُمْ عِكْرِمَةُ عَنْ حَالِهِ

فَقَالُوا لَهُ : إِنَّهُ فِي أَشَقِّ حَالٍ مِنَ الْفَقْرِ وَقَدْ أَغْلَقَ بَابَهُ وَلَزِمَ بَيْتَهُ . فَقَالَ
 عِكْرِمَةُ الْفَيَّاضُ : أَمَا وَجَدَ خُرَيْمَةُ بْنُ يَشْرِئُ وَاسِيًا أَوْ مُكَافِيًا . فَقَالُوا لَهُ :
 لَا . فَأَمْسَكَ عِكْرِمَةُ عَنْ ذَلِكَ . وَكَانَ عِكْرِمَةُ فِي الْكَرَمِ بِالْمَنْزِلَةِ الْعَظِيمَةِ
 وَقَدْ سُمِّيَ الْفَيَّاضَ لِرِزَادَةِ كَرَمِهِ وَجُودِهِ . ثُمَّ إِنَّ عِكْرِمَةَ أَنْتَظَرَ إِلَى أَنْ
 دَخَلَ اللَّيْلُ فَعَمِدَ إِلَى أَرْبَعَةِ آلَافٍ دِينَارٍ فَجَعَلَهَا فِي كَيْسٍ وَأَمَرَ
 بِاسْرَاجِ دَابَّتِهِ . فَرَكِبَهَا وَخَرَجَ سِرًّا مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ وَسَارَ وَمَعَهُ غُلَامٌ وَاحِدٌ
 يُحْمِلُ الْمَالَ . وَكَانَ اللَّيْلُ قَدْ أَنْصَفَ . فَلَمْ يَزَلْ سَارًا حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِ
 خُرَيْمَةَ فَتَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ بَعِيدًا عَنِ الْبَابِ وَأَمْسَكَهَا لِغُلَامِهِ وَأَخَذَ مِنْهُ
 الْكَيْسَ وَأَتَى بِهِ وَحْدَهُ إِلَى الْبَابِ وَقَرَعَهُ . فَخَرَجَ خُرَيْمَةُ فَقَالَ لَهُ
 عِكْرِمَةُ وَقَدْ نَكَرَ صَوْتُهُ : خُذْ هَذَا أَصْلِحْ بِهِ شَأْنَكَ . فَقَالُوا لَهُ خُرَيْمَةُ قَرَأَهُ
 ثَقِيلًا فَوَضَعَهُ وَقَبَضَ عَلَى ذِيلِ عِكْرِمَةَ وَقَالَ لَهُ : أَخْبِرْنِي مَنْ أَنْتَ جِئْتَ
 فِدَاكَ . فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ : مَا جِئْتُكَ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ وَأُرِيدُ أَنْ
 تُعَرِّفَنِي . فَقَالَ لَهُ خُرَيْمَةُ : وَاللَّهِ لَا أَقْبَلُهُ إِلَّا تَخْبِرَنِي مَنْ أَنْتَ . فَقَالَ لَهُ
 عِكْرِمَةُ : أَنَا جَابِرُ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ . فَقَالَ خُرَيْمَةُ : زِدْنِي إِضَاحًا . فَقَالَ لَهُ
 عِكْرِمَةُ : لَا وَاللَّهِ . وَأَنْصَرَفَ . فَدَخَلَ خُرَيْمَةُ بِالْكَيْسِ إِلَى أَمْرَأَتِهِ وَقَالَ
 لَهَا : أَبْشِرِي فَقَدْ أَتَى اللَّهُ بِالْقَرْجِ قُصُومِي أَسْرَجِي . فَقَالَتْ : لَا سَبِيلَ إِلَى
 السَّرَاجِ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَنَا زَيْتٌ . قَبَاتَ خُرَيْمَةُ يَلْمِسُ الْكَيْسَ فَيَجِدُ
 خُشُونَةَ الدَّنَانِيرِ . وَلَمَّا رَجَعَ عِكْرِمَةُ إِلَى مَنْزِلِهِ سَأَلَتْهُ أَمْرَأَتُهُ فِيمَ خَرَجَ
 بَعْدَ هَذَا مِنَ اللَّيْلِ مُنْقَرِدًا . فَأَجَابَهَا : مَا كُنْتُ لِأُخْرَجَ فِي وَقْتِ كَذَا

وَأُرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ بِمَا خَرَجْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ فَقَطُّ . فَقَالَتْ لَهُ : لَا بُدَّ لِي
 أَنْ أَعْلَمَ ذَلِكَ وَصَاحَتْ وَنَاحَتْ وَأَحْتَّ عَلَيْهِ بِالطَّلَبِ . فَلَمَّا لَمْ يَجِبْ
 أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ بُدٌّ قَالَ لَهَا : أَخْبِرْكِ بِالْأَمْرِ فَأَكْتُمِيهِ إِذَا . قَالَتْ لَهُ : قُلْ وَلَا
 تُبَالِ بِذَلِكَ . فَأَخْبَرَهَا بِالْقِصَّةِ عَلَى وَجْهِهَا . أَمَّا مَا كَانَ مِنْ خُرْمَةِ فَإِنَّهُ
 لَمَّا أَصْبَحَ صَاحَ غُرْمَاءُهُ وَأَصْلَحَ شَأْنُهُ وَتَجَهَّزَ لِلسَّفَرِ يُرِيدُ الْخُلِيفَةَ سُلَيْمَانَ
 ابْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَدَخَلَ الْحَاجِبُ وَأَخْبَرَ سُلَيْمَانَ بِوُصُولِ خُرْمَةِ بْنِ بَشَرَ .
 وَكَانَ سُلَيْمَانُ يَعْرِفُهُ حَيْدًا بِالْمُرُوءَةِ وَالْكَرَمِ فَاذِنَ لَهُ . فَلَمَّا دَخَلَ خُرْمَةُ
 وَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ قَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : يَا خُرْمَةُ مَا أَبْطَأَكَ عَنَّا . قَالَ : سُوءُ
 الْحَالِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ فَمَا مَنَعَكَ النَّهْضَةَ إِلَيْنَا . قَالَ خُرْمَةُ : ضَعْفِي
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقِلَّةُ مَا بِيَدِي . قَالَ : فَمَنْ أَنَهَضَكَ الْآنَ . قَالَ خُرْمَةُ : لَمْ
 أَشْعُرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ هَذِهِ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا وَالْبَابُ يُطْرَقُ فَخَرَجْتُ
 فَرَأَيْتُ شَخْصًا وَكَانَ مِنْهُ كَيْتٌ وَكَيْتٌ . وَأَخْبَرَهُ بِقِصَّتِهِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى
 آخِرِهَا . فَقَالَ لَهُ : أَمَا عَرَفْتَهُ . فَقَالَ خُرْمَةُ : مَا سَمِعْتُ مِنْهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 إِلَّا حِينَ سَأَلْتُهُ عَنْ أَسْمِهِ قَالَ : أَنَا جَابِرُ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ . قَالَ : فَتَلَهَّفُ
 سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَقَالَ : لَوْ عَرَفْتَاهُ لَكَفَّيْنَاهُ عَلَى مُرُوءَتِهِ .
 ثُمَّ قَالَ : عَلَيَّ بِالْكَاتِبِ فَحَضَرَ إِلَيْهِ . فَكَتَبَ لِحُرْمَةِ الْوَلَايَةَ عَلَى الْجَزِيرَةِ
 وَجَمِيعِ عَمَلِ عِكْرِمَةَ وَأَجْزَلَ لَهُ الْإِعْطَاءَ وَأَحْسَنَ ضِيَافَتَهُ . وَأَمَرَهُ بِالتَّوَجُّهِ مِنْ
 وَقْتِهِ إِلَى الْوَلَايَةِ فَقَبِلَ الْأَرْضَ خُرْمَةُ وَتَوَجَّهَ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى الْجَزِيرَةِ .
 فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهَا خَرَجَ عِكْرِمَةُ وَكَانَ قَدْ بَلَغَهُ عَزْلُهُ وَأَقْبَلَ لِلْمُلَاقَاةِ خُرْمَةَ

مَعَ جَمِيعِ أَغْيَانِ الْبَلَدِ . وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وَسَارُوا جَمِيعًا إِلَى أَنْ دَخَلُوا بِهِ الْبَلَدَ .
 فَتَزَلَّ خُرَيْمَةُ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ وَأَمَرَ أَنْ يُؤْخَذَ عِكْرَمَةُ وَيُحَاسَبَ . فَحُوسِبَ
 فَفَضَّلَ عَلَيْهِ مَالٌ كَثِيرٌ فَطَلَبَهُ خُرَيْمَةُ مِنْهُ . فَقَالَ لَهُ عِكْرَمَةُ : وَاللَّهِ مَا لِي
 دِرْهَمٍ مِنْهُ سَبِيلٌ وَلَا عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ . فَأَمَرَ خُرَيْمَةُ بِجَنْسِهِ وَأَرْسَلَ
 يُطَالِبُهُ بِالْمَالِ . فَأَرْسَلَ عِكْرَمَةُ يَقُولُ لَهُ : إِنِّي لَسْتُ بِمَنْ يَصُونُ مَالَهُ
 بِعَرَضِهِ فَأَصْنَعُ مَا شِئْتُ . فَأَمَرَ خُرَيْمَةُ بِقَيْدِهِ وَضَرَبَهُ . فَكَبِلَ بِالْحَدِيدِ
 وَضَرَبَ وَضَمَّقَ عَلَيْهِ . فَأَقَامَ كَذَلِكَ شَهْرًا فَأَضْأَهُ ذَلِكَ وَأَضْرَبَهُ فَبَلَغَ
 أَمْرُهُ ضَرَهُ فَحَزَّتْ عَلَيْهِ وَاعْتَمَتْ لِذَلِكَ غَمًّا شَدِيدًا . فَدَعَتْ جَارِيَةً
 لَهَا ذَاتَ عَقْلِ وَقَالَتْ لَهَا : أَمْضِي السَّاعَةَ إِلَى بَابِ خُرَيْمَةَ وَقُولِي لِلْحَاجِبِ :
 إِنَّ عِنْدِي نَصِيحَةً لِلْإِمِيرِ . فَإِذَا طَلَبَهَا مِنْكَ فَقُولِي : لَا أَقُولُهَا إِلَّا لِلْإِمِيرِ
 خُرَيْمَةَ . فَإِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ فَسَلِّهِ الْخُلُوءَ فَإِذَا فَعَلَ فَقُولِي لَهُ : مَا كَانَ هَذَا
 جَزَاءَ جَائِرِ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ مِنْكَ بِمِثْلِكَ أَفَاتِكَ لَهُ بِالضِّيقِ وَالْحَبْسِ
 وَالْحَدِيدِ ثُمَّ بِالضَّرْبِ . قَالَ : قَعَلْتُ جَارِيَتَهَا ذَلِكَ . فَلَمَّا سَمِعَ خُرَيْمَةَ
 قَوْلَهَا قَالَ : وَأَسْوَأُ تَاهُ جَائِرُ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ غَرِيبِي . قَالَتْ : نَعَمْ . فَأَمَرَ
 لَوْفَتَهُ بِدَابَّتِهِ فَأَسْرَجَتْ وَرَكِبَ إِلَى وُجُوهِ أَهْلِ الْبَلَدِ فَجَمَعَهُمْ وَسَارَ بِهِمْ
 إِلَى بَابِ الْحَبْسِ . فَفَتَحَهُ وَدَخَلَ فَرَأَى عِكْرَمَةَ الْقَيَاضِ فِي قَاعِ الْحَبْسِ
 مُتَغَيِّرًا قَدْ أَضْأَهُ الضَّرُّ . فَلَمَّا نَظَرَ عِكْرَمَةَ إِلَى خُرَيْمَةَ وَوُجُوهِ أَهْلِ الْبَلَدِ
 مَعَهُ أَحْسَمَهُ ذَلِكَ فَتَكَسَّرَ رَأْسُهُ . فَأَقْبَلَ خُرَيْمَةُ وَأَكْبَعَ عَلَى رَأْسِهِ فَصَلَّاهُ .
 فَرَفَعَ عِكْرَمَةَ رَأْسَهُ وَقَالَ : مَا أَعْتَبَ هَذَا مِنْكَ . قَالَ خُرَيْمَةُ : كَرِيمٌ فَعَالِكٌ

وَسُوهُ مُكَافَأَتِي . فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ : يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكَ . ثُمَّ إِنَّ خُرَيْمَةَ
 أَمَرَ بِصُودِهِ أَنْ تُفَكَّ وَأَنْ تُوَضَعَ فِي رَجْلَيْهِ نَفْسِهِ . فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ :
 مَا مُرَادُكَ بِذَلِكَ . قَالَ : مُرَادِي أَنْ يَنَالَنِي مِنَ الضَّرِّ مَا نَالَكَ . فَقَالَ لَهُ
 عِكْرِمَةُ : أَفَسَمُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ أَنْ لَا تَفْعَلَ . وَبَعْدَ ذَلِكَ خَرَجَا جَمِيعًا وَجَاءَا
 إِلَى دَارِ خُرَيْمَةَ فَوَدَّعَهُ عِكْرِمَةُ وَأَرَادَ أَنْ يَصْرَافَ فَلَمْ يُمَكِّنْهُ مِنْ ذَلِكَ .
 ثُمَّ أَمَرَ خُرَيْمَةُ بِالْحَمَامِ فَأُخْلِيَ وَدَخَلَ جَمِيعًا . وَقَامَ خُرَيْمَةُ نَفْسُهُ قَتُولًا
 خِدْمَةَ عِكْرِمَةَ . ثُمَّ خَرَجَ فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَمَلَ إِلَيْهِ مَالًا كَثِيرًا وَسَأَلَهُ أَنْ
 يَسِيرَ مَعَهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَكَانَ يَوْمَئِذٍ مُقِيمًا فِي
 الرَّمْلَةِ . فَسَارَ مَعَهُ حَتَّى قَدِمَا عَلَى سُلَيْمَانَ . فَدَخَلَ الْحَاجِبُ وَأَخْبَرَهُ
 بِمَقْدُومِ خُرَيْمَةَ بْنِ بَشَرَ . فَقَرَأَهُ ذَلِكَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : وَالِي الْجَزِيرَةِ يَقْدُمُ
 عَلَيْنَا بِغَيْرِ أَمْرٍ نَامِعٍ قُرْبِ الْعَهْدِ بِهِ . مَا هَذَا إِلَّا لِحَادِثٍ عَظِيمٍ . فَلَمَّا
 دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : مَا وَرَاءَكَ يَا خُرَيْمَةُ . قَالَ : خَيْرٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ : فَمَا
 أَقْدَمَكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي ظَهَرْتُ بِجَائِرِ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ
 فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُسْرَكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ شَوْفِكَ إِلَى رُؤْيَيْهِ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ .
 قَالَ : عِكْرِمَةُ الْفَيَاضُ . فَأَذِنَ لَهُ فِي الدُّخُولِ فَدَخَلَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ
 فَرَحَّبَ بِهِ وَأَدْنَاهُ مِنْ مَجْلِسِهِ وَقَالَ لَهُ : يَا عِكْرِمَةُ قَدْ كَانَ خَيْرُكَ لَهُ وَبَالَأَ
 عَلَيْكَ . ثُمَّ إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَالَ لَهُ : اكْتُبْ حَوَائِجَكَ وَمَا تَخْتَارُهُ فِي رُقْعَةٍ .
 فَكَتَبَهَا فَضَيَّعَتْ عَلَى أُمِّ وَجْهِهِ . ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ وَأَضَافَ
 لَهُ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ التَّخَفِ وَالظَّرْفِ وَوَلَّاهُ عَلَى الْجَزِيرَةِ وَأَرْمِينِيَّةِ

وَأَذَرِيحَانِ وَقَالَ لَهُ: أَمْرُ خَزْمَةَ بِيَدِكَ إِنْ شِئْتَ أَبْقَيْتَهُ وَإِنْ شِئْتَ
عَزَلْتَهُ. قَالَ: بَلْ أَرُدُّهُ إِلَى عَمَلِهِ مُكْرَمًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ إِنَّهُمَا أَنْصَرَفَا
جَمِيعًا وَلَمْ يَذْأَلَا عَامِلَيْنِ لِسُلَيْمَانَ مُدَّةَ خِلَافَتِهِ (ثمرات الاوراق للحوي)

يزيد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك

٣١٠ قِيلَ إِنَّ الْحُجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ أَخَذَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ
وَعَذَّبَهُ وَأَسْتَأْصَلَهُ وَأَسْتَأْصَلَ مَوْجُودَهُ وَتَبَّحَهُ. فَأَحْتَالَ يَزِيدُ بِحُسْنِ
تَلَطُّفِهِ وَأَرْغَبَ السَّجَّانَ وَأَسْتَأْأَلَهُ. وَهَرَبَ هُوَ وَالسَّجَّانُ وَقَصَدَ الشَّامَ إِلَى
سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ. وَكَانَ الْخَلِيفَةُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ
الْمَلِكِ. فَلَمَّا وَصَلَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَكْرَمَهُ
وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَقَامَ عِنْدَهُ. فَكَتَبَ الْحُجَّاجُ إِلَى الْوَلِيدِ يُعْلِمُهُ أَنَّ يَزِيدَ
هَرَبَ مِنَ السَّجَّانِ وَأَنَّهُ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَوَلِيَّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ. وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَى رَأْيَا. فَكَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى أَخِيهِ
سُلَيْمَانَ بِذَلِكَ. فَكَتَبَ سُلَيْمَانُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَجَرْتُ يَزِيدَ بْنَ
الْمُهَلَّبِ لِأَنَّهُ هُوَ وَآبَاهُ وَإِخْوَتُهُ أَجْبَاءُ لَنَا مِنْ عَهْدِ آبَائِنَا. وَلَمْ أُجِرْ عَدُوًّا
لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَدْ كَانَ الْحُجَّاجُ عَذَّبَهُ وَغَرَّمَهُ دَرَاهِمَ كَثِيرَةً ظُلْمًا.
ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُ بَعْدَهَا مِثْلَ مَا طَلَبَ أَوَّلًا. فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ لَا
يُخْرِجُنِي فِي ضَيْغِي فَلْيَفْعَلْ فَإِنَّهُ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ
إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيَّ يَزِيدَ مُقَيَّدًا مَغْلُولًا. فَلَمَّا وَرَدَ ذَلِكَ عَلَى
سُلَيْمَانَ أَحْضَرَ وَلَدَهُ أَيُّوبَ فَصَيَّدَهُ. ثُمَّ دَعَا يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ وَقَبَّضَهُ.

ثُمَّ شَدَّ قَيْدَهُ هَذَا إِلَى قَيْدِ هَذَا بِسِلْسِلَةٍ وَعَلَهُمَا جَمِيعًا بَيْنَيْنِ وَحَمَاهُمَا إِلَى
 أَخِيهِ الْوَلِيدِ وَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَمَّا بَعْدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ
 يَزِيدَ وَابْنَ أَخِيكَ أَيُّوبَ بْنَ سُلَيْمَانَ . وَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَكُونَ ثَالِثَهُمَا . فَإِنْ
 هَمَمْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَتْلِ يَزِيدَ فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْكَ فَأَبْدَأْ بِقَتْلِ أَيُّوبَ . ثُمَّ
 أَجْعَلْ يَزِيدَ ثَانِيًا . وَأَجْعَلْنِي إِنْ شِئْتَ ثَالِثًا وَالسَّلَامَ . فَلَمَّا دَخَلَ يَزِيدُ
 ابْنَ الْمُهَاجِرِ وَأَيُّوبُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَلَى الْوَلِيدِ وَهَمَا فِي سِلْسِلَةٍ أَطْرَقَ الْوَلِيدُ
 اسْتِحْيَاءً وَقَالَ : لَقَدْ أَسَأْنَا إِلَى أَبِي أَيُّوبَ إِذْ بَلَّغْنَا بِهِ هَذَا الْمَلِيعَ . فَأَخَذَ
 يَزِيدُ يَتَكَلَّمُ وَيَتَحَجَّجُ لِنَفْسِهِ . فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : مَا تَحْتَاجُ مَا تَحْتَاجُ إِلَى
 الْكَلَامِ قَدْ قَبِلْنَا عَذْرَكَ وَعَلِمْنَا ظُلْمَ الْحِجَابِ . ثُمَّ اسْتَخْضَرَ حَدَادًا فَأَزَالَ
 عَنْهُمَا الْحَدِيدَ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا وَوَصَلَ أَيُّوبَ ابْنَ أَخِيهِ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ
 دِرْهَمٍ وَوَصَلَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَاجِرِ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَرَدَّهُمَا إِلَى سُلَيْمَانَ .
 وَكَتَبَ كِتَابًا لِلْحِجَابِ مَضْمُونُهُ : لَا سَبِيلَ لَكَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ الْمُهَاجِرِ فَإِنَّا نَكْ
 أَنْ تُعَاوَدَنِي فِيهِ بَعْدَ الْيَوْمِ . فَسَارَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَاجِرِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ
 الْمَلِكِ . وَأَقَامَ عِنْدَهُ فِي أَعْلَى الْمَرَاتِبِ وَأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ (لِلأَبِشِيهِ)

عفو كريم واحسانه الى من قتل اباه

٣١١ حكي أَنَّهُ لَمَّا أَفْضَتْ الْحِلَافَةُ إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ اخْتَفَتْ مِنْهُمْ
 جَمِيعُ رِجَالِ بَنِي أُمَيَّةَ وَكَانَ مِنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .
 وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ هَذَا رَجُلًا عَالِمًا كَامِلًا أَدِيبًا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ فِي سِنِّ
 الشَّيْبَةِ فَأَخَذُوا لَهُ أَمَانًا مِنْ السَّفَاحِ فَأَعْطَاهُ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَاحُ أَمَانًا

وَأَكْرَمَهُ وَقَالَ لَهُ: أَلَزِمْتُ مَجْلِسِي فَذَاتَ يَوْمٍ قَالَ لَهُ أَبُو الْمُبَاسِ السَّقَّاحُ:
يَا إِبْرَاهِيمُ حَدِّثْنِي عَمَّا رَأَيْتُكَ فِي اسْتِخْفَائِكَ مِنَ الْعَدُوِّ. فَقَالَ سَمِعَا
وَطَلَعَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. كُنْتُ مُخْتَفِيًا فِي الْحَيْرَةِ بِمَنْزِلٍ فِي شَارِعٍ عَلَى
الصُّحُرَاءِ فَبَيْنَمَا كُنْتُ يَوْمًا عَلَى ظَهْرِ ذَلِكَ الْبَيْتِ إِذْ بَصُرْتُ بِأَعْلَامِ
سُودٍ قَدْ خَرَجَتْ مِنَ الْكُوفَةِ تُرِيدُ الْحَيْرَةَ. فَتَخَلَّيْتُ أَنَّهَا تُرِيدُنِي
فَخَرَجْتُ مُسْرِعًا مِنَ الدَّارِ مُتَكِرًّا حَتَّى أَتَيْتُ الْكُوفَةَ وَأَنَا لَا أَعْرِفُ
أَحَدًا أَخْفِي عَنْهُ فَبَقِيتُ فِي حَيْرَةٍ. فَفَظَرْتُ وَإِذَا أَنَا بِبَابٍ كَبِيرٍ
وَاسِعٍ الرَّحْبَةِ قَدْ خَلَّتْ فِيهِ. فَرَأَيْتُ رَجُلًا وَسِيمًا حَسَنَ الْهَيْئَةِ مُقْبِلًا
عَلَى الرَّحْبَةِ وَمَعَهُ أَتْبَاعُهُ فَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَأَلْقَتْ فَرَأَانِي فَقَالَ لِي: مَنْ
أَنْتَ وَمَا حَاجَتُكَ. فَقُلْتُ رَجُلٌ خَافُ عَلَى دَمِهِ وَجَاءَ لِيَسْتَجِيرُ فِي
مَنْزِلِكَ. فَأَدْخَلَنِي مَنْزِلَهُ وَصَيَّرَنِي فِي حُجْرَةٍ تَلِي حَرَمَهُ وَكُنْتُ عِنْدَهُ فِي
كُلِّ مَا أَحْبَبْتُ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَلِبَاسٍ وَهُوَ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ مِنْ
حَالِي. إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَرْكَبُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الْفَجْرِ وَيَمْضِي وَلَا يَرْجِعُ إِلَّا
قَرِيبَ الظُّهْرِ. فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا: أَرَأَيْكَ تُدْمِنُ الرُّكُوبَ كُلَّ يَوْمٍ قَرِيبَ
ذَلِكَ. فَقَالَ لِي: إِنْ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ كَانَ قَدْ قَتَلَ أَبِي
ظُلْمًا وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ مُخْتَفٍ فِي الْحَيْرَةِ فَأَنَا أَطْلُبُهُ يَوْمًا لَعَلِّي أَجِدُهُ
وَأُذِرُكَ مِنْهُ ثَارِي قَالَ: فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَثُرَ
تَعَجُّبِي وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: إِنَّ الْقَدَرَ سَاقَنِي إِلَى حَنْفِي فِي مَنْزِلٍ مَنْ يَطْلُبُ
دَمِي. فَوَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي كَرِهْتُ الْحَيَاةَ: ثُمَّ إِنِّي سَأَلْتُ الرَّجُلَ

عَنْ أَنَسٍ وَأَنَسَ أَبِيهِ فَأَخْبَرَنِي فَعَلِمْتُ أَنَّ كَلَامَهُ حَقٌّ وَأَنِّي أَنَا الَّذِي
 قَتَلَ أَبَاهُ . قُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا إِنَّهُ قَدْ وَجَبَ عَلَيَّ حُكُّكَ وَلِمَعْرِوْفِكَ لِي
 يَلْزُمَنِي أَنْ أَدُلَّكَ عَلَى خَصْمِكَ الَّذِي قَتَلَ أَبَاكَ وَأَقْرَبَ عَلَيْكَ
 الْخُطْوَةَ . فَقَالَ : وَمَا ذَاكَ . قُلْتُ لَهُ : أَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَنَا قَاتِلُ
 أَبِيكَ فَخُذْ بِنَارِكَ . فَبَسَمَ مِنِّي وَقَالَ : هَلْ أَصْبَحْتَ الْإِخْتِفَاءَ وَالْبُعْدَ عَنْ
 مَنْزِلِكَ وَأَهْلِكَ فَأَحْبَبْتَ الْمَوْتَ . قُلْتُ : لَا وَاللَّهِ وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكَ
 الْحَقَّ وَإِنِّي قَتَلْتُهُ فِي يَوْمٍ كَذَا مِنْ أَجْلِ كَذَا . فَلَمَّا سَمِعَ الرَّجُلُ كَلَامِي
 هَذَا وَعَلِمَ صِدْقِي تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَاحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ فَكَّرَ طَوِيلًا وَأَلْتَمَسَ إِلَيَّ
 وَقَالَ : أَمَّا أَنْتَ فَسَوْفَ تَلْقَى أَبِي عِنْدَ حَاكِمٍ عَادِلٍ فَيَأْخُذُ بِثَارِهِ مِنْكَ
 وَأَمَّا أَنَا فَلَا أَخْصِرُ ذِمَّتِي وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَنْ تُخْرِجَ عَنِّي فَإِنِّي لَسْتُ أَمْنُ
 عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِي . ثُمَّ إِنَّهُ أَعْطَانِي أَلْفَ دِينَارٍ فَأَبَيْتُ أَخْذَهَا
 وَأَنْصَرَفْتُ عَنْهُ . فَهَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَكْرَمُ رَجُلٍ رَأَيْتُهُ وَسَمِعْتُ عَنْهُ فِي
 عُمْرِي بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

(للا تليدي)

جود معن بن زائدة

٣١٢ حُكِيَ عَنْ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ أَنَّ شَاعِرًا مِنْ الشُّعْرَاءِ قَصَدَهُ فَأَقَامَ
 مَدَّةً يُرِيدُ الدُّخُولَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَتَّهَبْ لَهُ ذَلِكَ . فَلَمَّا أَعْيَاهُ الْأَمْرُ سَأَلَ
 بَعْضَ خَدَمِهِ وَقَالَ لَهُ : أَرَجُوكَ إِذَا دَخَلَ الْأَمِيرُ إِلَى الْبُسْتَانِ أَنْ تُعْرِفَنِي
 فَلَمَّا دَخَلَ مَعْنٌ إِلَى بُسْتَانِهِ لَيْسَ تَزَرُّهُ جَاءَ الْحَادِثُ وَأَخْبَرَ الشَّاعِرَ فَكَتَبَ
 الشَّاعِرُ بَيْتًا مِنَ الشِّعْرِ عَلَى خَشَبَةٍ وَأَلْقَاهَا فِي الْمَاءِ الْجَارِي إِلَى دَاخِلِ

الْبُسْتَانِ . فَاتَّفَقَ أَنَّ مَعْنَا كَانَ جَالِسًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عَلَى جَانِبِ الْمَاءِ
فَمَرَّتْ عَلَيْهِ الْحَشْبَةُ فَنَظَرَ فِيهَا كِتَابَةً . فَأَخَذَهَا وَقَرَأَهَا فَوَجَدَ فِيهَا :
أَيَا جُودَ مَعْنٍ تَاجَ مَعْنًا بِحَاجَتِي فَمَآلِي إِلَى مَعْنٍ سِوَالِكَ سَبِيلُ
فَلَمَّا قَرَأَهَا مَعْنٌ قَالَ لِخَادِمِهِ : أَحْضِرِ الرَّجُلَ صَاحِبَ هَذِهِ الْكِتَابَةِ . فَخَرَجَ
وَجَاءَ بِهِ فَقَالَ لَهُ : مَاذَا كُتِبَتْ . فَأَنشَدَهُ أَلَيْتَ فَلَمَّا تَحَقَّقَهُ أَمَرَهُ
بِأَلْفِ دِرْهَمٍ . ثُمَّ إِنَّ مَعْنًا وَضَعَ تِلْكَ الْحَشْبَةَ تَحْتَ الْبَسَاطِ مَكَانَ
جُلُوسِهِ . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّانِي جَاءَ فَجَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ فَالْتَمَتُهُ الْحَشْبَةُ
فَقَامَ لِيَنْظُرَ مَا أَلَمَهُ فَرَأَى الْحَشْبَةَ فَأَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ يَدْعُو الرَّجُلَ . فَمَضَى
وَجَاءَ بِهِ فَأَمَرَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ثَانِيَةً . ثُمَّ إِنَّهُ فِي الثَّلَاثِ خَرَجَ إِلَى
مَجْلِسِهِ فَالْتَمَتُهُ الْحَشْبَةُ فَدَعَا الشَّاعِرَ وَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ أَيْضًا . فَلَمَّا
رَأَى الشَّاعِرُ هَذَا الْأَمْعَاءَ الزَّائِدَ لِأَجْلِ بَيْتٍ وَاحِدٍ مِنَ الشِّعْرِ خَافَ
أَنْ مَعْنًا يَرَاكِبُهُ عَقْلُهُ وَيَأْخُذَ أَلْمَالَ مِنْهُ فَهَرَبَ . ثُمَّ إِنَّ مَعْنًا خَرَجَ إِلَى
مَجْلِسِهِ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ فَالْتَمَتُهُ فَخَطَرَ الشَّاعِرُ بِإِلَالِهِ فَأَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ
يُخْضِرَهُ وَيُعْطِيَهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَمَضَى الْخَادِمُ وَسَالَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُ
سَاقِرٌ . فَرَجَعَ وَأَخْبَرَ مَوْلَاهُ . فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّهُ سَاقِرٌ اغْتَمَّ جَدًّا وَقَالَ : وَدِدْتُ
وَأَلَّهُ لَوْ أَنَّهُ مَكَثَ وَأَعْطَيْتُهُ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفًا حَتَّى لَا يَبْقَى فِي بَيْتِي دِرْهَمٌ

ابراهيم الموصلي والمهدي

٣١٣ حَدَّثَ اِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِيُّ قَالَ : كَانَ الْمَهْدِيُّ لَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ
فَارَادَنِي عَلَى مَلَازِمَتِهِ وَتَزَكِّي الشَّرْبِ فَضَرَبَنِي وَجَبَسَنِي . ثُمَّ دَعَانِي

يَوْمًا فَمَا تَبَنِي عَلَى شُرْبِي الْخَمْرِ فِي مَنَازِلِ النَّاسِ وَقَالَ : لَا تَدْخُلْ عَلَى
 مُوسَى وَهَارُونَ الْبَنَةِ . وَلَئِنْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمَا لَا فَعْلَنَ بِكَ وَلَا صَنَعَنَ .
 قُلْتُ : نَعَمْ . ثُمَّ بَلَغَهُ أَنِّي دَخَلْتُ عَلَيْهِمَا فِي زُجْجَةٍ لَهُمَا . فَسُيَّ بِمَا وَبِي
 إِلَى الْمُهْدِيِّ . فَدَعَانِي فَسَأَلَنِي فَأَنْكَرْتُ . فَأَمَرَنِي فَجَرَدْتُ فَضَرَبْتُ
 ثَلَاثِينَ وَسِتِّينَ سَوْطًا . قُلْتُ لَهُ وَهُوَ يَضْرِبُنِي : إِنْ جُرِمِي لَيْسَ مِنْ
 الْأَجْرَامِ الَّتِي يَجِلُّ لَكَ بِهَا سَفْكُ دَمِي . فَلَمَّا قُلْتُ لَهُ هَذَا : ضَرَبَنِي
 بِالسَّيْفِ فِي جَنْبِهِ فَشَجَنِي بِهِ وَسَقَطْتُ مَغْشِيًّا عَلَى سَاعَةٍ . ثُمَّ فَتَحْتُ
 عَيْنِي فَوَقَعْتُ عَلَى عَيْنِي الْمُهْدِيِّ . فَرَأَيْتُهُمَا عَيْنِي نَادِمًا . وَقَالَ لِابْنِ مَالِكٍ :
 خُذْهُ إِلَيْكَ . قَالَ : فَأَخْرَجَنِي إِلَى دَارِهِ وَأَنَا أَرَى الدُّنْيَا فِي عَيْنِي صَفْرَاءَ
 وَخَضْرَاءَ مِنْ حَرِّ السَّوْطِ . وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَّخِذَ لِي شَدِيدًا بِالْقَبْرِ قِصِيرًا فِي
 فِيهِ . فَدَعَا بِكَبْشٍ وَسَلَحَهُ . فَأَلْبَسَنِي جِلْدَهُ لِيَسْكُنَ الضَّرْبَ . وَدَفَعَنِي
 إِلَى خَادِمَةٍ لَهُ قِصِيرَتِي فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ . فَتَأَذَّتْ بِالْتِّزِّ وَبِالْبَقِّ فِي ذَلِكَ
 الْقَبْرِ . وَكَانَ فِيهِ خَلَاءٌ أَسْتَرِجُ إِلَيْهِ قُلْتُ لِلْأَمَةِ : أَطْلُبِي لِي أَجْرَةً عَلَيْهَا
 فَحُمٌ وَكُنْدُرٌ يَنْهَبُ عَنِّي هَذَا الْبَقَّ . فَأَتَنِي بِذَلِكَ . فَلَمَّا دَخَلْتُ أَظْلَمَ
 الْقَبْرُ عَلَيَّ وَكَادَتْ نَفْسِي تَخْرُجُ مِنَ الْهَمِّ . فَاسْتَرَحْتُ مِنْ أَذَاهُ إِلَى التِّزِّ
 فَأَلْصَقْتُ بِهِ أَنْفِي حَتَّى جَفَّ الدُّخَانُ . فَلَمَّا ظَنَنْتُ أَنِّي قَدْ اسْتَرَحْتُ مِمَّا
 كُنْتُ فِيهِ إِذَا حَيَاتَانِ مُقْبِلَتَانِ تَحْوِي مِنْ شِقِّ الْقَبْرِ تَدُورَانِ حَوْلِي
 بِخَفِيفٍ شَدِيدٍ . فَهَبْتُ أَنْ أَخُذَ وَاحِدَةً بِيَدِي الْيُمْنَى وَالْأُخْرَى
 بِيَدِي الْيُسْرَى فَأَمَّا عَلَيَّ وَإِمَّا لِي . ثُمَّ كَفَفْتُهُمَا فَدَخَلَتَا مِنَ الثَّقَبِ الَّذِي

خَرَجْنَا مِنْهُ . فَمَكَّنْتُ فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ مَا شَاءَ اللَّهُ وَقُلْتُ فِي الْحَبْسِ :
 أَلَا طَالَ لَيْلِي أُرَاعِي النُّجُومَ أَعَالِجُ فِي السَّاقِ كِبَالًا ثَقِيلًا
 بَدَارِ الْهُوَانِ وَشَرِّ الدِّيَارِ أَسَامُ بِهَا الْخَسْفَ صَبْرًا جَمِيلًا
 كَثِيرُ الْأَخْلَاءِ عِنْدَ الرَّخَاءِ فَلَمَّا حُبِسْتُ أَرَاهُمْ قَلِيلًا
 لَطُولِ بَلَاءِي مَلَّ الصَّدِيقُ فَلَا يَأْمَنُ خَلِيلُ خَلِيلًا
 ثُمَّ أَخْرَجَنِي الْمُهْدِي وَأَخْلَفَنِي (وَكُلُّ يَمِينٍ لَا فِسْحَةَ لِي فِيهَا) أَنْ لَا
 أَدْخُلَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ أَبَدًا وَلَا أَعْنِيَهُمَا وَخَلَّى سَبِيلِي . (الافغاني)

المرأة المتظلمة وابن المأمون

٣١٤ حَدَّثَ الشَّيْبَانِيُّ قَالَ : جَلَسَ الْمَأْمُونُ يَوْمًا لِلْمَظَالِمِ . فَكَانَ
 آخِرُ مَنْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَقَدَّهَمَ بِالْقِيَامِ أَمْرَاءٌ عَلَيْهَا هَيْبَةُ السَّفَرِ وَعَلَيْهَا
 ثِيَابُ رَثَّةٍ . فَوَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَتْ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . فَنَظَرَ الْمَأْمُونُ إِلَى يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ فَقَالَ لَهَا يَحْيَى :
 وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أُمَّةَ اللَّهِ تَكَلَّمِي فِي حَاجَتِكَ . فَقَالَتْ :

يَا خَيْرَ مُنْتَصِفٍ يُهْدِي لَهُ الرِّشْدُ وَيَا إِمَامًا بِهِ قَدْ أَشْرَقَ الْبَلَدُ
 نَشْكُو إِلَيْكَ عَمِيدَ الْقَوْمِ أَرْمَلَةً عَدَا عَلَيْهَا فَلَمْ يُتْرَكْ لَهَا سَبَدُ
 وَأَبْتَرُ مِنِّي ضِيَاعِي بَعْدَ مَنَعَتِهَا ظُلْمًا وَفَرَّقَ مِنِّي الْأَهْلَ وَالْوَلَدُ
 فَاطْرَقَ الْمَأْمُونُ حِينَئِذٍ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا وَهُوَ يَقُولُ :

فِي دُونَ مَا قُلْتَ زَالَ الصَّبْرُ وَالْجَلْدُ عَنِّي وَفَرِحَ مِنِّي الْقَلْبُ وَالْكَبِدُ
 هَذَا أَذَانُ صَلَاةِ الْعَصْرِ فَأَنْصَرِفِي وَأَحْضِرِي الْخُصْمَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَعِدُّ

وَالْجُلُوسُ السَّبْتُ إِنْ يُقَضَّ الْجُلُوسُ لَنَا تُنْصَفُكَ مِنْهُ وَإِلَّا اُتُجِلَّسُ الْأَحَدُ
 قَلَمًا كَانَ الْيَوْمُ الْأَحَدُ جَلَسَ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تِلْكَ
 الْمَرْأَةُ . فَقَالَتْ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .
 فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ أَيْنَ الْخُصْمُ . فَقَالَتْ : الْوَأِيفُ عَلَى رَأْسِكَ
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَأَوَمَّتْ إِلَى الْعَبَّاسِ ابْنِهِ . فَقَالَ : يَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ
 خُذْ يَدَيْهِ فَأَجْلِسْهُ مَعَهَا تَجْلِسَ الْخُصُومِ . فَجَعَلَ كَلَامًا يَتْلُو كَلَامَ الْعَبَّاسِ
 فَقَالَ لَهَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ : يَا أُمَّةَ اللَّهِ إِنَّكَ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .
 وَإِنَّكَ تُكَلِّمِينَ الْأَمِيرَ فَأَخْفِضِي مِنْ صَوْتِكَ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : دَعِمَا
 يَا أَحْمَدُ فَإِنَّ الْحَقَّ أَنْطَقَهَا وَأَخْرَسَهُ . ثُمَّ قَضَى لَهَا بِرَدِّ صَیْغَتِهَا إِلَيْهَا . وَظَاهَرَ
 الْعَبَّاسُ بِظُلْمِهِ لَهَا . وَأَمَرَ بِالْكِتَابِ لَهَا إِلَى الْعَامِلِ بِلَدِهَا أَنْ يُوغِرَ لَهَا
 صَیْغَتَهَا وَيُحْسِنَ مُعَاوَنَتَهَا وَأَمَرَ لَهَا بِفَقَّةٍ

(لَا بَنَ عَبْدِ رَبِّهِ)

الْمَرْأَةُ الْكُرْمِيَّةُ

٣١٥ حُكِيَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ كَانَ مِنْ أَكْبَارِ الْأَجَوَادِ الْكَرَامِ
 فَتَزَلَّ مَنْزِلًا . وَكَانَ مُنْصَرِّفًا مِنَ الشَّامِ إِلَى الْحِجَازِ . فَطَلَبَ مِنْ غُلَامَانِهِ
 طَعَامًا فَلَمْ يَجِدُوا . فَقَالَ لَوَيْكِيْلِهِ : أَذْهَبَ فِي هَذِهِ الْبَرِّيَّةِ فَلَعَلَّكَ تَجِدُ
 رَاعِيًا أَوْ حَيًّا فِيهِ لَبَنٌ أَوْ طَعَامٌ . فَمَضَى بِالْغُلَامَانِ فَوَقَعَا عَلَى تَجْوِزٍ فِي حَيٍّ .
 فَقَالُوا لَهَا : عِنْدَكَ طَعَامٌ نَبَاتَعُهُ . قَالَتْ : أَمَا طَعَامُ الْبَيْعَةِ فَلَا وَلَكِنْ عِنْدِي
 مَا بِهِ حَاجَةٌ لِي وَلَا بَنَانِي . قَالُوا : فَأَيْنَ بَسُوكِ . قَالَتْ : فِي رِغْيٍ لَهُمْ
 وَهَذَا أَوَانُ أَوْتِيهِمْ . قَالُوا : فَمَا أَعَدَدْتَ لَكَ وَلَهُمْ قَالَتْ : خُبْزَةٌ تَحْتَ

مَلَيْهَا . قَالُوا : وَمَا هُوَ غَيْرُ ذَلِكَ . قَالَتْ : لَأَشِيءُ . قَالُوا : فَجُودِي لَنَا
بِشَطْرِهَا . فَقَالَتْ : أَمَّا الشَّطْرُ فَلَا أَجُودُ بِهِ وَأَمَّا الْكُلُّ فَخُذُوهُ . فَقَالُوا
لَهَا : تَتَّبِعِينَ التَّصَفَّ وَتُجُودِينَ بِالْكُلِّ . فَقَالَتْ : نَعَمْ لِأَنَّ إعْطَاءَ
الشَّطْرِ نَقِصَةٌ . وَإِعْطَاءُ الْكُلِّ كَمَالٌ وَفَضِيلَةٌ . فَأَنَا أَمْنَعُ مَا يَضَعُنِي
وَأَمْنَعُ مَا يَرْقُنِي . فَأَخَذُوهَا وَلَمْ تَسْأَلْهُمْ مِنْ هُمْ وَلَا مِنْ أَيْنَ جَاءُوا . فَلَمَّا
جَاءُوا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ وَأَخْبَرُوهُ بِخَبَرِهَا عَجِبَ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ قَالَ لَهُمْ :
أَهْلُوهَا إِلَى السَّاعَةِ فَارْجِعُوا إِلَيْهَا . وَقَالُوا لَهَا : أَنْطَلِقِي مَعَنَا إِلَى صَاحِبِنَا
فَأَنَّهُ يُرِيدُكَ . فَقَالَتْ : وَمَنْ صَاحِبُكُمْ . قَالُوا : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ . قَالَتْ :
وَأَيُّكُمْ هَذَا هُوَ الشَّرَفُ الْعَالِي وَذِرْوَةُ الرَّفِيعَةِ . وَمَاذَا يُرِيدُ مِنِّي .
قَالُوا : مَكَأَفَاتُكَ وَبِرِّكَ . فَقَالَتْ : آوَاهُ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَا فَعَلْتَ مَعْرُوفًا
مَا أَخَذْتَ لَهُ بَدَلًا . فَكَيْفَ وَهُوَ شَيْءٌ يَجِبُ عَلَى الْخَلْقِ أَنْ يُشَارِكَ فِيهِ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا . فَلَمْ يَزَالُوا بِهَا إِلَى أَنْ أَخَذُوهَا إِلَيْهِ . فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ
سَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهَا السَّلَامَ . وَقَرَّبَ مَجْلِسَهَا ثُمَّ قَالَ لَهَا : يَمُنُّ أَنْتِ .
قَالَتْ : مِنْ بَنِي كَلْبٍ . قَالَ : فَكَيْفَ حَالُكَ . قَالَتْ : أَنَسَرُ الْإِسِيرَ
وَأَهْجَعُ أَكْثَرَ اللَّيْلِ وَأَرَى قُرَّةَ الْعَيْنِ فِي شَيْءٍ . فَلَمْ يَكُ مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ
إِلَّا وَقَدْ وَجَدْتُهُ . قَالَ : فَمَا أَذْخَرْتَ لِنَفْسِكَ إِذَا حَضَرُوا . قَالَتْ :

أَذْخَرُ لَهُمْ مَا قَالَهُ حَاتِمٌ طَيِّ حَيْثُ قَالَ :

وَلَقَدْ أَبْنَيْتُ عَلَى الطَّوَى وَأَظْلَهُ حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَأْثَلِ
فَارْتَدَّ عَبْدُ اللَّهِ مِنْهَا تَعَجُّبًا . ثُمَّ قَالَ لَهَا : لَوْ جَاءَ بَنُوكَ وَهُمْ جِيَاعٌ مَا

نَفْسِي : مَلِكٌ لَا يَصْفَعُ إِلَّا لِشَيْءٍ لَّيِّنٍ خَفِيفٍ . وَأَلْتَفْتُ فَإِذَا بِجِرَابٍ مِنْ
أَدَمٍ مُعَلَّقٍ فِي زَاوِيَةِ أَلَيْتٍ . قُلْتُ : مَا أَخْطَأُ ظَنِّي عَسَى فِيهِ رَيْجٌ .
إِنْ أَضْحَكُنِي رَجَحْتُ وَأَخَذْتُ الْجَائِزَةَ وَإِلَّا فَعَسْرُ صَفْعَاتٍ بِجِرَابٍ
مَنْفُوحٍ شَيْءٌ هَيْنٌ . ثُمَّ أَخَذْتُ فِي النَّوَادِرِ وَالْحِكَايَاتِ وَالنَّمَاشَةِ
وَالْعِمَارَةِ . فَلَمْ أَدْعِ حِكَايَةَ أَعْرَابِيٍّ وَلَا تَحْوِيٍّ وَلَا مُخْشٍ وَلَا فَاضٍ وَلَا
نَبْطِيٍّ وَلَا سِنْدِيٍّ وَلَا رَنْجِيٍّ وَلَا خَادِمٍ وَلَا تَرْكِيٍّ وَلَا شَاطِرٍ وَلَا عِيَّارٍ
وَلَا نَادِرَةٍ وَلَا حِكَايَةَ إِلَّا وَأَحْضَرْتُهَا حَتَّى نَفَدَ كُلُّ مَا عِنْدِي وَتَصَدَّعَ
رَأْسِي . وَقَرَّتْ وَبَرَدَتْ وَلَمْ يَبْقَ وَرَائِي خَادِمٌ وَلَا غُلَامٌ إِلَّا وَقَدْ مَاتُوا
مِنْ الصَّحْكِ . وَهُوَ مُقْطَبٌ لَا يَتَبَسَّمُ . قُلْتُ : قَدْ نَفَدَ مَا عِنْدِي وَوَاللَّهِ
مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ قَطُّ . فَقَالَ لِي : هِيَ مَا عِنْدَكَ . قُلْتُ مَا بَقِيَ لِي سِوَى
نَادِرَةٍ وَاحِدَةٍ . قَالَ : هَاتِيهَا . قُلْتُ : وَعَدْتَنِي أَنْ تُجْعَلَ جَائِزَتِي عَشْرَ
صَفْعَاتٍ وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُضَعِّفَهَا لِي وَتُضِيفَ إِلَيْهَا عَشْرَ صَفْعَاتٍ أُخْرَى .
فَأَرَادَ أَنْ يَضْحَكَ ثُمَّ تَمَسَّكَ وَقَالَ : نَفْعٌ . يَا غُلَامُ خُذْ بِيَدِهِ . ثُمَّ مَدَدَتْ
ظَهْرِي فَضَفَعْتُ بِالْجِرَابِ صَفْعَةً فَكَأَنَّمَا سَقَطَتْ عَلَيَّ قِطْعَةٌ مِنْ جَبَلٍ .
وَإِذَا هُوَ يَمْلَأُ حَصَاً مُدَوَّرًا فَضَفَعْتُ عَشْرًا فَكَادَتْ أَنْ تَفْصِلَ رَقَبَتِي
وَطَلَّتْ أُذُنَايَ وَانْقَدَحَ الشَّمَاعُ مِنْ عَيْنِي . فَصَحْتُ : يَا سَيِّدِي تَهْنِئَةٌ .
فَرَفَعَ الصَّعْغَ بَعْدَ أَنْ عَزَمَ عَلَى الْعَشْرِينَ . فَقَالَ : قُلْ تَهْنِئَتَكَ . قُلْتُ :
يَا سَيِّدِي إِنَّهُ لَيْسَ فِي الدِّيَانَةِ أَحْسَنُ مِنَ الْأَمَانَةِ وَأَفْجَعُ مِنَ الْحَيَاةِ .
وَقَدْ صَنَعْتُ لِلْخَادِمِ الَّذِي أَدْخَلَنِي نِصْفَ الْجَائِزَةِ عَلَى قُلُوبِهَا وَكُفْرِهَا .

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ قَدْ أَضَعَهَا . وَقَدْ اسْتَوْفَيْتُ نِصْفِي وَبَقِيَ
نِصْفُهُ . فَصَحَّحْتُ حَتَّى اسْتَلَقْتُ وَأَسْتَفْزَهُ مَا كَانَ سَمِيعًا . فَتَحَامَلُ لَهُ فَمَا زَالَ
يَضْرِبُ يَدَيْهِ الْأَرْضَ وَيَتَحَصُّ بِرِجْلَيْهِ وَيَمْسِكُ بِمِرَاقِي بَطْنِهِ حَتَّى إِذَا
سَكَنَ قَالَ : عَلَيَّ بِهِ فَأَتِي بِهِ وَأَمَرَ بِصَفْعِهِ وَكَانَ طَوِيلًا . فَقَالَ : وَمَا
جَنَانِي . فَقُلْتُ لَهُ : هَذِهِ جَانِزَتِي وَأَنْتَ شَرِيكِي فِيهَا . وَقَدْ اسْتَوْفَيْتُ
نِصْفِي مِنْهَا وَبَقِيَ نِصْفِيكَ . فَلَمَّا أَخَذَهُ الصَّفْعُ وَطَرَقَ فُتَاهُ الْوَقْعُ أَقْبَلْتُ
الْوَمَةَ وَأَقُولُ لَهُ : قُلْتُ لَكَ إِنِّي ضَعِيفٌ مُعِيلٌ وَشَكُوتُ إِلَيْكَ الْحَاجَّةُ
وَالْمُسْكَنَةُ وَأَقُولُ لَكَ : خُذْ رُبْعَهَا أَوْ سُدُسَهَا وَأَنْتَ تَقُولُ لَا أَخْذُ
إِلَّا نِصْفَهَا . وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءَهُ جَانِزَتُهُ
الصَّفْعُ وَهَبْتُهَا لَكَ كُلَّهَا . فَعَادَ إِلَى الصَّحْحِ مِنْ عِتَابِي لِلْعَادِمِ . فَلَمَّا
اسْتَوْفَى نِصْفِيهِ أَخْرَجَ صُرَّةً فِيهَا خَمْسِمِائَةُ دِرْهَمٍ . وَقَالَ : هَذِهِ كُنْتُ
أَعْدَدْتُهَا لَكَ فَلَمْ يَدَعْكَ فُضُولُكَ حَتَّى أَحْضَرْتَ شَرِيكَاً لَكَ . فَقُلْتُ :
وَأَيْنَ الْأَمَانَةُ . فَخَسَمَتُمَا بَيْنَنَا وَانْصَرَفْتُ (للشريشي)

إبراهيم الموصلي وإبراهيم المهدي عند الرشيد

٣٢٣ قَالَ الرَّشِيدُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ وَإِبْرَاهِيمَ الْوَصِيلِيِّ وَأَبْنِ
جَامِعٍ : بَاكِرُونِي غَدًا وَلَيْكُنْ كُلُّ وَاحِدٍ قَدْ قَالَ شِعْرًا إِنْ كَانَ يَقْدِرُ
أَنْ يَقُولَهُ وَغَنَى فِيهِ لَحْنًا . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَاعِرًا غَنَى فِي شِعْرِ غَيْرِهِ . قَالَ
إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِيِّ : هَمُوتُ فِي السَّحْرِ وَجَعَدْتُ أَنْ أَقْدِرَ عَلَى شَيْءٍ
أَصْنَعُهُ فَلَمْ يَتَّقِنِ لِي . فَلَمَّا خَفْتُ طُلُوعَ الْفَجْرِ دَعَوْتُ يَهْلُمَانِي وَقُلْتُ لَهُمَا :

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمْضِيَ إِلَى مَوْضِعٍ لَا يَشْعُرُنِي أَحَدٌ حَتَّى أَصِيرَ إِلَيْهِ .
وَكُنُوا فِي زِينَتٍ لِي يَبْتَغُوا فِيهَا عَلَى بَابِ دَارِي . فَهَمَّتْ فَرَكِبَتْ
فِي إِحْدَاهَا وَقَصَدَتْ دَارَ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِي . وَكَانَ قَدْ حَدَّثَنِي أَنَّهُ إِذَا
أَرَادَ الصَّنْعَةَ لَمْ يَنْمَ حَتَّى يُدِيرَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَاعْتَمَدَ عَلَى خَشَبَةٍ لَهُ فَلَمْ
يَذَلْ يَفْرَعُ عَلَيْهَا حَتَّى يَفْرَغَ مِنَ الصَّوْتِ وَيَرْسُخَ فِي قَلْبِهِ . فَجَثَّتْ حَتَّى
وَقَعَتْ تَحْتَ دَارِهِ فَإِذَا هُوَ يَرُدُّ صَوْتًا أَعَدَّهُ . فَأَزَلَتْ وَإِقْفًا أَسْمِعُ مِنْهُ
الصَّوْتَ حَتَّى أَخَذَتْهُ . ثُمَّ عَدَوْنَا إِلَى الرَّشِيدِ فَلَمَّا جَلَسْنَا لِلشَّرْبِ خَرَجَ
الْخَادِمُ إِلَيَّ فَقَالَ : يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَا أَبْنُ أُمِّ غَنِي . فَأَنْدَقْتُ
فَقَعَيْتُ هَذَا الصَّوْتِ وَالْمُوصِلِي فِي الْمَوْتِ حَتَّى قَرَعْتُ مِنْهُ . فَشَرِبَ عَلَيْهِ
وَأَمَرَ لِي بِسَلَاثِمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ . فَوُتِبَ إِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِي فَخَلَفَ
بِالطَّلَاقِ وَحَيَاةِ الرَّشِيدِ أَنْ الشَّرَّ لَهُ قَالَهُ الْبَارِحَةُ وَغَنَى فِيهِ . مَا سَبَقَهُ
إِلَيْهِ أَحَدٌ . فَقَالَ ابْنُ الْمُهْدِيِّ : يَا سَيِّدِي فَمَنْ أَيْنَ هُوَ لِي أَنَا لَوْلَا كَذِبُهُ
وَبَهْتُهُ . وَإِبْرَاهِيمُ يَضْطَرُّ وَيَضْجُ . فَلَمَّا قَضَيْتُ أَرْبَابًا مِنَ الْعَبَثِ بِهِ قُلْتُ
لِلرَّشِيدِ : الْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يَتَّبَعَ وَصْدَقْتُهِ . فَقَالَ لِلْمُوصِلِي : أَمَّا أَخِي
فَقَدْ أَخَذَ أَمْوَالًا وَلَا سَبِيلَ إِلَى رَدِّهِ . وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ
عَوَضًا مِمَّا جَرَى عَلَيْهِ . فَأَمَرَ لَهُ بِهَا فَحُمِلَتْ إِلَيْهِ

(الآغا)

٣٢٤ ذَكَرَ الْمُبْرَدُ أَنَّ الْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ قَالَ يَوْمًا وَقَدْ اشْتَدَّتْ
الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَوَارِجِ لِأَبِي عَلْقَمَةَ التَّيْمَدِيِّ : أَمِدْنَا بِخَيْلِ
التَّيْمَدِيِّ . وَقَالَ لَهُمْ : أَعِيرُونَا جَمَاعَكُمْ سَاعَةً . فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّا

جَاهِهِمْ لَيْسَتْ بِفَخَّارٍ فَعَمَارَ . وَأَعْنَاهُمْ لَيْسَتْ بِكَرَّاثٍ فَتَبَّتْ . وَقَالَ :
يَقُولُ لِي الْأَمِيرُ بَغِيرُ جُرْمٍ . تَقْدَمُ حِينَ جَدَّ بِنَا الْمِرَاسُ
فَمَا لِي إِنْ أَطَعْتُكَ مِنْ حَيَاةٍ . وَمَا لِي غَيْرَ هَذَا الرَّاسِ رَاسُ
ثَقِيلٍ وَظَرِيفٍ

٣٢٥ أَهْدَى رَجُلٌ مِنَ الثَّقَلَاءِ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الظُّرَفَاءِ جَلًّا ثُمَّ نَزَلَ
عَلَيْهِ حَتَّى أَرَمَهُ . فَقَالَ فِيهِ :

يَا مُبْرِمًا أَهْدَى جَلًّا	خُذْ وَأَنْصَرِفْ أَلْقِي جَلًّا
قَالَ وَمَا أَوْقَارُهَا	قُلْتُ زَيْبٌ وَعَسَلٌ
قَالَ وَمَنْ يَقُودُهَا	قُلْتُ لَهُ أَلْفَا رَجُلٌ
قَالَ وَمَنْ يَسُوقُهَا	قُلْتُ لَهُ أَلْفَا بَطْلَانٌ
قَالَ وَمَا لِبَاسُهُمْ	قُلْتُ حُلِيٌّ وَحُلْدَانٌ
قَالَ وَمَا سِلَاحُهُمْ	قُلْتُ سُيُوفٌ وَأَسَلٌ
قَالَ عَيْدٌ لِي إِذَا	قُلْتُ نَعَمْ ثُمَّ خَوْلٌ
قَالَ بِهَذَا فَاصْتُبُوا	إِذْنًا عَلَيْكُمْ لِي سَيْحِلٌ
قُلْتُ لَهُ أَلْقِي سَيْحِلٌ	فَاصْطِنِ لَنَا أَنْ تَرْتَحِلَ
قَالَ وَقَدْ أَضْجَرْتُكُمْ	قُلْتُ أَجَلٌ ثُمَّ أَجَلٌ
قَالَ وَقَدْ أَرَمْتُكُمْ	قُلْتُ لَهُ الْأَمْرُ جَلَلٌ
قَالَ وَقَدْ أَثْقَلْتُكُمْ	قُلْتُ لَهُ فَوْقَ الثَّقَلِ
قَالَ فَإِنِّي رَاحِلٌ	قُلْتُ أَلْعَجَلُ ثُمَّ أَلْعَجَلُ

يَا كَوَّكَبَ الشُّومِ وَمَنْ أَرَبَى عَلَى تَحْصِرِ رُحْلٍ
يَا جَبَلًا مِنْ جَبَلٍ فِي جَبَلٍ فَوْقَ جَبَلٍ
(لابن عبد ربه)

سنان بن ثابت والطبيب القروي

٣٢٦ مِنْ ظَرِيفٍ مَا جَرَى لِسَانُ بِنِ ثَابِتٍ فِي الطَّبِّ فِي امْتِحَانِ
الْأَطِبَاءِ عِنْدَ تَقَدُّمِ الْخَلِيفَةِ إِلَيْهِ بِذَلِكَ أَنَّهُ أَحْضَرَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مَلِجٌ
الْبَشَرَةَ وَالْهَيْمَةَ ذَوْهَبِيَّةَ وَوَقَارٍ. فَأَكْرَمَهُ سِنَانٌ عَلَى مُوجِبِ مَنَظَرِهِ
وَرَفَعْتَهُ. ثُمَّ أَلْفَتَ إِلَيْهِ سِنَانٌ فَقَالَ: قَدْ أَشْتَهَيْتُ أَنْ أَسْمَعَ مِنَ الشَّيْخِ
شَيْئًا أَحْفَظُ عَنْهُ وَأَنْ يَذْكُرَ شَيْخَهُ فِي الصَّنَاعَةِ. فَأَخْرَجَ الشَّيْخُ مِنْ كُمِهِ
قِرْطَاسًا فِيهِ دَنَانِيرُ صَالِحَةٍ وَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْ سِنَانٍ وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا
أَحْسَنُ أَنْ أَكْتُبَ وَلَا أَقْرَأَ شَيْئًا جَمَلَةً. وَلِي عِيَالٌ وَمَعَاشِي دَارُ دَارِهِ
وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَقْطَعَهُ عَنِّي. فَصَحَّكَ سِنَانٌ وَقَالَ: عَلَى شَرِيطَةٍ أَنَّكَ
لَا تَعْجِمُ عَلَى مَرِيضٍ بِمَا لَا تَعْلَمُ وَلَا تُشِيرُ بِفَضْدٍ وَلَا بِدَوَاءٍ مُسْهَلٍ إِلَّا
بِمَا قَرُبَ مِنَ الْأَمْرَاضِ. قَالَ الشَّيْخُ: هَذَا مَذْهَبِي مُذْ كُنْتُ مَا تَعْدَيْتُ
السَّخْنِينَ وَالْجَلَابَ. وَأَنْصَرَفَ. وَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ حَضَرَ إِلَيْهِ غُلَامٌ
شَابٌّ حَسَنُ الْبَرَةِ مَلِجٌ الْوَجْهَ ذِكِّيٌّ فَنَظَرَ إِلَيْهِ سِنَانٌ فَقَالَ لَهُ: عَلَى
مَنْ قَرَأْتَ قَالَ: عَلَى أَبِي. قَالَ: وَمَنْ يَكُونُ أَبُوكَ. قَالَ: الشَّيْخُ
الَّذِي كَانَ عِنْدَكَ بِالْأَمْسِ. قَالَ: نَعَمْ الشَّيْخُ. وَأَنْتَ عَلَى مَذْهَبِهِ.
قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَا تَتَجَاوَزْهُ. وَأَنْصَرَفَ مُصَاحِبًا (لابن الفرج)

حناء ابى القاسم الطنبوري

٣٢٧ حكي أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْدَادَ رَجُلٌ اسْمُهُ أَبُو الْقَاسِمِ الطُّنْبُورِيُّ .
وَكَانَ لَهُ مَدَاسُ صَارَ لَهُ وَهُوَ يَلْبِسُهُ سَبْعُ سِنِينَ . وَكَانَ كُلَّمَا تَقَطَّعَ
مِنْهُ مَوْضِعٌ جَعَلَ مَكَانَهُ رُقْعَةً إِلَى أَنْ صَارَ إِلَى غَايَةِ الثَّقَلِ وَصَارَ النَّاسُ
يَضْرِبُونَ بِهِ الْمَثَلَ . فَأَتَّفَقَ أَنَّهُ دَخَلَ يَوْمًا سُوقَ الزُّجَاجِ . فَقَالَ لَهُ
سِمْسَارٌ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ قَدِمَ إِلَيْنَا الْيَوْمَ تَاجِرٌ مِنْ حَلَبَ وَمَعَهُ جَمَلُ
زُّجَاجٍ مُذْهَبٍ قَدْ كَسَدَ فَاشْتَرِهِ مِنْهُ . وَأَنَا أَيْبَعُهُ لَكَ بِعْدَ هَذِهِ الْمُدَّةِ
فَتَكْسِبُ بِهِ الْمِثْلَ مِثْلَيْنِ . فَمَضَى وَاشْتَرَاهُ بِسِتِينَ دِينَارًا . ثُمَّ إِنَّهُ دَخَلَ
إِلَى سُوقِ الْعُطَّارِينَ فَصَادَقَهُ سِمْسَارٌ آخَرُ وَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ
قَدِمَ إِلَيْنَا الْيَوْمَ مِنْ نَصِيدِينَ تَاجِرٌ وَمَعَهُ مَاءٌ وَرَدٍ فِي غَايَةِ الطَّيْبَةِ
وَمُرَادُهُ أَنْ يُسَافِرَ . فَاجْلِسْ سَفَرِهِ يُمْكِنُ أَنْ تَشْتَرِيَهُ مِنْهُ رَخِيصًا وَأَنَا
أَيْبَعُهُ لَكَ فِيمَا بَعْدَ بِأَقْرَبِ مُدَّةٍ فَتَكْسِبُ بِهِ الْمِثْلَ مِثْلَيْنِ . فَمَضَى أَبُو
الْقَاسِمِ وَاشْتَرَاهُ أَيْضًا بِسِتِينَ دِينَارًا أُخْرَى وَمَلَأَهُ فِي الزُّجَاجِ
الْمُذْهَبِ . وَحَمَلَهُ وَجَاءَ بِهِ فَوَضَعَهُ عَلَى رَفٍّ مِنْ رُفُوفِ بَيْتِهِ فِي الصَّدْرِ .
ثُمَّ إِنَّ أَبَا الْقَاسِمِ دَخَلَ الْحَمَّامَ يَغْتَسِلُ . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْدِقَائِهِ يَا أَبَا
الْقَاسِمِ أَشْتَهِي أَنْ تُغَيِّرَ مَدَاسَكَ هَذَا فَإِنَّهُ فِي غَايَةِ الشَّنَاعَةِ
وَأَنْتَ ذُو مَالٍ مِنْ حَمْدِ اللَّهِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو الْقَاسِمِ : الْحَقُّ مَعَكَ
فَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ . ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَمَّامِ وَلَبِسَ ثِيَابَهُ رَأَى بِجَانِبِ
مَدَاسِهِ مَدَاسًا جَدِيدًا فَظَنَّ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْ كَرَمِهِ اشْتَرَاهُ لَهُ فَلَبِسَهُ

وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ . وَكَانَ ذَلِكَ الْمَدَاسُ الْجَدِيدُ مَدَاسُ الْقَاضِي جَاءَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى الْحَمَامِ وَوَضَعَ مَدَاسَهُ هُنَاكَ وَدَخَلَ اسْتَحْمَ . فَلَمَّا خَرَجَ فَتَشَّ عَلَى مَدَاسِهِ فَلَمْ يَجِدْهُ فَقَالَ : أَيَا إِخْوَانَنَا أَتَرَوْنَ أَنَّ الَّذِي لَيْسَ مَدَاسِي لَمْ يَتْرُكْ عِوَضَهُ شَيْئًا . فَتَشَّوْا فَلَمْ يَجِدُوا سِوَى مَدَاسِ أَبِي الْقَاسِمِ الطَّنْبُورِيِّ فَعَرَفُوهُ لِأَنَّهُ كَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ . فَأَرْسَلَ الْقَاضِي خَدَمَهُ فُكِّسُوا بَيْتَهُ فَوَجَدُوا مَدَاسَ الْقَاضِي عِنْدَهُ . فَأَحْضَرَهُ الْقَاضِي وَأَخَذَ مِنْهُ الْمَدَاسَ وَضَرَبَهُ تَأْدِيبًا لَهُ وَجَبَسَهُ مَدَّةً وَغَرَمَهُ بَعْضَ الْمَالِ وَأَطْلَقَهُ . فَخَرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ مِنَ الْجُبْسِ وَأَخَذَ مَدَاسَهُ وَهُوَ غَضَبَانُ عَلَيْهِ وَمَضَى إِلَى الدَّجَلَةِ فَأَلْقَاهُ فِيهَا فَفَاصَ فِي الْمَاءِ . فَأَتَى بَعْضُ الصَّيَّادِينَ وَرَمَى شَبَكَتَهُ فَطَلَعَ فِيهَا الْمَدَاسُ . فَلَمَّا رَأَى الصَّيَّادُ عَرَفَهُ وَقَالَ : هَذَا مَدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ الطَّنْبُورِيِّ فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ وَقَعَ مِنْهُ فِي الدَّجَلَةِ . فَحَمَلَهُ وَأَتَى بِهِ بَيْتَ أَبِي الْقَاسِمِ فَلَمْ يَجِدْهُ . فَظَنَرَ فَرَأَى طَاقَةً نَافِذَةً إِلَى صَدْرِ الْبَيْتِ فَرَمَاهُ مِنْهَا إِلَى الْبَيْتِ فَسَقَطَ عَلَى الرَّفِّ الَّذِي فِيهِ الزُّجَاجُ وَمَاءُ الْوَرْدِ . فَوَقَعَ الزُّجَاجُ وَتَكْسَرَتْ وَتَبَدَّدَ مَاءُ الْوَرْدِ . فَجَاءَ أَبُو الْقَاسِمِ وَنَظَرَ ذَلِكَ فَعَرَفَ الْأَمْرَ فَلَطَمَ عَلَى وَجْهِهِ وَصَاحَ وَبَكَى وَقَالَ : وَأَقْرَأَهُ أَهْرَاقِي هَذَا الْمَدَاسُ الْمَلْعُونُ . ثُمَّ إِنَّهُ قَامَ لِيُخْفِرَ لَهُ فِي اللَّيْلِ حُفْرَةً وَيَدْفِنَهُ فِيهَا وَيَرْتَاحَ مِنْهُ . فَسَمِعَ الْجِيرَانُ حَسَّ الْحَفْرِ فَظَنُّوا أَنَّ أَحَدًا يَنْتَبِهُ عَلَيْهِمْ . فَهَرَفُوا الْأَمْرَ إِلَى الْحَاكِمِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَأَحْضَرَهُ وَأَعْتَقَلَهُ وَقَالَ لَهُ : كَيْفَ تَسْتَحِيلُ

أَنْ تَنْقُبَ عَلَى جِبرَانِكَ حَاطِطُهُمْ وَحَبَسَهُ وَلَمْ يُطْلَقْهُ حَتَّى غَرِمَ بَعْضُ
 الْمَالِ . ثُمَّ خَرَجَ مِنَ السِّجْنِ وَمَضَى وَهُوَ حَرْدَانٌ مِنَ الْمَدَاسِ وَحَمَلَهُ
 إِلَى كَيْفِ الْحَاثِ وَرَمَاهُ فِيهِ فَسَدَ قَصَبُهُ الْكَئِيفِ قَفَاضَ وَخَجِرَ
 النَّاسُ مِنَ الرَّايِحَةِ الْكَرِيهِةِ : فَفَتَشَوْا عَلَى السَّبَبِ فَوَجَدُوا مَدَاسًا
 فَتَأَمَّلُوهُ فَإِذَا هُوَ مَدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ . فَحَمَلُوهُ إِلَى الْوَالِيِ وَأَخْبَرُوهُ
 بِمَا وَقَعَ . فَأَحْضَرَ الْوَالِيِ أَبَا الْقَاسِمِ وَوَبَّخَهُ وَحَبَسَهُ وَقَالَ لَهُ : عَلَيْكَ تَصْلِيحُ
 الْكَئِيفِ فَعَرِمَ جَمَلَةُ مَالٍ . وَأَخَذَ مِنْهُ الْوَالِيِ مِقْدَارَ مَا غَرِمَ تَأْدِيًا لَهُ
 وَأَطْلَقَهُ . فَخَرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ وَالْمَدَاسُ مَعَهُ وَقَالَ وَهُوَ مُعْتَاضٌ مِنْهُ : وَاللَّهِ
 مَا عُدْتُ أَفَارِقُ هَذَا الْمَدَاسَ . ثُمَّ إِنَّهُ غَسَلَهُ وَجَعَلَهُ عَلَى سَطْحِ بَيْتِهِ
 حَتَّى يَجِفَّ . فَرَأَاهُ كَلْبٌ فَظَنَّهُ دِمَةً فَحَمَلَهُ وَعَبَّرَ بِهِ إِلَى سَطْحِ آخَرَ
 فَسَقَطَ مِنَ الْكَلْبِ عَلَى رَأْسِ رَجُلٍ فَأَلَمَهُ وَجَرَحَهُ جُرْحًا بَلِيغًا . فَنَظَرُوا
 وَفَتَشَوْا لِمَنِ الْمَدَاسُ فَعَرَفُوهُ أَنَّهُ مَدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ . فَزَفَعُوا الْأَمْرَ
 إِلَى الْحَاكِمِ فَأَلْزَمَهُ بِالْعَوَضِ وَالْقِيَامِ بِلَوَازِمِ الْخُرُوجِ مُدَّةَ مَرَضِهِ .
 فَتَفَدَّ عِنْدَ ذَلِكَ جَمِيعُ مَا كَانَ لَهُ وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ شَيْءٌ . ثُمَّ إِنَّ أَبَا
 الْقَاسِمِ أَخَذَ الْمَدَاسَ وَمَضَى بِهِ إِلَى الْقَاضِيِ وَقَالَ لَهُ : أُرِيدُ مِنْ
 حَضْرَةِ مَوْلَانَا الْقَاضِيِ أَنْ يَكْتُبَ بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا الْمَدَاسِ مَبَارَاةً
 شَرْعِيَّةً عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي وَأَنِّي لَسْتُ مِنْهُ . وَأَنَّ كَلَامًا بَرِيًّا مِنْ
 صَاحِبِهِ . وَأَنَّهُ هُمَا يَفْعَلُهُ هَذَا الْمَدَاسُ لَا أُؤْخِذُ بِهِ أَنَا . وَأَخْبَرَهُ بِجَمِيعِ
 مَا جَرَى عَلَيْهِ مِنْهُ . فَضَحِكَ الْقَاضِيِ مِنْهُ وَوَصَلَهُ وَمَضَى (لَطَائِفُ الْعَرَبِ)

الْبَابُ السَّادِسُ عَشَرَ فِي النُّوَادِرِ

ابن مقلة والواشي

٣٢٨ حُكِيَ أَنَّ بَعْضَ الْحَسَدَةِ وَشَى بِالْوَزِيرِ الْكَاتِبِ ابْنَ مُقْلَةَ الَّذِي
انْفَرَدَ فِي زَمَانِهِ بِمُلُوكِ الْخَطِّ وَحُسْنِهِ . وَادَّعَى أَنَّهُ عَدَرُ الْمَلِكِ فِي بَعْضِ
الْأُمُورِ . فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِقَطْعِ يَدِهِ فَلَمَّا فَعَلَ بِهِ هَذَا الْأَمْرَ لَزِمَ بَيْتَهُ
وَأَنْصَرَفَتْ عَنْهُ الْأَصْدِقَاءُ وَالْحُبَّيْنُونَ وَلَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ .
فَتَبَيَّنَ لِلْمَلِكِ أَنَّ الْكَلَامَ عَلَيْهِ بَاطِلٌ . فَأَمَرَ بِقَتْلِ الَّذِي وَشَى بِابْنِ
مُقْلَةَ وَرَدَّهُ إِلَى مَا كَانَ . فَلَمَّا رَأَى إِخْوَانَهُ أَنَّ نِعْمَتَهُ عَادَتْ إِلَيْهِ عَادُوا
لَهُ يَهْنُؤُهُ وَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَتَذَرُونُ . فَأَنشَدَ :

تَحَالَفَ النَّاسُ وَالزَّمَانُ فَمَتَّحَتْ كَانِ الزَّمَانُ كَانُوا
عَادَانِي الدَّهْرُ نِصْفَ يَوْمٍ فَأَنكَشَفَ النَّاسُ لِي وَبَانُوا
وَمَكَثَ يَكْتُبُ بِيَدِهِ الْيُسْرَى بَقِيَّةَ عُمُرِهِ . وَلَمْ يَتَغَيَّرْ خَطُّهُ حَتَّى مَاتَ

معجزة ظهرت في حصار مدينة وبند

٣٢٩ خَرَجَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو يَعْقُوبَ مِنْ إِشْبِيلِيَّةَ قَاصِدًا بِلَادَ
الْأَذْفَنَشِ . فَتَزَلَّ عَلَى مَدِينَةٍ لَهُ عَظِيمَةٌ تَسْمَى وَبْدَ . وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ
أَعْيَانَ دَوْلَةِ الْأَذْفَنَشِ وَوُجُوهَ أَجْنَادِهِ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ . فَأَقَامَ مُحَاصِرًا
لَهَا أَشْهُرًا إِلَى أَنْ أَشْتَدَّ الْحِصَارُ وَتَرَخَّ بِهِمُ الْعَطَشُ . فَأَرْسَلُوا إِلَى أَمِيرِ

الْمُؤْمِنِينَ يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ عَلَى أَنْ يَخْرُجُوا لَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ .
فَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَأَطَاعَهُ فِيهِمْ مَا نُقِلَ إِلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ عَظَمِهِمْ وَكَثْرَةِ
مَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ . فَلَمَّا يَتَسَوَّاهُ مَا عِنْدَهُ سَمِعَ لَهُمْ بَعْضَ اللَّيَالِي لَغَطٌ عَظِيمٌ
وَجَلَبَةُ أَصَوَاتٍ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَخْرَجُوا أَنَا جِلَّهُمْ وَاجْتَمَعَ قَسِيْسُوهُمْ
وَرَهْبَانُهُمْ يَدْعُونَ وَيَوْمِنَ بَاقِيَهُمْ . فَجَاءَ مَطَرٌ عَظِيمٌ كَأَنَّهُ الْقُرْبُ مَلَأَ مَا كَانَ
عِنْدَهُمْ مِنَ الصَّهَارِ بِح . فَشَرِبُوا وَارْتَوَوْا وَتَقَوَّوْا عَلَى الْمُسْلِمِينَ . فَأَنْصَرَفَ
عَنْهُمْ الْخَلِيفَةُ رَاجِعًا إِلَى إِسْبِيلَةَ بَعْدَ أَنْ هَادَنَ الْأَذْفَنَشَ (الْمُرَّاشِي)

مشهد الحسين

٣٣٠ . وَمِنْ عَجَائِبِ مَشَاهِدِ مَضَرِ الْمَشْهَدِ الْعَظِيمِ الشَّانِ الَّذِي بِالْقَاهِرَةِ
حَيْثُ رَأْسُ الْحُسَيْنِ . وَهُوَ فِي تَابُوتٍ مِنْ فِضَّةٍ مَدْفُونٌ قَدْ بَنِيَ عَلَيْهِ
بُنْيَانٌ يَقْصُرُ الْوُصْفُ عَنْهُ . مُجَلَّلٌ بِأَنْوَاعِ الدِّيَابِجِ مَخْشُوفٌ بِأَمْثَالِ الْعُمَدِ
الْكُبَرِ سَمَاءً بَيْضَاءَ أَكْثَرُهَا مَوْضُوعٌ فِي أَنْوَارِ الْفِضَّةِ . وَخُفَّ أَعْلَاهُ
كُلُّهُ بِأَمْثَالِ التَّفَافِيجِ ذَهَبًا فِي مَصْنَعٍ شَبَّهِ الرُّوضَةِ . يَبْهَرُ الْأَبْصَارَ
حُسْنًا وَجَمَالًا . وَفِيهِ أَنْوَاعُ الرُّخَامِ الْعَجِيزِ الْغَرِيبِ الصَّنْعَةِ الْبَدِيعِ
الْقَرَصِيعِ مَا لَا يَتَخَيَّلُهُ الْمُتَخَيَّلُونَ . وَالْمَدْخَلُ إِلَيْهَا مِنْ مَسْجِدٍ عَلَى مِثْلِهَا
فِي النَّاتِقِ . حِيطَانُهُ كُلُّهَا رُخَامٌ . وَأَغْرَبُ مَا فِيهِ حَجَرٌ مَوْضُوعٌ فِي الْجِدَارِ
الَّذِي يَسْتَقْبِلُهُ الدَّاخِلُ شَدِيدُ السَّوَادِ وَالْبَصِيصُ يَصِفُ الْأَشْخَاصَ
كُلُّهَا كَأَنَّهُ الْمِرَاةُ الْهِنْدِيَّةُ . وَلِتَرَأَاهُمْ النَّاسُ عَلَى الْقَبْرِ وَأَنْكَبِيهِمْ عَلَيْهِ
وَتَسْمِعُهُمْ بِهِ وَبِالْكُسُوفَةِ الَّتِي عَلَيْهِ مَرَأَى هَائِلٌ (الشريشي)

٣٣١ نُسَخَةُ مُبَايَعَةِ مَلِكِ كَتَبَهَا الشَّيْخُ عُمَرُ بْنُ الْوُرْدِيِّ نَظْمًا :

بِاسْمِ إِلَهِ الْخَلْقِ هَذَا مَا اشْتَرَى مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ بْنِ سَنَفَرَا
مِنْ أَحْمَدَ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَزْزَقِ كِلَاهُمَا قَدْ عُرِفَا مِنْ جَلْوِ
قَبَاعِهِ قِطْعَةً أَرْضٍ وَاقِعَةً لَشَجَرٍ مُخْتَلِفِ الْأَجْناسِ
وَذَرْعُ هَذِي الْأَرْضِ بِالذَّرَاعِ عِشْرُونَ فِي الطُّوْلِ بِسَلَا ذِرَاعٍ
وَذَرْعُهَا فِي الْعَرْضِ مِنْهَا عَشْرَةٌ وَهُوَ ذِرَاعٌ بِالْيَدِ الْمُتَبَرِّدَةِ
وَحَدُّهَا مِنْ قِبَلَةِ مَلِكِ التُّبَيْقِ وَجَابِرُ الرُّومِيِّ حَدُّ الْمَشْرِقِ
وَمِنْ شِمَالِ مَلِكِ أَوْلَادِ عَلِيٍّ وَالْغَرْبِ مَلِكِ عَامِرِ بْنِ حَنْبَلٍ
يَتِمُّ صَحِيحًا لِأَزِمَا شَرْعِيًّا ثُمَّ شِرَاءٌ قَاطِعًا مَرْعِيًّا
لَا شَرْطَ فِيهِ فَاسِدٌ يُبْطِلُهُ وَلَا خِيَارَ لَهَا يُدَاخِلُهُ
ثَمَنٌ مَبْلَغُهُ مِنْ فِضَّةٍ دَرَاهِمُ جِدَّةٌ مُبَيَّضَةٌ
قَبْضُهَا الْبَالِغُ مِنْهُ وَافِيَةٌ وَعَادَتِ الذِّمَّةُ مِنْهَا خَالِيَةً
وَسَلَّمَ الْأَرْضَ إِلَى مَنْ اشْتَرَى قَبْضُ الْفِضَّةِ مِنْهُ وَحَرَى
بَيْنَهُمَا بِالْبَدَنِ التَّفَرُّقُ وَمَا بَقِيَ لِأَحَدٍ تَعَلَّقُ
وَأَشْهَدَا عَلَيْهِمَا بِذَلِكَ فِي سَابِعِ عَشْرِ رَمَضَانَ الْأَشْرَفِ
مِنْ عَامِ سَبْعِمِائَةِ الْهِجْرَةِ مِنْ بَعْدِ خَمْسَةِ تَلِي وَعَشْرَةِ

مروءة اسماعيل الهزرجي

٣٣٢ نَارِعَ الْخَلِيفَةِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ فِي أَمْرِهِ قَوْمٌ مِنْ قَرَابَةِ ابْنِ ثَوْرَتٍ وَأَتَتْهُمَا

فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ أَجْمَعَ رَأْيَهُمْ وَرَأَى مِنْ وَاقِعِهِمْ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ عَلَى
 أَنْ يَدْخُلُوا عَلَى عَبْدِ الْمُؤْمِنِ خِيبَاءَهُ لَيْلًا فَيَقْتُلُوهُ. وَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ يُخْفِي
 مِنْ أَمْرِهِمْ. وَأَنَّ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ إِذَا قُتِلَ وَلَمْ يَعْلَمْ مَنْ قَتَلَهُ صَارَ الْأَمْرُ
 إِلَيْهِمْ. لِأَنَّهُمْ أَحَقُّ بِهِ إِذْ كَانُوا أَهْلَ الْإِمَامِ وَقَرَابَتِهِ وَأَوَّلَى النَّاسِ بِهِ.
 فَأَعْلِمَ بِمَا أَرَادُوهُ مِنْ ذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ قُورْتٍ مِنْ خِيَارِهِمْ
 اسْمُهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُحْيَى الْهَزْرَجِيُّ. فَاتَى عَبْدَ الْمُؤْمِنِ فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ. قَالَ: وَمَا هِيَ يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ فَمَجِيعُ حَوَائِجِكَ
 عِنْدَنَا مَقْضِيَةٌ. قَالَ: أَنْ تَخْرُجَ عَنْ هَذَا الْخِيبَاءِ وَتَدْعَنِي أَيْتُ فِيهِ وَلَمْ
 يَعْلَمْهُ بِمَرَادِ الْقَوْمِ. فَظَنَّ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ أَنَّهُ إِنَّمَا يَسْتَوْهِبُهُ الْخِيبَاءُ لِأَنَّهُ
 أَعْجَبَهُ فَخَرَجَ عَنْهُ وَتَرَكَهُ لَهُ. فَبَاتَ فِيهِ إِسْمَاعِيلُ الْمَذْكُورُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ
 أُولَاكَ الْقَوْمِ قَتَلُوهُ بِالْحَدِيدِ حَتَّى يَرُدَّ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا وَرَأَوْا أَنَّهُمْ لَمْ
 يُصِيبُوا عَبْدَ الْمُؤْمِنِ قَرَأُوا بِأَنْفُسِهِمْ حَتَّى أَتَوْا مَرَاكِشَ وَرَأَوْا الْقِيَامَ
 بِهَا. فَاتَوَا الْبَوَابِينَ الَّذِينَ عَلَى الْقُصُورِ فَطَلَبُوا مِنْهُمْ الْمَفَاتِيحَ فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ.
 فَضَرَبُوا عُنُقَ أَحَدِهِمْ وَقَرَّبَ بَاقِيَهُمْ وَكَادُوا يَغْلِبُونَ عَلَى تِلْكَ الْقُصُورِ.
 ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ أَجْتَمَعُوا عَلَيْهِمْ مِنَ الْجُنْدِ وَخَاصَّةً الْعَبِيدُ فَقَاتَلُوهُمْ قِتَالًا
 شَدِيدًا مِنْ لَدُنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ. ثُمَّ إِنَّ الْعَبِيدَ غَلَبُوهُمْ
 عَلَى أَمْرِهِمْ. وَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ يَتَكَثَّرُونَ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ أَخَذُوا قَبْضًا بِالْيَدِ
 قَصَبُوا وَجَعَلُوا فِي السِّجْنِ إِلَى أَنْ وَصَلَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ إِلَى
 مَرَاكِشَ فَقَتَلَهُمْ صَبْرًا. وَقَتَلَ مَعَهُمْ جَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِ هَرَّعَةٍ بَلَغَهُ أَنَّ

قَادِحُونَ فِي مُلْكِهِ مُتَرَبِّصُونَ بِهِ . وَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلُ الْمُتَقَدِّمُ
الذِّكْرِ فِي الْحَبَاءِ مَقْتُولًا عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرْنَا أَعْظَمَ ذَلِكَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ
وَوَجَدَ عَلَيْهِ وَجْدًا مُفْرَطًا أَخْرَجَهُ عَنْ حَدِّ التَّمَسُّكِ إِلَى حَيْزِ الْجَزَعِ .
فَأَمَرَ بِغَسْلِهِ وَتَكْفِينِهِ وَصَلَّى عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ وَذَفِنَ (لِعَبْدِ الْوَاحِدِ الْمُرَاكَشِيِّ)

جود حاتم الطائي

٣٣٣ قَالَتْ نَوَارُ أُمْرَأَةٌ حَاتِمٍ : أَصَابَتْ نَسْنَةً أَقْشَعَتْ لَهَا الْأَرْضُ
وَأَغْبَرَتْ أَفْقُ السَّمَاءِ . وَرَاحَتْ الْأَيْلُ حَذَبَاءَ حَدَابِيرٍ . وَضَعَتْ الْمُرَاضِعُ
إِلَى أَوْلَادِهَا مَا تَبْضُ بِقَطْرَةٍ وَأَيُّقُنًا بِالْمُهْلَاكِ . فَوَاللَّهِ إِنَّا لَهِيَ لَيْلَةٌ صَنِيرٌ
بَعِيدَةٌ مَا بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ إِذْ تَصَاحَى صَبِيئُنَا جُوعًا عَبْدُ اللَّهِ وَعَدِي وَسَقَانَةٌ .
فَقَامَ حَاتِمٌ إِلَى الصَّبِيِّينَ وَقَتُّ أَنَا إِلَى الصَّبِيَّةِ فَوَاللَّهِ مَا سَكَّتُوا إِلَّا بَعْدَ
هَذَاهُ مِنَ اللَّيْلِ . وَأَقْبَلَ يُعَلِّمُنِي بِالْحَدِيثِ فَعَرَفْتُ مَا يُرِيدُ فَتَأَوَّعْتُ .
فَلَمَّا تَهَوَّرَتِ النُّجُومُ إِذَا شَيْءٌ قَدْ رَفَعَ كَسَرَ اللَّيْلَ ثُمَّ عَادَ . فَقَالَ : مَنْ
هَذَا . قَالَتْ : جَارُكَ فَلَانَةٌ أَتَيْتُكَ مِنْ عِنْدِ صَبِيَّةٍ يَتَعَاوُونَ عَوَاءَ
الذَّنَابِ فَمَا وَجَدْتُ مُعَوَّلًا إِلَّا عَلَيْكَ يَا أَبَا عَدِي . فَقَالَ : أَغْجِبْتُمْ قَدْ
أَشْبَعَكَ اللَّهُ وَلِيَا هُمْ . فَأَقْبَلَتِ الْمَرْأَةُ تَحْمِلُ اثْنَيْنِ وَيَمْشِي جَنَابُهَا
أَرْبَعَةٌ كَأَنَّهَا نِعَامَةٌ حَوْلَهَا رِثَالُهَا . فَقَامَ إِلَى قَرَسِهِ فَوَجَأَ لَبَنَهُ بِمُدِيَّةٍ
فَحَرَّ . ثُمَّ كَسَطَهُ عَنْ جِلْدِهِ وَدَفَعَ الْمُدِيَّةَ إِلَى الْمَرْأَةِ فَقَالَ لَهَا : شَأْنُكَ .
فَاجْتَمَعْنَا عَلَى اللَّحْمِ نَشْوِي وَنَأْكُلُ . ثُمَّ جَعَلَ يَمْشِي فِي الْحَيِّ يَأْتِيهِمْ بَيْتًا
بَيْتًا فَيَقُولُ : هُبُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ بِالنَّارِ . فَاجْتَمَعُوا وَالتَّقَعَ فِي ثَوْبِهِ

فَاجِدَةٌ تَنْظُرُ إِلَيْنَا . فَلَا وَاللَّهِ إِنْ ذَاقَ مِنْهُ مُرْعَةً وَإِنَّهُ لَأَخْوَجُ إِلَيْهِ مِنَّا .
فَأَصْبَحْنَا وَمَا عَلَيَّ الْأَرْضِ مِنْ أَقْرَسٍ إِلَّا عَظْمٌ وَحَافِرٌ . فَأَنْشَأَ حَاتِمٌ يَقُولُ :
مَهْلًا نَوَارُ أَفْلَحِي الْيَوْمَ وَالْعَدَلَا وَلَا تَقُولِي لِشَيْءٍ قَاتَ مَا فَعَلَا
وَلَا تَقُولِي لِمَالٍ كُنْتُ مَهْلَكَهُ مَهْلًا وَإِنْ كُنْتُ أُعْطِي الْإِنْسَ وَالْجِبِلَا
بَرَى الْبَحِيلَ سَبِيلَ الْمَالِ وَاحِدَةً إِنْ الْجَوَادَ بَرَى فِي مَالِهِ سُبُلَا

لميثار ابن مامة اليايدي

٣٣٤ خَرَجَ كَتَبُ بْنُ مَامَةَ الْيَايِدِي فِي قُبُلٍ مَعَهُمْ رَجُلٌ مِنْ بَنِي
النَّمِرِ . وَكَانَ ذَلِكَ فِي حَرِّ الصَّيْفِ فَضَلُّوا وَنَحَّ مَأْوُهُمْ فَكَانُوا
يَتَصَافَتُونَ الْمَاءَ . وَذَلِكَ أَنْ يُطْرَحَ فِي الْقَصَبِ حَصَاةٌ ثُمَّ يُصَبُّ فِيهِ مِنْ
الْمَاءِ بِقَدَرٍ مَا يَغْمُرُ الْحَصَاةَ . فَيَشْرَبُ كُلُّ وَاحِدٍ قَدَرًا مَا يَشْرَبُ الْآخَرُ .
وَلَمَّا تَزَلُّوا لِلشَّرْبِ وَدَارَ الْقَصَبُ بَيْنَهُمْ حَتَّى أَتَتْهُ إِلَى كَتَبِ رَأَى
الرَّجُلَ النَّمِرِيَّ يُحِدُّ نَظْرَهُ إِلَيْهِ . فَأَثَرَهُ بِمَائِهِ وَقَالَ لِلسَّاقِي : أَسْقِ
لِخَالِ النَّمِرِيَّ فَشَرِبَ النَّمِرِيَّ نَصِيبَ كَتَبِ مِنَ الْمَاءِ ذَلِكَ الْيَوْمَ . ثُمَّ
تَزَلُّوا مِنْ الْغَدِ مَنَزِلَهُمْ الْآخَرَ فَتَصَافَتُوا بِقِيَّةِ مَا بَيْنَهُمْ . فَنَظَرَ إِلَيْهِ كَنَظَرِهِ
أَمْسٍ . وَقَالَ كَتَبُ كَمَوْلِهِ أَمْسٍ . وَأَرْحَلُ الْقَوْمُ وَقَالُوا : يَا كَتَبُ
أَرْحَلُ . فَلَمْ يَكُنْ لَهُ قُوَّةٌ لِلنَّهْوضِ وَكَانُوا قَدِ اقْرَبُوا مِنَ الْمَاءِ . فَقَالُوا لَهُ :
رُدِّ يَا كَتَبُ إِنَّكَ وَارِدٌ . فَمَجَزَّ عَنْ الْجَوَابِ . وَلَمَّا أَيْسُوا مِنْهُ خَيَّرُوا عَلَيْهِ بِشُوبِ
يَمْنَعُهُ مِنَ السَّعْيِ أَنْ يَأْكُلَهُ . وَتَرَكَوهُ مَسْكَاةً فَمَاتَ . فَذَهَبَ ذَلِكَ مَثَلًا
فِي تَفْضِيلِ الرَّجُلِ صَاحِبِهِ عَلَى نَفْسِهِ (اخبار العرب لابن قتيبة)

صنم سومنات

٣٣٥ من عجائب مدينة سومنات هيكلك فيه صنم كان واقفا في وسط البيت . لا بقاءة من أسفل تدعوه ولا بعلاقة من أعلاه تمسكه . وكان أمر هذا الصنم عظيما عند الهند من رآه واقفا في الهواء تعجب . وكانت الهند يحجون إليه ويحملون إليه من الهدايا كل شيء نفيس وكان له من الوقوف ما يزيد على عشرة آلاف قرية . وكانت سدنته ألف رجل من البراهمة لعبادته وخدمة الوقود . وأما البيت فكان مبني على ست وخمسين سارية من الساج المصقع بالرصاص . وكانت قبة الصنم مظلمة وضوؤها كان من قناديل الجوهر اللآلئ . وعنده سلسلة ذهب كلما مضت طائفة من الليل حركت فتصوت الأجراس فيقوم طائفة من البراهمة للعبادة . حكى أن السلطان يمين الدولة لما غزا بلاد الهند ورأى ذلك الصنم أعجبه أمره وقال لأصحابه : ماذا تقولون في أمر هذا الصنم ووقوفه في الهواء بلا عماد وعلاقة . فقال بعضهم : إنه علق بعلاقة وأخفيت العلاقة عن النظر . وقال بعض الحاضرين : إني أظن أن القبة من حجر المغناطيس والصنم من الحديد . والصانع بالغ في تدقيق صنعه ورأى تكافؤ قوة المغناطيس من الجواب . فوافقه قوم وخالفه آخرون . فلما رفع حجرين من رأس القبة مال الصنم إلى أحد الجوانب . فلم يزل يرفع الأحجار والصنم ينزل حتى وقع على الأرض (للقريني)

الْبَابُ السَّامِعُ عَشَرَ فِي الْأَنْفَارِ

مدح السفر

٣٣٦ قَالَ أَبُو قَاسِمٍ الصَّاحِبُ: لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ بَلَدٍ نَسَبٌ فَخَيْرُ الْبِلَادِ مَا حَمَلَكَ. السَّفَرُ يُسْفِرُ عَنْ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ فَأَوْحِشْ أَهْلَكَ إِذَا كَانَ فِي إِحْشَاهُمْ أَنْسُكَ. وَأَهْجِرْ وَطَنَكَ إِذَا نَبَتْ عَنْهُ نَفْسُكَ. رُبَّمَا أَسْفَرَ السَّفَرُ عَنْ الظُّفْرِ. وَتَعَذَّرَ فِي الْوَطَنِ قَضَاءُ الْوَطْرِ (اليواقيت للشعالبي) أَنْشَدَ شُكْرُ الْعَلَوِيِّ:

قَوْضُ خِيَامِكَ عَنْ أَرْضِ تِهَانُ بِهَا وَجَابِ الدَّلَّ إِنَّ الدَّلَّ يُجْتَبُ
وَارْحَلْ إِذَا كَانَ فِي الْأَوْطَانِ مَنْقَصُهُ قَالَمُنْدُلُ الرُّطْبِ فِي أَوْطَانِهِ حَطْبُ
قَالَ آخَرُ:

إِزْحَلْ بِنَفْسِكَ مِنْ أَرْضٍ تُضَامُ بِهَا وَلَا تَكُنْ بِفِرَاقِ الْأَهْلِ فِي حُرْقٍ
مَنْ ذَلَّ بَيْنَ أَهْلِيهِ بِبَلَدِهِ فَأَلَاغْتَرَابُ لَهُ مِنْ أَحْسَنِ الْخُلُقِ
الْكُحْلُ نَوْعٌ مِنَ الْأَهْجَارِ مُنْطَرِحًا فِي أَرْضِهِ كَالْتَرَى يَبْدُو عَلَى الطَّرْقِ
لَمَّا تَقَرَّبَ نَالَ الْيَزْ أَجْمَعُهُ وَصَارَ يُحْمَلُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْحَدَقِ
قَالَ غَيْرُهُ:

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرُكَ مِنْ بِلَادٍ تَرَحَّلْ طَالِبًا أَرْضًا سِوَاهَا
عَجِبْتُ لِمَنْ يُقِيمُ بِدَارٍ ذَلٍّ وَأَرْضُ اللَّهِ مُتَمِّعٌ فَضَاهَا

فَذَلِكَ مِنَ الرِّجَالِ قَلِيلٌ عَقْلِي بَلِيدٌ لَيْسَ يَعْلَمُ مَا ظَلَمَها
فَنَفْسَكَ فَرِيهَا إِنْ خِفْتَ ضَيْمًا وَحَلَ الدَّارَ تَعْنِي مِنْ بَنَاهَا
فَإِنَّكَ وَاحِدٌ أَرْضًا بِأَرْضٍ وَنَفْسَكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا
٣٣٧ كَتَبَ بَعْضُ الْكُتَّابِ : جَزَى اللَّهُ الْفِرَاقَ خَيْرًا فَمَا هُوَ إِلَّا
زَفْرَةٌ وَعَبْرَةٌ . ثُمَّ اِعْتَصَامٌ وَتَوَكُّلٌ . ثُمَّ تَأْمِيلٌ وَتَوَقُّعٌ . وَقَبَّحَ اللَّهُ
الْتِمَاقَ . فَإِنَّمَا هُوَ مَسْرَّةٌ لِحَظَّةٍ وَمَسَاءَةٌ أَيَّامٍ . وَأَنْتَ هَاجُ سَاعَةٍ وَالْكِتَابُ
زَمَانٌ . وَإِنِّي لَا أَكْزُهُ إِلَّا جَمَاعَ وَلَا أَكْزُهُ الْفِرَاقَ . لِأَنَّ مَعَ الْفِرَاقِ عُمَّةٌ
يُخَفِّفُهَا تَوَقُّعُ إِسْعَافٍ بِتَأْمِيلِ الْأَوْبَةِ وَالرُّجْعَى . وَمَعَ الْإِجْتِمَاعِ مُحَازَرَةٌ
الْفِرَاقِ وَقِصْرُ السُّرُورِ . قَالَ بَعْضُ الظُّرَفَاءِ : لَوْ قُلْتُ إِنِّي لَمْ أَجِدْ
لِلرَّحِيلِ أَلْمًا وَلِلْيَمِينِ حُرْقَةً لَقُلْتُ حَقًّا . لِأَنِّي نِلْتُ بِهِ مِنَ الْعِثَاقِ
وَأَنْسَ الْإِقْدَامَ مَا كَانَ مَعْدُومًا أَيَّامَ الْإِجْتِمَاعِ وَبِهِ مُصَافِحَةُ التَّسْلِيمِ .
وَرَجَاءُ الْأَوْبَةِ . وَعِمَارَةُ الْقَلْبِ بِالشَّوْقِ . وَالْأَنْسُ بِالْمَكَاتِبَةِ (لِلْمَقْدِسِيِّ)
قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

وَلَيْسَتْ فَرَحُهُ الْأَوْبَاتِ إِلَّا بِمَوْقُوفٍ عَلَى رَحِ الْوَدَاعِ
قَالَ ابْنُ النُّطْرُونِيِّ :

بَاتَتْ تَصُدُّعَنْ النَّوَى وَتَقُولُ كَمْ تَغْرَبُ
إِنَّ الْحَيَاةَ مَعَ الْفَنَاءِ عَةِ لِلْمَقَامِ الْأَطْيَبِ
فَأَجِبْتَهَا يَا هَذِهِ غَيْرِي بِقَوْلِكَ رَحَابُ
إِنَّ الْكَرِيمَ مُفَارِقُ أَوْطَانَهُ إِذْ تُجَذَّبُ

وَالْبَدْرُ حِينَ يَشِينُهُ نُقْصَانُهُ يَتَغَيَّبُ

ذم السفر

٣٣٨ كَانَ يُقَالُ: فِرَاقُ الْأَحْبَابِ سَقَامُ الْأَلْبَابِ. حَقُّ الْفِرَاقِ أَنْ تَطِيرَ لَهُ الْقُلُوبُ. وَتَطْلُبَ مَعَهُ الْعُقُولُ. وَتَطْلُبَ عَلَيْهِ النُّفُوسُ. وَفِرَاقُ الْحَبِيبِ يُشِيبُ الْوَلِيدَ. وَيُذِيبُ الْحَدِيدَ. وَهَوْلُ السِّيَاقِ أَهْوَنُ مِنْ الْفِرَاقِ. وَقَالَ النَّظَّامُ: لَوْ كَانَتْ لِلْفِرَاقِ صُورَةٌ لَرَأَتْ الْقُلُوبَ وَهَدَّتِ الْجِبَالَ. وَلَجَرَأَ الْغُضَّاءُ أَهْوَنُ تَوَهُّجًا مِنْ نَارِهِ. قَالَ بَعْضُهُمْ: وَمَنْ يَتَأَنَّ دَارَ الْعَشِيرَةِ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ رُغُودٌ جَهْدٌ وَرُوقٌ قَالَ ابْنُ الْأَثَرِيِّ:

قَالُوا أَقَمْتَ وَمَا رُزِفَتْ وَنَمَّا بِالسَّيْرِ يَكْتَسِبُ اللَّيْبُ وَدُزِقَ فَاجْتَبَهُمْ مَا كُلُّ سَيْرٍ نَافِعًا الْخَطُّ يَنْفَعُ لَا الرَّحِيلُ الْمَلْقُوقُ كَمْ سَفَرَةٍ نَفَعَتْ وَآخَرَى مِثْلَهَا ضَرَّتْ وَيَكْتَسِبُ الْحَرِيسُ وَيُخَفِّقُ كَالْبَدْرِ يَكْتَسِبُ الْكَمَالَ بِسِيرِهِ وَبِهِ إِذَا حُرِمَ السَّعَادَةُ يُخَفِّقُ

سفرة ابن جبير الى جزيرة صقلية (سنة ٥٨١ هجرية و ١١٨٧ مسيحية)
ذكر مدينة مسيلة من جزيرة صقلية

٣٣٩ هَذِهِ الْمَدِينَةُ مَوْسِمُ التَّجَارِ. وَمَقْصِدُ جَوَارِي الْبَحْرِ مِنْ جَمِيعِ الْأَقْطَارِ. كَثِيرَةُ الْإِرْفَاقِ بِرِخَاءِ الْأَسْمَارِ. لَا يَقْرَأُ فِيهَا لِمُسْلِمٍ قَرَارٌ. مَشْحُونَةٌ بِمَبْدَةِ الصُّلْبَانِ تَقْصُ بِمَاطِنِهَا. وَتَكَادُ تَضِيقُ ذُرْعَايَا كِنْيَا. أَسْوَاقُهَا نَافِةٌ حَفِيلَةٌ. وَأَرْزَاقُهَا وَاسِعَةٌ بِأَرْغَادِ الْعَيْشِ كَفِيلَةٌ. لَا تَزَالُ

بِهَا لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ فِي أَمَانٍ . وَإِنْ كُنْتَ غَرِيبَ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ .
مُسْتَنِدَّةٌ إِلَى جِبَالٍ قَدْ انْتَضَمَتْ حَضِيضُهَا وَخَنَادِقُهَا . وَالتَّجَرُّ مُتَرَضٌ
أَمَامَهَا فِي الْجِهَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْهَا . وَمَرَسَاها أَنْجَبُ مَرَايِي الْبِلَادِ الْبَحْرِيَّةِ
لِأَنَّ الْمَرَآكِبَ الْكِبَارَ تَذْوِيهِ مِنْ الْبَرِّ حَتَّى تَكَادُ تَمْسُكُهُ . وَتَنْصَبُ
مِنْهَا إِلَى الْبَرِّ خَشْبَةً يُنْصَرَفُ عَلَيْهَا . وَالْحَمَالُ يَصْعَدُ بِحِمْلِهِ إِلَيْهَا وَلَا
يَحْتَاجُ إِلَى زَوَارِقٍ فِي وَسْفِهَا وَلَا فِي تَفْرِينِهَا إِلَّا مَا كَانَ مُرْسِيًا عَلَى
الْبُعْدِ مِنْهَا لَيْسِيرًا . فَتَرَاهَا مُصْطَفًى مِنَ الْبَرِّ كَأَصْطِفَافِ الْجِيَادِ فِي
مَرَايِطِهَا وَإِصْطَبَاحِهَا وَذَلِكَ لِإِفْرَاطِ عُمُقِ الْبَحْرِ فِيهَا . وَهُوَ زَفَاقٌ
مُعْتَرِضٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ بِمَقْدَارِ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ . وَيَقَابِلُهَا
مِنْهُ بَلَدَةٌ تُعْرَفُ بِرِيَّةٍ وَهِيَ عِمَالَةٌ كَبِيرَةٌ . وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ مَسِينَةُ رَأْسِ
جَزِيرَةِ صِقْلِيَّةٍ وَهِيَ كَثِيرَةُ الْمَدَنِ وَالْعِمَارِ وَالضِّيَاعِ . وَطُولُ هَذِهِ
الْجَزِيرَةِ صِقْلِيَّةٍ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . وَعَرْضُهَا مَسِيرَةٌ خَمْسَةَ أَيَّامٍ . وَبِهَا جَبَلُ
الْبَرْكَانِ . وَهُوَ يَأْتِرُّ بِالسَّحْبِ لِإِفْرَاطِ سَخْوِهِ وَيَنْتَمُ بِالشَّجِّ شِتَاءً وَصَيْفًا
دَائِمًا . وَخِصْبُ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ . وَكَفَى بِأَنَّهَا ابْنَةُ
الْأَنْدَلُسِ فِي سَعَةِ الْعِمَارَةِ وَكَثْرَةِ الْخِصْبِ وَالرَّفَاقَةِ . مَشْهُونَةٌ
بِالْأَرْزَاقِ عَلَى اخْتِلَافِهَا . مَمْلُوءَةٌ بِأَنْوَاعِ الْفَوَاكِهِ وَأَصْنَافِهَا . وَجِبَالُهَا
كُتَاهَا بَسَاتِينَ مُثْمِرَةٌ بِالثَّمَرِ وَالشَّاءَ بَلُوطَ وَالْبُنْدُقَ وَالْإِجَاصَ
وغيرِهَا مِنَ الْفَوَاكِهِ . وَلَيْسَ فِي مَسِينَةِ هَذِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا نَفَرٌ
يَسِيرُ مِنْ ذَوِي الْيَمَنِ وَلِذَلِكَ لَا يَسْتَوْحِشُ بِهَا الْمُسْلِمُ الْغَرِيبُ .

وَأَحْسَنُ مَدِينًا قَاعِدَةً مُلْكُهَا . وَالْمُسَامُونَ يَعْرِفُونَهَا بِالْمَدِينَةِ وَالنَّصَارَى
يَعْرِفُونَهَا بِبَكْرَمَةَ . وَفِيهَا سَكَنَى الْخَضِرِيُّينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
وَوَبَلَرَمَةَ هَذِهِ مَسْكِنُ مُلْكِهِمْ غَلِيَامٌ . وَهِيَ أَخْضَلُ مَدُنٍ صِقْلِيَّةٍ
وَبَعْدَهَا مَسْنَبَةٌ وَشَأْنُ مُلْكِهِمْ هَذَا عَجِيبٌ فِي حُسْنِ السَّيْرِ . وَهُوَ
كَثِيرُ الثَّقَةِ بِالْمُسْلِمِينَ هُمْ أَهْلُ دَوْلَتِهِ وَالْمُرْتَسِمُونَ بِخَاصَّتِهِ . وَعَالِيَهُمْ يُلَوِّحُ
رَوْتَقُ مُمْلَكَتِهِ . لِأَنَّهُمْ مُتَّسِعُونَ فِي الْمَلَابِسِ الْفَاحِشَةِ وَالْمُرَاكِبِ الْقَاهِرَةِ .
وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ لَهُ الْحَاشِيَّةُ وَالْحَوْلُ وَالْإِتْبَاعُ . وَلِهَذَا الْمَلِكُ الْقُصُورُ
الْمُسَيَّدَةُ وَالْبَسَاتِينُ الْأَنْيَقَةُ وَلَا سِيَّمَا بِحَاضِرَةِ مُلْكِهِ الْمَدِينَةِ الْمَذْكُورَةِ .
وَلَهُ بِمَسِينَةِ قَصْرٌ أَبْيَضٌ كَالْحَمَامَةِ مُطَّلٌّ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ . وَلَيْسَ فِي
مُلُوكِ النَّصَارَى أَتَرَفٌ فِي الْمُلْكِ وَلَا أَنْعَمٌ وَلَا أَرْفَهُ مِنْهُ . وَهُوَ يَتَشَبَّهُ فِي
تَرْتِيبِ قَوَائِنِهِ وَوَضْعِ أَسَالِيهِ وَتَقْسِيمِ رَرَائِبِ رِجَالِهِ وَتَفْخِيمِ أَبْنَاءِهِ
الْمُلْكِ وَإِظْهَارِ زِينَتِهِ بِمُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ . وَهُوَ لَكِنَّهُ عَظِيمٌ جِدًّا وَلَهُ الْأَطِبَّاءُ
وَالْفُقَهَاءُ وَهُوَ كَثِيرُ الْإِعْتِنَاءِ بِهِمْ شَدِيدُ الْخَرَصِ عَلَيْهِمْ . حَتَّى إِنَّهُ مَتَى
ذَكَرَ لَهُ أَنَّ طَبِيبًا أَوْ فَقِيهًا أَجْتَازَ بِلَدِهِ أَمَرَ بِإِمْسَاكِهِ وَأَدْرَكَ لَهُ أَزْزَاقَ
مَعِيشَتِهِ . وَمِنْ عَجِيبِ شَأْنِهِ أَلْتَحَدَّثَ بِهِ أَنَّهُ يَتَرَأَّى وَيَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ
وَعَلَامَتُهُ عَلَى مَا أَعْلَمْنَا بِهِ أَحَدُ خَدَمَتِهِ الْمُخْتَصِّينَ بِهِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ
وَبِعَدْنَةِ مَسِينَةِ الْمَذْكُورَةِ دَارُ صَنْعَةٍ تَحْتَوِي مِنَ الْأَسَاطِيلِ عَلَى مَا
لَا يُخْصَى عَدْدُ مَرَآئِكِهِ . فَكَانَ زُورُنَا فِي أَحَدِ الْقُنَادِقِ وَأَقْنَانِيهَا تِسْعَةٌ
أَيَّامٍ . فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ الثَّلَاثَاءِ الثَّانِي عَشَرَ لِرَمَضَانَ رَكِبْنَا فِي زَوْرَقٍ

مُتَوَجِّهِينَ إِلَى مَدِينَةٍ بَلَرْمَةٍ . وَسِرْنَا قَرِيبًا مِنَ السَّاحِلِ بِحَيْثُ يُبْصَرُ
رَأْيُ الْعَيْنِ . وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا رِيحًا شَرْقِيَّةً رُخَاءً طَيِّبَةً زَجَّتْ الزُّورَقُ
أَهْنَأُ تَرْجِيَةً . وَسِرْنَا نُسْرِحُ اللَّحْظَ فِي عَمَارٍ وَقُرَى مُتَّصِلَةٍ وَحُصُونٍ
وَمَعَاqِلٍ فِي قُنُنِ الْجِبَالِ مُشْرِقَةٍ . وَأَبْصَرْنَا عَنْ يَمِينِنَا فِي الْبَحْرِ تِسْعَ جَزَائِرٍ
قَدْ قَامَتْ خِيَالًا مَرْتَفَعَةً عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْ بَرِّ الْجَزِيرَةِ اثْنَانِ مِنْهَا تَخْرُجُ مِنْهَا
النَّارُ دَائِمًا . وَأَبْصَرْنَا الدُّخَانَ صَاعِدًا مِنْهَا وَيُظْهِرُ بِاللَّيْلِ نَارًا أَحْمَرَ ذَاتَ
الْسُّنِّ يَصْعَدُ فِي الْجَوِّ . وَهُوَ الْبُرْكَانُ الْمَشْهُورُ خَبْرُهُ . وَأَعْلَمْنَا أَنَّ خُرُوجَهَا
مِنْ مَنَافِسَ فِي الْجِبَلَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ يَصْعَدُ مِنْهَا نَفْسُ نَارِيٍّ بِقُوَّةٍ
شَدِيدَةٍ يَكُونُ عَنْهُ النَّارُ . وَرُبَّمَا قُدِفَ فِيهَا الْحَجَرُ الْكَبِيرُ فَتَلْقَى بِهِ إِلَى
الْهَوَاءِ بِقُوَّةِ ذَلِكَ النَّفْسِ وَتَنْمُتُهُ مِنَ الْإِسْتِشْرَارِ وَالْإِنْتِهَاءِ إِلَى الْقَعْرِ .
وَهَذَا مِنْ أَعْجَابِ السَّمُوعَاتِ الصَّحِيحَةِ . وَأَمَّا الْجَبَلُ الشَّامِخُ الَّذِي بِالْجَزِيرَةِ
الْمَعْرُوفُ بِجَبَلِ النَّارِ فَشَأْنُهُ عَجِيبٌ . وَذَلِكَ أَنَّ نَارًا تَخْرُجُ مِنْهُ كَالسَّلِيلِ
الْعَرِيمِ . فَلَا تَرَى شَيْءَ إِلَّا أَحْرَقَتْهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْبَحْرِ . فَتَرْكَبُ نَيْجَهُ
عَلَى صَفْحِهِ حَتَّى تَغُوصَ فِيهِ . فَسُجَّانُ الْمُبْدِعِ فِي عَجَائِبِ مَخْلُوقَاتِهِ
وَحَلَّلْنَا عَشِيَّ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ مَرَسَى مَدِينَةِ شِفْلُودَى

(وَمَدِينَةُ شِفْلُودَى) هِيَ مَدِينَةٌ سَاحِلِيَّةٌ كَثِيرَةُ الْخَضْبِ وَاسِعَةٌ
الْمَرَاقِقِ . مُنْتَظِمَةٌ أَشْجَارُ الْأَعْنَابِ وَغَيْرُهَا . مُرْتَبَةٌ الْأَسْوَاقِ تَسْكُنُهَا
طَائِفَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَعَلَيْهَا قُنَّةُ جَبَلٍ وَاسِعَةٍ مُسْتَدِيرَةٍ فِيهَا قَلْعَةٌ لَمْ
يُرَ أَمْعُ مِنْهَا اتَّخَذُوهَا عُدَّةً لِلسُّطُولِ يُفْجَأُهُمْ مِنْ جِهَةِ الْبَحْرِ مِنْ جِهَةِ

الْمُسَامِينِ . وَكَانَ إِفْلَاحُهَا مِنْهَا نِصْفَ اللَّيْلِ فَحِجْنَا مَدِينَةَ ثَرَمَةَ صَحْوَةَ يَوْمِ
 الْخَمِيسِ بِسَبْعِ رُؤُودٍ . وَبَيْنَ الْمَدِينَتَيْنِ خَمْسَةُ وَعِشْرُونَ مِيلًا . فَأَتَقْنَا
 مِنْهَا مِنْ ذَلِكَ الزَّوْرَقِ إِلَى زَوْرَقٍ ثَانٍ أَكْثَرُ يَتَاهُ لِيَكُونَ الْبَحْرَيْنِ
 صَحْبُونَا فِيهِ مِنْ أَهْلِيهَا . وَثَرَمَةُ هَذِهِ أَحْسَنُ وَضْعًا مِنْ الَّتِي تَقْدَمُ ذِكْرُهَا .
 وَهِيَ حَصِينَةٌ تَرْكَبُ الْبَحْرَ وَتُشْرَفُ عَلَيْهِ . وَلِلْمُسْلِمِينَ فِيهَا رَبَضٌ كَبِيرٌ
 لَهُمْ فِيهِ الْمَسَاجِدُ . وَلَهَا قَلْعَةٌ سَامِيَةٌ مَنِيعَةٌ . وَفِي أَسْفَلِ الْبَلَدَةِ أَجَمَةٌ قَدْ
 أَغْنَتْ أَهْلَهَا عَنْ اتِّخَاذِ حِمَامٍ . وَهَذِهِ الْبَلَدَةُ مِنَ الْخِصْبِ وَسِعَةِ الرِّزْقِ
 عَلَى غَايَةٍ . وَالْجَزِيرَةُ بِأَسْرَهَا مِنْ أَعْجَبِ بِلَادِ اللَّهِ فِي الْخِصْبِ وَسِعَةِ
 الْأَرْزَاقِ . فَأَقْنَا بِهَا يَوْمَ الْخَمِيسِ الرَّابِعَ عَشَرَ لِشَهْرِ الْمَذْكُورِ وَتَحْنُ قَدْ
 أُرْسِنَا فِي وَادٍ بِأَسْفَلِهَا . وَيَطْلُعُ فِيهِ الْمُدَّمِنُ الْبَحْرُ ثُمَّ يَنْخَسِرُ عَنْهُ . وَبَيْنَا
 بِهَا لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ . ثُمَّ انْقَلَبَ الْهَوَاءُ غَرِيْبًا فَلَمْ نَجِدْ لِلْإِفْلَاحِ سَبِيلًا .
 وَبَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ الْمُقْصُودَةِ الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ النَّصَارَى بِثَرَمَةَ خَمْسَةُ
 وَعِشْرُونَ مِيلًا . فَخَشِينَا طُولَ الْمَقَامِ وَحَمَدْنَا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ
 مِنْ التَّسْهِيلِ فِي قَطْعِ الْمَسَافَةِ فِي يَوْمَيْنِ . وَقَدْ تَلَبَّثُ الزَّوَارِقُ فِي
 قَطْعِهَا عَلَى مَا أَعْلَمْنَا بِهِ الْعِشْرِينَ يَوْمًا وَالثَّلَاثِينَ يَوْمًا وَنِيفًا عَلَى ذَلِكَ .
 فَاصْبَحْنَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ مُنْتَصِفَ الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ عَلَى نِيَّةٍ مِنَ الْمَسِيرِ فِي الْبَرِّ
 عَلَى أَقْدَامِنَا . فَحَمَلْنَا بَعْضُ أَصْبَانِنَا وَخَلَقْنَا بَعْضُ الْأَصْحَابِ عَلَى الْأَسْبَابِ
 الْبَاقِيَةِ فِي الزَّوْرَقِ . وَسِرْنَا فِي طَرِيقٍ كَأَنَّهَا السُّوقُ عِمَارَةً وَكَثْرَةً
 صَادِرٍ وَوَارِدٍ . وَطَوَائِفُ النَّصَارَى يَتَلَقَّوْنَا فَيَبَادِرُونَ بِالسَّلَامِ عَلَيْنَا

وَيُونُسُونَا. قَرَأْنَا مِنْ سِيَاسَتِهِمْ وَلَيْنَ مَقْصَدِهِمْ مَعَ الْمُسْلِمِيَّةِ مَا يُوقِعُ
الْحُبَّ. حَتَّى أَتَيْنَا إِلَى قَصْرِ سَعْدٍ وَهُوَ عَلَى قَرْخٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَقَدْ أَخَذَ
بِنَا الْإِعْيَاءَ فَلَمَّا إِلَيْهِ وَبَنَّا فِيهِ. وَهَذَا الْقَصْرُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ مُشِيدٌ
الْبَنَاءُ عَتِيقُهُ قَدِيمُ الْوَضْعِ مِنْ عَهْدِ مَلِكَةِ الْمُسْلِمِينَ لِلْجَزِيرَةِ. وَيَازَانُهُ
عَيْنُ تُعَرَّفُ بِعَيْنِ الْمَجْنُونَةِ. وَلَهُ بَابٌ وَثِيقٌ مِنَ الْحَدِيدِ. وَدَاخِلُهُ مَسَاكِينُ
وَعَلَالِي مُشْرِقَةٌ وَبُيُوتٌ مُنْتَظِمَةٌ. وَهُوَ كَامِلٌ مَرَاقِقِ السُّكْنَى وَفِي
أَعْلَاهُ مَسْجِدٌ مِنْ أَحْسَنِ مَسَاجِدِ الدُّنْيَا بَهَاءً. مُسْتَطِيلٌ ذُو حَنَائِيَا
مَقْرُوشَةٍ بِحُصْرٍ تُطِيفُهُ لَمْ يُدْ أَحْسَنُ مِنْهَا صَنْعَةً. وَقَدْ عُلِقَ فِيهِ نَحْوُ
الْأَرْبَعِينَ قِنْدِيلًا مِنْ أَنْوَاعِ الصُّفْرِ وَالزُّجَاجِ. وَأَمَامَهُ شَارِعٌ وَاسِعٌ
مُسْتَدِيرٌ بِأَعْلَى الْقَصْرِ وَفِي أَسْفَلِ الْقَصْرِ بَيْتٌ عَذْبَةٌ. فَبَنَّا فِي هَذَا
الْمَسْجِدِ أَحْسَنَ مَبِيتٍ وَأَطْيَبَهُ. وَبِمَقَرَّةٍ مِنْ هَذَا الْقَصْرِ نَحْوُ أَلِيلٍ إِلَى
جِهَةِ الْمَدِينَةِ قَصْرٌ آخَرٌ عَلَى صِفَتِهِ يُعَرَّفُ بِقَصْرِ جَعْفَرٍ. وَدَاخِلُهُ سِقَايَةٌ
تَقُورُ بِمَاءٍ عَذْبٍ. وَأَبْصَرْنَا لِلنَّصَارَى فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ كِتَابًا سَمِعْنَا
لِمَرْضَى النَّصَارَى. وَلَهُمْ فِي مُلْسِهِمْ مِثْلُ ذَلِكَ فِي صِفَةِ مَارِسَاتِنَا
الْمُسْلِمِينَ. وَأَبْصَرْنَا لَهُمْ بَعْكَ وَبُصُورَ مِثْلِ ذَلِكَ. فَعَجِبْنَا مِنْ أَعْتَابِهِمْ
بِهَذَا الْقَدْرِ. فَلَمَّا صَلَّيْنَا الصُّبْحَ تَوَجَّهْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَجِئْنَا لِنَدْخُلَ فَمَنَعْنَا
وَحَمَلْنَا إِلَى الْبَابِ الْتَّصِلُ بِبُصُورِ الْمَلِكِ الْأَفْرَنْجِيِّ غُلَامٌ وَأَدْنَا إِلَى
الْمُسْتَحْفِ لَيْسَا لَنَا عَنْ مَقْصَدِنَا. وَكَذَلِكَ فَعَلَهُمْ بِكُلِّ غَرِيبٍ قَسِرْنَا فِي
سَكِّ رِحَابٍ وَأَبْوَابٍ وَسَاحَاتٍ مُلَوَّكَةٍ. وَأَبْصَرْنَا مِنَ الْقُصُورِ الْمَشْرِقَةِ

وَالْمِيَادِينَ الْمُنْتَظِمَةَ وَالنَّبَاتِينَ وَالْمُرَاتِبِ الْمُتَّخِذَةَ لِأَهْلِ الْخِدْمَةِ مَا رَاعَ
 أَبْصَارَنَا. وَأَذْهَلَ أَفْكَارَنَا. وَأَبْصَرْنَا فِيهَا أَبْصَرَنَا مُجْلِسًا فِي سَاحَةِ
 فَسِيحَةٍ قَدْ أَحْدَقَ بِهَا بُسْتَانٌ وَاتَّظَمَتْ بِجَوَانِبِهَا بَلَّاطَاتٌ. وَالْمُجْلِسُ قَدْ
 أَخَذَ اسْتِطَالََةَ تِلْكَ السَّاحَةِ كُلِّهَا. فَحِجَابًا مِنْ طُولِهِ وَإِشْرَافٍ مَنَاطِرِهِ.
 فَأَعْلَمْنَا أَنَّهُ مَوْضِعُ غِذَاءِ الْمَلِكِ مَعَ أَصْحَابِهِ. وَتِلْكَ الْبَلَّاطَاتُ وَالْمُرَاتِبُ
 حَيْثُ تَقْعُدُ حُكَّامُهُ وَأَهْلُ الْخِدْمَةِ وَالْعِمَالَةُ أَمَامَهُ. فَخَرَجَ إِلَيْنَا ذَلِكَ
 الْمُسْتَحْلِفُ يَهْدِي بَيْنَ خَدِيمَيْنِ يَخْضَعَانِ بِهِ وَيَدْفَعَانِ أَذْيَالَهُ. فَأَبْصَرْنَا
 شَيْخًا طَوِيلَ السَّلَةِ أَبْيَضَهَا ذَا أَبْهَةٍ. فَسَأَلْنَا عَنْ مَقْصِدِنَا وَعَنْ بَلَدِنَا
 بِكَلَامٍ عَرَبِيٍّ لَيْنٍ فَأَعْلَمَنَا. فَأَظْهَرَ الْإِشْفَاقَ عَلَيْنَا وَأَمَرَ بِأَنْصُرَافِنَا
 بَعْدَ أَنْ أَخْفَى فِي السَّلَامِ وَاللِّعَاءِ فَحِجَابًا مِنْ شَأْنِهِ. وَكَانَ أَوَّلُ سُؤَالِهِ
 لَنَا عَنْ خَبَرِ الْأُسْطَنْطِينِيَّةِ الْعَظْمَى وَمَا عِنْدَنَا مِنْهُ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا مَا نَعْلِمُهُ
 بِهِ. وَخَرَجْنَا إِلَى أَحَدِ الْفَتَادِقِ فَزَلْنَا فِيهِ وَذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ الثَّانِي
 وَالْعِشْرِينَ لِذِي حِجْرٍ. وَفِي خُرُوجِنَا مِنَ الْقَصْرِ الْمَذْكُورِ سَلَكْنَا بَلَّاطًا
 مُتَّصِلًا مَشِينًا فِيهِ مَسَافَةٌ طَوِيلَةٌ وَهُوَ مُسَقَّفٌ حَتَّى اتَّهَبْنَا إِلَى كَنِيسَةٍ
 عَظِيمَةٍ الْبِنَاءِ. فَأَعْلَمْنَا أَنَّ ذَلِكَ الْبَلَّاطُ مَمْشَى الْمَلِكِ إِلَى هَذِهِ الْكَنِيسَةِ
 (ذَكَرُ بِلَرْمَةٍ) هِيَ بِهَذِهِ الْجَزَائِرِ أُمُّ الْخَضَارَةِ. وَالْجَامِعَةُ بَيْنَ الْحُسَيْنِ
 غَضَارَةِ وَنَضَارَةِ. فَمَا شِئْتُ بِهَا مِنْ جَمَالٍ وَخَيْرٍ وَمَنْظَرٍ. وَمَرَادِ عَيْشٍ يَابِغٍ
 أَخْضَرَ. عَيْقَةً أُنِيقَةً. مُشْرِقَةً مُؤْنِقَةً. تَتَطَلَّعُ بِرَأْيِ فَتَانٍ. وَتُخَايَلُ
 بَيْنَ سَاحَاتٍ وَبَسَاطِطٍ كُلُّهَا بُسْتَانٌ. فَسِيحَةُ السِّكِّكِ وَالشَّوَارِعِ. تَرْوِقُ

الْأَبْصَارَ بِحُسْنِ مَنَظَرِهَا الْبَارِعِ عَجِيبَةِ الشَّانِ . قُرْطُيَّةُ الْبَلْبَانِ . مَبَانِيهَا
 كُلُّهَا تَمْخُوتُ الْحَجَرِ الْمَعْرُوفِ بِالْكَذَّانِ . يَشْتُمُّهَا نَهْرٌ مَعِينٌ وَيَطْرُدُ فِي
 جَنَابَتِهَا أَرْبَعُ عُيُونٍ قَدْ زَخَرَتْ مِنْهَا لِلْمَلِكِ دُنْيَاهُ فَأَتَّخَذَهَا حَاضِرَةً
 مُلْكِهِ الْإِفْرَنْجِي . تَنْتَظِمُ بِلَبَّتِهَا قُصُورَهُ أَنْتِظَامُ الْعُمُودِ فِي مُحُورِ
 الْكُوعِابِ . وَيَتَقَلَّبُ مِنْ بَسَاتِينِهَا وَمِيَادِينِهَا بَيْنَ زُرْهَةِ وَمَلَايِبِ . فَكَمْ
 لَهُ فِيهَا مِنْ مَقَاصِيرَ وَمَصَانِعَ . وَمَنَاطِرَ وَمَطَالِعَ . وَكَمْ لَهُ بِجِبَابَتِهَا مِنْ دِيَارَاتِ
 قَدْ زَخِرَتْ بِبَنَائِنِهَا . وَرَفَّةٍ بِالْإِطْعَامَاتِ الْوَاسِعَةِ رُهْبَانِهَا . وَكُنَائِسَ
 قَدْ صِيغَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ صَالِبَانِهَا . وَلِلْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ
 أَرْبَاضٌ قَدْ انْفَرَدُوا فِيهَا سَكْنَاهُمْ عَنِ النَّصَارَى وَالْأَسْوَاقِ مَعْمُورَةٌ
 بِهِمْ وَهُمْ أَتَجَّارُ فِيهَا وَيَصْلُونَ الْأَعْيَادَ بِخُطْبَةٍ وَدُعَاؤِهِمْ فِيهَا لِلْعَبَاسِيِّينَ .
 وَلَهُمْ بِهَا قَاضٍ يَرْتَفِعُونَ إِلَيْهِ فِي أَحْكَامِهِمْ . وَلِهَذِهِ الْمَدِينَةُ شَبَّهَ
 بِقُرْطُوبَةٍ أَنَّ لَهَا مَدِينَةً قَدِيمَةً تُعْرَفُ بِالْقَصْرِ الْقَدِيمِ هِيَ فِي وَسْطِ
 الْمَدِينَةِ الْحَدِيثَةِ وَعَلَى هَذَا الْمِثَالِ مَوْضِعُ قُرْطُوبَةٍ . وَبِهَذَا الْقَصْرِ دِيَارُ كَانِهَا
 الْقُصُورُ الْمَشِيدَةُ . لَهَا مَنَاطِرُ فِي الْجَوِّ مُظْلِمَةٌ تُحَارُّ الْأَبْصَارُ فِي حُسْنِهَا
 (كَنِيسَةُ بِلَرْمَةِ) وَمِنْ أَعْجَبِ مَا شَاهَدْنَاهُ بِهَا مِنْ أُمُورِ النَّصَارَى
 كَنِيسَةٌ تُعْرَفُ بِكَنِيسَةِ الْأَنْطَاكِيِّ أَبْصَرْنَاهَا يَوْمَ الْيَلَادِ وَهُوَ يَوْمُ
 عِيدِهِمْ عَظِيمٍ . وَقَدْ احْتَفَلُوا لَهَا رِجَالًا وَنِسَاءً فَأَبْصَرْنَا مِنْ بَنَائِنِهَا مَرَأًى
 يَفْجِرُ الْوَصْفَ عَنْهُ وَيَقَعُ الْقَطْعُ بِأَنَّهُ أَعْجَبُ مَصَانِعِ الدُّنْيَا الْمَزْخَرَفَةِ .
 جُدُّهَا الدَّاخِلَةُ ذَهَبٌ كُلُّهَا وَفِيهَا مِنْ أَلْوَابِ الرُّخَامِ الْمَلُونِ مَا لَمْ يُرْ

مِنْهُ قَطُّ قَدْ رُصِّعَتْ كُلُّهَا بِفُصُوصِ الذَّهَبِ وَكُلَّتْ بِأَشْجَارِ الْفُصُوصِ
 الْخَضِرِ وَنُظِمَ أَغْلَاهَا بِالشَّمْسِيَّاتِ الْمَذَهَّبَاتِ مِنَ الزُّجَاجِ . فَتَخَفُّفُ الْأَبْصَارِ
 بِسَاطِعِ شُعَائِهَا وَتُحْدِثُ فِي النَّفْسِ قِتَّةً . وَأَعْلَمْنَا أَنَّ بَارِيهَا الَّذِي
 تُنْسَبُ إِلَيْهِ أَنْفَقَ فِيهَا قَنَاطِيرَ مِنَ الذَّهَبِ وَكَانَ وَزِيرًا جَلِيدَ هَذَا الْمَلِكِ .
 وَلِهَذَا الْكَنِيسَةُ صَوْمَعَةٌ قَدْ قَامَتْ عَلَى أَعْمِدَةٍ سَوَارٍ مِنَ الرُّخَامِ
 وَعَلَيْهَا قُبَّةٌ عَلَى أُخْرَى سَوَارٍ كُلُّهَا فَتَعْرِفُ بِصَوْمَعَةِ السَّوَارِيِّ وَهِيَ مِنْ
 أَعْجَابِ مَا يُبْصَرُ مِنَ الْبَلَدِ . وَزِيَّ النَّصْرَانِيَّاتِ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ زِيَّ
 نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ . فَصِيحَاتُ الْأَلْسُنِ مُلْتَفَخَاتُ مُتَتَبَّاتٍ . خَرَجْنَا فِي هَذَا
 الْعَمِيدِ الْمَذْكُورِ وَقَدْ لَسْنَا ثِيَابَ الْحَرِيرِ الْمَذَهَّبِ وَالتَّخْفِضِ الرَّائِقَةِ
 وَاتَّقَيْنَ بِالنَّسَبِ الْمُلُوتَةِ . وَاتَّمَلْنَا الْأَخْفَافَ الْمَذَهَبَةَ . وَرَزَنَ
 لِكِنَانِسِينَ حَامِلَاتِ جَمِيعِ زِينَةِ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ التَّحْلِيِّ وَالتَّخَضُّبِ
 وَالتَّعْطَرِ . وَكَانَ مُقَامُنَا بِهَذِهِ الْمَدِينَةِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . وَزَرْنَا بِهَا فِي أَحَدِ
 فَنَادِقِهَا الَّتِي يَسْكُنُهَا الْمُسْلِمُونَ . . . وَخَرَجْنَا مِنْهَا صَبْحَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الثَّانِي
 وَالْعِشْرِينَ لِهَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ وَالثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ لِشَهْرِ دِجَنْبَرٍ إِلَى
 مَدِينَةِ أَطْرَابُشَ بِسَبَبِ مَرَكَبَيْنِ بِهَا أَحَدُهُمَا يَتَوَجَّهُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ
 وَالثَّانِي إِلَى سَبْتَةِ . فَسَلَكْنَا عَلَى قُرَى مُتَّصِلَةٍ وَضِيَاعٍ مُتَجَاوِرَةٍ وَأَبْصَرْنَا
 حَارِثَ وَمَزَارِعَ لَمْ تَزَلْ تَزِينُهَا طَيْبًا وَكَرَمًا وَاتِّسَاعًا . فَشَبَّهْنَاهَا بِقَبَائِلَةِ
 قُرُطَبَةٍ أَوْ هَذِهِ أَطْيَبُ وَأَمَنُ . وَبَيْنَا فِي الطَّرِيقِ لَيْلَةٌ وَاحِدَةٌ فِي بَلَدَةٍ
 تُعْرَفُ بِعَلْقَمَةٍ . وَهِيَ كَبِيرَةٌ مُتَّسِعَةٌ فِيهَا السُّوقُ وَالْمَسَاجِدُ وَسُكَّانُهَا

وَسَكَانُ هَذِهِ الصَّيَاحِ الَّتِي فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ كُلُّهَا مُسْلِمُونَ. وَفُتِنَا مِنْهَا سَحَرٌ
يَوْمَ السَّبْتِ فَأَجْتَرْنَا بِمَقَرَّةٍ مِنْهَا عَلَى حِصْنٍ يُعْرَفُ بِحِصْنِ الْحَنَةِ وَهُوَ
بَلَدٌ كَبِيرٌ فِيهِ حَمَامَاتٌ. وَقَدْ فَجَّرَهَا اللَّهُ يُنَاجِعُ فِي الْأَرْضِ وَأَسَالَهَا
عَنَاصِرٌ لَا يَكَادُ الْبَدَنُ يُحْتَمِلُهَا لِإِفْرَاطِ حَرِّهَا. فَأَجْرْنَا مِنْهَا وَاحِدَةً عَلَى
الطَّرِيقِ. فَتَزَلْنَا إِلَيْهَا عَنِ الدَّوَابِّ وَأَرْحَتْنَا الْأَبْدَانُ بِالِاسْتِحْثَامِ فِيهَا.
وَوَصَلْنَا إِلَى أَطْرَابِ بَنَشَ عَصْرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَتَزَلْنَا فِيهَا فِي دَارٍ أَكْثَرَتْهَا
(مَدِينَةُ أَطْرَابِ بَنَشَ) وَهِيَ مَدِينَةٌ صَغِيرَةٌ السَّاحَةِ. غَيْرُ كَبِيرَةٍ
السَّاحَةِ. مُسَوَّرَةٌ بَيْضَاءُ كَالْحَمَامَةِ. مَرَسَاهَا مِنْ أَحْسَنِ الْمَرَايِ
وَأَوْقَعَهَا لِلْمَرَآكِ. وَلِذَلِكَ كَثِيرًا مَا يَقْصِدُ الرُّومُ إِلَيْهَا وَلَا يَسِيئُ
الْمُفْلِمُونَ إِلَى بَرِّ الْعُدُوَّةِ. فَإِنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ تُونِسَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ.
فَالسَّفَرُ مِنْهَا إِلَيْهَا لَا يَتَعَطَّلُ شِتَاءً وَلَا صَيْفًا إِلَّا رَيْثَمَا تَهَبُّ الرِّيحُ
الْمُؤَافِقَةُ. فَتَجْرَاهَا فِي ذَلِكَ تَجْرَى الْحِجَازُ الْقَرِيبُ. وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ السُّوقُ
وَالْحَمَامُ وَجَمِيعُ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِ الْمَدِينِ. لَكِنَّهَا فِي لَهَوَاتِ الْبَحْرِ
لِإِحَاطَتِهِ بِهَا مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتٍ وَاتِّصَالِ الْبَرِّ بِهَا مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ
صَنِيقَةٍ. وَالْبَحْرُ فَاعْرِفَاهُ لَهَا مِنْ سَائِرِ الْجِهَاتِ. فَأَهْلُهَا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ
مِنَ الْإِسْتِدْلَاءِ عَلَيْهَا وَإِنْ تَرَخَى مَدَى أَيَّامِهَا. وَهِيَ مُوَافِقَةٌ لِرِخَاءِ
السَّعْرِ بِهَا لِأَنَّهَُا عَلَى مَحَرِّ عَظِيمٍ. وَسَكَانُهَا الْمُسْلِمُونَ وَالنَّصَارَى
وَلِكُلِّ الْفَرِيقَيْنِ فِيهَا الْمَسَاجِدُ وَالْكَتَائِبُ. وَيَرْكَنُهَا مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ
مَا بَلَا إِلَى الشِّمَالِ عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْهَا جَبَلٌ عَظِيمٌ مُفْرِطُ السَّمَوَاتِ مُتَّسِعٌ. فِي

أَعْلَاهُ قُوَّةٌ تَقْطَعُ عَنْهُ وَفِيهَا مَعْقِلٌ لِلرُّومِ . وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَبَلِ قَنْطَرَةٌ
 وَتَصِلُ بِهِ فِي الْجَبَلِ لِلرُّومِ بَلَدٌ كَبِيرٌ . وَهَذَا الْجَبَلُ الْكُرُومُ وَالْمَزَارِعُ .
 وَأَعْلَمْنَا أَنَّ بِهِ نَحْوَ أَرْبَعِينَ عَيْنٍ مُتَجَرَّةً . وَهُوَ يُعْرَفُ بِجَبَلِ حَامِدٍ
 وَالصُّعُودُ إِلَيْهِ هَيِّنٌ مِنْ إِحْدَى جِهَاتِهِ . وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ مِنْهُ يَكُونُ قَفْحُ
 هَذِهِ الْجَزِيرَةِ وَلَا سَبِيلَ أَنْ يَتْرَكُوا مُسْلِمًا يَصْعَدُ إِلَيْهِ . وَلِذَلِكَ أَعَدُّوا
 فِيهِ ذَلِكَ الْمَعْقِلَ الْحَصِينَ . فَلَوْ أَحْصَوْا بِحَادِثَةِ حَصْنٍ وَآخِرِهِمْ فِيهِ وَقَطَعُوا
 الْقَنْطَرَةَ . وَاعْتَزَّضَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الَّذِي فِي أَعْلَاهُ خَنْدَقٌ كَبِيرٌ .
 وَشَأْنُ هَذَا الْبَلَدِ عَجِيبٌ فَمَنْ أَلْجَبَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مِنَ الْعُيُونِ الْمُتَجَرَّةِ
 مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ . وَأَطْرَابُنْشُ فِي هَذَا الْبَسِيطِ وَلَا مَاءَ لَهَا إِلَّا مِنْ بَيْرٍ
 عَلَى الْبُعْدِ مِنْهَا . وَفِي دِيَارِهَا أَبَارٌ قَصِيرَةٌ الْأَرْشِيَّةُ مَاؤُهَا كُلُّهَا شَرِيبٌ
 لَا يُسَاغُ . وَأَتَقْنَا الْمَرْكَبِينَ الَّذِينَ يَرُومَانِ الْإِقْلَاعَ إِلَى الْمَغْرِبِ بِهَا .
 وَنَحْنُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ نُؤْمِلُ رُكُوبَ أَحَدِهَا وَهُوَ الْقَاصِدُ إِلَى بَرِّ الْأَنْدَلُسِ .
 وَاللَّهُ بِمَعْهُودِ صُنْعِهِ الْجَمِيلِ كَفِيلٌ يَمْنَهُ . وَفِي غَرْبِي هَذِهِ الْبَلَدَةِ
 أَطْرَابُنْشُ ثَلَاثُ جَزَائِرٍ فِي الْبَحْرِ عَلَى نَحْوِ قَرْتَحِينٍ مِنْهَا . وَهِيَ صِفَارٌ
 مُتَجَاوِرَةٌ . إِحْدَاهَا تُعْرَفُ بِمِلْطَةِ وَالْآخَرَى بِبَابَةِ وَالثَّلَاثَةُ تُعْرَفُ
 بِالرَّاهِبِ نُسِبَتْ إِلَى رَاهِبٍ يَسْكُنُهَا فِي بِنَاءِ أَعْلَاهَا كَأَنَّهُ الْحِصْنُ وَهُوَ
 مَكْمَنٌ لِلْعَدُوِّ . وَالْجَزِيرَتَانِ لَا عِمَارَةَ فِيهِمَا وَلَا يَمُرُّ الثَّلَاثَةُ سِوَى
 الرَّاهِبِ الْمَذْكُورِ . ثُمَّ اتَّفَقَ كِرَاوْنَا فِي الْمَرْكَبِ الْمُتَوَجِّهِ إِلَى بَرِّ الْأَنْدَلُسِ
 وَنَظَرْنَا فِي الزَّادِ وَاللَّهُ الْمُتَكَفِّلُ بِالتَّيسِيرِ وَالتَّسْهِيلِ (لَا بَنَ جَبِير)

أَلْبَابُ الثَّلَاثِينَ عَشَرَ فِي عَجَائِبِ الْمَخْلُوقَاتِ

في شرح عجب الموجودات

٣٤٠ قَالَ الْقَزْوِينِي: الْعَجَبُ حَيْرَةٌ تَرْضَى لِلْإِنْسَانِ لِفُصُورِهِ عَنْ مَعْرِفَةِ سَبَبِ الشَّيْءِ أَوْ عَنْ مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ تَأْثِيرِهِ فِيهِ . مِثَالُهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى خَلِيَّةَ الثَّخْلِ وَلَمْ يَكُنْ شَاهِدَهُ قَبْلُ تَعْتَرِيهِ حَيْرَةٌ لِعَدَمِ مَعْرِفَةِ فَاعِلِهِ . فَلَوْ عَرَفَ أَنَّهُ مِنْ عَمَلِ الثَّخْلِ لَتَحَيَّرَ أَيْضًا . مِنْ حَيْثُ إِنَّ ذَلِكَ الْحَيَوَانَ الضَّعِيفَ كَيْفَ أَحَدَثَ هَذِهِ الْمَسَدَّاتِ الْمُنْتَاسَوِيَّةَ الْأَضْلَاعِ الَّتِي عَجَزَ عَنْ مِثْلِهَا الْمُهَنْدِسُ الْحَاقِقُ مَعَ الْفِرْجَارِ وَالْمِسْطَرَةِ . وَمِنْ أَيْنَ لَهَا هَذَا السَّمْعُ الَّذِي اتَّخَذَتْ مِنْهُ يُبُوتَهَا الْمُنْتَاسَوِيَّةُ الَّتِي لَا يُخَالِفُ بَعْضُهَا بَعْضًا . كَأَنَّهَا أَفْرِغَتْ فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ . وَمِنْ أَيْنَ لَهَا هَذَا الْعَسَلُ الَّذِي أَوْدَعَتْهُ فِيهَا ذَخِيرَةٌ لِلشِّتَاءِ . وَكَيْفَ عَرَفَتْ أَنَّ الشِّتَاءَ يَأْتِيهَا وَأَنَّهَا تَفْقِدُ فِيهِ الْغَدَاءَ . وَكَيْفَ اهْتَدَتْ إِلَى تَغْطِيَةِ جِزَائِهِ الْعَسَلِ بِغِشَاءِ رَقِيقٍ لِيَكُونَ السَّمْعُ مُحِيطًا بِالْعَسَلِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِيهِ فَلَا يَنْشَفُهُ الْهَوَاءُ وَلَا يُصِيبُهُ الْغُبَارُ . وَتَبْقَى كَالْبَرْزِيَّةِ الْمُضْمَمَةِ الرَّأْسِ بِالْكَاعْغِدِ . قَدْ ذَا مَعْنَى الْعَجَبِ . وَكُلُّ مَا فِي الْعَالَمِ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ إِلَّا أَنَّ الْإِنْسَانَ يُدْرِكُهُ فِي صَبَاهُ عِنْدَ قَدِّ النَّجْرَةِ . ثُمَّ تَبْدُو فِيهِ غَرِيزَةُ الْعَقْلِ قَلِيلًا قَلِيلًا وَهُوَ مُسْتَرْقُ الْأَهَمِّ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ وَتَحْصِيلِ شَهَوَاتِهِ وَقَدْ أَنْسَ بِمُدْرَكَاتِهِ

وَمَحْسُوسَاتِهِ فَسَطَّ عَنْ نَظَرِهِ بِطُولِ الْأَنْسِ بِهَا . فَإِذَا رَأَى بَقْعَةً
حَيَوَانًا غَرِيبًا أَوْ نَبَاتًا نَادِرًا أَوْ فِعْلًا خَارِقًا لِلْعَادَاتِ انْطَلَقَ لِسَانُهُ
بِالتَّسْبِيحِ فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ . وَهُوَ يَرَى طُولَ عُمرِهِ أَشْيَاءَ تَخَيَّرُ فِيهَا
عُقُولُ الْعُقَلَاءِ وَتَدْهَشُ فِيهَا نُفُوسُ الْأَذْكِيَاءِ

فَمَنْ أَرَادَ صِدْقَ هَذَا الْقَوْلِ فَلْيَنْظُرْ بَعَيْنَ الْبَصِيرَةِ إِلَى هَذِهِ
الْأَجْسَامِ الرَّفِيعَةِ وَسَمْعَتِهَا وَصَلَابَتِهَا وَحِفْظِهَا عَنِ التَّغْيِيرِ وَالْتَّسَادِ فَإِنَّ
الْأَرْضَ وَالْمَوَاءَ وَالْجَوَّاءَ بِالإِضَافَةِ إِلَيْهَا كَحَقِيقَةِ مُلْقَاةٍ فِي فَلَاةٍ . ثُمَّ
يَنْظُرُ إِلَى دَوَرَانِهَا مُخْتَلِفًا فَإِنَّ بَعْضَهَا يَدُورُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا رَحْوَةً . وَبَعْضُهَا
حَمَلِيَّةٌ . وَبَعْضُهَا دَوْلَابِيَّةٌ . وَبَعْضُهَا يَدُورُ سَرِيعًا . وَبَعْضُهَا يَدُورُ بَطِيئًا .
ثُمَّ إِلَى دَوَامِ حَرَكَاتِهَا مِنْ غَيْرِ قُتُورٍ . ثُمَّ إِلَى إِمْسَاكِهَا مِنْ غَيْرِ عَمْدٍ
تَتَعَمَّدُ بِهِ أَوْ عِلَاقَةٍ تَدْتَلِّي بِهَا . ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى كَوَاكِبِهَا وَشَمْسِهَا وَقَمَرِهَا
وَأَخْتِلَافِ مَشَارِقِهَا وَمَغَارِبِهَا لِأَخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ
نُشُوءِ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ . ثُمَّ إِلَى سَيْرِ كَوَاكِبِهَا وَكَثْرَتِهَا وَأَخْتِلَافِ
أَلْوَانِهَا . فَإِنَّ بَعْضَهَا يَمِيلُ إِلَى الْحُمْرَةِ وَبَعْضُهَا إِلَى الْبَيَاضِ وَبَعْضُهَا
إِلَى لَوْنِ الرِّصَاصِ . ثُمَّ إِلَى مَسِيرِ الشَّمْسِ فِي فَلَكِهَا مُدَّةَ سَنَةٍ وَطُلُوعِهَا
وَغُرُوبِهَا كُلِّ يَوْمٍ . لِأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَعْرِفَةِ الْأَوْقَاتِ وَتَمْيِيزِ
وَقْتِ الْمَعَاشِ عَنْ وَقْتِ الْإِسْتِرَاحَةِ . ثُمَّ إِلَى إِمَالَتِهَا عَنْ وَسَطِ السَّمَاءِ
إِلَى الْجَنُوبِ وَإِلَى الشَّمَالِ حَتَّى وَقَعَ الصَّيْفُ وَالشِّتَاءُ وَالرَّبِيعُ وَالْخَرِيفُ .
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى جِزْمِ الْقَمَرِ وَكَيْفِيَةِ اكْتِسَابِهِ النُّورَ مِنَ الشَّمْسِ لِيُنُوبَ

عَنْهَا بِاللَّيْلِ . ثُمَّ إِلَى امْتِلَائِهِ وَانْفِصَافِهِ . ثُمَّ إِلَى كُسُوفِ الشَّمْسِ
وَكُسُوفِ الْقَمَرِ وَإِلَى الْحَجَرَةِ وَهُوَ الْبَيَاضُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ سُرْجُ
السَّمَاءِ . وَهُوَ عَلَى فَلَكَ يَدُورُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى نَارِ حَوِيَّةَ . وَتَحَابُّ السَّمَاوَاتِ
لَا مَطْمَعَ فِي إِخْصَاءِ عَشْرِ عَشْرِهَا وَفِي مَا ذَكَرْنَاهُ تَبْصِرَةٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مِنْ انْقِصَاضِ الشَّهْبِ
وَالنُّيُومِ وَالرُّعُودِ وَالْبُرُوقِ وَالصَّوَاعِقِ وَالْأَمْطَارِ وَالثَّلُوجِ وَالرِّيَّاحِ
الْمُخْتَلِفَةِ الْمَهَابِ . وَلِيَتَأَمَّلَ السَّحَابَ الثَّقَالَ الْكَثِيفَ الْمُظَامَ كَيْفَ اجْتَمَعَ
فِي جَوْ صَافٍ لَا كُدُورَةَ فِيهِ وَكَيْفَ حَمَلَ الْمَاءَ . وَتَسْخِيرَ الرِّيَّاحِ فَإِنَّهَا
تَتَلَاَبُ بِهِ وَتَسُوقُهُ إِلَى الْمَوَاضِعِ الَّتِي أَرَادَهَا اللَّهُ سُجَّانَهُ فَتَرِشُ بِالْمَاءِ
وَجَهَ الْأَرْضِ وَتُرْسِلُهُ قَطَرَاتٍ مُتَفَاصِلَةً . لَا تُدْرِكُ قَطْرَةٌ مِنْهَا قَطْرَةً
لِيُصِيبَ وَجَهَ الْأَرْضِ بِرَفْقٍ . فَلَوْ صَبَّهُ صَبًّا لَأَفْسَدَ الزَّرْعَ بِجَدَشِهِ وَجَهَ
الْأَرْضِ . وَيُرْسِلُهَا مُقَدَّارًا كَافِيًا لَا كَثِيرًا زَائِدًا عَنْ الْحَاجَةِ فَيَعْمُرُ
النَّبَاتُ . وَلَا تَاقِصًا فَلَا يَتِمُّ بِهِ النُّمُو . ثُمَّ إِلَى اخْتِلَافِ الرِّيَّاحِ فَإِنَّ مِنْهَا
مَا يَسُوقُ السُّحُبَ وَمِنْهَا مَا يَنْشُرُهَا . وَمِنْهَا مَا يَجْمَعُهَا وَمِنْهَا مَا يَنْصِرُهَا .
وَمِنْهَا مَا يُلْقِحُ الْأَشْجَارَ . وَمِنْهَا مَا يُدِيرِي الزَّرْعَ وَالْأَشْمَارَ . وَمِنْهَا مَا يُخَفِّفُهَا
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى الْأَرْضِ وَجَعَلَهَا وَقُورًا لِتَكُونَ فِرَاشًا وَمَهَادًا ثُمَّ إِلَى
سَعَةِ اكْتِنَافِهَا وَبُعْدِ أَقْطَارِهَا حَتَّى عَجَزَ الْآدَمِيُّونَ عَنْ بُلُوغِ جَمِيعِ
جَوَانِبِهَا . ثُمَّ إِلَى جَمَلِ ظَهْرِهَا مُحَلًّا لِلْأَحْيَاءِ وَبَطْنِهَا مَقَرًّا لِلْأَمْوَاتِ .
فَتَرَاهَا وَهِيَ مَيِّتَةٌ فَإِذَا أُتْرِلَ عَلَيْهَا الْمَاءُ أَهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ وَأَظْهَرَتْ

أَجْنَاسَ الْمَعَادِنِ وَأَنْبَتَ أَنْوَاعِ النَّبَاتِ وَأَخْرَجَتْ أَصْنَافَ الْحَيَوَانِ .
ثُمَّ إِلَى إِحْكَامِ أَطْرَافِهَا بِالْجِبَالِ الشَّائِخَةِ كَأَوْتَادِهَا لِيَنْعَمَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ .
ثُمَّ إِلَى إِيْدَاعِ الْمِيَاهِ فِي أَوْشَانِهَا كَالْخِرَافَاتِ لَتَخْرُجَ مِنْهَا قَلِيلًا قَلِيلًا فَتَسْقِي
مِنْهَا الْعُيُونُ وَتَجْرِي مِنْهَا الْأَنْهَارُ . فَيَحْيِي بِهَا الْحَيَوَانُ وَالنَّبَاتُ إِلَى وَقْتِ
زُلُولِ الْأَمْطَارِ مِنَ السَّنَةِ الْقَابِلَةِ . وَيَنْصَبُ فَاضِلُهَا إِلَى الْبَحَارِ دَائِمًا
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى الْبَحَارِ الْعَمِيقَةِ الَّتِي هِيَ خِلْجَانُ مِنَ الْبَحْرِ الْأَعْظَمِ
الْحَاطِطِ بِجَمِيعِ الْأَرْضِ حَتَّى إِنْ جَمِيعَ الْمَكْشُوفِ مِنَ الْبُؤَادِي وَالْجِبَالِ
بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْمَاءِ كَجَزِيرَةٍ صَغِيرَةٍ فِي بَحْرِ عَظِيمٍ وَبَقِيَّةُ الْأَرْضِ
مَسْتَوْرَةٌ بِالْمَاءِ . ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى مَا فِيهَا مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْجَوَاهِرِ . ثُمَّ لِيَنْظُرَ
إِلَى خَلْقِ اللَّوْثِ فِي صَدَفِهِ تَحْتَ الْمَاءِ . ثُمَّ إِلَى إِنْبَاتِ الرِّجَانِ فِي صَمِيمِ
الصَّخْرِ تَحْتَ الْمَاءِ وَهُوَ نَبَاتٌ عَلَى هَيْئَةِ شَجَرَةٍ يَنْبُتُ مِنَ الْحَجَرِ . ثُمَّ إِلَى
مَا عَدَاهُ مِنَ الْعُتْبَرِ وَأَصْنَافِ النَّفَاسِ الَّتِي يَقْذِفُهَا الْبَحْرُ وَتَخْرُجُ
مِنْهُ . ثُمَّ إِلَى السُّفُنِ كَيْفَ سِيرَتْ فِي الْبَحَارِ وَسُرْعَةَ جَرِيهَا بِالرِّيَّاحِ
وَالِى اتِّخَاذِ آلَاتِهَا وَمَعْرِفَةِ النَّوَائِي مَوَارِدِ الرِّيَّاحِ وَمَهَابِهَا وَمَوَاقِفِهَا .
وَعَجَابُ الْبَحَارِ كَثِيرَةٌ لَا مَطْمَعُ فِي إِحْصَائِهَا
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى أَنْوَاعِ الْمَعَادِنِ الْمَوْدَعَةِ تَحْتَ الْجِبَالِ فَيَنْبَغِي مَا يَنْطَبِعُ
كَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنُّحَاسِ وَالرَّصَاصِ وَالْحَدِيدِ . وَمِنْهَا مَا لَا يَنْطَبِعُ
كَالْقَيْرِ وَرُجِّهِ وَالْبَاقُوتِ وَالزَّبْجِدِ . ثُمَّ إِلَى كَيْفِيَّةِ اسْتِخْرَاجِهَا وَتَنْقِيشِهَا
وَاتِّخَاذِ الْجِلِيِّ وَالْأَلَاتِ وَالْأَوَانِي مِنْهَا . ثُمَّ إِلَى مَعَادِنِ الْأَرْضِ كَالنَّفْطِ

وَالْكَبِيرِ وَالْقِيرِ وَغَيْرَهَا وَأَجْلَهَا أَلْمَحُ فَلَوْ خَلَّتْ مِنْهُ بِلْدَةٌ لَتَسَارَعَ
 الْفَسَادُ إِلَى أَهْلِهَا . ثُمَّ لِنَظَرٍ إِلَى أَنْوَاعِ النَّبَاتِ وَأَصْنَافِ الْقَوَاقِبِ
 الْمُخْتَلِفَةِ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ وَالطُّعُومِ وَالْأَرَابِجِ تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ
 وَيُفَضَّلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ مَعَ اتِّحَادِ الْأَرْضِ وَالْهَوَاءِ وَالْمَاءِ .
 فَتَخْرُجُ مِنْ نَوَافِ مُخَلَّةٍ مَطْوُوقَةٍ بِعَنْقِيدِ الرُّطْبِ وَمِنْ حَبَّةٍ سَبْعُ سَنَابِلٍ
 فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ . ثُمَّ لِنَظَرٍ إِلَى أَرْضِ الْبَوَادِي وَتَشَابُهِ أَجْزَائِهَا
 فَإِنَّمَا إِذَا نَزَلَ الْقَطْرُ عَلَيْهَا اهْتَرَّتْ وَدَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيمٍ .
 ثُمَّ إِلَى أَشْكَالِهَا وَأَلْوَانِهَا وَطُعُومِهَا وَرَوَائِحِهَا وَاخْتِلَافِ طَبَائِعِهَا وَكَثْرَةِ
 مَنَافِعِهَا . فَلَمْ تَبْتَ مِنْ الْأَرْضِ وَرَقَّةٌ إِلَّا وَفِيهَا مَنَفَعَةٌ أَوْ مَنَافِعُ يَقِفُ
 قَهْمُ الْبَشَرِ دُونَ إِدْرَاكِهَا . ثُمَّ لِنَظَرٍ إِلَى أَصْنَافِ الْحَيَوَانِ وَأَنِيسَامِهَا إِلَى
 مَا يَطِيرُ وَيَسْجُ وَيَمْشِي . وَإِلَى أَشْكَالِهَا وَصُورِهَا وَأَخْلَاقِهَا لِيَرَى عَجَابَ
 تَدَهُّشٍ مِنْهَا الْعُقُولُ . بَلْ فِي الْبَقَّةِ أَوْ النَّحْلِ أَوْ الْعُكْبُوتِ أَوْ النَّحْلِ فَإِنَّهَا
 مِنْ ضِعَافِ الْحَيَوَانِ لِيَرَى مَا يَتَحَيَّرُ مِنْهُ مِنْ بَنَائِهَا أَلَيْتَ وَجَمْعِهَا الْغَذَاءَ
 وَأَدْخَارِهَا لَوَقْتِ الشِّتَاءِ وَحِذْقِهَا فِي هَنْدَسَتِهَا وَنَصْبِهَا الشَّبَكَةَ لِلصَّيْدِ .
 وَمَا مِنْ حَيَوَانٍ إِلَّا وَفِيهِ مِنَ الْعَجَائِبِ مَا لَا يَحْصَى . وَإِنَّمَا سَقَطَ التَّعَجُّبُ
 مِنْهَا لِلْأَنْسِ بِهَا بِكَثْرَةِ الْمَشَاهِدَةِ

في جرم الشمس ووضعها

٣٤١ وَأَمَّا الشَّمْسُ فَأَعْظَمُ الْكَوَاكِبِ جِرْمًا وَأَشَدُّهَا ضَوْءًا . وَمَكَانُهَا

الطَّيْبِيُّ الْكُرَّةُ الرَّابِعَةُ. (*) زَعَمَ الْمُتَحِمُونَ أَنَّ الشَّمْسَ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ
كَامَلِكٍ وَسَائِرِ الْكَوَاكِبِ كَالْأَعْوَانِ وَالْجُنُودِ. وَالْقَمَرَ كَالْوَزِيرِ وَوَلِيَّ
الْمَهْدِ. وَعُطَارِدَ كَالْكَاتِبِ. وَالْمَرْيَحَ كَصَاحِبِ الشَّرْطَةِ. وَالْمُسْتَرِيَّ
كَاتَّقَاضِي. وَزَحَلَ كَصَاحِبِ الْخُرَّائِنِ. وَالزُّهْرَةَ كَالْخَدَمِ وَالْجَوَارِي.
وَالْأَفْلَاقَ كَالْأَقَالِيمِ. وَالْأَبْرُوجَ كَالْبُلْدَانِ. وَالْدَّرَجَاتِ كَالْعَسَاكِرِ.
وَالدَّقَائِقَ كَالْحَالَ. وَالْتَّوَانِي كَالْمَنَازِلِ. وَهَذَا تَشْبِيهُ جَيِّدٌ

وَمِنْ عَجَائِبِ أَطْفِ إِلهِ تَعَالَى جَعَلَ الشَّمْسَ فِي وَسْطِ الْكَوَاكِبِ
السَّبْعَةِ لِيَتَّبِعَ الطَّبَائِعُ وَالْمَطْبُوعَاتُ فِي نَظْمِ الْعَالَمِ بِحَرَكَاتِهَا عَلَى حَدِّهَا
الْإِعْتِدَالِي. إِذْ لَوْ كَانَتْ فِي فَلَاكِ الثَّوَابِتِ لَفَسَدَتْ الطَّبَائِعُ
بِشِدَّةِ الْبَرْدِ. وَلَوْ أَنَّهَا أُمْتَدَدَتْ إِلَى فَلَاكِ الْقَمَرِ لَأَحْتَرَقَ هَذَا الْعَالَمُ
بِالْكَلْبَةِ. وَلُطِفَ آخَرُ مِنْ إِلهِ تَعَالَى أَنْ خَلَقَهَا سَائِرَةً غَيْرَ مُوَاقِفَةٍ
وَالْأَشْتَدَّتِ السُّخُونَةُ فِي مَوْضِعٍ وَأَشَدَّ الْبَرْدُ فِي غَيْرِهِ فَلَا يَخْفَى
فَسَادُهَا. لَكِنْ تَطْلُعُ كُلُّ يَوْمٍ مِنَ الْمَشْرِقِ (*) وَلَا تَرَالُ تَغْشَى
مَوْضِعًا بَعْدَ مَوْضِعٍ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْمَغْرِبِ. فَلَا يَبْقَى مَوْضِعٌ
مَكْشُوفٌ مُوَازٍ لَهَا إِلَّا وَيَأْخُذُ خَطًّا مِنْ شُعَاعِهَا. وَيَمِيلُ فِي كُلِّ
سَنَةٍ مَرَّةً إِلَى الْجَنُوبِ وَمَرَّةً إِلَى الشِّمَالِ لِيَتَعَمَّ فَإِنَّدَتْهَا أَمَّا إِلَى الْجَنَةِ

(*) ذَلِكَ زَعَمَ الْأَقْدَمِيَّةُ أَنَّ الْمُنَافِرِينَ فَعَلُوا إِنْ التَّمَسُّ فِي جُوفِ الْمَلِكِ وَمِنْ حَوْلِهَا
تَدُورُ سَائِرُ الْأَفْلَاقِ وَاقْرَبُهَا إِلَى الشَّمْسِ عُطَارِدُ ثُمَّ الزُّهْرَةُ ثُمَّ الْأَرْضُ ثُمَّ الْمَرْيَحُ ثُمَّ الْمُسْتَرِي ثُمَّ زَحَلَ
(*) وَهَذَا مِنْ آرَاءِ الْأَوَّلِ. فَقَدْ بَيَّنَّ الْآنَ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْأَفْلَاقَ تَدُورُ حَوْلَ الشَّمْسِ
وَأَبْطَلَ مَا اعْتَقَدَهُ الْقَدَمَاءُ مِنْ أَنَّ الشَّمْسَ تَدُورُ مِنْ حَوْلِ الْأَفْلَاقِ

الْجَنُوبِيَّةِ قَتِيلٌ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مَطْلَعِ قَابِ الْمَرْبِ .
وَهُوَ مَطْلَعُ أَقْصَرِ يَوْمٍ فِي السَّنَةِ . وَأَمَّا إِلَى الْجَنَةِ الشَّمَالِيَّةِ قَتِيلٌ حَتَّى
تَنْتَهِيَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مَطْلَعِ السَّمَاءِ الرَّاحِ . وَهُوَ مَطْلَعُ أَطْوَلِ يَوْمٍ فِي
السَّنَةِ . ثُمَّ تَرْجِعُ قَتِيلٌ إِلَى الْجَنُوبِ

في كسوف الشمس وبعض خواصها

٣٤٢ وَسَبَبُهُ كَوْنُ الْقَمَرِ حَائِلًا بَيْنَ الشَّمْسِ وَبَيْنَ أَبْصَارِ نَا لَانَ
جَرَمِ الْقَمَرِ كَمَا فِي حُجُبٍ مَا وَرَاءَهُ عَنِ الْأَبْصَارِ . فَإِذَا قَارَنَ الشَّمْسَ
وَكَانَ فِي إِحْدَى نِطْقَتَيِ الرَّأْسِ وَالذَّنْبِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُرَى تَحْتَ
الشَّمْسِ فَيَصِيرُ حَائِلًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَبْصَارِ . ثُمَّ الشَّمْسُ إِذَا انْكَسَفَتْ
لَا يَكُونُ لِكُسُوفِهَا مَكْتُ لَإِنَّ قَاعِدَةَ مَخْرُوطِ الشَّمْعِ إِذَا انْطَبَقَ عَلَى
صَفْحَةِ الْقَمَرِ انْحَرَفَ عَنْهُ فِي الْحَالِ . فَيَبْتَدِئُ الشَّمْسُ بِالْانْجِلَاءِ . لَكِنْ
يَخْتَلِفُ قَدْرُ الْكُسُوفِ بِاخْتِلَافِ أَوْضَاعِ الْمَسَاكِينِ بِسَبَبِ اخْتِلَافِ
الْمَنْظَرِ . وَقَدْ لَا تَكْسِفُ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ أَصَلًا

وَأَمَّا تَأْثِيرَاتُ الشَّمْسِ فِي الْعُلُويَّاتِ وَالسُّفْلِيَّاتِ فَعَجِيبَةٌ . أَمَّا فِي
الْعُلُويَّاتِ فَأَخْفَاؤُهَا جَمِيعُ الْكَوَاكِبِ بِكَمَالِ شَمَاعِهَا وَإِعْطَاؤُهَا لِلْقَمَرِ
النُّورَ . وَأَمَّا فِي السُّفْلِيَّاتِ فَيَنْتَهِرُهَا فِي تَأْثِيرِهَا فِي الْجِبَارِ . فَإِنَّهَا إِذَا أَشْرَقَتْ عَلَى
الْمَاءِ أَصْعَدَتْ مِنْهُ أَجْمَرَةً بِسَبَبِ السُّخُونَةِ . فَإِذَا بَلَغَ الْجِبَارُ إِلَى الْهَوَاءِ
الْبَارِدِ تَكَثَّفَ مِنَ الْبَرْدِ وَانْقَدَّ سَحَابًا . ثُمَّ تَذْهَبُ بِهِ الرِّيَّاحُ إِلَى
الْأَمَاكِنِ الْبَعِيدَةِ عَنِ الْجِبَارِ فَيَنْزِلُ اللَّهُ قَطْرًا يُخَيِّ بِهَ الْأَرْضَ بَعْدَ

مَوْتِهَا . وَتَظْهَرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَالْعُيُونُ فَيَصِيرُ سَبَبًا لِبَقَاءِ الْحَيَوَانِ وَخُرُوجِ
النَّبَاتِ . وَهِيَ أَمْرُ النَّبَاتِ فَإِنَّ الزَّرْعَ وَالْأَشْجَارَ وَالنَّبَاتَ لَا تَنْبُتُ
بِنُورٍ إِلَّا فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَيْهَا الشَّمْسُ . وَلِذَلِكَ لَا يَنْبُتُ تَحْتَ
الْخَيْلِ وَالْأَشْجَارِ الْعِظَامِ الَّتِي لَهَا ظِلَالٌ وَاسِعَةٌ شَيْءٌ مِنَ الزَّرْعِ .
لِأَنَّهَا تَنْعِقُ شُعَاعَ الشَّمْسِ عَمَّا تَحْتَهَا . وَحَسْبُكَ مَا تَرَى مِنْ تَأْثِيرِ الشَّمْسِ
بِحَسَبِ الْحَرَكَةِ الْيَوْمِيَّةِ فِي التَّلَوُّفِ وَالْأَذْرِيُونَ وَوَرَقِ الْخُرُوجِ فَإِنَّهَا
تَنْمُو وَتَزْدَادُ عِنْدَ اخْتِذَاذِ الشَّمْسِ فِي الْإِرْتِفَاعِ وَالصُّعُودِ . فَإِذَا زَالَتْ
الشَّمْسُ أَخَذَتْ فِي الدُّبُولِ حَتَّى إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ ضَعُفَتْ رَدَّ بَاتَتْ
ثُمَّ عَادَتْ الْيَوْمَ الثَّانِي إِلَى حَالِهَا . وَمِنْهَا تَأْثِيرُهَا فِي الْحَيَوَانَاتِ فَإِنَّا
رَأَى الْحَيَوَانَ إِذَا طَلَعَ نُورُ الصُّبْحِ خَافَ اللَّهَ تَعَالَى فِي أَبْدَانِهِ كَأَمْرِهِ
فَتَظْهَرُ فِيهَا قَرَاهَةٌ وَاتِّعَاشُ قُوَّةٍ . وَكَأَمَّا كَانَ طُلُوعُ نُورِ الشَّمْسِ أَكْثَرَ
كَانَ ظُهُورُ قُوَّةِ الْحَيَوَانِ فِي أَبْدَانِهِ أَكْثَرَ إِلَى أَنْ وَصَلَتْ إِلَى وَسَطِ
سَمَائِهَا . فَإِذَا مَالَتْ عَنْ وَسَطِ سَمَائِهِمْ أَخَذَتْ حَرَكَاتِهِمْ وَقُوَاهُمْ فِي
الضَّعْفِ وَلَا تَرَالِ تَزْدَادُ ضَعْفًا إِلَى زَمَانٍ غُيُوبِهَا . فَإِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ
رَجَعَتِ الْحَيَوَانَاتُ إِلَى أَمَاكِنِهَا وَلَزِمَتَهَا كَأَلْمُوتَى فَإِذَا طَلَعَتْ عَلَيْهَا
الشَّمْسُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي عَادُوا إِلَى الْحَالَةِ الْأُولَى (للقزويني)

فصل في القمر وخسوفه وتأثيراته

٣٤٣ وَأَمَّا الْقَمَرُ فَهُوَ كَوْكَبٌ مَكَانُهُ الطَّبِيعِيُّ أَلْهَلُكَ الْأَسْفَلُ وَهُوَ
جِرْمٌ كَثِيفٌ مُظْلِمٌ قَابِلٌ لِلضِّيَاءِ إِلَّا الْقَلِيلَ مِنْهُ عَلَى مَا يَرَى فِي ظَاهِرِهِ .

فَالنِّصْفُ الَّذِي يُوَاجِهُ الشَّمْسُ مُضِيٌّ أَبَدًا فَإِذَا قَارَنَتِ الشَّمْسُ كَانَ
النِّصْفُ الْمُظْلَمُ مُوَاجِهًا لِلْأَرْضِ . فَإِذَا بَعْدَ عَنْ الشَّمْسِ إِلَى الْمَشْرِقِ
وَمَا لَ النَّصْفُ الْمُظْلَمُ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي يَلِي الْمَغْرِبَ إِلَى الْأَرْضِ فَيُظْهِرُ
مِنَ النَّصْفِ الْمُضِيِّ قِطْعَةً هِيَ الْهَلَالُ . ثُمَّ يَتَرَايِدُ الانْحِرَافُ وَتَزْدَادُ
يَتَرَايِدُهُ الْقِطْعَةُ مِنَ النَّصْفِ الْمُضِيِّ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي مُقَابَلَةِ الشَّمْسِ
كَانَ النَّصْفُ الْمُوَاجِهَ لِلشَّمْسِ هُوَ النَّصْفُ الْمُوَاجِهَ لَنَا . فَتَرَاهُ ثُمَّ يَقْرُبُ
مِنَ الشَّمْسِ فَيَنْقُصُ الضِّيَاءُ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي بَدَأَ بِهِ عَلَى التَّرْتِيبِ الْأَوَّلِ .
حَتَّى إِذَا صَارَ فِي مُقَارَنَةِ الشَّمْسِ يَتَحَقُّ نُورُهُ وَيَعُودُ إِلَى الْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ
وَسَبَبُ خُسُوفِهِ تَوَسُّطُ الْأَرْضِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ فَإِذَا كَانَ الْقَمَرُ
فِي إِحْدَى نِقْطَتَيْ الرَّاسِ وَالذَّنْبِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ عِنْدَ الْإِسْتِقْبَالِ
تَوَسُّطُ الْأَرْضِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ فَيَمُتُّ فِي ظِلِّ الْأَرْضِ وَيَبْقَى عَلَى
سَوَادِهِ الْأَصْلِيِّ فَيَرَى مُخْتَفًا . وَتَأْثِيرَاتُهُ عَجِيبَةٌ . زَعَمُوا أَنَّ تَأْثِيرَاتِهِ
كُلُّهَا بِوَاسِطَةِ الرُّطُوبَةِ كَمَا أَنَّ تَأْثِيرَاتِ الشَّمْسِ بِوَاسِطَةِ الْحَرَارَةِ .
وَيَدُلُّ عَلَيْهَا اعْتِبَارُ أَهْلِ التَّجَارِبِ . مِنْهَا أَمْرُ الْبَحَارِ فَإِنَّ الْقَمَرَ إِذَا صَارَ
فِي أَفْقٍ مِنْ أَفَاقِ الْبَحْرِ أَخَذَ مَاؤُهُ فِي الْمَدِّ مُبْلَاغًا مَعَ الْقَمَرِ وَلَا يَزَالُ
كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَصِيرَ الْقَمَرُ فِي وَسْطِ سَمَاءِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ . فَإِذَا صَارَ
هُنَاكَ أَتَتْهُ الْمُدُّ مُتَتَهًا فَإِذَا انْحَطَّ الْقَمَرُ مِنْ وَسْطِ سَمَائِهِ جَزَرَ الْمَاءُ
وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ رَاجِعًا إِلَى أَنْ يَلْبُغَ الْقَمَرُ مَغْرِبَهُ فَعِنْدَ ذَلِكَ
يَنْتَهِي الْجَزْرُ مُتَتَهًا . وَمَنْ كَانَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ وَقْتَ اتِّدَاءِ الْمَدِّ

أَحْسَنَ لِلْمَاءِ حَرَكَةً مِنْ أَسْفَلِهِ إِلَى أَعْلَاهُ وَرَى لَهُ أَنْتِفَاحًا وَتَهَيُّجٌ فِيهَا
رِيَّاحٌ عَوَاصِفٌ وَأَمْوَاجٌ. وَإِذَا كَانَ وَقْتُ الْجُزْرِ يَنْقُصُ جَمِيعُ ذَلِكَ. وَمَنْ
كَانَ فِي الشُّطُوطِ وَالسَّوَاوِلِ فَإِنَّهُ يَرَى لِلْمَاءِ زِيَادَةً وَأَنْتِفَاحًا وَجَرِيًّا
وَعُلُوًّا وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَجْزُرَ وَيَرْجِعَ الْمَاءُ إِلَى الْبَحْرِ. وَابْتِدَاءُ
قُوَّةِ الْمَدْيِ فِي الْبَحَارِ إِنَّمَا يَكُونُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ عَمِيقٍ وَاسِعٍ كَثِيرِ الْمَاءِ

فِي الْخَرَّةِ وَالْكَوَاكِبِ الثَّوَابِ

٣٤٤ وَهِيَ الْبَيَاضُ الَّذِي يَرَى فِي السَّمَاءِ يُقَالُ لَهُ سُرُجُ السَّمَاءِ إِلَى
زَمَانِنَا هَذَا لَمْ يُسْمَعْ فِي حَقِيقَتِهَا قَوْلُ شَافٍ. زَعَمُوا أَنَّهَا كَوَاكِبُ صَفَارٍ
مُتَقَارِبَةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَالْعَرَبُ تَسْمِيهَا أُمَّ النُّجُومِ لِاجْتِمَاعِ النُّجُومِ
فِيهَا. وَزَعَمُوا أَنَّ النُّجُومَ تَقَارَبَتْ مِنَ الْخَرَّةِ فَطَمَسَ بَعْضُهَا بَعْضًا
وَصَارَتْ كَأَنَّهَا سَحَابٌ. وَهِيَ تَرَى فِي الشِّتَاءِ أَوَّلَ اللَّيْلِ فِي نَاحِيَةٍ مِنْ
السَّمَاءِ. وَفِي الصَّيْفِ أَوَّلَ اللَّيْلِ فِي وَسْطِ السَّمَاءِ مُتَمَدَّةً مِنَ الشَّمَالِ إِلَى
الْجَنُوبِ. وَبِالنَّسَبَةِ إِلَيْنَا تَدُورُ دَوْرًا رَحْوِيًّا فَتَرَاهَا نِصْفَ اللَّيْلِ مُتَمَدَّةً
مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَفِي آخِرِ اللَّيْلِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ...
وَأَمَّا الْكَوَاكِبُ الثَّوَابِ فَإِنَّ عَدَدَهَا مِمَّا يُقَصِّرُ ذَهْنُ الْإِنْسَانِ عَنْ
حَبْلِهَا. لَكِنَّ الْأَوَّلِينَ قَدْ حَبَطُوا مِنْهَا أَلْفًا وَاثْنَيْ وَعَشْرِينَ كَوْكَبًا.
ثُمَّ وَجَدُوا مِنْ هَذَا الْجُمُوعِ إِلَى تِسْعِمِائَةٍ وَسَبْعَةِ عَشَرَ كَوْكَبًا يَنْتَظِمُ
مِنْهَا ثَمَانٌ وَأَرْبَعُونَ صُورَةً. كُلُّ صُورَةٍ مِنْهَا تَشْتَمِلُ عَلَى كَوْكَبِيهَا. وَهِيَ
الصُّورَةُ الَّتِي أَثَبَتَهَا بَطْلِمُوسُ فِي كِتَابِ الْجُسْطِي بَعْضُهَا فِي النِّصْفِ

الشَّمَالِي مِنَ الْكُرَّةِ وَبَعْضُهَا عَلَى مِنْطَقَةِ فَلَكِ الْبُرُوجِ الَّتِي هِيَ طَرِيقَةُ
السَّيَّارَاتِ . وَبَعْضُهَا فِي النِّصْفِ الْجَنُوبِيِّ . فَسَمِيَ كُلُّ صُورَةٍ بِاسْمِ
الشَّيْءِ الْمَشَبَّهِ بِهَا فَوَجَدَ بَعْضُهَا عَلَى صُورَةِ الْإِنْسَانِ كَالْجُوزَاءِ .
وَبَعْضُهَا عَلَى صُورَةِ الْحَيَوَانَاتِ الْبَحْرِيَّةِ كَالسَّرَطَانِ . وَبَعْضُهَا عَلَى
صُورَةِ الْحَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ كَالْحَمَلِ . وَبَعْضُهَا عَلَى صُورَةِ الطَّيْرِ كَالْعُقَابِ .
وَبَعْضُهَا خَارِجًا عَنْ شَبَهِ الْحَيَوَانَاتِ كَالِيزَانِ وَالسَّيْفِينَةِ . وَوَجَدَ مِنْ هَذِهِ
الصُّوَرِ مَا لَمْ يَكُنْ تَامَ الْخِلْقَةِ مِثْلَ الْقَرَسِ وَمِنْهَا مَا بَعْضُهُ مِنْ صُورَةِ
حَيَوَانَاتٍ وَالْبَعْضُ الْآخَرُ مِنْ صُورَةِ حَيَوَانَاتٍ آخَرَ كَالرَّايِجِيِّ . وَإِنَّمَا
أَلْقَوْا هَذِهِ الصُّوَرِ وَسَمَّوْهَا بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ لِيَكُونَ لِكُلِّ كَوْكَبٍ اسْمٌ
يُعْرِفُ بِهِ مَتَى أَشَارُوا إِلَيْهِ وَذَكَرُوا مَوْقِعَهُ مِنَ الصُّورَةِ . وَمَوْقِعُهُ مِنْ
فَلَكَ الْبُرُوجِ وَبَعْدَهُ مِنَ الشَّمَالِ أَوْ الْجَنُوبِ عَنِ الدَّائِرَةِ الَّتِي تَمُرُّ
بِأَوْسَاطِ الْبُرُوجِ لِمَعْرِفَةِ أَوْقَاتِ اللَّيْلِ وَالطَّلَعِ فِي كُلِّ وَقْتٍ

فصل في ارباع السنة

٣٤٥ مِنْ جُمْلَةِ لُطْفِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ أَنْ أُعْطِيَ لِكُلِّ فَضْلٍ طَبْعًا مُغَايِرًا لِمَا
قَبْلَهُ فِي كَيْفِيَّةٍ أُخْرَى لِيَكُونَ وَرُودُ الْفُضُولِ عَلَى الْأَبْدَانِ بِالتَّدرِجِ .
فَلَوْ ائْتَمَلْنَا مِنَ الصَّيْفِ إِلَى الشِّتَاءِ دَقَّةً لَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى تَغْيِيرٍ عَظِيمٍ
فِي الْأَبْدَانِ . فَحَسْبُكَ مَا تَرَى مِنْ تَغْيِيرِ الْهَوَاءِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مِنَ الْحَرِّ
إِلَى الْبَرْدِ كَيْفَ يَظْهَرُ مُقْتَضَاهُ فِي الْأَبْدَانِ . فَكَيْفَ إِذَا كَانَ مِثْلُ هَذَا
التَّغْيِيرِ فِي الْفُضُولِ . فَسُبْحَانَهُ مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ . وَكَثُرَ امْتِنَانُهُ

أَمَّا الرَّبِيعُ فَهُوَ وَقْتُ زُلُولِ الشَّمْسِ أَوَّلُ بُرْجِ الحَمَلِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ
 اسْتَوَى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فِي الْأَقَالِمِ . وَاعْتَدَلَ الزَّمَانُ . وَطَابَ الْهَوَاءُ
 وَهَبَّ السَّيْمُ . وَذَابَتْ الثَّلُوجُ وَسَالَتِ الْأَوْدِيَةُ . وَمَدَّتِ الْأَنْهَارُ
 وَنَبَتَ الْعُيُونُ . وَارْتَفَعَتِ الرُّطُوبَاتُ إِلَى أَعْلَى فُرُوعِ الْأَشْجَارِ وَنَبَتَ
 الْعُشْبُ . وَطَالَ الزَّرْعُ وَتَلَاَّ الزَّهْرُ . وَأَوْرَقَ الشَّجَرُ وَانْفَتَحَ الثَّوَرُ .
 وَأَخْضَرَ وَجْهَ الْأَرْضِ وَطَابَ عَيْشُ أَهْلِ الزَّمَانِ . وَتَكَوَّنَتِ الْحَيَوَانَاتُ
 وَدَبَّ الدَّيْبُ . وَنَبَتَ الْبَهَائِمُ وَدَرَّتِ الضَّرُوعُ . وَانْتَشَرَ الْحَيَوَانُ فِي
 الْأَلْدَادِ عَنْ أَوْطَانِهِ وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا جَارِيَةٌ شَابَةٌ تَجَلَّتْ وَتَرَيَّتْ
 لِلنَّاطِقِينَ . وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ دَائِبًا وَدَابُّ أَهْلِهَا إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ
 آخِرَ الْجُوزَاءِ . فَيَحْتَسِدُ أَنْتَهَى الرَّبِيعِ وَأَقْبَلَ الصَّيْفُ

وَأَمَّا الصَّيْفُ فَهُوَ وَقْتُ زُلُولِ الشَّمْسِ أَوَّلِ السَّرَطَانِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ
 تَمَّ طُولُ النَّهَارِ ثُمَّ أَخَذَ اللَّيْلُ فِي الزِّيَادَةِ وَدَخَلَ الصَّيْفُ . وَاشْتَدَّ
 الْحَرُّ وَتَخَنُّ الْهَوَاءُ . وَتَقَوَّى أَكْثَرُ الثِّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ . وَأَذْرَكَ الثِّمَارُ
 وَجَفَّتِ الْحُبُوبُ وَقَلَّتِ الْأَنْدَاءُ . وَأَضَاءَتِ الدُّنْيَا وَسَمِنَتِ الْبَهَائِمُ .
 وَاشْتَدَّتْ قُوَّةُ الْأَبْدَانِ وَكَثُرَ الرِّيفُ . وَانْتَشَرَتِ الْحَيَوَانَاتُ عَلَى
 وَجْهِ الْأَرْضِ لِعُمُومِ الْحَيْرِ وَكَثُرَتِ الدَّيْبُ . وَطَابَ عَيْشُ أَهْلِ
 الزَّمَانِ . وَكَثُرَتِ السُّمُومُ . وَنَقَصَتِ الْأَنْهَارُ وَنَضَبَتِ الْمِيَاهُ . وَيَسَّتِ
 الْعُشْبُ وَأَذْرَكَ الْحَصَادُ . وَدَرَّتِ الْأَخْلَافُ وَاتَّسَعَ لِلنَّاسِ الْقُوتُ
 وَلِلطَّيْرِ الْحَبُّ وَلِلْبَهَائِمِ الْعَلَفُ . وَتَكَامَلَ زُخْرُفُ الْأَرْضِ وَصَارَتْ

الدُّنْيَا كَأَنَّهُا عَرُوسٌ مُنْعَمَةٌ بِأُلْفَةٍ كَامِلَةٍ ذَاتُ جَمَالٍ وَرَوِّقٍ . فَلَا يَزَالُ
الْأَمْرُ كَذَلِكَ أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ السَّنْبِلَةِ فَيَحْتَدِثُ أَقْبَلُ الْحَرِيفِ
وَأَمَّا الْحَرِيفُ فَهُوَ وَقْتُ زُؤُلِ الشَّمْسِ الْمِيزَانُ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَسْتَوَى
اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَرَّةً أُخْرَى . ثُمَّ ابْتَدَأَ الْآيِلُ بِالزِّيَادَةِ . وَكَمَا ذَكَرْنَا أَنَّ
الرَّبِيعَ زَمَنُ نُشْوءِ الْأَشْجَارِ وَبَدَأَ النَّبَاتِ وَظُهُورِ الْأَزْهَارِ فَالْحَرِيفُ
زَمَانُ ذُبُولِ النَّبَاتِ وَتَغْيِيرِ الْأَشْجَارِ وَسُقُوطِ أَوْزَاقِهَا . فَيَحْتَدِثُ بِرَدِّ الْمَاءِ
وَهَبِّ الشَّمَالِ . وَتَغْيِيرِ الزَّمَانِ وَتَقْصُصِ الْمِيَاهِ . وَجَهَتْ الْأَنْهَارُ وَغَارَتْ
الْعُيُونُ . وَيَبْسُتْ أَنْوَاعُ النَّبَاتِ وَفَنِيَتْ الثِّمَارُ . وَأَحْرَزَ النَّاسُ الْحَبَّ
وَالْتَّمَرُ وَعَرِيَّ وَجَهَ الْأَرْضِ مِنْ دَبِيبِهَا . وَمَاتَتْ الْهُوَامُ وَانْبَحَرَتْ
الْحَشَرَاتُ . وَانْصَرَفَ الطَّيْرُ وَيَطْلُبُ الْوَحْشُ الْبُلْدَانَ الدَّافِئَةَ
وَأَحْرَزَ النَّاسُ قُوَّةَ الشِّتَاءِ وَدَخَلُوا الْبُيُوتَ وَلَبَسُوا الْجُلُودَ الْغَلِيظَةَ مِنْ
الْقِيَابِ . وَتَغَيَّرَ الْهَوَاءُ وَصَارَتْ الدُّنْيَا كَأَنَّهَُا كَهْمَةٌ قَدْ وَلَتْ أَيَّامَ شَبَابِهَا
إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ الْقَوْسِ وَقَدْ انْتَهَى الْحَرِيفُ وَأَقْبَلَ الشِّتَاءُ
وَأَمَّا الشِّتَاءُ فَهُوَ وَقْتُ زُؤُلِ الشَّمْسِ أَوَّلُ الْجُدِيِّ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَنَاهَى
طُولُ اللَّيْلِ وَقَصُرَ النَّهَارُ . ثُمَّ أَخَذَ النَّهَارُ فِي الزِّيَادَةِ وَاشْتَدَّ الْبَرْدُ .
وَحَشِنَ الْهَوَاءُ وَتَغَيَّرَ الْأَشْجَارُ عَنِ الْأَوْزَاقِ . وَفَنِيَتْ بَطُونُهَا وَقَاتِ
أَكْثَرِ النَّبَاتِ . وَانْبَحَرَتْ الْحَيَوَانَاتُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ وَكُفُوفِ
الْجِبَالِ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ وَكَثُرَ الْأَنْدَاءُ . وَلَشَّتِ الْغُيُومُ وَأَظْلَمَ الْجَوُّ
وَكَلَّمَ وَجَهَ الزَّمَانِ . وَهَزَلَتْ الْبَهَائِمُ وَضَعُفَتْ قُوَى الْإِبْدَانِ . وَمَنَعَ

أَلْبَرَدُ النَّاسَ عَنِ التَّصَرُّفِ وَمَرَّ عَيْنُ أَكْثَرِ الْحَيَوَانِ . وَطَالَ اللَّيْلُ
الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ سَكَنًا وَلِبَاسًا وَرَدَّ الْمَاءَ الَّذِي هُوَ مَادَّةُ الْحَيَاةِ . وَأَنْقَطَعَ
الذُّبَابُ وَالْبَعُوضُ وَعَدِمَ ذَوَاتُ السُّمُومِ مِنَ الْهُوَامِ . وَيَطِيبُ فِيهِ
الْأَخْلُ وَالشَّرْبُ . وَهُوَ زَمَانُ الرَّاحَةِ وَالْإِسْتِمْتَاعِ كَمَا أَنَّ الصَّيْفَ
زَمَانُ الْكَدِّ وَالْعَمَلِ . حَتَّى قِيلَ : مَنْ لَمْ يَنْفُلْ دِمَاعَهُ صَائِقًا لَمْ تَنْفُلْ
قُدْرَهُ شَائِقًا . وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا عَجُوزٌ هَرِمَةٌ دَامَتْهَا الْمَوْتُ . فَلَا
يَزَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ الْحَوْتِ وَقَدْ انْتَهَى الشِّتَاءُ
وَأَقْبَلَ الرَّبِيعُ مَرَّةً أُخْرَى

فصل في تولد الانهار

٣٤٦ إِذَا وَقَعَتِ الْأَمْطَارُ وَالْثُلُوجُ عَلَى الْجَبَلِ تَنْصَبُ الْأَمْطَارُ إِلَى
الْمَغَارَاتِ وَتَذُوبُ الثَّلُوجُ وَتَفِيضُ إِلَى الْأَهْوِيَةِ الَّتِي فِي الْجِبَالِ . فَتَبْقَى
مَخْرُوجَةٌ فِيهَا وَتَمْتَلِئُ الْأَوْشَالُ مِنْهَا فِي الشِّتَاءِ . فَإِذَا كَانَ فِي أَسْفَلِ الْجِبَالِ
مَنْافِدُ ضَمِيمَةٌ تَخْرُجُ الْمِيَاهُ مِنَ الْأَوْشَالِ فِي تِلْكَ الْمَنْافِدِ فَيَحْصُلُ مِنْهَا
جَدَاوِلُ . وَيَجْتَمِعُ بَعْضُهَا إِلَى الْبَعْضِ فَيَحْصُلُ مِنْهَا أَوْدِيَةٌ وَأَنْهَارٌ . فَإِنْ
كَانَتِ الْخِرَائِنَاتُ فِي أَعَالِي الْجِبَالِ يَسْتَمِرُّ جريانُهَا أَبَدًا لِأَنَّ مِيَاهَهَا
تَنْصَبُ إِلَى سَفْحِ الْجِبَالِ وَلَا تَقْطَعُ مَادَّتُهَا لَوْصُولِ مَدِيدِهَا مِنْ
الْأَمْطَارِ . وَإِنْ كَانَتِ الْخِرَائِنَاتُ فِي أَسْفَلِ الْجِبَالِ فَتَجْرِي مِنْهَا
الْأَنْهَارُ عِنْدَ وُصُولِ مَدِيدِهَا وَتَقْطَعُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْمَدِيدِ . وَتَبْقَى الْمِيَاهُ
فِيهَا وَاقِفَةً كَمَا تَرَى فِي الْأَوْدِيَةِ الَّتِي تَجْرِي فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ثُمَّ

تَقَطَّعُ عِنْدَ انْقِطَاعِ مَادَّتِهَا . وَكُلُّ هَذِهِ الْأَنْهَارُ تَبْتَدِي مِنَ الْجِبَالِ
وَتَنْتَهِي إِلَى الْبَحَارِ أَوْ الْبَطَاحِ . وَفِي مَرِّهَا تَسْقِي الْمَدُنَ وَالْقُرَى وَمَا
فَضْلُ يَنْصَبُ إِلَى الْبَحَارِ . ثُمَّ يَرِقُّ وَيَلْطَفُ وَيَتَصَاعَدُ فِي الْهَوَاءِ بُخَارًا
وَيَبْرَأُ مِنْهُ الْغَيْومُ وَتَسُوقُهُ الرِّيحُ إِلَى الْجِبَالِ وَالْبَرَاري . وَيَمْطُرُ
هُنَاكَ وَيَجْرِي فِي الْأَوْدِيَةِ وَالْأَنْهَارِ وَيَسْقِي الْبِلَادَ وَدَرَجُ فَايْضُهُ إِلَى
الْبَحْرِ . وَلَا يَزَالُ هَذَا دَابَّةً وَيَدُورُ كَالرَّحَا فِي الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ

جسم الارض ودورانها وهيئتها

٣٤٧ الْأَرْضُ جِسْمٌ بَسِيطٌ طَبَاعُهُ أَنْ يَكُونَ بَارِدًا يَاسِسًا . وَإِنَّمَا حُلِقَتْ
بَارِدَةً يَاسِسَةً لِأَجْلِ الْغَلْظِ وَالْتِمَاسِكِ إِذْ لَوْلَاهُمَا لَمَا أَمَكَّنَ قَرَارُ
الْحَيَوَانِ عَلَى ظَهْرِهَا . وَالْهَوَاءُ وَالْمَاءُ مُحِيطَانِ بِهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا إِلَّا
الْمَقْدَارَ الْبَارِزَ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَقَرًّا لِلْحَيَوَانِ . ثُمَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ
فِي أَيِّ مَوْضِعٍ وَقَفَ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ يَكُونُ رَأْسُهُ أَبَدًا مِمَّا يَلِي
السَّمَاءَ . وَرِجْلُهُ مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ وَهُوَ يَرَى مِنَ السَّمَاءِ نِصْفَهَا وَإِذَا
انْتَهَلَ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ ظَهَرَ لَهُ مِنَ السَّمَاءِ مِقْدَارُ مَا خَفِيَ لَهُ مِنَ
الْجَانِبِ الْآخَرِ . ثُمَّ إِنَّ الْبَحْرَ الْغَاطِ الْأَعْظَمَ لَحَاطٌ بِأَكْثَرِ وَجْهِ
الْأَرْضِ وَالْمَكْشُوفُ مِنْهَا قَلِيلٌ نَاقِثٌ عَلَى الْمَاءِ . عَلَى مِثَالِ بَيْضَةٍ
غَائِضَةٍ فِي الْمَاءِ يَخْرُجُ مِنَ الْمَاءِ مُحْدَبًا . وَلَيْسَتْ هِيَ مُسْتَدِيرَةٌ مَلَسَاءَ
وَلَا مُصِمَّةَةٌ بَلْ كَعَمِيرَةُ الِارْتِفَاعِ وَالِانْخِفَاضِ مِنَ الْجِبَالِ وَالْتَلَالِ
وَالْأَوْدِيَةِ وَالْأَهْوِيَةِ وَالْكُهُوفِ وَالْمَغَارَاتِ وَلَهَا مَنَافِذُ وَخُلُجَانُ . وَكُلُّهَا

مَمْلُوءَةٌ مِّمَّا هَا وَنُحَارَاتٍ وَرُطُوبَاتٍ دُهْنِيَّةٌ . وَمَا فِي الْأَرْضِ مَوْضِعٌ
 شَيْءٌ إِلَّا وَهُنَاكَ مَعْدِنٌ أَوْ نَبَاتٌ أَوْ حَيَوَانٌ بِاخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا وَأَنْوَاعِهَا
 وَصُورِهَا وَبِرَاجِعِهَا وَأَلْوَانِهَا لَا يَعْلَمُ تَفْصِيلُهَا غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ صَانِعُهَا
 وَمُدَبِّرُهَا . مَا يَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ
 وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ

وَأَمَّا هَيْئَةُ الْأَرْضِ فَقَدْ اخْتَلَفَ آرَاءُ الْقَدَمَاءِ فِيهَا قَالَ بَعْضُهُمْ :
 إِنَّهَا بَسُوطَةٌ فِي السَّطِيحِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ : هِيَ عَلَى شَكْلِ الْكُرِّ وَلَوْلَا
 ذَلِكَ لَمَا ثَبَتَ عَلَيْهَا بِنَاءٌ وَلَا مَشَى عَلَيْهَا حَيَوَانٌ . وَالَّذِي يَتِمُّدُ عَلَيْهِ
 حَمَاهِيرُهُمْ أَنَّ الْأَرْضَ مُدَوَّرَةٌ كَالْكُرَةِ . وَمِنْ الْقَدَمَاءِ مِنْ أَصْحَابِ
 فِتْنَةِ عُورَسٍ مَنْ قَالَ إِنَّ الْأَرْضَ مُنَحَرِّكَةٌ دَائِمًا عَلَى الْأُسْتَدَارَةِ وَالَّذِي
 يَرَى مِنْ دَوْرَانِ الْكَوَاكِبِ إِنَّهَا هُوَ دَوْرُ الْأَرْضِ لَا دَوْرُ الْكَوَاكِبِ

في السحاب والمطر وما يتعلق بهما

٣٤٨ زَعَمُوا أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا أَشْرَقَتْ عَلَى الْمَاءِ حَلَّتْ مِنْ الْمَاءِ أَجْزَاءٌ
 لَطِيفَةٌ مَائِيَّةٌ تُسَمَّى بُخَارًا وَمِنْ الْأَرْضِ أَجْزَاءٌ لَطِيفَةٌ أَرْضِيَّةٌ تُسَمَّى دُخَانًا .
 فَإِذَا ارْتَفَعَ الْبُخَارُ وَالْدُخَانُ فِي الْهَوَاءِ وَتَدَافَعَهُمَا الْهَوَاءُ إِلَى الْجِهَاتِ
 وَتَكُونُ مِنْ قُدَامِهِمَا جِبَالٌ شَائِخَةٌ مَائِنَةٌ وَمِنْ قُوَّتِهَا يَرْدُ الزَّهْرُ يَرٍ وَمِنْ
 أَسْفَلِهَا مَادَّةُ الْبُخَارِ مُتَّصِلَةٌ فَلَا يَزَالُ الْبُخَارُ وَالْدُخَانُ يَكْتَرَانِ وَيَنْظُرَانِ
 فِي الْهَوَاءِ وَتَدَاخَلُ أَجْزَاءُ بَعْضِهَا فِي بَعْضٍ حَتَّى يَتَخُنَّ فَيَتَكُونُ مِنْهَا
 سَحَابٌ مُؤَلَّفٌ مُتَرَكَمٌ . ثُمَّ إِنَّ السَّحَابَ كُلَّمَا ارْتَفَعَ انْتَضَمَتْ أَجْزَاءُ الْبُخَارِ

ثُمَّ تَلْتِمُ تِلْكَ الْأَجْزَاءَ الْمَائِيَّةَ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ فَتَصِيرُ قَطْرًا . فَقُلْتَ
وَأَخَذْتَ رَاجِعَةً إِلَى أَسْفَلُ . فَإِنْ كَانَ صُعُودُ ذَلِكَ الْبُخَارِ بِاللَّيْلِ
وَالْهَوَاءِ شَدِيدًا أَلْبَرَدُ مِنْهُ مِنَ الصُّعُودِ وَأَجْمَدُهُ أَوْلَا قَصَارَ سَحَابًا رَقِيقًا .
وَإِنْ كَانَ أَلْبَرَدُ مُفْرِطًا أَجْمَدُ الْبُخَارِ فِي النَّفِيمِ وَكَانَ ذَلِكَ لِحَالِ الْبَرْدِ
يُجْمَدُ الْأَجْزَاءُ الْمَائِيَّةُ وَتَخْتَلِطُ بِالْأَجْزَاءِ الْهَوَائِيَّةِ وَيَنْزِلُ بِالرَّقِيقِ فَلِذَلِكَ
لَا يَكُونُ لَهُ فِي الْأَرْضِ وَقْعٌ شَدِيدٌ كَمَا لِلْمَطَرِ وَالْبَرْدِ . وَإِنْ كَانَ الْهَوَاءُ
دَافِقًا أَرْتَفَعَ الْبُخَارُ فِي الْغُيُومِ وَتَرَأَى السُّحُبُ طَبَقَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ
بَعْضٍ كَمَا تَرَى فِي أَيَّامِ الرَّبِيعِ وَالْحَرِيفِ كَأَنَّهَا جِبَالٌ مِنْ قُطُنٍ
مَنْدُوفٍ . فَإِذَا عَرَضَ لَهَا بَرْدُ الزَّهْرِ يَرِي مِنْ فَوْقٍ غَاطَ الْبُخَارُ وَصَارَ مَاءً
وَأَصْبَحَتْ أَجْزَاؤُهَا قَصَارَ قَطْرًا . وَعَرَضَ لَهَا الثَّقَلُ فَأَخَذَتْ تَهْوِي مِنْ
سَمَكِ السَّحَابِ وَمِنْ تَرَاكُمِهَا تَلْتِمُ تِلْكَ الْقَطَرَاتُ الصِّغَارُ بَعْضُهَا إِلَى
بَعْضٍ حَتَّى إِذَا خَرَجَتْ مِنْ أَسْفَلِهَا صَارَتْ قَطْرًا كَثِيرًا . فَإِنْ عَرَضَ لَهَا
بَرْدٌ مُفْرِطٌ مِنْ طَرِيقِهَا جَمَدَتْ وَصَارَتْ بَرْدًا قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ الْأَرْضَ . وَإِنْ
لَمْ تَبْلُغِ الْأَبْجَرَةَ إِلَى الْهَوَاءِ الْبَارِدِ فَإِنْ كَانَتْ كَثِيرَةً صَارَتْ ضَبَابًا وَإِنْ
كَانَتْ قَلِيلَةً وَتَكَثَّفَتْ فَإِنْ لَمْ يُجْمَدِ نَزَلَ طَلًا وَإِنْ أُجْمِدَ نَزَلَ صَفِيمًا
فِي الرَّدِّ وَالْبَرَقِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ

٣٤٩ زَعَمُوا أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا شَرَقَتْ عَلَى الْأَرْضِ حَلَّتْ مِنْهَا أَجْزَاءُ
نَارِيَّةٌ تُخَالِطُهَا أَجْزَاءُ أَرْضِيَّةٌ وَيُسَمَّى ذَلِكَ الْجَمُوعُ دُخَانًا . ثُمَّ الدُّخَانُ
يُمَارِجُهُ الْبُخَارُ وَيَرْتَفِعَانِ مَعًا إِلَى الطَّبَقَةِ الْبَارِدَةِ مِنَ الْهَوَاءِ . فَيَنْعَقِدُ

الْبُخَارُ سَمَابًا وَيَحْتَسِبُ الدُّخَانُ فِيهِ . فَإِنْ بَقِيَ عَلَى حَرَارَتِهِ قَصَدَ الصُّعُودَ
وَأِنْ صَارَ بَارِدًا قَصَدَ النُّزُولَ . وَأَمَّا مَا كَانَ يَمِزُّهُ السَّحَابُ تَمَرِيضًا عَنِيفًا
فَيَحْدُثُ مِنْهُ الرُّعْدُ وَرَبَّمَا يَشْتَعِلُ نَارًا لَشِدَّةِ الْحَاكَةِ فَيَحْدُثُ مِنْهُ الْبَرْقُ
إِنْ كَانَ لَطِيفًا وَالصَّاعِقَةُ إِنْ كَانَ غَلِيظًا كَثِيرًا (*) فَتَحْرَقُ كُلُّ شَيْءٍ أَصَابَتْهُ
قَرَبًا تُذَوِّبُ الْحَدِيدَ عَلَى الْبَابِ وَلَا تُضَرُّ الْحَشَبَةَ وَرَبَّمَا تُذَوِّبُ الذَّهَبَ
فِي الْحِرْقَةِ وَلَا تُضَرُّ الْحِرْقَةَ وَقَدْ تَقَعُ عَلَى الْجَبَلِ فَتَقْشَرُهُ وَقَدْ تَقَعُ عَلَى
الْمَاءِ فَيَحْرَقُ فِيهِ حَيَوَانُهُ . وَأَعْلَمُ أَنَّ الرُّعْدَ وَالْبَرْقَ كِلَاهُمَا يَحْدُثَانِ مَعًا
لَكِنْ تَرَى الْبَرْقَ قَبْلَ أَنْ تَسْمَعَ الرُّعْدَ وَذَلِكَ لِأَنَّ الرُّوْيَةَ تَحْصُلُ
لِلْحَاذَةِ النَّظَرِ وَأَمَّا السَّمْعُ فَيَتَوَقَّفُ عَلَى وُصُولِ الصَّوْتِ إِلَى الصَّمَاخِ
وَذَلِكَ يَتَوَقَّفُ عَلَى تَمُوجِ الْهَوَاءِ . وَذَهَابُ النَّظَرِ أَسْرَعُ مِنْ وُصُولِ
الصَّوْتِ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْفَصَّارَ إِذَا ضَرَبَ الثُّوبَ عَلَى الْحَجَرِ فَإِنَّ النَّظَرَ
يَرَى ضَرْبَ الثُّوبِ عَلَى الْحَجَرِ . ثُمَّ السَّمْعُ يَسْمَعُ صَوْتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِزَمَانٍ .
وَالرُّعْدُ وَالْبَرْقُ لَا يَكُونَانِ فِي الشِّتَاءِ لِقَلَّةِ الْبُخَارِ الدُّخَانِيِّ . وَلِهَذَا لَا
يُوجَدَانِ فِي الْبِلَادِ الْبَارِدَةِ وَلَا عِنْدَ زُلُولِ الشَّلْجِ لِأَنَّ الْبَرْدَ يُطْفِئُ الْبُخَارَ
الدُّخَانِيَّ . وَالْبَرْقُ الْكَثِيرُ يَقَعُ عِنْدَهُ مَطَرٌ كَثِيرٌ لِنِكَافِ أَجْزَاءِ الْغَمَامِ .
فَإِنَّمَا إِذَا تَكَثَّفَتِ الْمَاءُ فَإِذَا زَلَّ زَلٌّ شَدِيدًا كَمَا إِذَا احْتَبَسَ الْمَاءُ
ثُمَّ انْطَلَقَ فَإِنَّهُ يَجْرِي جَرًّا شَدِيدًا (كُلُّهُ مِنْ عَجَائِبِ الْخُلُوقَاتِ لِلْفَرَوْنِيِّ)

(*) قد اضمح الآن للطبيعيين المحدثين ان البروق والاعود مسببة عن الكهرباء وقد
اتوا على شرح ذلك في كتبهم

الْبَابُ التَّاسِعُ عَشَرَ فِي الْمُرَاسَلَاتِ

فصل في المراسلات بين الملوك والامراء

كتاب المحقق الطوسي الى صاحب حلب بعد فتح بغداد

٣٥٠ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ رَزَلْنَا بِغَدَادَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّينَ فَنَسَاءُ صَبَاحُ النَّذِيرِينَ فَدَعَوْنَا مَا لِكَمَا إِلَى طَاعَتِنَا . فَإِنْ أَتَيْتَ فَرَوْحَ وَرَيْحَانُ وَجَنَّةَ نَعِيمٍ . وَإِنْ أَتَيْتَ فَلَا سُلْطَانَ مِنْكَ عَلَيْكَ . فَلَا تَكُنْ كَالْبَاحِثِ عَنْ حَقِّهِ بِظُلْفِهِ . وَالْجَادِعِ مَارِينَ أَنْفِهِ بِكَفِّهِ . وَالسَّلَامُ

ذكر مراسلة تيمور سلطان عراق العجم ابا الفوارس شاه شجاع

٣٥١ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى سَلَطَنِي عَلَيْكُمْ وَعَلَى ظِلْمَةِ الْحُكَّامِ وَالْجَائِرِينَ مِنْ مُلُوكِ الْأَنَامِ . وَرَفَعَنِي عَلَى مَنْ نَاوَأَنِي وَنَصَرَ نِي عَلَى مَنْ خَالَفَنِي . وَقَدْ رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ فَإِنْ أَجَبْتَ وَأَطَعْتَ فِيهَا وَنَعَمْتَ . وَإِلَّا فَأَعْلَمْ أَنَّ قُدَامَ قَدَمِي ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ الْحَرَابَ وَالْتَقْطُطَ وَالْوَبَاءَ . وَإِنْهُمْ كُلُّ ذَلِكَ عَائِدٌ عَلَيْكَ وَمَنْسُوبٌ إِلَيْكَ (اخبار تيمور لابن عربشاه)

كتاب الحسن بن ذكويه الى بعض عماله

٣٥٢ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ عِنْدِ الْمُهْدِيِّ الْمُتَّصِرِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ الْقَائِمِ . بِأَمْرِ اللَّهِ الدَّاعِي جَفَرِ بْنِ حَمِيدٍ الْكُرْدِيِّ سَلَامٌ عَلَيْكَ . فَأَنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَيْتُ إِيَّاكَ مَا حَدَّثَ قَبْلَكَ مِنْ أَخْبَارِ أَعْدَاءِ اللَّهِ الْكَفَرَةِ وَمَا فَعَلُوهُ بِأَحْيَاكَ مِنْ

الظلم والعبث والفساد في الأرض . فَأَعْظَمْنَا ذَلِكَ وَرَأَيْنَا أَنْ نُنفِذَ
إِلَى مَا هُنَاكَ مِنْ جُيُوشِنَا مَنْ يَنْتَقِمُ لَنَا اللَّهُ بِهِ مِنْ أَعْدَائِنَا الظَّالِمِينَ الَّذِينَ
يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا . فَأَنْفِذْنَا جَمَاعَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَدِينَةِ
حِمَصَ وَنَحْنُ فِي إِثْرِهِمْ وَقَدْ أَوْعَزْنَا إِلَيْهِمْ فِي الْمَصِيرِ إِلَى نَاحِيَتِكَ لِطَلَبِ
أَعْدَاءِ اللَّهِ حَيْثُ كَانُوا . وَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ يُجْزِيَنَا اللَّهُ فِيهِمْ عَلَى أَحْسَنِ
عَوَائِدِهِ عِنْدَنَا فِي أَمْثَلِهِمْ . فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَلْبُكَ وَقُلُوبُ مَنْ
اتَّبَعَكَ مِنْ أَوْلِيَائِنَا وَثِقَاءِ اللَّهِ وَبُصْرَةَ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يَعُودُنَا فِي كُلِّ
مَنْ مَرَقَ مِنَ الطَّاعَةِ وَاتَّخَرَفَ عَنِ الْإِيمَانِ . وَتُبَادِرْ إِلَيْنَا بِأَخْبَارِ النَّاحِيَةِ
وَمَا يَخْدُثُ فِيهَا وَلَا تَخْفِ عَنَّا شَيْئًا مِنْ أَمْرِهَا . سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (تاريخ حاب لكمال الدين)

كتاب سلطان مراکش الى سلطان فونسة لويس الرابع عشر

٣٤٣ صدر هذا المكتوب العليّ الإماميّ عن الأمر العلويّ الذي
دانت إطاَعته الكريمة ممالكهُ الإسلامية . وَأَنْقَادَتْ لِدَعْوَتِهِ الشَّرِيفَةِ
الْأَقْطَارُ الْمَغْرِبِيَّةُ . وَخَضَعَتْ لِأَوَامِرِهِ الْعَلِيَّةِ جَبَابِرَةُ الْمُلُوكِ السُّودَانِيَّةِ .
وَأَقْطَارُهَا الْقَاصِيَّةِ وَالْدَانِيَّةِ . إِلَى الْمَلِكِ الَّذِي لَهُ بَيْنَ مُلُوكِ النَّصْرَانِيَّةِ
وَالْمِلَلِ الْمَسِيحِيَّةِ الرُّتْبَةُ الْعَالِيَةُ وَالْمَنْزِلَةُ الرَّفِيعَةُ السَّامِيَّةُ . سُلْطَانُ
فَرَانَسَةِ لُوِيْزِ ابْنِ السَّلَاطِينِ الَّذِينَ لَهُمُ الْمَكَانَةُ السَّامِيَّةُ الْمُنَارُ
أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ مَوْلَى الْحَمْدِ وَمُسْتَحْمِهِ فَكُنَّا بِهَا هَذَا إِلَيْكُمْ مِنْ حَاضِرَتِنَا
الْعَلِيَّةِ مَدِينَةِ مُرَاكِشَ وَلَا زَائِدَ إِلَّا مَا سَنَاهُ لَا يَأْتِنَا الشَّرِيفَةُ مِنْ عَوَائِدِ

النَّصْرَ وَالْإِقْبَالَ وَصَنَائِعَ اللَّهِ الْجَمِيلَةَ الْمُفَقَّعَةَ السَّجَالِ الْمُتَنَالَةَ فِي الْبُكْرِ
 وَالْأَصَالِ . اللَّهُ أَمْنُهُ وَالشُّكْرُ . هَذَا مُوجِبُهُ إِلَيْكُمْ التَّعْرِيفُ أَنَّهُ لَمَّا وَرَدَ
 خَدِيمُكُمْ الْمَرْعِيُّ الْمُخَوِّطُ الرَّزِيْلِيُّ عَلَى مَرَسَى ثَغْرِ أَسَفِ الْخُرُوسِ بِاللَّهِ
 وَأَسْلَمَ كِتَابَكُمْ الْمَضْحُوبَ مَعَهُ لِحُدَامِنَا الَّذِينَ بِالثَّغْرِ بَادَرُوا بِوُصُولِهِ إِلَيْنَا
 فِي النُّورِ . فَوَقَفْنَا مِنْهُ عَلَى جَمِيعِ مَا أَوْدَعْتُمْ فِيهِ مِنْ تَقْرِيرِ الْحَيَّةِ وَتَأْسِيسِ
 الْهَدَنَةِ بَيْنَ الْجَانِبَيْنِ . إِلَى مَا أَشْرَفْتُمْ إِلَيْهِ فِي شَأْنِ الْأَسَارَى الْفَرَانِصِيِّينَ
 الَّذِينَ رَغِبْتَ مِنْ مَقَامِنَا الْعَلِيِّ تَسْرِيحَهُمْ . فَأَخَذْنَا فِي ذَلِكَ أَتَمَّ الْأَخْذِ
 وَأَكْمَلَهُ . إِلَى أَنْ اسْتَوْفِيَ فَهَلَكَ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهِ وَأَجْمَلِهِ . وَأَجَبْنَاكُمْ
 عَنْ فُضُولِ كِتَابِكُمْ كُلِّهَا فَوَجَّهْنَا بِهِ بِالنَّصَارَى الْمَذْكُورِينَ صُحْبَةَ خَدِيمِنَا
 الْأَوْجِيهِ الْأَثِيرِ النَّبِيلِ أَلْهَيْدِ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَنَاقِيِّ . قَصْدُ أَنْ
 يَلْتَقِيَ مَعَ خَدِيمِكُمْ الْمَذْكُورِ إِنْ تَأْتَى لَهُ الْإِجْتِمَاعُ مَعَهُ فِي الْبَرِّ . وَإِنْ
 تَعَذَّرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ يَبْعَثُ لِحَدِيمِنَا مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ مِنْ هُوِ مِثْلِهِ وَيَمْتَارِيهِ
 فِي أَغْرَاضِكُمْ لِيُسَلِّمَ لَهُ النَّصَارَى الْمَذْكُورِينَ وَيَتَكَلَّمَ مَعَهُ فِي أَغْرَاضِ
 الْجَانِبَيْنِ . ثُمَّ إِنَّ خَدِيمِنَا الْمَذْكُورَ لَمَّا بَلَغَ ثَغْرَ أَسَفٍ فَقَدْ خَدِيمُكُمْ مِنْ
 الْمَرَسَى فَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ : قَدْ أَقْلَعُ مِنْذُ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ . فَأَقْصَى بَعْضُ
 الْحُدَّامِ أَثَرَهُ فِي الْبَحْرِ فَلَمْ يَجِدْ لَهُ أَثَرًا . هَذَا وَقَدْ كَانَ خَدِيمُكُمْ عَلَى عَاصِمٍ
 وَيَقِينٍ أَنَّ خَدِيمِنَا الْمَذْكُورَ قَادِمٌ إِلَيْهِ وَفِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ فَتَقَالَقَ قَبْلَ
 وَصُولِهِ . وَالْحَدِيمُ الَّذِي يَكُونُ بِصَدَدِ أَغْرَاضِ ضَيْفِهِ لَا يَسْتَفْرِهُ شَيْءٌ
 عَنْ قَضَائِيهَا وَلَا يَتَنَبَّيْ لَهُ إِلَّا نَزْعَاجٌ قَبْلَ اسْتِيفَائِهَا . فَعَرَفْنَاكُمْ بِالْوَاقِعِ

لَتَوْفُوا أَنَا لَمْ نَقْصِرْ فِي أَغْرَاضِكُمُ الْمُتَلَقَّاءَ لَدَيْنَا بِالْقَبُولِ وَبِهِ وَجَبَ
الْكَتَبُ إِلَيْكُمْ فِي ٢٦ مِنْ رَجَبِ النَّبَوِيِّ سَنَةِ ١٠٤٠ (١٦٣٠ م)

كتاب سلطان مراكش الى لويس السادس عشر سلطان فرنسا

٣٥٤ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . عَنْ أَمْرِ
السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ سُلْطَانِ مَرَاكِشَ وَقَاسِ وَكَافَّةِ الْأَقَالِمِ الْمَغْرِبِيَّةِ
خَلَّدَ اللَّهُ نَصْرَهُ . وَأَعَزَّ أَمْرَهُ . وَأَدَامَ سُلُوكَهُ وَفَخْرَهُ . وَأَشْرَقَ فِي فَلَكِ
السَّعَادَةِ شَمْسَهُ وَبَدَّرَهُ . إِلَى عَظِيمِ جَنَسِ الْإِفْرَنْصِيصِ الْمُتَوَلِّي
أَمْرِهِمُ الرِّيُّ لُوِيْزُ السَّادِسَ عَشَرَ مِنْ أَسْمِهِ . سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى
أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ وَرَدَ عَلَى حَضْرَتِنَا الْعَلِيَّةِ بِاللَّهِ كِتَابُكَ الَّذِي تَأْرِيخُهُ ثَانِي
عَشَرَ مِنْ مِائَةِ عَامِ أَرْبَعَةٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ وَأَلْفِ الْمُنْتَصَنِ الْإِخْبَارِ
بِمَوْتِ جَدِّكَ الرِّيِّ لُوِيْزِ الْخَامِسَ عَشَرَ عَلَى يَدِ نَائِبِ قُوَصُوكُمْ بَرْطُلِيِّ
دِبْطُيَّرٍ . وَبَقِيَ فِي خَاطِرِنَا جَدُّكَ لُوِيْزٌ كَثِيرًا حَيْثُ كَانَتْ لَهُ مَحَبَّةٌ فِي
جَانِبِنَا الْعَلِيِّ وَكَانَ يَمُنُّ بِحَسَنِ السِّيَاسَةِ فِي قَوْمِهِ . وَلَهُ خَانَةٌ فِي رَعِيَّتِهِ
وَحِفْظُ عَهْدٍ مَعَ أَصْحَابِهِ . وَفَرِحْنَا حَيْثُ كَانَ بَاقِي مِنْ ذُرِّيَّتِهِ مِنْ يَخْلُفُهُ
فِي الْمُلْكَةِ وَالْجُلُوسِ عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ مِنْ بَعْدِهِ . وَمَا زَالَتْ تَسْعُدُ بِكَ
رَعِيَّتُكَ أَكْثَرُ مِمَّا كَانَتْ فِي حَيَاةِ جَدِّكَ وَنَحْنُ مَعَكُمْ عَلَى الْمُهَادَنَةِ وَالصَّلَاحِ
كَمَا كَانَ مَعَ جَدِّكَ . ثُمَّ فَأَعْلَمُ أَنَّ سَفْناً مِنْ سَفُنِ الْفَرَنْصِيصِ حَرَثُوا
بِأَقْصَى أَيَالِنَا الْمُبَارَكَةِ فِي الصَّخْرَاءِ وَتَفَرَّقَ جَمِيعٌ مِنْ سَلَمٍ مِنَ الْفَرَقِ
مِنَ النَّصَارَى فِي أَيْدِي الْعَرَبِ . وَحَيْثُ بَلَّغْنَا ذَلِكَ سِيرْنَا بَعْضَ

خُدَّامِنَا لِلصَّخْرَاءِ لِنُوجِّهَهُمْ إِلَيْكُمْ بَعْدَ الْأَنْعَامِ عَلَيْهِمْ رَعِيًّا لِلْمُهَادَنَةِ
وَالصُّلْحِ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ . وَيَصْلُكَ سِتَّةً مِنْ لَحْلٍ مِنْ عِتَاقِ خَيْلِنَا
صِلَةً مِنَّا إِلَيْكُمْ . وَخُدَّامِنَا الْمَذْكُورَ لَا تُبْطِئُوهُ عِنْدَكُمْ وَوَجَّهُوهُ إِلَيْنَا عَزْمًا
بَعْدَ قَضَاءِ الْفَرَضِ الَّذِي وَجَّهْنَاهُ إِلَيْهِ وَنَحْنُ مَعَكُمْ عَلَى الْمُهَادَنَةِ وَالصُّلْحِ .
أَتَتْهُ . صَدَرَ الْأَمْرُ بِكُتْبِهِ مِنْ حَاضِرَةِ مَكْنَسَةِ الزَّيْتُونِ فِي عَاشِيرِ
جُمَادَى الثَّانِيَةِ عَامِ ١١٨٨ هِجْرَةٍ (١٧٧٥ للمسيح)

في الاتواق وحس التواصل

فصل لسعيد بن عبد الملك

٣٥٥ أَنَا صَبُّ إِلَيْكَ سَامِي الطَّرْفِ نَحْوَكَ وَذِكْرُكَ مُلْصَقٌ بِلسَانِي .
وَأَتَمُّكَ حُلُوٌّ عَلَى لَهَوَاتِي وَتَخَضُّعٌ مَائِلٌ بَيْنَ عَيْنِي . وَأَنْتَ أَقْرَبُ
النَّاسِ مِنْ قَلْبِي وَأَخْذُهُمْ بِجَمِيعِ هَوَايَ . صَادَقْتُ مِنْكَ جَوْهَرَ نَفْسِي
فَأَنَا غَيْرُ مُخَوِّدٍ عَلَى الْأَنْفِيَادِ لَكَ بِغَيْرِ زِمَامٍ لِأَنَّ النَّفْسَ يَقُودُ بَعْضُهَا
بَعْضًا وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
وَلِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَقَائِدِسُ وَأَشْبَاهُ

كتاب الحسين بن سهل الى صديق له يدعوه الى مادية

٣٥٦ نَحْنُ فِي مَادِيَةٍ لَنَا تَشْرِيفٌ عَلَى رَوْضَةِ تَضَاحِكِ الشَّمْسِ حُسْنًا
قَدْ بَاتَتِ السَّمَاءُ تُلْعَلُهَا فَهِيَ مُشْرِقَةٌ بِمَائِهَا . حَالِيَةُ بُؤَارِهَا . فَرَأَيْكَ
فِينَا لِنَكُونَ عَلَى سَوَاءٍ مِنْ اسْتِمْتَاعٍ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ

(فَكُتِبَ إِلَيْهِ): هَذِهِ صِفَةٌ لَوْ كَانَتْ فِي أَقَاصِي الْأَطْرَافِ لَوَجِبَ
 أَنْبَاجُهَا وَحَثُ الْمَطِيِّ فِي ابْتِغَائِهَا. فَكَيْفَ فِي مَوْضِعٍ أَنْتَ تَسْكُنُهُ
 وَتَجْمَعُ إِلَى أَيْنِ مَنْظَرِهِ حُسْنَ وَجْهِكَ وَطِيبَ شِمَائِكَ. وَأَنَا الْجَوَابُ
 ٣٥٧ كَتَبَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ: الْمَوَدَّةُ تَجْمَعُنَا
 مَحَبَّتُهَا. وَالصَّنَاعَةُ تَوْلِفُنَا أَسْبَابَهَا. وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنْ تَرَاحٍ فِي لِقَاءٍ أَوْ
 تَخَلُّفٍ فِي مَكَانَةٍ مَوْضُوعٌ بَيْنَنَا يُوجِبُ الْعُذْرَ فِيهِ

كتاب اسحاق بن ابراهيم الموصلي الى احمد بن يوسف

٣٥٨ الشُّوقُ إِلَيْكَ وَإِلَى عَهْدِ آيَامِنَا الَّتِي حَسَنْتَ كَانَهَا أَعْيَادُ.
 وَقَصُرَتْ كَانَهَا سَاعَاتُ لِقَوْتِ الصَّفَاءِ. وَمِمَّا يُجَدِّدُهُ وَيُكَثِّرُ دَوَائِعَهُ
 تَصَاقُبُ الدِّيَارِ وَقُرْبُ الْجَوَارِ. ثُمَّ اللَّهُ لَنَا التَّعَمُّةُ الْمَجْدُودَةُ فِيكَ بِالنَّظَرِ
 إِلَى الْفَرَّةِ الْمُبَارَكَةِ الَّتِي لَا وَحْشَةَ مَعَهَا وَلَا أَنْسَ بَعْدَهَا (لَا بَنَ عَبْدِ رَبِّهِ)
 ٣٥٩ (كَتَبَ بَعْضُ الْكُتَّابِ إِلَى أَخٍ لَهُ): أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ مَنْ عَانَى
 الظَّمَأَ بِفِرْقَتِكَ اسْتَوْجَبَ الرِّيَّ مِنْ رُؤْيَيْكَ. وَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُجَرِّدَ
 لِي مِيعَادًا بِزِيَارَتِكَ أَتَوْقُ بِهِ إِلَى وَقْتِ رُؤْيَيْكَ وَيُؤَسِّنِي إِلَى حِينِ
 لِقَائِكَ فَعَلْتُ. (فَأَجَابَهُ): أَخَافُ أَنْ أَعِدَكَ وَعَدًا يَمْتَرِضُ دُونَ الْوَفَاءِ
 بِهِ مَا لَا أَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِ فَتَكُونُ الْحُسْرَةُ أَعْظَمَ مِنَ الْفَرْقَةِ

٢٦٠ (وَكُتِبَ فِي بَابِهِ): يَوْمُنَا طَابَ أَوَّلُهُ وَحَسُنَ مُسْتَقْبَلُهُ وَأَتَتْ
 السَّمَاءُ بِفِطَارِهَا. فَحَلَّتِ الْأَرْضَ بِأَنْوَارِهَا. وَبَكَتِ تَطِيبُ السَّمُولِ وَيُشْفِي
 الْغَلِيلِ. فَإِنْ تَأَخَّرْتَ فَرَقْتَ سَمَلَنَا. وَإِنْ تَعَجَّلْتَ إِلَيْنَا نَظَّمْتَ أَمْرَنَا

٣٦٩ كَتَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَمِيرٍ: ضَعْنِي أَكْرَمَكَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِكَ حَيْثُ
وَضَعْتَ نَفْسِي مِنْ رَجَائِكَ . أَصَابَ اللَّهُ بِمَعْرِفِكَ مَوَاضِعَهُ وَبَسَطَ
بِكُلِّ خَيْرٍ يَدَكَ (للقيرواني)

كتاب زبيدة الى المأمون بعد قتله ابنها الامين

٣٦٢ كُلُّ ذَنْبٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ عَظُمَ صَغِيرٌ فِي جَنْبِ عَفْوِكَ .
وَكُلُّ زَلٍّ وَإِنْ جَلَّ حَقِيرٌ عِنْدَ صَفْحِكَ . وَذَلِكَ الَّذِي عَوَّدَكَ اللَّهُ
فَأَطَالَ مُدَّتَكَ وَتَمَّ نِعْمَتَكَ . وَأَدَامَ بِكَ الْخَيْرَ وَدَفَعَ بِكَ الشَّرَّ .
هَذِهِ رُقْعَةٌ أَلْوَاهِ الَّتِي تَرْجُوكَ فِي الْحَيَاةِ لِنَوَائِبِ الدَّهْرِ . وَفِي الْمَمَاتِ
لِجَلِيلِ الذِّكْرِ . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَرْحَمَ ضَعْفِي وَأَسْتَكَاتِي وَقَلَّةَ حَيَاتِي
وَأَنْ تَصِلَ رَحْمِي وَتَحْتَسِبَ فِيمَا جَعَلَكَ اللَّهُ لَهُ طَالِبًا وَفِيهِ رَاغِبًا فَأَفْعَلْ .
وَتَذَكَّرْ مَنْ لَوْ كَانَ حَيًّا لَكَانَ شَفِيعِي إِلَيْكَ

(فلما وقف المأمون عليها بكى على أخيه الأمين ورق لها وكتب اليها الجواب :)

٣٦٣ وَصَلَتْ رُقْعَتُكَ يَا أُمَامَهُ (حَاطَكَ اللَّهُ وَتَوَلَّاكَ بِالرَّعَايَةِ)
وَوَقَفْتُ عَلَيْهَا . سَاءَ فِي شَهَادَةِ اللَّهِ جَمِيعُ مَا أَوْضَحْتَهُ فِيهَا . لَكِنَّ الْأَقْدَارُ
نَافِذَةٌ وَالْأَحْكَامُ جَارِيَةٌ وَالْأُمُورُ مُتَصَرِّفَةٌ وَالْخُلُقُونَ فِي قَبْضَتِهَا
لَا يَقْدِرُونَ عَلَى دِفَاعِهَا . وَالْدُّنْيَا كُلُّهَا إِلَى شَتَاءٍ . وَكُلُّ حَيٍّ إِلَى مَمَاتٍ
وَالْعَذْرُ وَالْبُعْيُ حَتْفُ الْإِنْسَانِ وَالْمَكْرُ رَاجِعٌ إِلَى صَاحِبِهِ . وَقَدْ أَمَرْتُ
بِرَدِّ جَمِيعِ مَا أَخَذَ لَكَ . وَلَمْ تَفْقِدِي يَمَنَ مُضَى إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ إِلَّا وَجْهَهُ
وَأَنَا بَعْدَ ذَلِكَ لَكَ عَلَى أَكْثَرِ مِمَّا تَخْتَارِينَ وَالسَّلَامُ

ثم أمر بردها وجميع ما أخذ منها واقطعها ما كان في يدها وعادها الى حالتها الاولى
في الكرامة والحشة (حديقه الافراح لليسني)

فصول في الهدايا

كتب رجل الى المتوكل وقد اهدى اليه قارورة من دهن الأترج :

٣٦٤ إِنَّ الْمُدِيَّةَ إِذَا كَانَتْ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ كُلَّمَا لَطَفَتْ
وَدَقَّتْ كَانَتْ أَبْهَى وَأَحْسَنَ . وَكُلَّمَا كَانَتْ مِنَ الْكَبِيرِ إِلَى الصَّغِيرِ
كُلَّمَا عَظُمَتْ وَجَلَّتْ كَانَتْ أَنْفَعُ وَأَوْفَعُ . وَأَرْجُو أَنْ لَا يَكُونَ قَصَرَتْ
بِي هِمَّةُ أَصَارَتَنِي إِلَيْكَ وَلَا أَحْرِي إِرْشَادُ دَلِّي عَلَيْكَ وَأَقُولُ :
مَا قَصَرَتْ هِمَّةٌ بَلَفَتْ بِهَا بَابَكَ يَا ذَا النَّدَاءِ وَالْكَرَمِ
حَسْبِي يَوْمَ أَنْ ظَهَرْتُ بِهِ ذُخْرًا وَعِزًّا يَا وَاحِدَ الْأُمَمِ

٣٦٥ كتب احمد بن ابي طاهر مع هدية :

مِنْ سُنَّةِ الْأَمْلَاقِ فِيمَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الدَّهْرِ وَإِقْبَالِهِ
هَدِيَّةُ الْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ فِي جِدَةِ الدَّهْرِ وَإِجْلَالِهِ
فَقُلْتُ مَا أَهْدِي إِلَى سَيِّدِي حَالِي وَمَا خُوِلْتُ مِنْ حَالِهِ
إِنْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي فَهِيَ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ أَهْدَيْتُ مَالِي فَهُوَ مِنْ مَالِهِ
فَلَيْسَ إِلَّا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالْمَدْحُ الَّذِي يَبْقَى لِأَمْثَالِهِ
أهدت جارية من جواري المأمون تفاعله وكتبت اليه :

٣٦٦ إِيَّيْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا رَأَيْتُ تَنَافُسَ الرَّعِيَّةِ فِي الْهَدَايَا إِلَيْكَ
وَتَوَازَرَ الْأَطَافِمْ عَلَيْكَ فَكَرْتُ فِي هَدِيَّةٍ تَخِفُ مَوْتَهَا وَتَهْوُنُ كَلَفَتَهَا
وَيَعْظُمُ خَطَرُهَا وَتَجِلُّ مَوْقِفُهَا . فَلَمْ أَجِدْ مَا يَجْتَمِعُ فِيهِ هَذَا أَلْتَعْتُ

وَيَكْمُلُ فِيهِ هَذَا الْوَصْفُ إِلَّا التَّفَاحَ فَأَهْدَيْتُ إِلَيْكَ مِنْهَا وَاحِدَةً فِي
الْعَدَدِ كَثِيرَةٍ فِي الْقُرْبِ . وَأَحْيَيْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَعْرَبَ لَكَ عَنْ
فَضْلِهَا وَأَكْشِفَ لَكَ عَنْ مَحَاسِنِهَا وَأُشْرَحَ لَكَ لَطِيفَ مَعَانِيهَا . وَمَا
قَالَتِ الْأَطِبَّاءُ فِيهَا وَتَقَنَّنَ الشُّعْرَاءُ فِي أَوْصَافِهَا حَتَّى تَرْمُقَهَا بِعَيْنِ
الْجَلَالَةِ وَتَلْخِطَهَا بِمَقْلَةِ الصِّيَاةِ . فَقَدْ قَالَ أَبُوكَ الرَّشِيدُ : أَحْسَنُ
أَقْصَاكُمُ التَّفَاحُ أَجْمَعُ فِيهِ بَيَاضُ الْفِضَّةِ وَلَوْنُ التَّيْرِ . يَلْذُّ بِهَا مِنْ
الْحَوَاسِ الْعَيْنُ بِسُحْجَتِهَا وَالْأَنْفُ بِرِيحِهَا وَالْفَمُ بِطَعْمِهَا

فصول في التهته

كتب بعض الشعراء الى بعض أهل السلطان في المهرجان :

٣٦٧ هَذِهِ أَيَّامٌ جَرَتْ فِيهَا الْعَادَةُ بِالْإِطَافِ الْعَبِيدِ لِلْسَّادَةِ . وَإِنْ
كَانَتْ الصَّنَاعَةُ تَقْصُرُ عَمَّا تَبْلُغُهُ الْهَمَّةُ فَكَرِهْتُ أَنْ أَهْدِيَ قَلَامًا أَبْلُغُ
مِقْدَارَ الْوَاجِبِ . فَجَعَلْتُ هَدِيَّتِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَهِيَ :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ ذَوِي التَّصَانِي تَبَارَوْا فِي هَدَايَا الْمَهْرَجَانِ
جَعَلْتُ هَدِيَّتِي وَدًّا مُقِيمًا عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ وَالْزَمَانِ
وَعَبْدًا حِينَ تَكْرِمُهُ ذَلِيلًا وَلَكِنْ لَا يَغِزُّ عَلَى الْهَوَانِ
يَزِيدُكَ حِينَ تُعْطِيهِ خُضُوعًا وَيَرْضَى مِنْ نَوَالِكَ بِالْأَمَانِ

كتاب السلطان العزيز الى ابن مقشر الطبيب النصاراني حينئذ بدنه من مرضه

٣٦٨ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِلَى طَبِيبٍ سَلَّمَهُ اللَّهُ سَلَامَ اللَّهِ إِلَهُ الطَّبِيبِ
وَأَتَمَّ النِّعَمَةِ عَلَيْهِ . وَصَلَتْ إِلَيْنَا الْبَشَارَةُ بِمَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنْ عَافِيَةِ الطَّبِيبِ

وَبُرِّئَهُ . وَاللَّهُ الْعَظِيمُ لَقَدْ عَدَلَ عِنْدَنَا مَا رَزَقْنَاهُ نَحْنُ مِنَ الصَّحَّةِ فِي
جِسْمِنَا أَفَّا لَكَ . اللَّهُ الْعَزَّزُ . وَأَعَادَكَ إِلَى أَفْضَلِ مَا عَوَّدَكَ مِنْ صِحَّةِ
الْجَنَّةِ . وَطَبِيعَةِ النَّفْسِ وَخَفَضِ الْعَيْشِ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ (لايي الفرج)

في التوبة

كتاب أبي بكر إلى يزيد ابن أبي سفيان

٣٦٩ . إِذَا سِرْتَ فَلَا تُعْتَفِ عَلَى أَصْحَابِكَ فِي السَّيْرِ وَلَا تُغْضِبْ قَوْمَكَ
وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ . وَاسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ وَبَاعِذْ عَنْكَ الظُّلْمَ وَالْجَوْرَ .
فَإِنَّهُ مَا أَفْلَحَ قَوْمٌ ظَلَمُوا وَلَا نَصَرُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ . وَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُلَاقُوهُمْ إِلَّا دُبَارَ . وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُرَّةً إِلَّا مُنْحَرِفًا
لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ . وَإِذَا نُصِرْتُمْ عَلَى
عَدُوِّكُمْ فَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَلَا شَيْخًا وَلَا أَمْرَأَةً وَلَا طِفْلًا . وَلَا تَقْرَبُوا تَحْلًا
وَلَا تُحْرِقُوا زَرْعًا . وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرًا مُثْمِرًا . وَلَا تَقْرَبُوا بَيْتَةَ إِلَّا
بَيْتَةَ الْمَأْكُولِ . وَلَا تَقْدِرُوا إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَقْضُوا إِذَا صَاحْتُمْ .
وَسَتْمُرُونَ عَلَى أَقْوَامٍ فِي الصَّوَامِعِ رَهَبَانٍ تَرْهَبُوا لِلَّهِ فَدَعُوهُمْ وَمَا
أَنْفَرَدُوا إِلَيْهِ وَارْتَضَوْهُ لِأَنْفُسِهِمْ فَلَا تَهْدِمُوا صَوَامِعَهُمْ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ
وَالسَّلَامُ

(تاريخ الشام للواقدي)

كتاب عمر بن الخطاب لابنه عبد الله

٣٧٠ . أَمَا بَعْدُ فَإِنَّهُ مَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَقَاهُ . وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ وَمَنْ
شَكَرَ لَهُ زَادَهُ . وَمَنْ أَقْرَضَهُ جَزَاهُ . فَاجْعَلِ التَّقْوَى عِمَادَ قَلْبِكَ وَجَلَاءَ

بَصْرِكَ . فَإِنَّهُ لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ . وَلَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حَسَنَةَ لَهُ . وَلَا
جَبْدَ لِمَنْ لَا خَلْقَ لَهُ

(للقيرواني)

كتاب عمر بن الخطاب الى عتبة بن غزوان عامله على البصرة

٣٧١ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَصْبَحْتَ أَمِيرًا تَقُولُ فَيَسْمَعُ لَكَ وَتَأْمُرُ فَيَنْفِذُ أَمْرَكَ .
فِيَا لَهَا نِعْمَةً إِنْ لَمْ تَرْفَعْكَ فَوْقَ قَدْرِكَ وَتُطْعِمَكَ عَلَى مَنْ ذُوْنكَ فَأَحْتَرِسَ
مِنَ النِّعْمَةِ أَشَدَّ مِنْ أَحْتِرَاسِكَ مِنَ الْمُصِيبَةِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَسْفُطَ
سَقَطَةً لَا شَوْىَ لَهَا وَتَعْتَزَّ عِزَّةً لَا لَمَالَهَا (أَيَّ لَا إِفَالَةَ) . وَالسَّلَامُ

كتاب عمر الى سعد بن ابى وقاص ومن معه من الاجناد

٣٧٢ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَمْرُكَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الْأَجْنَادِ يَتَّقُوا اللَّهَ عَلَى
كُلِّ حَالٍ . فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ الْعُدَّةِ عَلَى الْعَدُوِّ وَأَقْوَى الْمَكِيدَةِ فِي
الْحَرْبِ . وَأَمْرُكَ وَمَنْ مَعَكَ أَنْ تَكُونُوا أَشَدَّ أَحْتِرَاسًا مِنَ الْعَصَايِ
مِنْكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ . فَإِنَّ ذُنُوبَ الْخِيَانِ أَخْوَفُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ .
وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ لَنَا بِهِمْ قُوَّةٌ لِأَنَّ عَدَدَنَا لَيْسَ كَعَدَدِهِمْ وَلَا عَدَّتُنَا
كَعَدَّتِهِمْ . فَإِنْ ابْتَوَيْنَا فِي الْمَعْصِيَةِ كَانَ لَهُمُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا فِي الْقُوَّةِ .
وإِلَّا نَصَرْنَا عَلَيْهِمْ بِفَضْلِنَا لَمْ نَعْلَمْهُمْ بِقُوَّتِنَا . فَاعْلَمُوا أَنَّ عَلَيْكُمْ فِي سَبِيلِكُمْ
حَفَظَةً مِنَ اللَّهِ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ فَاسْتَحْيُوا مِنْهُمْ . وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَوْنَ
عَلَى أَنْفُسِكُمْ كَمَا تَسْأَلُونَهُ النَّصَرَ عَلَى عَدُوِّكُمْ . أَسْأَلُ اللَّهَ ذَلِكَ لَنَا
وَلَكُمْ . وَتَرَفَّقَ بِالْمُسْلِمِينَ فِي مَسِيرِهِمْ وَلَا يُجَشِّمُهُمْ مَسِيرًا يُعِيبُهُمْ . وَلَا
تُقْصِرْ بِهِمْ عَنْ مَنَزِلٍ يَرْفُقُ بِهِمْ حَتَّى يَلْبِسُوا عَدُوَّهُمْ . وَالسَّفَرُ لَمْ يَنْقُصْ

قوتهم فأنهم سارون إلى عدو مقيم حامي الأنفس والكراع . وأقم
 بمن معك في كل جمعة يوماً وليلة . حتى تكون لهم راحة يخيون فيها
 أنفسهم ويؤمنون أسلحتهم وأمتعتهم . ومع منازلتهم عن قري أهل
 الصلح والذمة فلا يدخلها من أصحابك إلا من يثق يدينه . وليكن عندك
 من العرب أو من أهل الأرض من تطمين إلى نصحه وصدقه . فإن
 الكذب لا ينفعك خبره وإن صدقك في بعضه . وليكن منك عند
 ذنوبك من أرض العدو أن تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك
 وبينهم . ثم أذك أحراسك على عسكريك وتيقظ من أليات جهلك .
 والله ولي أمرك ومن معك وولي النصركم على عدوكم . والله المستعان

فصول في الدم

فصل لآحمد بن يوسف

٣٧٣ أما بعد فإني لا أعرف لآمعروف طريقاً أوعر من طريقه
 إليك . فالعروف لذك ضائع والشكر عندك معجور . وإنا غايتك في
 المعروف أن تحقره . وفي وليه أن تكفره

كتاب أبي العتاهية إلى الفضل بن معن بن زائدة

٣٧٤ أما بعد فإني توسلت إليك في طلب نائك بأسباب الأمل
 وذرائع الحمد فرأيت من الفقر ورجاء للفتي وأزددت بهما بعداً مما
 فيه تقربت وقرباً مما فيه تبعدت . وقد قسمت اللآئمة بيني وبينك
 لآني أخطأت في سؤالك وأخطأت في منعي . أيرت بالأس من

أَهْلُ الْبُخْلِ فَسَأَلْتَهُمْ . وَنَهَيْتَ عَنْ مَنَعَ أَهْلِ الرِّغْبَةِ فَمَنَعْتَهُمْ

فصل لابراهيم بن المهدي

٣٧٥ إِنْ مَوَدَّةَ الْأَشْرَارِ مُتَّصِلَةٌ بِالذَّلَّةِ وَالصَّغَارِ تَمِيلُ مَعَهُمَا وَتُضَرَفُ
فِي آثَارِهِمَا . وَقَدْ كُنْتُ أَحِلُّ مَوَدَّتَكَ بِالْحِلِّ النَّفِيسِ وَأُزِلُّهَا بِالْمُنْزِلِ
الرَّفِيعِ حَتَّى رَأَيْتُ ذَلِكَ عِنْدَ الضَّعَةِ وَضَرَعَتِكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَتَغَيَّرَكَ
عِنْدَ الْأَسْتِغْنَاءِ وَأَطْرَحَكَ لِإِخْوَانِ الصَّفَاءِ . فَكَانَ ذَلِكَ أَقْوَى
أَسْبَابِ عُذْرِي فِي قَطْعِكَ عِنْدَ مَنْ يَتَصَحَّحُ أَمْرِي وَأَمْرَكَ بِعَيْنِ عَدْلٍ
لَا تَمِيلُ إِلَى هَوَى وَلَا تَرَى الْقَبِيحَ حَسَنًا

فصل في العتاب لعبد الله بن معاوية ذي الجناحين

٣٧٦ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَاقَنِي الشُّكُّ فِي أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ الرَّأْيِ فِيكَ .
أَبْدَأْتُ بِالطُّفِّ عَنْ غَيْرِ خَبَرَةٍ وَأَعَقَبْتُهُ جَفَاءً مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ . فَأُظْمِنِي
أَوْلَكَ فِي إِخَانِكَ وَأَيْسَنِي آخِرُكَ مِنْ وَقَائِكَ . فَسَجَّانَ مَنْ لَوْ شَاءَ
لَكَشَفَ مِنْ أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ الرَّأْيِ فِيكَ . فَأَقْنَعَا عَلَى ائْتِلَافٍ
وَأَقْرَقْنَا عَلَى اخْتِلَافٍ

وله أيضا في هذا الباب

٣٧٧ لَوْ كَانَتْ الشُّكُوكُ تُخْتَلِجُنِي فِي صِحَّةِ مَوَدَّتِكَ وَكَرِيمِ إِخَانِكَ
وَدَوَامِ عَهْدِكَ لَطَالَ عَنِّي عَلَيْكَ فِي تَوَازُرِ كُتُبِي وَأَحْتِسَاسِ جَوَابَاتِهَا
عَنِّي . وَلَكِنَّ الثَّمَّةَ بِمَا تَقْدَمُ عِنْدِي تَعَذُّرُكَ وَتَحْسِنُ مَا يُقْبِحُهُ جَفَاؤُكَ .
وَاللَّهُ يُدِيمُ نِعْمَتَهُ لَكَ وَلَنَا بِكَ

فصل لابن المدبر

٣٧٨ وَصَلَ كِتَابُكَ الْمَفْتَحُ بِالْعِتَابِ الْجَمِيلِ وَالتَّغْرِيمِ اللَّطِيفِ
قَالُوا مَا غَابَ عَلَيَّ مِنَ السُّرُورِ بِسَلَامَتِكَ لَقَطَعْتَ عَمَّا بَعَثَكَ الَّذِي
لَطَفَ حَتَّى كَادَ يَخْفَى عَنْ أَهْلِ الرِّقَّةِ وَالْفِطْنَةِ . وَغَلِظَ حَتَّى كَادَ يَفْهَمُهُ
أَهْلُ الْجَهْلِ وَالْبَلَه . فَلَا أَعْدَمُنِي اللَّهُ رِضَاكَ مُجَازِيًا بِهِ عَلَى مَا اسْتَحَقَّهُ
عَبْدُكَ . فَأَنْتَ ظَالِمٌ فِيهِ وَعِتَابُكَ لِي أَخْرَجَ مِنْهُ (لابن عبدربه)

كتب صاحب البريد بخراسان الى الرشيد ويحيى جالس بين يديه :

٣٧٩ إِنْ أَلْفَضَلَ بَنَ يَحْيَى مُتَشَاغِلٌ بِالصَّيْدِ وَإِدْمَانِ اللَّذَاتِ عَنْ
النَّظَرِ فِي أُمُورِ الرِّعَاةِ

فلمأ قرأه الرشيد روى به الى يحيى وقال له : يا بني إقرأ هذا الكتاب واكتب اليه بما يردمه
عن هذا . فكتب يحيى على ظهر كتاب صاحب البريد :

حَفِظَكَ اللَّهُ يَا بَنِيَّ وَأَمْتَعْ بِكَ . قَدْ اِنْتَهَى إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِمَّا
أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ التَّشَاغُلِ بِالصَّيْدِ وَمُدَاوِمَةِ اللَّذَاتِ عَنْ النَّظَرِ فِي أُمُورِ
الرِّعَاةِ مَا أَنْكَرَهُ فَعَاوِذُ مَا هُوَ أَزِينُ بِكَ . فَإِنَّهُ مَنْ عَادَ إِلَى مَا يَزِينُهُ أَوْ
يَشِينُهُ لَمْ يَعْرِفْهُ أَهْلُ دَهْرِهِ إِلَّا بِهِ وَالسَّلَامُ (لابن خلكان)

كتب طاهر بن الحسين حين أخذ بغداد الى ابراهيم بن المهدي

٣٨٠ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّهُ عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَنَاتِ الْخِلَافَةِ
بَغَيْرِ كَلَامِ الْإِمْرَةِ وَسَلَامِهَا . غَيْرَ أَنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ مَا بَلُّ الْهَوَى
وَالرَّأْيِ لِلنَّاكِثِ الْخُلُوعِ . فَإِنْ كَانَ كُلُّمَا بَلَّغَنِي قَلِيلٌ مَا كَتَبْتُ بِهِ
لَكَ . وَإِنْ يَكُنْ غَيْرَ ذَلِكَ فَالسَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ

وَرَكَّاهُ. وَقَدْ كَتَبْتُ فِي أَسْفَلِ كِتَابِي آيَاتًا قَدَّرَهَا :
 رُكُوبُكَ الْهَوْلَ مَا لَمْ تَلَقْ فُرْصَتَهُ جَهْلُ رَمَى بِكَ بِالْإِقْحَامِ تَغْرِيرُ
 أَهْوٍ بِدُنْيَا يُصِيبُ الْمُخْطِئُونَ بِهَا حَظُّ الْمَصِيبِينَ وَالْمُرُورُ مَغْرُورُ
 قَازِعِ صَوَابًا وَخَذِ بِالْحَزْمِ حَيْطَتَهُ فَلَنْ يُدْمَ لِأَهْلِ الْحَزْمِ تَذِيرُ
 فَإِنْ ظَفِرْتَ مُصِيبًا أَوْ هَلَكْتَ بِهِ فَأَنْتَ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مَعْدُورُ
 وَإِنْ ظَفِرْتَ عَلَى جَهْلٍ فَظَرْتَ بِهِ قَالُوا جَهْلُ أَعَاتِهِ الْمُقَادِيرُ

فصول في اللدح والشكر

فصل ل محمد بن الجهم

٣٨١ إِنَّكَ لَزِمْتَ مِنَ الْوَفَاءِ طَرِيقَةَ مَحْمُودَةٍ وَعَرَفْتَ مَنَاقِبَهَا
 وَشَهَرْتَ بِمَحَاسِنِهَا. فَتَنَاقَسَ الْإِخْوَانُ فِيكَ يَتَسَدَّرُونَ وَدَكَ
 وَيَتَسَكُّونَ بِحَبْلِكَ. فَمَنْ أَثَبَّتَ لَهُ عِنْدَكَ وَدًّا وَضَعَ حُلَّتَهُ مَوْضِعَ حِرْزِهَا

كتب ابن مكرم الى احمد بن المدير :

٣٨٢ إِنْ جَمِيعَ أَكْفَائِكَ وَنَظَرَائِكَ يَتَنَازَعُونَ الْفَضْلَ فَإِذَا أَتَوْهَا
 إِلَيْكَ أَقْرَأُوا لَكَ. وَيَتَنَاقَسُونَ الْمَنَازِلَ فَإِذَا بَلَغُوا وَقَفُوا دُونَكَ.
 فَرَادَكَ اللَّهُ وَزَادَنَا بِكَ وَفِيكَ. وَجَعَلْنَا مِنْ يَفْبَهُهُ رَأْيُكَ. وَيَقْدِمُهُ
 اخْتِيَارَكَ. وَيَقَعُ مِنَ الْأُمُورِ بِمَوْقِعِ بُمُؤَافَقَتِكَ. وَيَجْرِي فِيهَا عَلَى سَبِيلِ
 طَاعَتِكَ. (وَلَهُ). إِنْ مِمَّا يُطِمِّعُنِي فِي بَقَاءِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ وَيَزِيدُنِي
 بَصِيرَةً فِي الْعِلْمِ بِدَوَائِمِهَا لَدَيْكَ أَنَّكَ أَخَذْتَهَا بِحَبْلِهَا وَاسْتَوْجَبْتَهَا بِمَا
 فِيكَ مِنْ أَسْبَابِهَا. وَمِنْ شَأْنِ الْأَجْنَاسِ أَنْ تَتَأَلَّفَ. وَشَأْنِ الْأَشْكَالِ

أَنْ تَتَّامَ . وَكُلُّ شَيْءٍ يَتَقَلَّلُ إِلَى مَعْدِنِهِ وَيَجْنُ إِلَى عُصْرِهِ . فَإِذَا
صَادَفَ مِنْتَهُ وَتَزَلَّ فِي مَغْرِبِهِ ضَرَبَ بِعِرْقِهِ وَسَبَقَ بِفِرْعِهِ . وَتَمَكَّنَ
تَمَكَّنَ الْإِقَامَةَ وَتَفَتَّكَ تَفَتَّكَ الطَّبِيعَةَ

فصل لابن مكرم

٣٨٣ السَّيْفُ الْعَتِيقُ إِذَا أَصَابَهُ الصَّدَا اسْتَعْنَى بِالْقَلِيلِ مِنَ الْجَلَاءِ
حَتَّى تَعُودَ جِدَّتُهُ وَيَظْهَرَ فِرْنَدُهُ لِلَّيْنِ طَبِيعَتِهِ وَكَرَمِ جَوْهَرِهِ . وَلَمْ
أَصِفْ نَفْسِي لَكَ عُجْبًا بَلْ شُكْرًا . (وَلَهُ) زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظَمًا أَنَّهُ
عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَقِيرٌ . وَعِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ . (أَخَذَهُ الشَّاعِرُ) فَقَالَ :
زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظَمًا أَنَّهُ عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَقِيرٌ
تَتَنَاسَاهُ كَأَن لَمْ تَأْتِهِ وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ

فصل للعتابي

٣٨٤ أَنْتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَارِثُ سَلَفِكَ وَبَقِيَّةُ أَعْلَامِ أَهْلِ بَيْتِكَ
الْمُسْتَوْدِدُ بِهِ تَلَمُّهُمْ الْعَجْدِدُ بِهِ قَدِيمُ شَرَفِهِمْ وَالْأَحْيَاءُ بِهِ أَيَّامُ سَعْيِهِمْ .
وَلِأَنَّهُ لَمْ يَخْمَلْ مِنْ كُنْتِ وَارِثُهُ . وَلَا دَرَسَتْ أَنَارُ مَنْ كُنْتَ سَالِكَ
سَبِيلِهِ . وَلَا أَنْحَتِ أَعْلَامُ مَنْ خَلَقْتَهُ فِي رُبَّتِهِ

فصول في التمازي

فصل لعمر بن بحر الجاحظ

٣٨٥ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْمَاضِيَ قَبْلَكَ الْبَاقِي لَكَ وَالْبَاقِي بَعْدَكَ الْمَاجُورُ
فِيكَ . وَإِنَّمَا يُؤَوِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (وَلَهُ) : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ

فِي اللَّهِ الْغَزَاءَ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ وَأَخْلَفَ مِنْ كُلِّ مُصَابٍ . وَإِنَّهُ مَنْ
لَمْ يَتَعَزَّ بِغَزَاءِ اللَّهِ تَقَطَّعَ نَفْسُهُ عَنِ الدُّنْيَا حَسْرَةً . (وَلَهُ) أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ
الصَّبْرَ يُعْقِبُهُ الْأَجْرُ وَالْجَزَعُ يُعْقِبُهُ الْهَلَكُ . فَتَمَسَّكَ بِحِطِّكَ مِنَ الصَّبْرِ تَنَلْ
بِهِ الَّذِي تَطْلُبُ وَتُنْذِرُكَ بِهِ الَّذِي تَأْمُلُ
(لابن عبد ربه)

كتب ابن السكك الى هارون الرشيد يعزیه بولیه :

٣٨٦ أَمَّا بَعْدُ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ شُكْرُكَ حَيْثُ وَهَبَهُ لَكَ
فَأَفْعَلْ . فَإِنَّهُ حَيْثُ قَبَضَهُ مِنْكَ أَحْرَزَ لَكَ هَيْبَتَهُ . وَلَوْ بَقِيَ لَمْ تَسْلَمْ مِنْ
فِتْنَتِهِ . أَرَأَيْتَ جَرَعَكَ عَلَى ذَهَابِهِ وَتَلَهَّفَكَ عَلَى فِرَاقِهِ . أَرْضَيْتَ الدَّارَ
لِنَفْسِكَ فَتَرَصَّاهَا لَا يَنْبُكَ . أَمَّا هُوَ فَقَدْ خَلَصَ مِنَ الْكَدْرِ وَبَقِيَ أَنْتَ
مُتَعَلِّقًا بِالْخَطَرِ وَالسَّلَامُ
(الكنز المدفون للسيوطي)

عزى شيب بن شبة المنصور على اخيه ابي العباس فقال :

٣٨٧ جَعَلَ اللَّهُ تَوَّابَ مَا رُزِيتَ بِهِ لَكَ أَجْرًا . وَأَعْقَبَكَ عَلَيْهِ صَبْرًا .
وَحَقَّمَ ذَلِكَ لَكَ بِعَافِيَةٍ تَامَّةٍ وَنِعْمَةٍ عَامَّةٍ . فَتَوَّابُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ وَمَا
عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْكَ . وَأَحَقُّ مَا صَبَرَ عَلَيْهِ مَا لَيْسَ إِلَى تَغْيِيرِهِ سَبِيلُ

رسائل الى عليل

٣٨٨ لَيْسَتْ حَالِي أَكْرَمَكَ اللَّهُ فِي الْأَعْتِمَامِ بِمِلَّتِكَ حَالَ الْمَشَارِكِ
فِيهَا بِأَنْ يَنَالَنِي نَصِيبٌ مِنْهَا وَأَسْلَمَ مِنْ أَكْثَرِهَا . بَلِ اجْتَمَعَ عَلَيَّ مِنْهَا أُنَى
مُخْصُوصٍ بِهَا دُونَكَ مُؤَلَّمٌ مِنْهَا بِمَا يُؤَلِّمُكَ . فَأَنَا عَليْلٌ مُصْرُوفٌ الْعِنَايَةِ
إِلَى عَليْلٍ كَأَنِّي سَلِيمٌ . فَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي جَعَلَ عَافِيَتِي فِي عَافِيَتِكَ

أَنْ يُخَصَّنِي بِمَا فِيكَ فَإِنَّهَا شَامِلَةٌ لِي وَلَكَ . (وَفِي هَذَا الْبَابِ) : إِنَّ
الَّذِي يَعْلَمُ حَاجَتِي إِلَى بَقَائِكَ قَادِرٌ عَلَى الْمُدَافَعَةِ عَنْ حَوْبَائِكَ .
فَلَوْ قُلْتُ إِنَّ الْحَقَّ قَدْ سَقَطَ عَنِّي فِي عِيَادَتِكَ لِأَنِّي عَلِيلٌ يَعْلَنُكَ لِقَامِ
بِذَلِكَ شَاهِدٌ عَدْلٌ فِي صَمِيرِكَ وَأَثَرٌ بَارِدٌ فِي حَالِي لِفَيْتِكَ . وَأَصْدَقُ
الْخَبَرِ مَا حَقَّقَهُ الْأَثَرُ وَأَفْضَلُ الْقَوْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ

مصول في وصاة

كتب الحسن بن وهب الى مالك بن طوق يوصي ابنه الى الشيص :

٣٨٩ كِتَابِي إِلَيْكَ خَطَطْتُهُ يَمِينِي وَفَرَعْتُ لَهُ ذَهْنِي . فَمَا ظَنُّكَ
بِحَاجَةِ هَذَا مَوْقِعَهَا مِنِّي . أَتُرَانِي أَقْبَلُ الْمَذْرَفِيهَا وَأَقْصِرُ فِي الشُّكْرِ
عَلَيْهَا . وَأَبْنُ أَبِي الشَّيْصِ قَدْ عَرَفْتَهُ وَتَسَبَّهَ وَصِفَاتِهِ . وَلَوْ كَانَتْ أَيْدِينَا
تَبْسِطُ بِيَرِهِ مَا عَدَانَا إِلَى غَيْرِنَا فَأَكْتَفِ بِهَذَا مِنَّا (وَلَهُ) : كِتَابِي إِلَيْكَ
كِتَابٌ مَعْنِي بِمَنْ كَتَبَ لَهُ وَاتَّقِ بِمَنْ كُتِبَ إِلَيْهِ . وَلَنْ يَضِيعَ بَيْنَ
الْتِقَاءِ وَالْعِنَايَةِ حَامِلُهُ

فصل للحسن بن سهل

٣٩٠ فُلَانٌ قَدْ اسْتَفْنَى بِأَصْطِنَاعِكَ إِيَّاهُ عَنْ تَحْرِيكِي إِيَّاكَ فِي أَمْرِهِ .
فَإِنَّ الصَّنِيعَةَ حُرْمَةً لِلْمَصْنُوعِ إِيَّاهُ وَوَسِيلَةً إِلَى مُصْطَنِعِهِ . فَسَطَّ اللَّهُ
بِكَ بِالْخَيْرَاتِ وَجَعَلَكَ مِنْ أَهْلِهَا وَوَصَلَ بِكَ أَسْبَابَهَا . (وَلَهُ) : مُوَصِّلُ
كِتَابِي إِلَيْكَ أَنَا فَكُنْ لَهُ أَنَا . وَتَأَمَّلْهُ بِمَنْ مَشَاهِدِي وَخَلَّتِي .
فَلِسَانُهُ أَشْكُرُ مَا أَتَيْتَ إِلَيْهِ وَأَذَمُّ مَا قَصَّرْتَ فِيهِ (لِابْنِ عَبْدِ رِيهِ)

الْبَابُ الْعُشْرُونَ فِي تَارِيخِ الْعَرَبِ

نظر في أمة العرب وطباعهم وسكناهم

٣٩١ إَعْلَمَ أَنَّ الْعَرَبَ مِنْهُمْ الْأُمَّةُ الرَّاحِلَةُ النَّاجِعَةُ . الْحَيَامُ
لِسُكْنَاهُمْ وَالْخَيْلُ لِرُكُوبِهِمْ وَالْأَنْعَامُ لِكَسْبِهِمْ . يَقُومُونَ عَلَيْهَا وَيَقْتَاتُونَ
مِنْ أَلْبَانِهَا . وَيَتَخَذُونَ الدِّفْءَ وَالْأَثَاثَ مِنْ أَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا . وَيَحْمِلُونَ
أَنْثَاهُمْ عَلَى ظُهُورِهَا . يَتَنَزَّلُونَ حِلَالًا مُقَرَّرَةً وَيَتَنَعُونَ الرِّزْقَ فِي
غَالِبِ أَحْوَالِهِمْ مِنَ الْفَنَصِ وَتَخْطِفِ النَّاسَ مِنَ السُّبُلِ . وَيَقْبَلُونَ
دَائِمًا فِي الْمَجَالَاتِ فِرَارًا مِنْ حَمَارَةِ الْقَيْظِ تَارَةً وَصَبَارَةً الْبَرْدِ أُخْرَى .
وَأَنْتِجَاعًا لِمَرْعَى غَنَمِهِمْ . وَارْتِيَادًا لِمَصَالِحِ إِبِلِهِمْ الْكَفِيلَةِ بِمَعَاشِهِمْ وَحَمْلِ
أَنْثَاهُمْ وَدِفْقِهِمْ وَمَنَافِعِهِمْ فَاخْتَصَوْ لِذَلِكَ يَسْكُنِي الْإِقْلِيمُ الثَّلَاثِ .
فَعَمَرُوا أَلْيَنَ وَالْحِجَازَ وَتَجَدَّاهُ وَتَهَامَةً وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ لِاخْتِصَاصِ هَذِهِ
الْبِلَادِ بِالرَّمَالِ وَالْفَقَارِ الْمُحِيطَةِ بِالْأَرْيَافِ الْآهِلَةِ بَيْنَ سِوَاهُمْ مِنْ
الْأُمَمِ فِي فَضْلِ الرَّبِيعِ . وَزَخْرَفِ الْأَرْضِ لِرِغْيِ الْكَلَالِ وَالْعُشْبِ
فِي مَنَابِتِهَا وَالتَّسَلُّ فِي نَوَاحِيهَا إِلَى فَضْلِ الصَّيْفِ لِمُدَّةِ الْأَقْوَاتِ فِي
سَنَتِهِمْ مِنْ جُوبِهَا . وَرَبَّمَا يَلْحَقُ أَهْلُ الْعُمَرَانِ أَثْنَاءَ ذَلِكَ مَعْرَاتٌ مِنْ
أَضْرَارِهِمْ بِإِفْسَادِ السَّابِلَةِ وَرِغْيِ الزَّرْعِ مُخَضَّرًا وَأَنْتَهَاهِ قَاتِمًا وَحَصِيدًا .
إِلَّا مَا حَاطَتْهُ الدَّوْلَةُ وَذَادَتْ عَنْهُ الْحَامِيَةُ فِي الْمَمَالِكِ الَّتِي لِلسُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ .

فِيهَا . ثُمَّ يَخْدِرُونَ فِي فَصْلِ الْحَرِيفِ إِلَى الْقَقَارِ لِرَغْمِ شَجَرِهَا وَنَتَاجِ
إِبْلِيمَ فِي رِمَالِهَا وَمَا أَحَاطَ بِهِ عَمَلُهُمْ مِنْ مَصَالِحِهَا . وَفَرَارًا بِأَنْفُسِهِمْ
وَضَعْفَانِهِمْ مِنْ أَذَى الْبَرْدِ إِلَى دِفْءِ مَشَاتِيهَا . فَلَا يَزَالُونَ فِي كُلِّ عَامٍ
مُتَرَدِّدِينَ بَيْنَ الرِّيفِ وَالصَّخْرَاءِ مَا بَيْنَ الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ
صَاعِدِينَ وَمُنْخَدِرِينَ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ . شِعَارُهُمْ لُبْسُ الْخِطِ فِي الْغَالِبِ
وَلُبْسُ الْعِمَامِ تِيْمَانًا عَلَى رُؤُسِهِمْ . لَقِنُوا مِنْ أُمَمِ الْبَرَبَرِ فِي حَمْلِ السِّلَاحِ
اِعْتِقَالَ الرِّمَاحِ الْخَطِيَّةِ وَهَجْرًا تَكُفُّ الْقِسِي (تاريخ ابن خلدون)

ذكر نسب العرب وتقاسيمهم

٣٩٢ قَالَ الْمَطَرِيُّ : اخْتَلَفَ فِي نِسْبَتِهِمْ وَقِيلَ إِنَّ أَسْمَهُمْ أَشَقُّ مِنْ
الْإِبَانَةِ لِقَوْلِهِمْ أَعْرَبَ الرَّجُلُ عَمَّا فِي صَمِيرِهِ إِذَا أَبَانَ عَنْهُ . وَالْأَصَحُّ
أَنَّهُمْ نُسِبُوا إِلَى عَرَبَةٍ فِيهِ مِنْ تَهَامَةٍ وَدُعِيَ جِيلُهُمْ جِيلُ الْجَاهِلِيَّةِ لِمَا
كَانَ عَلَيْهِ الْعَرَبُ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ وَالْكِبَرِ وَالْتَجْبَرِ . وَقَدْ
قَسَمَ الْمُؤَرِّخُونَ الْعَرَبَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ عَرَابِيَّةٍ وَمُتَعَرَّبَةٍ وَمُسْتَعَرَّبَةٍ .
أَمَّا الْعَرَابِيَّةُ فَهُمْ الْعَرَبُ الْأَوَّلُ الَّذِينَ ذَهَبَتْ عَنْهُمَا تَفَاصِيلُ أَخْبَارِهِمْ
لِقَدَامِ عَهْدِهِمْ . وَأَمَّا الْعَرَبُ الْمُتَعَرَّبَةُ فَهُمْ عَرَبُ الْيَمَنِ مِنْ وَلَدِ قُحْطَانَ .
وَأَمَّا الْعَرَبُ الْمُسْتَعَرَّبَةُ فَهُمْ وَلَدُ إِسْمَاعِيلَ (نهاية الارب للنوري)

اخبار العرب العاربة او البائدة وهم القسم الاول

٣٩٣ هُمْ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ فَهُمْ عَادٌ وَثَمُودٌ وَطَسَمٌ وَجَدِيسٌ وَجَرُهُمْ
الْأَوَّلَى . وَقَدْ نَسِيَ هَذَا الْجِيلُ الْعَرَبَ الْبَائِدَةَ بِمَعْنَى الْهَالِكَةِ لِأَنَّهُمْ

يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ مِنْ نَسْلِهِمْ . وَقَدْ سُمِّيَ أَهْلُ هَذَا الْجِيلِ
 الْعَرَبِيَّةَ إِمَّا بِمَعْنَى الرِّسَاخَةِ بِالْعُرُوبِيَّةِ كَمَا يُقَالُ لَيْلٌ أَيْلٌ وَصَوْمٌ
 صَائِمٌ أَوْ بِمَعْنَى الْقَاعِلَةِ لِلْعُرُوبِيَّةِ وَالْمُبْتَدِعَةِ لَهَا بِمَا كَانَتْ أَوَّلَ أَجْيَالِهَا
 وَأَمَّا بَنُو عَادٍ فَكَانَتْ مَوَاطِنُهُمُ الْأُولَى بِأَحْقَافِ الرَّمْلِ بَيْنَ
 الْيَمَنِ وَعُثْمَانَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ وَالشَّحْرِ وَكَانَ أَبُوهُمْ عَادُ أَوَّلَ مَلِكٍ مِنَ
 الْعَرَبِ . وَذَكَرَ الْمُسَوْدِيُّ : أَنَّ الَّذِي مَلَكَ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ عَادٍ
 شَدَّادٌ . وَهُوَ الَّذِي سَارَ فِي أُمَمَالِكٍ وَاسْتَوَلَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ
 الشَّامِ وَالْهِنْدِ وَالْعِرَاقِ . وَلَمَّا اتَّصَلَ مَلِكُ عَادٍ وَعَظُمَ طُغْيَانُهُمْ وَعَتَوْهُمْ
 اتَّخَلَّوْا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ أَبَادَهُمُ اللَّهُ وَهَلَكُوا عَنْ أَقْصَاهُمْ
 وَأَمَّا ثَمُودُ فَكَانَتْ دِيَارُهُمْ بِالْحِجْرِ وَوَادِي الْقَرْيَ فِيمَا بَيْنَ الْحِجَازِ
 وَالشَّامِ وَكَانُوا يَتَخَوَّنَ بُيُوتَهُمْ فِي الْجِبَالِ وَكَانُوا أَهْلَ كُفْرٍ وَنِفْيٍ .
 فَأَنْذَرَهُمْ بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ قَلَمٌ يَصِيحُوا إِلَى دُعَائِهِ . فَوَلَّكَ جَمِيعَهُمْ حَيْثُ
 كَانُوا مِنَ الْأَرْضِ وَدَرَجُوا فِي الْعَالَمِينَ

وَأَمَّا جَدِيسٌ وَطَسَمٌ فَكَانَتْ دِيَارُهُمُ الْيَمَامَةُ وَهِيَ إِذْ ذَاكَ مِنْ
 أَخْصَبِ الْبِلَادِ وَأَعْمَرَهَا وَأَكْثَرَهَا ثَمَارًا وَحَدَائِقَ وَقُصُورًا . وَكَانَ مَلِكُ
 طَسَمٍ غَشُومًا مُطَارًا لَجْدِيسَ مُسْتَدِلًّا لَهُمْ حَتَّى قَامَ الْأَسْوَدُ وَقَتْلَهُ غِيلَةً
 وَأَمَّا جَرُّهُمُ الْأُولَى فَكَانَتْ دِيَارُهُمْ بِالْيَمَنِ وَكَانُوا يَتَكَاوَنُونَ
 بِالْعِبْرَانِيَّةِ فَكَانُوا عَلَى عَهْدِ عَادٍ وَلَمَّا قَدِمُوا أَنْفَرَا ضَيْحَهُمْ ذَهَبَتْ عَنْهَا حَقَائِقُ
 أَخْبَارِهِمْ وَأَنْتَطَعَتْ عَنْهَا أَسْبَابُ الْعِلْمِ بِأَنَارِهِمْ . وَأَمَّا جَرُّهُمُ الثَّانِيَةُ

قَالُوا مِنْ الْبَلَادَةِ بَلْ هُمْ مِنْ وَلَدِ قُحْطَانَ وَبِهِمْ اتَّصَلَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِدْرِهِيمَ

العرب المتعربة بنو قحطان وهم القسم الثاني

٣٩٤ وَتُسَمَّى هَذَا الْجِيلُ الْعَرَبُ الْمُتَعَرِّبَةُ لِزُرُوعِهِمْ بِالْبَلَادَةِ مَعَ الْعَرَبِ
الْعَارِيَةِ وَتَحَلُّوهُمْ بِأَخْلَاقِهِمْ . وَهُمْ بَنُو قُحْطَانَ بْنِ عَابِرَ بْنِ شَالِحَ بْنِ
أَرْفَخْشَدَ بْنِ سَامَ . وَقُحْطَانَ هَذَا مُعَرَّبٌ يَقُطَانُ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ مَلَكَ
أَرْضَ أَلْيَمَنَ وَلَيْسَ النَّجَاحُ (٢٠٣٠ قبل المسيح) وَكَانَ بَنُو قُحْطَانَ
مُعَاوِرِينَ لِإِخْوَانِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ الْعَارِيَةِ وَمُظَاهِرِينَ لَهُمْ عَلَى أُمُورِهِمْ .
وَلَمْ يَزَالُوا مُجْتَمِعِينَ فِي مَجَالَاتِ الْبَلَادَةِ مُبْعِدِينَ عَنْ رِثَةِ الْمَلِكِ وَتَرْفِهِ
الَّذِي كَانَ لِأَوَّلِكَ فَأَصْبَحُوا بِمُحَايَةِ مِنَ الْمَرَمِ الَّذِي يَسُوقُ إِلَيْهِ التَّرَفُ
وَالنُّصَارَةُ . فَتَشَعَّبَتْ فِي أَرْضِ الْقَضَا فَصَالَحَهُمْ وَتَعَدَّدَ فِي جَوِ الْقَفْرِ
أَفْحَادُهُمْ وَعَشَائِرُهُمْ . وَتَمَيَّزَ عَدَدُهُمْ وَكَثُرَتْ إِخْوَانُهُمْ مِنَ الْعَمَالِقَةِ فِي
آخِرِ جِيلِهِمْ . وَزَامَهُمْ بَنَا كَيْهَمَ وَأَسْتَجَدُّوا خُلُقَ الدَّوْلَةِ بِمَا أَسْتَأْنَفُوهُ
مِنْ عَزِهِمْ . وَكَانَتِ الدَّوْلَةُ لِبَنِي قُحْطَانَ مُتَّصِلَةً فِيهِمْ (لا بن خلدون)

ملك يعرب ويشجب وسبا بني قحطان

٣٩٥ وَكَانَ يَعْربُ بْنُ قُحْطَانَ مِنْ أَعَاطِمِ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَيُسَمَّى يَمْنَاوِيَهُ
سُمِّيَتْ أَلْيَمَنَ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ حَيَّاهُ وَلَدَهُ بِالْحَيَّةِ : أَيْبَتُ اللَّعْنِ وَأَنْعَمُ صَبَاحًا .
وَقِيلَ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِالْعَرَبِيَّةِ . قَالَ حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ :
تَعَلَّمْتُ مِنْ مَنْطِقِ الشَّيْخِ يَعْربِ أَبِينَا فَصَرَّيْتُ مُعَرَّبِينَ ذَوِي نَفَرٍ
وَكُنْتُمْ قَدِيمًا مَا لَكُمْ غَيْرَ عَجْمَةٍ كَلَامٌ وَكُنْتُمْ كَالْبَهَائِمِ فِي الْقَفْرِ

وَمَلِكٌ بَعْدَ يَرْبِ ابْنِهِ يَشْجُبُ . وَكَانَ وَاهِي الْعَزِيمَةِ وَأَسْتَبَدَّ أَعْمَامُهُ بِمَا
 فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَالِكِ . وَمَلِكٌ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ عَبْدُ الشَّمْسِ وَأَكْثَرُ
 الْغَزْوِ فِي أَقْطَارِ الْبِلَادِ فَسَمِيَ سَبَا . وَكَانَتْ قَاعِدَةُ مُلْكِهِ مَدِينَةَ صَنْعَاءَ
 وَمِنْ مَدِينِهِ مَارِبُ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاجِلَ مِنْهَا . (النويري وابن الاثير)

سَد مَارِبُ وَتَفَرُّعُ بَنِي سَبَا

٣٩٦ قَبْنِي سَبَا فِي مَارِبَ سُدَّامَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ بِالصَّخْرِ وَالْقَارِ فَحَصَّنَ
 بِهِ مَاءَ الْعُيُونِ وَالْأَمْطَارِ وَسَاقَ إِلَيْهِ سَبْعِينَ وَاذِيًّا وَتَرَكَ فِيهِ خُرُوقًا
 عَلَى قَدَرِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي سَقْيِهِمْ . وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى الْعَرَمَ وَمَاتَ
 قَبْلَ إِمَامِهِ فَأَتَتْهُ مُلُوكُ حِمَيْرَ مِنْ بَعْدِهِ فَأَقَامُوا فِي جَنَاتِهِ عَنْ الْيَمِينِ
 وَالشِّمَالِ . وَدَوَّلَتْهُمْ يَوْمَئِذٍ أَوْقُرٌ يَمَّا كَانَتْ وَأَرْفُ وَأَبْدُخُ وَأَعْلَى يَدَا
 وَأَظْهَرُ . فَلَمَّا طَفُوا وَأَعْرَضُوا انْجَحَمَهُمُ السَّيْلُ وَأَغْرَقَ جَنَاتَهُمْ وَخَرِبَتْ
 أَرْضُهُمْ وَتَفَرَّقَ مُلْكُهُمْ وَصَارُوا أَحَادِيثَ . وَكَانَ هَؤُلَاءِ التَّبَايَعَةُ مُلُوكًا عِدَّةً
 فِي عُصُورٍ مُتَعَاقِبَةٍ وَأَحْقَابٍ مُتَطَاوِلَةٍ لَمْ يَضْطَبْطَهُمُ الْخَصَرُ وَلَا تَقَيَّدَتْ
 مِنْهُمْ الشُّوَارِدُ . وَرَبَّمَا كَانُوا يَتَجَاوَزُونَ مَلِكَ الْيَمَنِ إِلَى مَا بَعْدَ عَنْهُمْ مِنَ
 الْعِرَاقِ وَالْهِنْدِ وَالْمَغْرِبِ . فَاخْتَلَفَتْ أَحْوَالُهُمْ وَوَقَعَ اللَّبْسُ فِي نَقْلِ أَيَّامِهِمْ .
 فَلَنَأْتِ بِمَا صَحَّ مِنْهَا مُتَحَرِّيًا جُهْدَ الْإِسْطَاعَةِ عَنْ طُمُوسٍ مِنَ الْفِكْرِ وَأَقْفَاءِ
 التَّقَايِيدِ الْمَرْجُوعِ إِلَيْهَا وَالْأُصُولِ الْمُعْتَمَدِ عَلَى نَفْلِهَا وَعَدَمِ الْوُقُوفِ عَلَى
 أَخْبَارِهِمْ مَدُونَةٍ فِي كِتَابٍ وَاحِدٍ . وَكَانَ لِسَبَا مِنْ الْوُلْدِ كَثِيرٌ وَأَشْهُرُهُمْ
 حِمَيْرٌ وَعَمْرُوٌّ كَهْلَانُ فَيُعْزَى التَّبَايَعَةُ إِلَى حِمَيْرٍ وَالْمُنَادِرَةُ إِلَى عَمْرُوٍّ وَيَتَنَبَّيْ

الْفَسَائِنَةُ إِلَى كَهْلَانَ . وَسَنُورِدُ بِالْخِيَصِ أَخْبَارَهُمْ (لابن خلدون)

١ - ملك التباة بني حمير في اليمن
(ذكر حمير وتعداد وتبع الاول)

٣٩٧ قَالَ الْمُسَوْدِيُّ : قِيلَ لِلْمَلِكِ الْيَمَنِيِّ تَبَاعَةَ لِأَنَّهُ يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا كُلَّمَا هَلَكَ وَاحِدٌ قَامَ آخَرٌ . وَلَمْ يَكُونُوا يُسَمُّونَ الْمَلِكَ مِنْهُمْ يَتَّبِعُ حَتَّى يَمْلِكَ الْيَمَنِيُّ وَالشَّحْرُ وَحَضَرُ مَوْتٍ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا فَيُسَمَّى مَلِكًا وَلَا يُقَالُ لَهُ تَبِعٌ . وَأَمَّا خَيْرٌ فَقَدْ يَعْرِفُ أَيْضًا بِالْعَرَجِجِ (١٤٣٠ ق م) . وَقِيلَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ تَوَجَّعَ بِالذَّهَبِ وَأَخْرَجَ ثُمُودٌ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى الْحِجَازِ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أَبْنُو وَائِلٍ . وَلَمْ يَزَلْ مُلْكُهُمْ عَلَى الْيَمَنِ حَتَّى مَضَتْ قُرُونٌ وَصَارَ الْأَمْرُ إِلَى شَدَادٍ فَغَزَا الْبِلَادَ إِلَى أَنْ بَلَغَ أَقْصَى الْمَغْرِبِ وَبَنَى الْمَدَائِنَ وَالْمَصَانِعَ وَأَبْقَى الْأَثَارَ الْعَظِيمَةَ . ثُمَّ اضْطَرَبَتْ أَحْوَالُ خَمِيرٍ وَصَارَ مُلْكُهُمْ طَوَائِفَ إِلَى أَنْ اسْتَقَرَّ فِي الْحَارِثِ وَهُوَ تَبِعُ الْأَوَّلِ وَفِي بَنِيهِ التَّبَاعَةُ . وَقَدْ لُتِبَ الْحَارِثُ بِالرَّائِشِ لِأَنَّهُ رَأْسُ النَّاسِ بِالْعَطَاءِ بِمَا كَانَ أَصَابَهُ فِي غَزَوَاتِهِ مِنَ السَّلْبِ وَالْغَنَائِمِ (الحمزة الاصفهاني)

ملك افريقس وذوي الازعار وشمرجيل

٣٩٨ ثُمَّ مَلَكَ أَيْرَهُةَ ذُو الْمَنَارِ ثُمَّ أَفْرِيقُسُ (١٠٩٨ ق م) وَذَهَبَ بِقَبَائِلِ الْعَرَبِ إِلَى أَفْرِيقِيَّةَ وَبِهِ تُمَيْتٌ وَسَاقَ الْأَبْرَارَ إِلَيْهَا مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ فَأَتَرَهُمْ بِهَا . وَيُقَالُ إِنَّهُ الَّذِي سَمِيَ الْبَرَابِرَةَ بِهَذَا الْأَسْمِ لِأَنَّهُ لَمَّا أَقْتَحَ الْمَغْرِبَ وَسَمِعَ رَطَاتِهِمْ قَالَ : مَا أَكْثَرَ بَرَابِرَتِهِمْ . فَسَمَوْا الْبَرَابِرَةَ .

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ أَفْرِيقُسَ أَخُوهُ عَمَرُو ذُو الْأَذْعَارِ وَلَمْ يُحْسِنِ السَّيْرَةَ فِي
الرَّعِيَّةِ . وَلَمَّا يَبَأُ بِوَصَاةِ أَبِيهِ أَمْرَهُةً وَكَانَ أَثْنَدُهُ عِنْدَ وَفَاتِهِ :

يَا عَمْرُو إِنَّكَ مَا جِئْتَ وَصِيَّتِي إِيَّاكَ فَاحْفَظْهَا فَإِنَّكَ تُرْشِدُ
يَا عَمْرُو لَا وَاللَّهِ مَا سَادَ الْوَرَى فِيمَا مَضَى إِلَّا الْمَعِينُ الْمُرْفِدُ
يَا عَمْرُو مَنْ يَشْرِي الْعَلَى بِنَوَالِهِ كَرَمًا يُقَالُ لَهُ الْجَوَادُ السَّيِّدُ
كُلُّ أَمْرِي يَا عَمْرُو حَاصِدُ زَرْعِهِ وَالزَّرْعُ شَيْءٌ لَا مَحَالَةَ يُخْصَدُ
وَلَمَّا ذُعِرَتْ خَيْرٌ مِنْ جَوْرِهِ خَلَمَتْ طَاعَتُهُ وَقَلَدَتْ الْمَلَأُ شَرْحِيلَ .
فَجَرَى بَيْنَ شَرْحِيلَ وَذِي الْأَذْعَارِ قِتَالٌ شَدِيدٌ قُتِلَ فِيهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ .
وَأَسْتَقَلَّ شَرْحِيلُ بِالْمَلِكِ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ الْهَذَاهُدُ . (١٠٦٥ ق م)

ملك بلقيس وناشر النعم وشمر مرعش وزميقيا

٣٩٩ ثُمَّ مَلَكَتْ بَلْقِيسُ ابْنَةُ الْهَذَاهُدِ وَكَانَتْ عَلَى عَهْدِ سُلَيْمَانَ وَوَفَدَتْ
عَلَيْهِ بَلْقِيسُ الْهَذَايَا وَبَقِيَتْ فِي مُلْكِ الْإِمْنِ عِشْرِينَ سَنَةً . ثُمَّ قَامَ بَعْدَهَا
بِالْمَلِكِ مَالِكُ نَاشِرِ النِّعَمِ . لِأَنَّهُ قَلَدَ أَعْنَاقَ رَعِيَّتِهِ أَطْوَأَقَ الْإِنْعَامِ وَالْإِنِ
وَسَارَ قَازِيَا إِلَى الْمَغْرِبِ فَبَلَغَ وَادِي الرَّمْلِ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ مَجَازًا لِكَثْرَةِ
الرَّمْلِ وَعَبَّرَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَرْجِعُوا . فَأَمَرَ بِصَنْمٍ مِنْ نَحَاسٍ نَصَبَ
عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي وَكُتِبَ فِي صَدْرِهِ بِالْخَطِّ الْمُسْنَدِ : هَذَا الصَّنَمُ لِلنَّاشِرِ
النِّعَمِ الْحَمِيرِيِّ لَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْهَبٌ . فَلَا يَتَكَلَّفُ أَحَدٌ ذَلِكَ فَيَقْطَبُ .
ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ نَاشِرِ هَذَا ابْنُهُ شَمْرُ مَرْعَشُ ثُمَّ بِذَلِكَ لَا رَيْعَاشَ كَانَ بِهِ
وَهَذَا هُوَ تَبَعُ الْآخَرِ . وَهُوَ الْمَشْهُورُ مِنْ مُلُوكِ التَّبَابِيَةِ ذُو الْمَغَازِي

وَالْأَنْتَارِ الْبَعِيدَةِ . فَكَانَ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِ الْعَرَبِ نِكَايَةً فِي الْأَعْدَاءِ
وَابْعَدَهُمْ مَقَارًا (٨٥٠ قبل المسيح) وَيُقَالُ إِنَّهُ وَطِئَ أَرْضَ الْعِرَاقِ
وَقَارِسَ وَخُرَّاسَانَ أَفْتَحَ مَدَائِنَهُمْ وَخَرَّبَ مَدِينَةَ الصَّقَدِ وَرَاءَ
حَبْيُون . فَقَالَتِ الْعَجَمُ شَمْرُ كَنْدَايِ شَمْرُ خَرَّبَ . وَبَنَى مَدِينَةً هُنَالِكَ
فَسُمِّيَتْ بِاسْمِهِ هَذَا وَعَرَّبَتْهُ الْعَرَبُ فَصَارَ شَمْرَقَنْدَ . وَتَخَصَّ مِنْ أَلْيَنَ
عَازِيَا وَمَرْ بِالْحِيرَةِ فَخَيَّرَ عَسْكَرَهُ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَلْيَنَ وَهَاتَبَهُ الْمُلُوكُ
وَهَادَنُوهُ . وَأَخَذَ يَدَيْنِ الْيَهُودِيَّةِ بِأَغْرَاءَ بَعْضِ أَحْبَارِ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي
قَرِيظَةَ . ثُمَّ عَادَ إِلَى غَزْوِ بِلَادِ قَارِسَ قُوْطًا أَلْمَالِكَ وَذَلَّلَهَا وَعَمِدَ إِلَى
الصَّيْنِ . قَالَ التُّوْرِي : وَكَانَ لِمَلِكِ الصَّيْنِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ وَزِيرٌ شَدِيدُ
الْبَاسِ سَامِي الْأَمَّةِ . فَلَمَّا بَلَغَهُ مَسِيرُ مَلِكِ أَلْيَنَ جَدَعَ أَنْفَهُ وَلَحَقَ بِأَبِي
كَرْبٍ وَسَعَى إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ وَتَشَكَّى مِنْ مَلِكِ الصَّيْنِ . وَتَظَاهَرَ أَنَّهُ يَدُلُّ
أَبَا كَرْبٍ عَلَى خَلَلٍ يُمْكِنُهُ الْفُرْصَةُ لِإِتْقَانِ بِلَادِهِمْ بِالْقِيَادِ وَفَتْحِهَا . فَسَرَّ
بِهِ تَبَعٌ وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِ وَأَصَاخَ لِقَوْلِهِ . فَهَضَّ الْوَزِيرُ بِجَيْشِهِ وَهُوَ
يَقْدُمُهُمْ حَتَّى أَتَاهُمُ إِلَى أَرْضِ سَجَّةَ . فَتَوَعَّلُوا فِي فَلَوَاتٍ سَمِيحَةٍ
لَا مَاءَ فِيهَا فَاجْتَهَدَهُمُ الْعَطَشُ فَهَلَكُوا . ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو مَالِكٍ
وَهَلَكَ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ . وَتَمَاقَبَتِ الْمُلُوكُ عَلَى أَلْيَنَ دَهْرًا طَوِيلًا
حَتَّى مَلَكَ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ الْأَزْدِيُّ وَقِيلَ لَهُ مُزَيْقِيَا . لِأَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ
كُلَّ يَوْمٍ بَدَلَةً فَإِذَا أَرَادَ الدُّخُولَ إِلَى مَجْلِسِهِ رَمَى بِهَا فُزْرَقَتْ لِيَلَا يَجِدَ
أَحَدٌ فِيهَا مَا يَلْبَسُهُ . وَقِيلَ إِنَّهُ عَلَى عَهْدِهِ صَارَ سَيْلُ الْعَرَمِ (١٠٢ ق م) .

فَانْفَجَرَتْ مِيَاهُ سُدِّ مَارِبَ فَأَحْتَمَلَ السَّيْلُ أَنْعَامَهُمْ وَخَرَبَ دِيَارَهُمْ
فَفَرَّقَتْ الْقَبَائِلُ النُّجَّادَةَ لَهُ أَيْدِي سَبَا (لابن الاثير والمسعودي)

ذكر ذي نواس وشهداء النصرانية في نجران

٤٠٠ وَلَمْ تَرَلْ تَتَوَالَى الْمُلُوكُ عَلَى خَيْرٍ حَتَّى صَارَ الْمَلِكُ إِلَى ذِي نَوَاسٍ .
(٤٨٠ ب م) وَاتَّفَقَ أَهْلُ الْأَخْبَارِ كُلُّهُمْ أَنَّ ذَا نَوَاسٍ هُوَ ابْنُ ثُبَّانِ
أَسْعَدُ وَأَسْمُهُ زُرْعَةُ . وَأَنَّهُ لَمَّا تَغَلَّبَ عَلَى مُلْكِ آبَائِهِ التَّبَاعِيَةِ لَسَمَى
يُوسُفَ وَتَعَصَّبَ لِلدِّينِ الْيَهُودِيَّةِ وَحَمَلَ عَلَيْهِ قَبَائِلُ الْكَيْنِ . فَاسْتَجْمَعَتْ مَعَهُ
خَيْرٌ عَلَى ذَلِكَ . وَارَادَ أَهْلُ نَجْرَانَ عَلَيْهَا وَكَانُوا مِنْ بَيْنِ الْعَرَبِ يَدِينُونَ
بِالنَّصْرَانِيَّةِ . وَلَهُمْ فَضْلٌ فِي الدِّينِ وَاسْتِقَامَةٌ عَلَى أَهْلِ حُكْمِ الْإِنجِيلِ .
وَلَهُمْ رَأْسٌ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ تَامِرٍ . وَكَانَ هَذَا الدِّينُ وَقَعَ إِلَيْهِمْ قَدِيمًا
مِنْ بَقِيَّةِ أَصْحَابِ الْخَوَارِجِيِّينَ مِنْ رَجُلٍ سَقَطَ لَهُمْ مِنْ مُلْكِ التَّبَعِيَّةِ
يُقَالُ لَهُ فَيُؤُونَ . وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ مُجَابِ الدَّعْوَةِ
وظَهَرَتْ عَلَى يَدِهِ الْكَرَامَاتُ فِي شِفَاءِ الْمَرْضَى . وَكَانَ يَطْلُبُ الْخَفَاءَ عَنْ
النَّاسِ جُهْدَهُ . وَكَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ كَسْبِ يَدِهِ وَيُعْظَمُ يَوْمَ الْآخِرِ
فَلَا يَعْمَلُ فِيهِ شَيْئًا . فَطَفَنَ لِشَأْنِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ اسْمُهُ صَالِحٌ
فَلَزِمَهُ وَخَرَجَا فَارَيْنَ بِأَنْفُسِهِمَا حَتَّى وَطِئَا بِلَادَ الْعَرَبِ . فَأَخْطَقَتْهُمَا
سَيَّارَةٌ فَبَاعُوهُمَا بِنَجْرَانَ . وَأَهْلُ نَجْرَانَ يَوْمَئِذٍ عَلَى دِينِ الْعَرَبِ يَعْبُدُونَ
مُخَلَّةً لَهُمْ طَوِيلَةً وَيُحْلِقُونَ عَلَيْهَا فِي الْأَعْيَادِ مِنْ حُلِيِّهِمْ وَثِيَابِهِمْ
وَيَعْكِفُونَ عَلَيْهَا أَيَّامًا . وَكَانَ قَدْ ابْتَعَ فَيُؤُونَ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَابْتَعَ

صَالِحًا آخَرُ . فَكَانَ فَيَمُوتُ إِذَا قَامَ فِي اللَّيْلِ فِي بَيْتٍ لَهُ أَسْكَنَهُ إِيَّاهُ
سَيِّدُهُ اسْتَسْرَجَ لَهُ أَلَيْتُ نُورًا وَهُوَ فِي غَيْرِ مِصْبَاحٍ حَتَّى يُضَيِّحَ
الصَّبَاحَ . فَأَعْجَبَ سَيِّدُهُ مَا رَأَى مِنْهُ فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِ . فَأَخْبَرَهُ بِهِ
وَقَالَ لَهُ : إِنَّمَا أَنْتُمْ عَلَى بَاطِلٍ وَهَذِهِ الشَّجَرَةُ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ . وَلَوْ
دَعَوْتُ عَلَيْهَا إِلَهِي الَّذِي أَعْبُدُهُ لَأَهْلَكْتُهَا وَهُوَ وَحْدَهُ لَا يَدُّ لَهُ . فَقَالَ لَهُ
سَيِّدُهُ : أَفَعَلْ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ هَذَا دَخَلْنَا فِي دِينِكَ وَتَرَكْنَا مَا نَحْنُ
عَلَيْهِ . فَدَعَا فَيَمُوتُ فَأَرْسَلَ اللَّهُ رِيحًا فَجَعَلَتْ الشَّجَرَةَ مِنَ أَصْلِهَا . وَأَطْبَقَ
أَهْلُ نَجْرَانَ عَلَى أَتْبَاعِ دِينِ عِيسَى فَمِنْ هُنَاكَ كَانَتِ النَّصْرَانِيَّةُ بِنَجْرَانَ .
وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ تَامِرٍ فَكَانَ يَجْلِسُ إِلَى فَيَمُوتُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَسْمَعُ مِنْهُ شَرَايِعَ
النَّصْرَانِيَّةِ حَتَّى قُبِيَ فِيهَا وَظَهَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ الْخَوَارِقُ وَالْمُخِزَّاتُ وَدَانَ
الْكُلُّ بِدِينِهِ . فَسَارَ إِلَيْهِمْ ذُو نُوَاسٍ بِجُنُودِهِ وَاسْتَدْعَى رَأْسَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ
ابْنَ تَامِرٍ فَأَحْذَرَهُ وَقَالَ لَهُ : أَفَسَدْتَ عَلَيَّ أَهْلَ بَلَدِي وَخَالَتَ دِينِي
وَدِينَ آبَائِي . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فُقِلَّ وَعَرَّضَ عَلَى أَهْلِ نَجْرَانَ أَلْتَمَلْ فَلَمْ
يَزِدْهُمْ إِلَّا جَاحًا . فَحَدَّدَ لَهُمُ الْأَخَادِيدَ وَأَوْقَدَ لَهُمْ نَارًا . ثُمَّ أَمْتَعَنَهُمْ .
فَجَعَلَ يَقُولُ لِلرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ : إِمَّا أَنْ تَتْرَكَ دِينَكَ وَإِمَّا أَنْ نَهْدِفَكَ فِي
النَّارِ فَيَقُولُ : مَا أَنَا تَارِكُ دِينِي لِشَيْءٍ فَيُغْدَفُ فِيهَا فَيُحْرَقُ . فَكَيْتَ
أَمْرًا وَمَعَهَا صَبِيٌّ رَضِيعٌ عُمُرُهُ سَبْعَةُ أَشْهُرٍ فَجَزَعَتْ وَتَهَيَّتْ . فَقَالَ لَهَا
الْعَلَامُ : يَا أُمُّهُ لَا تَنَافِقِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ وَلَمْ يَكُنْ يَتَكَلَّمُ مِنْ ذِي قَبْلِ .
فَأَحْتَرَقَتْ . وَقَتْلَ وَحَرَقَ ذُو نُوَاسٍ حَتَّى أَهْلَكَ مِنْهُمْ فِيمَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ

عَشْرِينَ أَلْفًا أَوْ يَزِيدُونَ . وَأَقْلَتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ سَبَائِقَالُ لَهُ دُوسُ دُو
ثُلُبَانٍ فَسَلَكَ الرَّمْلَ عَلَى قَرَسِهِ فَأَعْجَزَهُمْ . فَقَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ صَاحِبِ
الرُّومِ يَسْتَنْصِرُهُ عَلَى ذِي نُوَاسٍ (معجم البلدان لياقوت)

استيلاء الحبشة على ملك اليمن

٤٠١ فَبَعَثَ قَيْصَرُ إِلَى مَلِكِ الْحَبَشَةِ يَأْمُرُهُ بِنَصْرِهِ . فَجَاءَتْهُ السُّفُنُ
وَأَجَازَ فِيهَا الْمَسَاكِرُ مِنَ الْحَبَشَةِ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أَرْيَاطُ رَجُلًا مِنْهُمْ . وَعَهْدَ
إِلَيْهِ بِقَتْلِهِمْ وَسَنِيهِمْ وَخَرَابِ بِلَادِهِمْ . فَرَكِبُوا الْبُحْرَ وَزَلُّوا سَاحِلَ
الْيَمَنِ فَلَقِيَهُمْ ذُو نُوَاسٍ فَمِنْ مَعَهُ فَأَنْهَزَهُمْ . فَلَمَّا رَأَى ذُو نُوَاسٍ مَا زَلَّ بِهِ
وَيَقُومُهُ وَجَهَ بِفَرَسِهِ إِلَى الْبُحْرِ وَخَاضَ صَخَصَاحَهُ . ثُمَّ أَفْضَى بِهِ إِلَى
عَمْرَةٍ فَأَقْبَحَهُ فِيهَا فَكَانَ آخِرَ الْمَهْدِ بِهِ وَأَنْقَرَضَ أَمْرُ التَّبَاعَةِ .
(٥٢٩ ب م) وَوُطِئَ مِنْ ثُمَّ أَرْيَاطُ الْيَمَنِ بِالْحَبَشَةِ وَأَذَلَّ رِجَالَاتِ
خَيْرٍ وَهَدَمَ حُصُونَ الْمَلِكِ . ثُمَّ انْتَمَضَ عَلَى أَرْيَاطٍ أَرْهَةً أَحَدُ رُؤَسَاءِ
حَيْشِهِ وَجَذَبَ مَعَهُ رُغَاعَ الْحَبَشَةِ وَعَصَى أَرْيَاطُ وَدَعَاهُ لِلْحَرْبِ فَأَنْحَازَ
إِلَى أَرْيَاطٍ عُظْمَاءِ الْحَبَشَةِ وَغَطَّارِيْفُهُمْ فَأَقْتَتَلُوا . فَحَمَلَ أَرْيَاطُ عَلَى
أَرْهَةٍ وَعَلَا وَجْهَهُ بِالْحَرْبَةِ فَشَرَمَ أَنْفَهُ وَبِذَلِكَ لُتِبَ بِالْأَشْرَمِ . وَحَمَلَ
أَرْهَةً عَلَى أَرْيَاطٍ بِالسَّيْفِ وَعَلَاهُ رَأْسُهُ فَاسْرَعَ السَّيْفُ فِي دِمَاعِهِ
وَسَقَطَ عَنْ جَوَادِهِ . فَمَالُوا وَاحِدًا تَدْجِيمًا وَصَارُوا مَعَ أَرْهَةٍ وَأَقَامُوهُ مَلِكًا .
وَكَانَ أَرْهَةً رَجُلًا قَصِيرًا حَادِرًا لَحِيْمًا دَحْدَحًا ذَا دِينَ فِي النُّصْرَانِيَّةِ .
فَبَنَى بِصَنْعَاءَ إِلَى جَانِبِ عُثْمَانَ كَنِيسَةً مُحْكَمَةً الْعَمَلِ وَسَمَّاهَا

الْقَلْبِيسَ (*) فَأَتَتْشَرَّخَبْرُ بَنَاءِ هَذَا أَلَيْتِ فِي الْعَرَبِ . وَلَمَّا هَلَكَ أَبْرَهَةُ
(٥٧١ ب م) مَلِكُ مَكَانَهُ أُنْبُوهُ يَكْسُومُ وَبِهِ كَانَ يَكْنَى وَاسْتَحْلَ مَلِكُهُ
وَأَذَلَ خَمِيرَ وَقَبَائِلَ الْيَمَنِ . فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ وَاسْتَحْدَمَ أَبْنَاءَهُمْ . ثُمَّ هَلَكَ
يَكْسُومُ فَمَكَ مَكَانَهُ أَخُوهُ مَسْرُوقٌ وَسَاءَتْ سِيرَتُهُ وَكَثُرَ عُسْفُهُ (لِلْأَزْرَقِ)

اخبار سيف بن ذي يزن

٤٠٢ وَلَمَّا طَالَ الْبَلَاءُ مِنَ الْحَبْشَةِ عَلَى أَهْلِ الْيَمَنِ خَرَجَ سَيْفُ ذِي يَزْنَ
الْحِمَيْرِيِّ مِنَ الْأَذْدَاءِ بَقِيَّةُ ذَلِكَ السَّلَفِ وَعَقِبَ أُولَئِكَ الْمُلُوكِ . وَدِيَالُ
الدَّوْلَةِ الْمَوْفُضُ لِلْحُمُودِ . وَقَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ (يُوسْتِنِسَ) لِيَسْتَجِدَّهُ عَلَى
الْحَبْشَةِ . فَأَبَى وَقَالَ : الْحَبْشَةُ عَلَى دِينِ النَّصَارَى . فَرَجَعَ إِلَى كِسْرَى
وَقَدِمَ الْحِيرَةَ عَلَى النُّعْمَانِ بْنِ النُّزْدِ عَامِلِ قَارِسَ عَلَى الْحِيرَةِ وَمَا يَلِيهَا
مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ فَشَكَا إِلَيْهِ . وَاسْتَمَلَهُ النُّعْمَانُ إِلَى حِينٍ وَفَادَتْهُ عَلَى
كِسْرَى وَأَوْفَدَ مَعَهُ وَسَّأَلَهُ النَّصْرَ عَلَى الْحَبْشَةِ وَشَاوَرَ أَهْلَ دَوْلَتِهِ .
فَقَالُوا : فِي سُجُونِكَ رِجَالٌ حَبَسْتَهُمْ لِقَتْلِ إِبْعَثْهُمْ مَعَهُ فَإِنْ هَلَكُوا كَانَ

(٥) وَكَانَ الْقَلْبِيسُ مَرَبَّعًا مُسَوًى التَّرْبِيعَ وَجَعَلَ طُولُهُ فِي السَّمَاءِ سِتِينَ ذِرَاعًا وَحَوْلُهُ
سُورٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَلْبِيسِ مِائَتَا ذِرَاعٍ مُطِيفٌ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَجَعَلَ بَيْنَ ذَلِكَ كُلِّهِ حِمَارَةٌ
تَسْمِيهَا أَهْلُ الْيَمَنِ الْجُرُوبَ مَنْقُوشَةٌ مِطَابَقَةٌ لَا يَدْخُلُ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا إِلَّا بَرَةٌ مُطَبَقَةٌ بِهِ . وَكَانَ
لَهُ بَابٌ مِنْ نَحَاسٍ يُفْضِي إِلَى بَيْتٍ فِي جَوْفِهِ طُولُهُ ثَمَانُونَ ذِرَاعًا فِي أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا مَلَقَى الْعَمَلُ
بِالسَّاجِ الْمَنْقُوشِ وَمِثَالِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَعَقُودُهُ مُضْرُوبَةٌ بِالْفِسْفِيسَاءِ مُشْجَرَةٌ بَيْنَ أَضْعَافِهَا
كُؤَاكِبُ الذَّهَبِ ظَاهِرَةٌ . ثُمَّ يَدْخُلُ مِنَ الْبَيْتِ إِلَى قُبَّةٍ جُدُّهَا بِالْفِسْفِيسَاءِ وَفِيهَا صُلْبٌ مَنْقُوشٌ
بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَفِيهَا رُخَامَةٌ مِمَّا يَلِي مَطْلَعُ الشَّمْسِ مِنَ الْبَلْقَى مَرْبَعَةٌ تَنْشِي عَيْنَ مَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا مِنْ
بَطْنِ الْقُبَّةِ . تُوْدِي ضَوْءَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِلَى دَاخِلِ الْقُبَّةِ . وَكَانَ تَحْتَ الرُّخَامَةِ مَنِيرٌ مِنْ خَشَبٍ
الْبَلَّحِ وَهُوَ الْإِبْنُوسُ مَفْصَلٌ بِالْمَاجِ وَدَرَجُ الْمَنِيرِ مِنْ خَشَبِ السَّاجِ مَلْبَسَةٌ ذَهَبًا وَفِضَّةً (لَا يَنْ اِسْمَاقُ)

الَّذِي أَرَدْتُ بِهِمْ وَإِنْ مَلَكَوْا كَانَ مُلْكًا أَرَدَدْتَهُ إِلَى مُلْكِكَ . فَأَحْصُوا
ثَمَانِيَةَ وَقَدَّمَ عَلَيْهِمْ أَفْضَلَهُمْ وَأَعْظَمَهُمْ بَيْتًا وَكَبَّرَهُمْ كَسْبًا وَكَانَ
وَهْزَرَ الدَّيْلَمِيَّ . فَتَوَاقَفُوا لِلْحَرْبِ وَأَمَرَ وَهْزَرُ بْنُ أَنُوتَشَهُمُ الْقِتَالَ
فَقَتَلُوهُ وَأَحْضَطَهُ ذَلِكَ . وَقَالَ : أَرُونِي مُلْكَكُمْ فَأَرَوْهُ إِيَّاهُ عَلَى فِيلٍ عَلَيْهِ
نَاجُهُ وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ يَأْقُوْتُهُ حُمْرَاهُ . فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَصَكَ الْيَأْقُوْتَةَ بَيْنَ
عَيْنَيْهِ وَتَعَلَّقَ فِي دِمَاعِهِ وَتَكَسَّ عَنْ دَابَّتِهِ وَدَارُوا بِهِ . فَحَمَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِمْ
وَأَنْهَزَمَ الْحَبْشَةُ فِي كُلِّ وَجْهِ . وَفِي مُلْكِهِمْ فِي الْيَمَنِ بَعْدَ أَنْ تَوَارَتْهُ مِنْهُمْ
أَرْبَعَةٌ فِي ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً . (٦٠١) وَأَنْصَرَفَ وَهْزَرُ إِلَى كِسْرَى
بَعْدَ أَنْ خَلَفَ سَيْفًا عَلَى الْيَمَنِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْفَرَسِ صَمْتَهُمْ إِلَيْهِ . عَلَى
فَرِيضَةٍ يُودِّيْهَا كُلُّ عَامٍ . وَجَعَلَهُ لِنَظَرِ ابْنِ ذِي يَزْنَ وَأَرْزَلَهُ بِصَنْعَاءَ .
وَأَنْفَرَدَ ابْنُ ذِي يَزْنَ بِسُلْطَانِيَّةِ وَزَلَ قَصْرَ الْمَلِكِ وَهُوَ رَأْسُ عُجْدَانَ .
يَقَالُ إِنَّ الصَّخَالَ بَنَاهُ عَلَى اسْمِ الزُّهْرَةِ وَهُوَ أَحَدُ الْبُيُوتِ السَّبْعَةِ الْمَوْضُوعَةِ
عَلَى أَسْمَاءِ الْكَوَاكِبِ وَرُوحَانِيَّتُهَا . خَرِبَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ . وَلَمَّا اسْتَوْثِقَ
لِذِي يَزْنَ الْمَلِكُ جَعَلَ يَعْتَسِفُ الْحَبْشَةَ وَيَقْتُلُهُمْ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا
الْقَلِيلُ جَعَلَهُمْ خَوْلًا وَاتَّخَذَ مِنْهُمْ طَوَابِرَ يَسْعُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالْجَرَابِ .
فَخَرَجَ يَوْمًا وَهُمْ يَسْعُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَلَمَّا أَنْفَرَدُوا بِهِ عَنِ النَّاسِ رَمَوْهُ
بِالْجَرَابِ فَقَتَلُوهُ . فَأَرْسَلَ كِسْرَى عَامِلًا عَلَى الْيَمَنِ وَاتَّخَذَتْ عَمَلَهُ إِلَى أَنْ
كَانَ آخِرُهُمْ بِأَذَانَ فَأَسْلَمَ وَصَارَتْ الْيَمَنُ لِلْإِسْلَامِ (لابن خلدون)

خبر الملوك المناذرة بني كهلان في العراق
تملك ملك بن فهم وجذبة الارش

٤٠٣ أما أخبار العرب بالعراق في الجبل الأول فلم يصل إلينا
تفاصيلها وشرح حالها . إلا أنه لما حدث سبيل العرم تمزقت عرب
التي من مدينة مأرب إلى العراق والشام . فكانت تنوخ وقضاة
ومهاجيان من أحياء الأزدي من بني كهلان ممن تمزق إلى العراق .
فقال ملك بن فهم الأزدي لمالك بن القضاي : نقيم بالبحرين
وتحالف على من نؤا فتألفوا . فسموا تنوخ وذلك في أيام ملوك
الطوا ففطرُوا إلى العراق وعليها طائفة من ملوكها وهي ساغرة
فخرجوا عن البحرين وسارت الأزدي إلى العراق مع ملك بن فهم
الأزدي . وسارت قضاة إلى الشام مع مالك القضاي

٤٠٤ وأول من تملك على تنوخ في العراق ملك بن فهم (١٩٥ للمسيح)
وكان منزله بالأنبار فبقي بها إلى أن رماه سليمة بن مالك رمية بالليل
وهو لا يعرفه . فلما علم أن سليمة رماه قال :

جزاني لا جزاه الله خيرا سليمة إنه شرأجزاني
أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

فلما قال هذين البيتين فآظ وهرب سليمة ثم ملك من بعد ملك
جذبة الأرش . (٢٥١ ب م) وكان ثاقب الرأي بعيد المنابر شديد
الكفاية ظاهر الحزم . وهو أول من غزا بالجيوش وشن الغارات على

قَبَائِلُ الْعَرَبِ وَكَانَ بِهِ رِصٌّ فَكَبَّرَتْهُ الْعَرَبُ عَلَى أَنْ تَنْتَعِتُ بِهِ إِعْظَامُهَا
 فَسَمَتْهُ جَذِيمَةَ الْأَبْرَشِ وَجَذِيمَةَ الْوَصَّاحِ . وَاسْتَوَلَى عَلَى السَّوَادِ مَا بَيْنَ
 الْحِيرَةِ وَالْأَنْبَارِ وَسَارَ الْفَرَى الْجَاوِرَةَ لِبادِيَةِ الْعَرَبِ وَكَانَ يَنْجِي
 أَمْوَالَهَا . وَغَزَا طَسْمًا وَجَدِيسًا فِي مَنَازِلِهَا مِنْ الْيَمَامَةِ . وَفِيهِ قَالَ الشَّاعِرُ :
 أَصْحَى جَذِيمَةً فِي أَشْرَفِ مَنَزِلَةٍ قَدْ حَازَا مَا جَمَعَتْ فِي عَصْرِهَا مَا دُ
 قَطَالَ مُلْكُهُ إِلَى أَنْ أَدْرَكَ مُلْكُ سَابُورَ بْنِ أَشَكْ . وَكَانَ جَذِيمَةً
 مَلِكًا مَعْدِيًّا وَبَعْضُ الْيَمَنِ وَغَزَا فِي آخِرِ عُمْرِهِ الشَّامَ فَقَتَلَ عَمْرُو بْنُ حَسَّانَ
 ابْنَ أُذَيْنَةَ وَالِدَ الزُّبَاةِ مَلِكَةَ الطَّوَافِ . فَأَنْطَوَتْ لَهُ الزُّبَاةُ عَلَى طَلَبِ الثَّارِ
 حَتَّى قَتَلَتْهُ . وَكَانَ مُلْكُ جَذِيمَةَ مِئْوَ سَتَيْنِ سَنَةٍ بِالتَّقْرِيبِ (الحمزة الاصفهاني)

ملك عمرو بن عدي

٤٠٥ قَوْرَثَ الْمَلِكُ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُ أُخْتِهِ عَمْرُو بْنُ عَدِي (٢٦٨) وَأُمُّهُ
 رَقَاشٌ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ الْحِيرَةَ مَنَزِلًا مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ . وَأَوَّلُ مَلِكٍ
 يَعُدُّهُ الْحِيرِيُّونَ فِي كُتُبِهِمْ مِنْ مُلُوكِ عَرَبِ الْعِرَاقِ وَمُلُوكِ الْعِرَاقِ إِلَيْهِ
 يَنْتَسِبُونَ وَهُمْ عَمْرُو يَطْلُبُ الثَّارَ مِنَ الزُّبَاةِ بِخَالِهِ جَذِيمَةً . فَلَمَّا أَحْسَتِ
 الزُّبَاةُ بِنَيْتِهِ تَحَصَّنَتْ فِي مَغْلٍ فَصَارَتْ أَمْنٌ مِنْ عُنَابِ . فَعَمِدَ عَمْرُو إِلَى
 قَصِيرِ وَزِيرِهِ فَجَدَعَ أَنْفَهُ بِمُوَاطَاةٍ مِنْهُ عَلَى ذَلِكَ . فَلَحِقَ بِالزُّبَاةِ يَشْكُو مَا
 أَصَابَهُ مِنْ عَمْرُو وَأَنَّهُ اتَّهَمَهُ بِمُدَاخَاةِ الزُّبَاةِ فِي أَمْرِ خَالِهِ جَذِيمَةَ فَقَالَ :
 وَمَا رَأَيْتُ بَعْدَ مَا فَعَلَ بِي أَنْ تُكَيِّ لَه مِنْ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ . فَكَرَّمَتْهُ وَوَقَرَّتْهُ
 حَتَّى إِذَا رَضِيَ مِنْهَا مِنَ الْوُثُوقِ بِهِ غَرَّهَا وَأَسْلَمَ حِصْنَهَا إِلَى عَمْرُو . فَلَحَقَهَا

بِالسَّيْفِ وَأَصَابَ مَا أَصَابَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَنْكَفَا رَاجِعًا . فَبَقِيَ عَمْرُو مَلِكًا
 مُدَّةَ عَمْرِهِ مُنْفَرِدًا بِمُلْكِهِ مُسْتَبِدًّا بِأَمْرِهِ يَغْزُو الْمَغَارِي وَيُصِيبُ الْغَنَائِمَ
 وَتُجْبَى إِلَيْهِ الْأَمْوَالُ وَتَقْدَعُ عَلَيْهِ الْوُقُودُ دَهْرَهُ الْأَطْوَلُ . لَا يَدِينُ
 لِلْمُلُوكِ الطَّوَائِفَ بِالْعِرَاقِ حَتَّى قَدِمَ أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابَكٍ فِي أَهْلِ فَارِسَ
 أَرْضَ الْعِرَاقِ . فَضَبَطَهَا وَهَرَمَ مِنْ كَانَ لَهُ بِهَا مَنَاوِنًا حَتَّى حَمَلَهُمْ عَلَى مَا
 أَرَادَ مِمَّا يُوَافِقُهُمْ وَمِمَّا لَا يُوَافِقُهُمْ . فَفَكَرَهُ كَثِيرٌ مِنْ تَنُوحٍ مُجَاوِرَةِ الْعِرَاقِ
 عَلَى الصَّغَارِ . فَخَرَجَ مِنْ كَانَ مِنْهُمْ مِنْ قِبَالِ قُضَاعَةَ الَّذِينَ كَانُوا أَقْبَلُوا
 مَعَ مَلِكٍ فَلَحَقُوا بِالسَّامِ وَأَنْصَبُوا إِلَى مَنْ هُنَاكَ مِنْ قُضَاعَةَ . فَكَانَ أَنْاسٌ
 مِنَ الْعَرَبِ يُخَدِّثُونَ أَحَدًا تَا فِي قَوْمِهِمْ أَوْ تَضِيقُ مَعِيشَتُهُمْ فَيَخْرُجُونَ
 إِلَى رَيْفِ الْعِرَاقِ وَيَنْزِلُونَ الْحِيرَةَ فَكَانَ ذَلِكَ عَلَى أَكْثَرِهِمْ هُجْنَةً .
 فَصَارَ أَهْلُ الْحِيرَةِ ثَلَاثَةَ أَثْلَاثٍ . الْأَثْلُ الْأَوَّلُ تَنُوحُ وَهُمْ مَنْ كَانَ
 يَسْكُنُ الْمِظَالَّ وَيُوتِ الشَّعْرَ وَالْوَبْرَ فِي غَرْبِي الْفَرَاتِ مَا بَيْنَ الْحِيرَةِ
 إِلَى الْأَنْبَارِ قَامًا فَوْقَهَا . وَالْأَثْلُ الثَّانِي الْعِبَادُ وَهُمْ الَّذِينَ سَكَنُوا رُقْعَةَ
 الْحِيرَةِ فَأَبْتَنُوا بِهَا . وَالْأَثْلُ الثَّلَاثُ الْأَخْلَافُ . وَعَمَرَتِ الْحِيرَةُ أَيَّامَ
 مُلْكِ عَمْرِو بْنِ عَدِيٍّ بِاتِّخَاذِهِ مَنْزِلًا لِأَيَّاهَا . وَعَظُمَ شَأْنُهَا إِلَى أَنْ وُضِعَتْ
 الْكُوفَةُ وَزُلْهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ .

(للنويري وحمة الاصفهاني)

ملك امرئ القيس البداءة والحق والنعمان الاعور السامح

٤٠٦ ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِ عَمْرِو بْنِ عَدِيٍّ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ الْبَدَاءَةُ وَهُوَ الْأَوَّلُ
 فِي كَلَامِهِمْ (٢٨٨ - ٣٣٨ ب م) وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَنَصَّرَ مِنْ مُلُوكِ آلِ

نَصْرَ وَعَمَالِ الْفَرَسِ. ثُمَّ وَلِيَ مَكَانَهُ ابْنُهُ عُمَرُو (٣٣٨-٣٦٣) ثُمَّ
عَقِبَهُ أَوْسُ بْنُ قَلَامٍ الْعَمَلِيُّ خَمْسَ سِنِينَ. ثُمَّ تَارَ بِهِ حُجْبًا أَحَدَيْنِي
قَازَانَ فَقَتَلَهُ. (٣٦٨ ب م) وَوَلِيَ مَكَانَهُ مُدَّةً ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ أَمْرُو
الْقَيْسِ (الثَّانِي). (٣٦٨-٣٩٠ ب م) وَيَعْرِفُ أَمْرُو الْقَيْسِ هَذَا
بِالنَّذِيرِ وَالْحَرَقِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ عَاقَبَ بِالنَّارِ وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْأَسْوَدُ
أَنَّهُ يَغْفِرُ فِي قَوْلِهِ: مَاذَا أَوَمِلُ بَعْدَ آلِ حُرَقٍ. ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ
النُّعْمَانُ الْأَعْوَرُ السَّائِحُ وَهُوَ بَابِي الْخَوَرْتَقِ وَالسَّيْدِ (*) وَكَانَ
النُّعْمَانُ هَذَا فِي أَيَّامٍ يَزْدَجَرْدُ قَدَفَعَ إِلَيْهِ ابْنُهُ بِهَرَامٍ لِيُرِيَهُ وَأَمَرَ
بِنَاءِ الْخَوَرْتَقِ مَسْكِنًا لِأَنَّهُ فَاسَكَنَهُ إِيَّاهُ. وَأَحْسَنَ تَرْبِيَتَهُ وَتَأْدِيبَهُ.
وَجَاءَهُ مِنْ يَلْقَنُهُ الْجَلَالِ مِنَ الْعُلُومِ وَالْآدَابِ وَالْفُرُوسِيَّةِ حَتَّى اكْتَمَلَ
عَلَى ذَلِكَ بِمَارِضِيَّةٍ. وَكَانَ النُّعْمَانُ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِ الْعَرَبِ نِكَايَةً فِي
الْأَعْدَاءِ وَأَبْعَدَهُمْ مَنَارًا قَدْ أَتَى الشَّامَ مِرَارًا كَثِيرَةً وَكَثُرَ الْمَصَائِبُ
فِي أَهْلِهَا وَسَبَى وَغَنِمَ. وَكَانَ مَلِكَ فَارِسَ يُفِذُ مَعَهُ كَتِيبَتَيْنِ الشَّهْبَاءِ
وَأَهْلَهَا الْفَرَسَ وَدَوَسَرَ وَأَهْلَهَا تُوخَ. فَكَانَ يَغْزُو بِهِمَا مَنْ لَا يَدِينُ لَهُ مِنْ
الْعَرَبِ. وَكَانَ صَارَ مَا حَازَ مَا ضَاطَّ بِطِلَاسِهِ قَدْ أَجْمَعَ لَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ
وَالْخَوَلِ وَالرِّقِ مِائَةَ مِائَةِ مِائَةِ مِائَةِ مِائَةِ مِائَةِ مِائَةِ مِائَةِ مِائَةِ
سَاحِلِ الْفَرَاتِ. وَلَمَّا أَتَى عَلَى النُّعْمَانِ ثَلَاثُونَ سَنَةً تَمَصَّرَ عَلَى يَدِ بَعْضِ
وُزَرَائِهِ ثُمَّ زَهَدَ وَتَرَكَ الْمُلْكَ وَلَيْسَ الْمُسُوحَ وَذَهَبَ فَلَمْ يُوْجَدْ لَهُ أَثَرٌ (*)

ملك المنذر الاول والنعمان الثاني والاسود وامرؤ القيس الثالث

٤٠٧ وَلَمَّا تَرَهَّدَ النُّعْمَانُ تَوَلَّى الْأَمْرَ ابْنُهُ الْمُنْذِرُ الْأَوَّلُ (٤٢٠ ب م)
وَكَانَ أَهْلُ فَارِسَ وَلَوْا عَلَيْهِمْ شَخْصًا مِنْ وَلَدِ أَزْدٍ شَبِيرٍ وَعَدَلُوا عَنْ بَهْرَامَ
لِنَشِئِهِ بَيْنَ الْعَرَبِ وَخُلُوِهِ مِنْ آدَابِ الْحَجَمِ . وَاسْتَجَدَّ بِهِرَامُ بِالْعَرَبِ
فَحَجَزَ الْمُنْذِرُ الْأَسَاكِرَ لِبَهْرَامَ لِيَطْلُبَ مُلْكَهُ . وَحَاصَرَ مَدِينَةَ الْمَلِكِ فَأَذْعَنَ
لَهُ فَارِسُ وَأَطَاعُوهُ . وَاسْتَوْهَبَ الْمُنْذِرُ ذُرُوبَهُمْ مِنْ بَهْرَامَ فَعَفَا عَنْهُ وَاجْتَمَعَ
أَمْرُهُ . وَرَجَعَ الْمُنْذِرُ إِلَى بِلَادِهِ وَشَغِلَ بِاللَّهُوِ إِلَى مَوْتِهِ . (٤٦٢ ب م)
وَمَلِكٌ مَكَانَهُ النُّعْمَانُ الثَّانِي وَكَانَ وَزِيرُهُ عَدِيٌّ بْنُ زَيْدٍ النَّصْرَانِيَّ
فَتَرَهَّدَا (٤٦٩) . (*) وَمَلِكٌ مَكَانَهُ أَخُوهُ الْأَسْوَدُ وَهُوَ الَّذِي اتَّخَصَرَ
عَلَى عَسَاكِرِ عَرَبِ الشَّامِ وَأَسْرَعِدَةً مِنْ مُلُوكِهِمْ ثُمَّ هَلَكَ (٤٩١) . وَمَلِكٌ
أَخُوهُ مُنْذِرُ الثَّانِي سَبْعَ سِنِينَ ثُمَّ ابْنُ أَخِيهِ (٤٩٨) نُّعْمَانُ الثَّلَاثُ . ثُمَّ
اسْتَخْلَفَ أَبُو يَغْفَرٍ بْنُ عُلْقَمَةَ الذَّمِيلِيَّ (٥٠٣) وَذَمِيلُ بَطْنٍ مِنْ لَحْمٍ . ثُمَّ
مَلِكٌ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ الثَّلَاثُ (٥٠٦) هَذَا هُوَ الَّذِي غَزَا بَكْرًا يَوْمَ أَوَارَةَ
فِي دَارِهَا فَكَانَتْ بَكْرٌ قَبْلَهُ تُقِيمُ أَوْدَ مُلُوكِ الْخَيْرَةِ وَتَعَصُّدُهُمْ . وَهُوَ
أَيْضًا بَانِي الْعَذِيبِ وَالصَّبْرِ وَفِيهِمَا يَقُولُ جَبْرِ بْنُ بُلُوغٍ :
لَيْتَ شِعْرِي مَتَى تَحِبُّ بِنَا الثَّلَاثَةَ نَحْوَ الْعَذِيبِ وَالصَّبْرِ

ملك المنذر الثالث والنعمان قابوس

٤٠٨ وَلَمَّا هَلَكَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ الثَّلَاثُ مَلِكُ الْمُنْذِرِ الثَّلَاثُ ابْنُهُ وَهُوَ ذُو

الْفَرَّانَيْنِ لِضَفِيرَتَيْنِ كَانَتَا لَهُ مِنْ شَعْرِهِ وَأَمَّهُ مَاءُ السَّمَاءِ . قَالَ الْجَنَابِيُّ :
وَكَانَ هَذَا الْقَبَا لِأَيِّ عَامِرٍ الْأَزْدِيِّ لِأَنَّهُ كَانَ يُقِيمُ مَالَهُ مَقَامَ الْقَطْرِ أَيُّ
عَطَاءٍ وَجُودًا فَغَلَبَ عَلَى يَدَيْهِ لِأَنَّهُمْ خَلَفُوا مِنْهُ . وَذَكَرَ أَنَّ مَرَّةً بَنَ كُلْثُومُ
قَتْلَهُ لِحَمْسِينَ سَنَةً مِنْ مُلْكِهِ . (٥٦٢ ب م) ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ الْحَارِثُ
أَبْنُ عَمْرِو الْكِنْدِيِّ الْمُلَقَّبُ بِأَكِلِ الرِّارِ . وَكَانَ شَدِيدَ السُّلْطَانِ غَرَايِمًا
فِي دَارِهَا فَقَتَلَ مِنْ بَنِي دَارِمٍ مِائَةً يَوْمَ أُورَادَةِ الثَّانِي بِأَخِيهِ أَسْعَدَ بْنِ
الْمُنْذِرِ وَكَانَ مُلْكُهُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً . (٥٧٨) ثُمَّ وَلِيَ شَقِيقُهُ قَابُوسُ أَرْبَعَ
سِنِينَ فِي زَمَنِ أَنْوَشَرَوَانَ . وَكَانَ فِيهِ لَيْنٌ وَكَانَ ضَعِيفًا مَهِينًا قَتَلَهُ رَجُلٌ
مِنْ يَشْكُرَ وَسَلَبَهُ . (٥٨٢) ثُمَّ مَلَكَ الْمُنْذِرُ الرَّابِعُ أَخُوهُ ثَلَاثَ سِنِينَ
ثُمَّ اتَّعَمَّنَ الرَّابِعُ أَبُو قَابُوسَ (٥٨٢ - ٦٠٤) وَهُوَ صَاحِبُ النَّائِفَةِ
الَّذِي بَنَى الَّذِي بَنَى الْفَرَّانَيْنِ وَتَوَصَّرَ (لِلنُّوَيْرِ وَالْمَسْعُودِي)

خبر تنصر التهمان

٤٠٩ كَانَ الْمُنْذِرُ بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ الْمُلَقَّبُ بِأَيِّ قَابُوسَ قَدْ نَادَمَهُ
رَجُلَانِ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَحَدُهُمَا خَالِدُ بْنُ الْمُضَلَّلِ وَالْآخَرُ عَمْرُو بْنُ
مَسْعُودٍ فَأَغْضَبَاهُ فِي بَعْضِ الْمُنَاطِقِ . فَأَمَرَ بِأَنْ يُحْفَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ حَفِيرَةٌ
يُظْهَرُ أَجِيرَةٌ ثُمَّ يُجْعَلَانِ فِي تَابُوتَيْنِ وَيُدْفَنَانِ فِي الْحَفْرَتَيْنِ . فَقِيلَ ذَلِكَ
بِهِمَا حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ سَأَلَ عَنْهُمَا فَأُخْبِرَ بِهِمَا . فَقَدِمَ عَلَى ذَلِكَ وَعَمَّهُ
وَفِي عَمْرُو بْنِ مَسْعُودٍ وَخَالِدِ بْنِ الْمُضَلَّلِ يَقُولُ شَاعِرُ بَنِي أَسَدٍ :
يَا قَبْرَ بَيْنَ بَيْتِ آلِ مُحَرِّقٍ جَادَتْ عَلَيْكَ رَوَاعِدُ وَبُرُوقُ

أَمَّا الْبُكَاءُ فَقُلَّ عَنْكَ كَثِيرُهُ وَلَئِنْ بَكَيْتَ فَلَلْبُكَاءُ خَلِيقُ
ثُمَّ رَكِبَ الْمُنْذِرُ حَتَّى نَظَرَ إِلَيْهِمَا فَأَمَرَ بِنَاءَ الْغُرَيَيْنِ عَلَيْهِمَا . قَلْبًا
وَجَعَلَ لِنَفْسِهِ يَوْمَيْنِ فِي السَّنَةِ يَجْلِسُ فِيهِمَا عِنْدَ الْغُرَيَيْنِ يُسَمِّي أَحَدَهُمَا
يَوْمَ نَعِيمٍ وَالْآخَرَ يَوْمَ بُسٍ . فَأَوَّلُ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْهِ يَوْمَ نَعِيمِهِ يُعْطِيهِ
مِائَةً مِنَ الْأَبِلِ شَوْمًا أَيْ سَوْدًا . وَأَوَّلُ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْهِ يَوْمَ بُسِهِ
يُعْطِيهِ رَأْسَ ظُرْبَانٍ أَسْوَدُ ثُمَّ يَأْمُرُ بِهِ فَيَذْبَحُ وَيُعْرِى يَدَيْهِ الْغُرَيَانِ .
فَلَيْتَ يَذْلِكُ بَرَهَةً مِنْ دَهْرِهِ حَتَّى مَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ طَلِيءٍ يُقَالُ لَهُ
حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَفْرَاءَ . كَانَ أَوَى النُّعْمَانِ فِي خِيبَتِهِ يَوْمَ خَرَجَ إِلَى
الصَّيْدِ وَأَنْفَرَدَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ بِسَبَبِ الْمَطَرِ . فَرَحَّبَ بِهِ حَنْظَلَةُ وَهُوَ لَا
يَعْرِفُهُ وَذَبَحَ لَهُ شَاةً فَأَطْعَمَهُ مِنْ لَحْمِهَا وَسَقَاهُ لبنًا . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ
النُّعْمَانُ وَافِدًا إِلَيْهِ سَأَهُ ذَلِكَ وَقَالَ لَهُ : يَا حَنْظَلَةُ هَلَا أَتَيْتَ فِي غَيْرِ
هَذَا الْيَوْمِ . فَقَالَ : أَتَيْتُ اللَّعْنَ لَمْ يَكُنْ لِي عِلْمٌ بِمَا أَتَيْتَ فِيهِ . فَقَالَ لَهُ :
أَبَشِّرْ بِقَتْلِكَ . فَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ قَدْ أَتَيْتُكَ زَائِرًا وَلِأَهْلِي مِنْ خَيْرِكَ
مَا زِلْتُ أَتِيكَ فَكُنْ مِثْلَهُمْ قَتْلِي . فَقَالَ : لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ فَاسْأَلْ حَاجَةً
أَقْضِيهَا لَكَ فَقَالَ تَوَجَّعْتُ سَنَةً أَرْجِعُ فِيهَا إِلَى أَهْلِي وَأَحْكِمُ مِنْ أَمْرِهُمْ
مَا أُرِيدُ ثُمَّ أَصِيرُ إِلَيْكَ فَأَنْفِذْ فِي حُكْمِكَ . فَقَالَ : وَمَنْ يَكْفُلُ بِكَ
حَتَّى تَعُودَ فَظَنَرُ فِي وَجْهِهِ جُلْسَانَهُ فَعَرَفَ مِنْهُمْ شَرِيكَ بْنَ عَمْرِو بْنِ قَائِشَدَ :
يَا شَرِيكَ يَا ابْنَ عَمْرِو يَا أَخَا مَنْ لَا أَخَالَه
يَا أَخَا شَيْبَانَ فَكَأَنَّ الْيَوْمَ رَهْنًا قَدْ أَنَا لَهُ

يَا أَخَا كُلِّ مُصَابٍ وَحَيًّا مِنْ لَحْيَاةٍ
 إِنَّ شَيْبَانَ قَبِيلُ أَكْرَمَ اللَّهِ رِجَالَهُ
 وَأَبُوكَ الْخَيْرُ عَمَرُو وَشَرَّاجِيلُ الْحِمَالَةِ
 رَقِيكَ الْيَوْمَ فِي الْمَجْدِ وَفِي حُسْنِ الْمَقَالَةِ

فَوَتَبَ شَرِيكَ وَقَالَ : أَيْبَتُ اللَّعْنِ يَدِي بِيَدِهِ وَدَمِي بِدَمِهِ
 وَأَمَرَ لِلطَّاءِي بِخَمْسِ مِائَةِ نَاقَةٍ . وَقَدْ جَعَلَ الْأَجَلَ عَامًا كَامِلًا مِنْ
 ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى مِثْلِهِ مِنَ الْقَابِلِ . فَلَمَّا حَالَ الْحَوْلُ وَقَدْ بَقِيَ مِنَ الْأَجْلِ
 يَوْمٌ وَاحِدٌ قَالَ النُّعْمَانُ لِشَرِيكَ مَا أَرَاكَ إِلَّا هَالِكًا غَدًا فِدَاءَ حَنْظَلَةَ .
 فَقَالَ شَرِيكَ : فَإِنْ بَكَ صَدْرُ هَذَا الْيَوْمِ وَلِي فَإِنْ غَدًا لِنَاطِرِهِ قَرِيبٌ .
 فَذَهَبَ قَوْلُهُ مَثَلًا . وَلَمَّا أَصْبَحَ وَفَتَ النُّعْمَانُ بَيْنَ قَرَبِي نَدِيئِهِ وَأَمَرَ
 بِقَتْلِ شَرِيكَ . فَقَالَ لَهُ وَزَرَاؤُهُ : لَيْسَ لَكَ أَنْ تَقْتُلَهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَ
 يَوْمُهُ . فَتَرَكَهُ النُّعْمَانُ وَكَانَ يَشْتَعِي أَنْ يَقْتُلَهُ لِيُتِمِّي الطَّاءِي . فَلَمَّا
 كَادَتِ الشَّمْسُ تَغِيبُ قَامَ شَرِيكَ مُجْرَدًا فِي إِزَارٍ عَلَى النُّطْعِ وَالسَّيْفِ
 إِلَى جَانِبِهِ . وَكَانَ النُّعْمَانُ أَمَرَ بِقَتْلِهِ فَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا بِرَأْسِهِ قَدْ ظَهَرَ
 فَإِذَا هُوَ حَنْظَلَةُ الطَّاءِي قَدْ تَكَمَّنَ وَتَحَنَّنَ وَجَاءَ بِنَادِيَتِهِ . فَلَمَّا رَأَاهُ
 النُّعْمَانُ قَالَ : مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ وَقَدْ أَفْلَتَ مِنَ الْقَتْلِ . قَالَ : الْوَفَاءُ .
 قَالَ وَمَا دَعَاكَ إِلَى الْوَفَاءِ . قَالَ : إِنَّ لِي دِينًا يَمْنَعُنِي مِنَ الْغَدْرِ . قَالَ :
 وَمَا دِينُكَ . قَالَ : النَّصْرَانِيَّةُ . قَالَ : فَأَعْرِضْهَا عَلَيَّ . فَعَرَضَهَا فَتَصَرَّ
 النُّعْمَانُ . وَتَرَكَ تِلْكَ السَّنَةَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَعَفَا عَنْ شَرِيكَ وَالطَّاءِي .

وَقَالَ : مَا أَذْرِي أَيْكُمَا أَكْرَمُ وَأَوْفَى أَهَذَا الَّذِي تَجَا مِنْ السِّيفِ فَعَادَ
إِلَيْهِ أُمُّ هَذَا الَّذِي صَبَّحَهُ . وَأَنَالَ أَكُونُ أَلَامَ اللَّاتَةِ . قَالَ الْمِيدَانِيُّ : وَتَصَرَّ
مَعَ التُّعْمَانِ أَهْلَ الْحَيْرَةِ أَجْمَعُونَ وَبَنَى التُّعْمَانُ فِي حَاضِرَةِ مُلْكِهِ الْكَتَائِسَ
الْعَظِيمَةَ . وَقَتْلَهُ كِسْرَى بْنُ هُرْمُزٍ أَبْرَوِيذَ (٦٠٤ ب م) وَانْقَطَعَ الْمَلِكُ
عَنْ لَحْمٍ . وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ ظَهَرَ إِلَى سَلَامٍ بَعْدَ زَمَانٍ (الافاني)

٣٠ الفساسة ملوك الشام بنو كهلان

٤١٠ كَانَ آلُ جَفْتَةَ عُمَالُ الْقَيْصَرَةِ عَلَى عَرَبِ الشَّامِ كَمَا كَانَ
الْمُنَادِرَةُ آلُ نَصْرِ فِي آخِرِ أَمْرِهِمْ عُمَالًا لِلْكَاسِرَةِ عَلَى عَرَبِ الْعِرَاقِ .
وَأَصْلُهُمْ مِنَ الْيَمَنِ مِنَ الْأَزْدِ بَنِي كَهْلَانَ لِأَنَّ الْأَزْدَ لَمَّا أَحْسَتْ
بِمَارِبِ انْتِخَاصِ الْعَرِمِ وَخَشِيتِ السَّبِيلَ تَفَرَّقَتْ . فَتَشَامَ قَوْمٌ فَتَزَلُّوا
عَلَى مَا يُقَالُ لَهُ غَسَّانُ فَصَيَّرُوهُ شَرِبَهُمْ فَمَسُوا غَسَّانَ . ثُمَّ أَزَلَّهُمْ ثُعْلَبَةُ
ابْنُ عَمْرِو النَّسَائِيُّ بِبَادِيَةِ الشَّامِ وَالْمُلُوكُ بِهَا مِنْ قَبْلِ الْقَيْصَرَةِ . وَكَانُوا
يُتَبَدَّلُونَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ . وَلَمَّا تَزَلَّتْ غَسَّانُ فِي أَرْضِ الشَّامِ كَانَ لَهَا قَوْمٌ
مِنْ سُلَيْجٍ فَضَرَبُوا عَلَى الْفَسَاسَةِ الْإِثَاوَةَ وَكَانَ الَّذِي بَلَى جَبَاتِهَا سَيْطًا
مِنْهُمْ فَاسْتَبَطَاوَهُ . فَصَدَّ سَيْطُ ثُعْلَبَةَ رَأْسَهُمْ وَقَالَ : تَهْجَانِ لِي الْإِثَاوَةَ
أَوْ لَا خُذْنِ أَهْلَكَ . وَكَانَ ثُعْلَبَةُ حَلِيمًا فَقَالَ : هَلْ لَكَ فِيمَنْ يَرْجِعُ عَلَيْكَ
بِالْإِثَاوَةِ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : عَلَيْكَ بِأَخِي جَذَعِ بْنِ عَمْرِو . وَكَانَ جَذَعٌ فَايْتَكَا .
فَأَتَاهُ سَيْطٌ وَخَاطَبَهُ بِمَا كَانَ خَاطَبَ بِهِ ثُعْلَبَةَ فَخَرَجَ عَلَيْهِ وَمَعَهُ سَيْفٌ
مُذَهَّبٌ وَقَالَ فِيهِ عِوَضٌ مِنْ حَقِّكَ إِلَى أَنْ أَجْمَعَ لَكَ الْإِثَاوَةَ . قَالَ :

نعم . قال : فخذْهُ . فتناول سَيْطُ جَنْ السَّيْفِ وَأَسْتَلَّ جِذْعَ نَصْلِهِ
وَضَرَبَهُ بِهِ . فَقِيلَ : خُذْ مِنْ جِذْعِ مَا أَعْطَاكَ قَدْ هَبْتَ مَثَلًا . فَوَقَعَتْ
الْحَرْبُ بَيْنَ سَلِيمٍ وَعَسَّانَ فَأَخْرَجَتْ عَسَّانُ سَلِيمًا مِنَ الشَّامِ وَصَارُوا
مُلُوكًا . وَأَسْتَقَرَّ مَلِكُ الْفَسَّاسِيَّةِ ٤٠٠ سَنَةً بَلْفٍ (*) (الحرمة الاصفهاني)

ملوك كندة

* (لما كان من قصدنا استيفاء أخبار العرب اصفنا اليها اخبار كندة) هم بنو زيد بن
كهلان . وكانت كندة قبل أن يملك حجرٌ عليهم بنير ملكٍ فاكل القوي الضيف حتى ملك
حجرٌ وكان يُبْع حين أقبل سائرًا الى العراق استعمله عليهم . فسدَّ أمورهم وساسهم احسن
سياسة وانزع من الضمين ارضهم وبقي وحده في مملكته مطاعاً لحسن سيرته (٥٠٣ ب م) .
ثم ملك بعده ابنه المقصور لانه اقتصر على ملك أبيه . ثم استخلفه الحارث وعظم شأنه حتى
طرده أنوشروان وتبعته قلب وطة قبائل فظفروا بامواله وباربعين نفساً من بني حجر . فقتلهم
للمنذر هن آخرهم وكان منهم ابنان من ولد الحارث . وفي ذلك يقول امرؤ القيس :

بنو أسدٍ قتلوا رجلاً ألا كلُّ شيءٍ سواه خللٌ

ثم استنجد امرؤ القيس بكرٍ وتعلب على بني أسدٍ فانجدوه وهرب بنو أسدٍ منهم وتبعهم فلم يظفر
بهم . ثم تحاذت عنه بكرٌ وتقلب وتطلبه المنذر بن ماء السماء . فتفرقت جموع امرؤ القيس
خوفاً من المنذر وخاف امرؤ القيس من المنذر . وصار يدخل على قبائل العرب وينتقل من
أناس الى أناس حتى قصد السموءل بن عادياء اليهودي فأكرمه وأتزله . وأقام امرؤ القيس
عند السموءل ما شاء الله . ثم سار امرؤ القيس الى قصر ملك الروم مستنجداً به وأودع أدرأه
هند السموءل بن عادياء المذكور . ومرو على حماة وشبّر وقال في مسيره قصيدته المشهورة

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونهُ وألحقني إنا لاحتقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إننا نحاول ملكاً أو نموت فنعددا

فأت امرؤ القيس بعد عودهِ من عند قيصر عند جبلٍ يقال له عسب . ولما علم بموته هناك قال :

أجارتنا إن الخطوب تنوب وإني مقيم ما أقام عسب

ولما مات امرؤ القيس سار الحارث بن أبي شمر الفسائي الى السموءل وطالبه بأدراع
امرؤ القيس وما له عنده وكانت الأدراع مائة وكان الحارث قد أمر ابن السموءل . فلما
امتنع السموءل من تسليم ذلك الى الحارث قال الحارث : إما أن تُسلم الأدراع وإما قتل
ابنك . فقال السموءل : لست أخفِرُ ذمتي فاضنع ما شئت . فذبح ابنه والسموءل ينظر اليه

ذَكَرَ الْعَرَبُ الْمُسْتَعْرَبَةَ بَنِي إِسْمَاعِيلَ وَهُمْ الْقَوْمُ الثَّالِثُ

٤١١ وَهُمْ بَنُو عَدَنَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ وَزَلُّوا الْحِجَازَ وَتَوَلَّوْا سَدَانَةَ
الْكُفَّةِ . وَإِنَّمَا الْحِجَازُ وَالْكَنَافُ كَانَتْ دِيَارَ الْعَمَالِقَةِ . وَكَانَ لَهُمْ مَلِكٌ
هَذَاكَ وَكَانَتْ جُرْهُمُ مِنْ تِلْكَ الطَّبَقَةِ . وَكَانَتْ دِيَارُهُمْ أَلْيَنُ مَعَ
إِخْوَانِهِمْ مِنْ حَضْرَمُوتَ . وَأَصَابَ أَلْيَنَ قَحْطٌ فَقَرَّوْا نَحْوَ تِهَامَةٍ يَطْلُبُونَ
الْمَاءَ وَالْمَرْعَى وَعَثَرُوا فِي طَرِيقِهِمْ بِإِسْمَاعِيلَ مَعَ أُمِّهِ هَاجِرَ . فَأَحْتَلُّوا
أَسْفَلَ مَكَّةَ وَأَقْتَلَوْا مَعَ الْعَمَالِقَةِ فَأَبَادُوهُمْ . وَلَشَأْ إِسْمَاعِيلُ بَيْنَ
جُرْهُمَ وَتَكَلَّمَ بِلُغَتِهِمْ وَتَرَوَّجَ مِنْهُمْ وَدَعَاهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ وَوُفِّيَ لِمَا نَهَى
وَفَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ عَمْرِهِ . وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ جُرْهُمَ يَعْظُمُ بِمَكَّةَ وَيَسْتَفْجِلُ حَتَّى
وَلَّوْا أَلْيَنَ الْحَرَامَ . وَكَانُوا وَلَاةً وَحُجَابَهُ وَوَلَاةَ الْأَحْكَامِ بِمَكَّةَ . وَلَمَّا
طَالَتْ وَلَاةُ جُرْهُمَ اسْتَحْلَوْا مِنْ الْحَرَمِ أُمُورًا عِظَامًا وَاسْتَخْلَفُوا بِجُرْمَةٍ
أَلْيَنَ الْعَتِيقَ قَطَعَ اللَّهُ دَايِرَهُمْ لِأَنَّهُ لَمَّا خَرِبَ سَدُّ مَارِبٍ سَارَ عَمْرُو
أَبْنُ عَامِرٍ وَقَوْمُهُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ لَا يَطُوْنُ بَلَدًا إِلَّا غَلَبُوا عَلَيْهِ . فَلَمَّا
قَارَبُوا مَكَّةَ أَبَتْ جُرْهُمُ أَنْ تَفْسَحَ لَهُمْ وَاسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَقَالُوا :
مَا حُبُّ أَنْ تَنْزِلُوا أَفْضِيضُونَ عَلَيْنَا مَرَاتِعَنَا وَمَوَارِدَنَا فَأَرَحَلُوا عَنَّا حَيْثُ

وانصرف الملك على يأس . فغضب العرب به المثل في الوفاء . وقال السموئل :

وَفَيْتُ بِأَدْرَعِ الْكَنْدِيِّ إِنِّي إِذَا مَا خَانَ أَقْوَامٌ وَفَيْتُ

بَنِي لِي عَادِيَا حَصْنًا حَصِينًا وَمَا كَلَّمَا شِئْتُ اسْتَفَيْتُ

رَفِيعًا تَرَلَقَ الْعُقْبَانَ عَنْهُ إِذَا مَا نَانِي ضَمُّهُ أَبَيْتُ

وَأَوْصَى عَادِيَا قِدَمًا بَالًا تُحْدِمُ يَا سَمُؤْلَ مَا بَنَيْتُ

(لاني الغداة)

أَحْيَيْتُمْ فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِجَوَارِكُمْ . فَأَقْتُلُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَانْهَزِمْ جُرْهُمُ فَلَمْ
يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ فَهَدِرَ دَمُهُ . (٢٠٧) ثُمَّ تَفَرَّقَتْ قَبَائِلُ آلِ يَمِينَ
وَأَنْجَزَتْ خُرَاعَةَ بَيْكَةِ قَوْلُوا أَمْرَ مَكَّةَ وَحِجَابَةَ الْكَعْبَةِ . وَسَأَلَ بَنُو
إِسْمَاعِيلَ السُّكْنَى مَعَهُمْ فَأَذِنُوا لَهُمْ . وَتَمَلَّكَ عَلَيْهِمْ لُحْيٌ وَهُوَ رَيْبَعَةٌ
أَبْنُ حَارِثَةٍ وَكَانَ فِيهِمْ شَرِيفًا سَيِّدًا مُطَاعًا وَبَلَغَ بَيْكَةَ مِنَ الشَّرَفِ
مَا لَمْ يَبْلُغْ عَرَبِيٌّ قَبْلَهُ . وَكَانَ قَدْ ذَهَبَ اسْمُهُ فِي الْعَرَبِ كُلِّ مَذْهَبٍ
وَقَوْلُهُ فِيهِمْ دِينًا مُتَّبَعًا . وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَطْعَمَ الْحَاجَّ بِمَكَّةَ سَدَائِفَ
الْأَيْلِ وَلِحْمَانَهَا عَلَى الثَّرِيدِ . وَعَمَّ فِي تِلْكَ السَّنَةِ جَمِيعُ حَاجِّ الْعَرَبِ
بِثَلَاثَةِ أَتَوَابٍ مِنْ بُرُودِ آلِ يَمِينَ وَهُوَ الَّذِي بَحَرَ الْبَحِيرَةَ . وَوَصَلَ الْوَصِيلَةَ
وَحَمَى الْحُسَامَ وَسَيَّبَ السَّائِبَةَ . وَنَصَبَ الْأَصْنَامَ حَوْلَ الْكَعْبَةِ . فَكَانَتْ
قُرَيْشُ وَالْعَرَبُ تَسْتَقْسِمُ عَنْدهُ بِالْأَزْلَامِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ الْحَنِيفَةَ
دِينَ إِبْرَاهِيمَ . وَأَقَامَتْ خُرَاعَةُ ثَلَاثَ مِائَةِ سَنَةٍ فِي سِدَانَةِ آلِ يَمِينَ حَتَّى
قَامَ فَصِي الْقُرَيْشِيِّ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ . وَعَظُمَ شَرَفُهُ فَرَأَى أَنَّهُ أَحَقُّ
بِالْكَعْبَةِ وَبِأَمْرِ مَكَّةَ . وَكَانَتْ وَلَايَةُ الْكَعْبَةِ لِأَيِّ غَبْشَانَ الْخُرَاعِيِّ
قَبَاعَهَا مِنْ فَصِي يَزِيدٍ خَيْرٌ قَبِيلٍ فِيهِ أَخْسَرُ مِنْ صَفْقَةِ أَيِّ غَبْشَانَ .
ثُمَّ دَعَا فَصِي إِلَيْهِ رِجَالَاتُ قُرَيْشٍ وَأَجْعَ لِحْرِبِ خُرَاعَةَ فَتَنَاجَرُوا
وَكَثُرَ الْقَتْلُ . ثُمَّ صَالَحُوهُ عَلَى أَنْ يُحْكِمُوهُ الْكَعْبَةَ (٥٠٧ ب م) . فَصَادَ
لِفُصَيِّ لُؤَاءُ الْحَرْبِ وَحِجَابَةُ آلِ يَمِينَ وَتَمَيَّنَتْ قُرَيْشُ بِرَأْيِهِ وَصَرَفُوا
مَشُورَتَهُمْ إِلَيْهِ فِي قَلِيلِ أُمُورِهِمْ وَكَثِيرِهَا . فَاتَّخَذُوا دَارَ النَّدْوَةِ إِذَا

الْكَمْبَةِ فَكَانَتْ مُجْتَمَعُ الْمَلَأِ مِنْ قُرَيْشٍ فِي مُشَاوَرَاتِهِمْ وَمَعَاقِدِهِمْ .
 ثُمَّ تَصَدَّى لِإِطْعَامِ الْحَاجِّ وَفَرَضَ عَلَى قُرَيْشٍ خَرَجًا يُؤَدُّونَهُ . ثُمَّ
 هَلَكَ قُصِيٌّ وَقَامَ بِأَمْرِ بْنِوَهُ مِنْ بَعْدِهِ بِالْقِيَادَةِ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ حَتَّى
 جَاءَ الْإِسْلَامُ (ملخص عن كتاب اخبار مكة للازرقى)

(ملحق بتاريخ العرب)

أديان العرب

٢١٢ كانت العرب في أول أمرها على دين ابراهيم واسماعيل حتى قديم عمرو بن لحي بصم
 يقال له هُبَل . وكان من أعظم اصنام قُرَيْشٍ عندها فكان الرجل اذا قديم من سفر بدأ به
 على أهله بعد طوافه بالبيت وعلق رأسه عنده . وكان هُبَل من خرز العقيق على صورة انسان
 وكانت يده اليمنى مكسورة فأدركته قريش فجلت له يدا من ذهب . وكانت له خزنة
 للقربان . وكانت له سبعة قِداح يضربون بها اذا مستهم الحاجة ويقولون : إِنَّا اخْتَلَفْنَا فِيهِ
 السَّاحِرَانِ . ان لم تقبله فمُر القِداحا . ولما دخل محمد الكعبة يوم فتح مكة كان بها ثلاثمائة وستون
 صنما فجعل يطوف على راحلته ويطعنها ويقول : جاء الحق وزهق الباطل . فنجيت ثم حرقت
 بالنار . وكان بالكعبة على يمينها حجر اسود . وما زال هذا الحجر مغطيا في الجاهلية والاسلام .
 تبرك الناس به وقُرِّ دونه وتقبله . وكان بأسفل مكة قد نُصب صنم يُعرف بالخلصة فكانوا
 يلبسوها القلائد ويعدون اليها الشمير والحنطة . ويصبون عليها اللبن ويدعجون لها ويهتفون
 عليها بيض الثعام . وكان لهم اصنام نصبوها على اسم السيارات من الكواكب . وهي المشتري
 وقيل ان اصل اسمه ذو شراه اي ساطع النور . والزهرة وزحل والمريخ وغيرها من الثوابت .
 ومن معبوداتهم ايضا المناة واللات وعزى . وكانت المناة على ساحل البحر مما يلي قديد .
 وكانت صخرة تراق عليها دماء الذبائح ويلتسمون منها المطر في الحذب . وكانت اللات ايضا
 صخرة صنما للشمس اذا مر عليها الحاج يلتبسها بالسويق . وقيل أصلها من لاه اي علا وعظم
 ومنه اسم الحلالة . وأما العزى فكانت شجرة يعظمها قريش وثوكنانة . ويطوفون بها بعد
 طوافهم بالكعبة ويعكفون عندها يوما . قال الكلبي : وكانت اللات والعزى ومناة في كل
 واحدة منهن شيطان يكلمهم . وترعى للسدة وهم الحنجة وذلك من صنيع إبليس وأمره . وكان
 بنو حنيفة في الجاهلية اتخذوا لها عبودا دهرأ طويلا ثم أصابهم مجاء فأكلوه . فقيل في ذلك :

أكلت حنيفة زجما زمن التهمم والجماع

لم يحذروا من رحم سوء العقوبة والتباه

ومن أديانهم المجوسية أو الصابئة ونصبوا بحسب تلك الآراء الصابئية أصنام الذهب الشمس وأصنام الفضة للقمر . وقسموا المعادن والأقاليم للكواكب . وزعموا أن قوى الكوكب تفيض على تلك الأصنام . فتكلم تلك الأصنام وتوحي للناس أعني الأصنام . وتعلم الناس منافهم وكذلك قالوا في الأشجار التي هي من قسمة تلك الكواكب . إذا أفردت تلك الشجرة لذلك الكوكب وفرت له وفعل لها كذا فاضت روحانية ذلك الكوكب على تلك الشجرة . وتوحي للناس وتكلمهم في النوم . ومن أديانهم اليهودية في حمير وكنانة وبني الحارث ابن كعب وكندة . وأما النصرانية فكانت انتشرت فيهم . قال الفيروزابادي : إن قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانية بالحيرة وهم البعاد . وإن كثيراً من ملوك اليمن والحيرة تنصروا . وأما ملوك غسان فكانوا كلهم نصارى وكانت النصرانية في ربيعة وقضاة وجعر وتبوك وتغلب وبعض طي . وكانت قریش نصبت في جملة أصنامها في الكعبة بمثل ما مر من مزوفاً وابنها عيسى في حجرها قاصداً مزوفاً . وذلك في العمود الذي يلي باب الكعبة ولم تطمس صورهما لما دخل محمد الكعبة بل بقيتا إلى عهد ابن زبير فهلكتا في الحريق (التوري والازرقى) علوم العرب وآدابهم

٢١٣ فاما علم العرب الذي كانوا يتفخرون به فعلم لسانهم واحكام لغتهم ونظم الأشعار وتآليف الخطب . وكانوا موسومين بين الأمم بالبيان في الكلام والفصاحة في المنطق والذلاقة في اللسان . وكان لهم مع هذا معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغاربها وعلم بانواء الكواكب وامطارها . على حسب ما أدركوه بفرط العناية وطول التجربة لاحتياجهم إلى معرفة ذلك في اسباب المعيشة لا على طريق تعلم الحقائق . وأما علم الفلسفة فلم يسخرهم الله شيئاً منه ولا هباً طبائهم للنناية به . وكان الشعر ديوان خاصة العرب وسمي حكمتها والمنظوم من كلامها والمقيد لأيامها والشاهد على حكامها . به يأخذون واليه يصيرون . وكانوا لا ينجثون إلا بفلام يولد أو شاعر يبيع فيهم أو فرس تتج . قال الصفدي : بل ما كان للعرب ما تفخر به إلا السيف والضيف والبلاغة . وكانوا كل حول يتقاطرون إلى سوق شكاظ ويتبايعون ويتناشدون ويتفخرون ويتماكظون . ولقد بلغ من كلف العرب بالشعر وتفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة . فقيل لها مذهبات وقد يقال لها معاقبات لأنها علفت في أسرار الكعبة . أما الكتابة فحكوا أن ثلاثة نفر من طي كانوا على دين عيسى فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية . فتعلمه قوم من الأنبار وجاء الإسلام وليس أحد يكتب بالعربية غير بضعة عشر إنساناً . ولقلة القراطين عندهم عمدوا إلى كتف الجوان فكتبوا عليها . وكان الذين في قنينة أهل الكتاب والامتيون . والآن من كان لا يعرف الكتابة . فكانت اليهود والنصارى بالمدينة والامتيون بمكة (لاني الفرج والجوهري)

فهرس الجزء الثالث من كتاب مجاني الادب

وجـ	١	وجـ	
٦٣	ما ضرب به المثل من الحيوان وغيره	٣	الباب الأول في التدئين
٦٤	اشعار جارية بحرى المثل	٣	في كالاته تعالى
	الباب السادس في امثال من السنة	٣	الدعاء لله
٦٨	الحيوانات	٧	منتخب من قصيدة علي بن ابي طالب
٦٨	البازي والديك برغوث وبعوضة	٩	محبة الله والثقة به
٦٩	اللبوة والغزال والقرد	١٢	الاستغفار الى الله
٧٢	سامة	١٥	العالم العقلي
٧٦	قرد وفيل	١٦	الباب الثاني في الزهد
٧٩	الضبعة والرجل اسد وذئب وغراب	١٦	في الخوف زهد الثمان بن امرئ القيس
٨٣	الجدي السالم والذئب النادم	١٧	هدي بن زيد والثمان
٨٥	فارة وهر	١٨	ذلة الدنيا وزوالها
٩١	المدهد الخيز المرقوي	١٩	الراهب الجرجاني والشيخ عمر الصيني
٩٢	مالك الحزين والسكة	٢٩	حفظ الحواس
٩٤	الديك والثعلب	٣٠	الدهر وحوادثه
٩٧	الجمل والمخ	٣٢	ذكر الموت
٩٩	البتاني والاربعة العاشون بجنته	٣٥	الثوبة الى الله
١٠٣	الباب السابع في الفضائل والردائل	٣٨	الباب الثالث في المراثي
١٠٣	الصبر	٤٦	الباب الرابع في الحكم
١٠٥	القناعة	٥٠	نوادير بزرجمهر حكيم الفرس
١٠٧	العدل	٥٢	حكم شاتاق الهندي
١٠٩	الكرم	٥٤	اشعار حكيمية
١١٠	الوفاء الراي والمشورة	٦٢	الباب الخامس في الامثال
١١٣	الحسد	٦٢	فصل من نوادر كلام العرب
١١٤	حفظ اللسان وكتمان السر	٦٣	نبذ من كلام الرضشري والبقي
١١٧	النميمة		
١١٩	الصدق والكذب		

وجه	وجه
١٨٢	المزاج
الباب الثاني عشر في الالغاز	١٢٠
١٨٧	الصدقة وخواص المودة
الباب الثالث عشر في الوصف	١٢١
١٩٤	المطل في الوعد التواضع والكبر
١٩٤	١٢٧
ابن الزبيدي ومعاوية	الباب الثامن في الذكاء والادب
١٩٥	١٢٩
١٩٥	١٣٣
١٩٦	١٣٨
معاوية والزرقاء	١٤١
٢٠٣	١٤٢
٢٠٣	١٤٤
٢٠٨	١٤٧
٢٠٩	١٥٠
٢١١	١٥٠
٢١٢	١٥١
٢١٤	١٥٢
٢١٥	١٥٣
٢١٨	١٥٤
٢١٩	١٥٥
٢٢٠	١٥٦
٢٢٥	١٦٠
٢٢٥	١٦٢
٢٢٨	١٦٤
٢٣٠	١٦٦
٢٣١	١٦٧
٢٣٣	١٧١
٢٣٥	١٨١
٢٣٥	

وجـ

٢٨٧

فصل في المدح والشكر

٢٨٨

فصول في التمازي

٢٩٠

فصول في وصاة

الباب العشرون في تاريخ العرب ٢٩١

٢٩١

نظر في امة العرب وطباعهم وسكناتهم

٢٩٢

ذكر نسب العرب وتقاسيمهم

٢٩٢

اخبار عرب العاربة او البائدة

٢٩٤

العرب المتعربة بنو قحطان

٢٩٤

ملك يعرب ويشجب وسبا بني قحطان

٢٩٥

سد مأرب وتفرع بني سبا

٢٩٦

ملك التابعة بني حمير في اليمن

٢٩٦

ملك شداد وتبع وافريقس وذوي الازعار

٢٩٧

ملك بلقيس وناشر النعم وشمر مرعش

٢٩٩

ذو نواس وشهداء النصرانية في نجران

٣٠١

استيلاء الحبشة على ملك اليمن

٣٠٢

اخبار سيف بن ذي يزن

٣٠٤

ملك المناذرة بني كهلان في العراق

٣٠٤

ملك بن فهم وجذيمة الابرش وابن عدي

٣٠٦

امرؤ القيس البدء والمهرق والتمان

٣٠٨

المنذر والتمان والاسود وامرؤ القيس

٣٠٨

ملك المنذر الثالث والتمان قابوس

٣٠٩

خبر تنصر التمان

٣١٢

الفساسة ملوك الشام بنو كهلان

٣١٣

ملوك كندة

٣١٤

ذكر العرب المستعربة بنو اسماعيل

٣١٦

ملحق بتاريخ العرب

٣١٦

ملحق بتاريخ العرب

٣١٧

علوم العرب وآدابهم

٢١

٢١

٢١

٢١

٢١

٢١

٢١

٢١

٢١

٢١

٢١

٢١

٢١

٢١

٢١

٢١

٢١

٢١

٢١

٢١

٢١

٢١

٢١

٢١

٢١

٢١

٢١

٢١

الباب السابع عشر في الاسفار

مدح السفر

ذم السفر

سفرة ابن جبير الى جزيرة صقلية

الباب الثامن عشر في عجائب المخلوقات

في شرح عجب الموجودات

في جرم الشمس ووضعها

في كسوف الشمس وبعض خواصها

فصل في القمر وخسوفه وتأثيراته

في الهجرة والكواكب الثوابت

فصل في ارباع السنة

فصل في تولد الاثمار

جسم الارض ودورها وهيئتها

في السحاب والمطر وما يتعلق بها

في الرعد والبرق وما يتعلق بذلك

الباب التاسع عشر في المراسلات

في المراسلات بين الملوك والامراء

في الاشواق وحسن التواصل

فصول في التهئة

في التوسية

فصول في الذم

۲۵۱۰	واظریه
۲۹	فروانی
۳/۱۰۹ع	کتاب منبر

3215
~~SECRET~~
S/A
E111

